الإعجاز

بافي دين المصاير من الفساد والأوهام
وعظهار محاسن دين الإسلام
وأنثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام

تاليف
الإمام البطلبي

تقديم وتحقيق وتعليق
الد. محمد إبراهيم السقّا

أجزاء الأول

دار التراث العربي
التزامر
للإمام القرطبي
بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

صور هذا الكتاب بالليكروفيلم في معهد احياء المخطوطات التابع لجامعة
الدول العربية بمصر ... وطبعنا هذه عن صورة الليكروفيلم ... لأنه لم يطبع
من قبل ... وقد كتب المعهد عنه في فهرس كتبه ما نصه:

" 39 ... الإعلام بما في دين النصارى من النسائة والأهرام ... وظهور
محاسن دين الإسلام ... وانثبت نبوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام.
تأليف القرطبي (؟) وهو ردي على كتاب الله أحد النصارى سماه:
" تشلث الوحدانية " بعد به من " طليطلة " إلى مدينة " القرطبة " فرع
منه سنة 384 ه بالكرك المروس ... نسخة كتب سنة 379 بخط نسخ
جيد واضح ( كوريللي ) 794 مكرر - 187 ورقة - 36 سم ) 102 ه.

وقال الكاتب نهایة كتاب الإعلام هذا: إنه فرغ منه سنة سبمئة
وست وعشرون من الهجرة ومعنى هذا: أن القرطبي مؤلف كتاب الإعلام
ليس هو القرطبي الإمام الفقيه المفسر للقرآن الكريم ... أن القرطبي الإمام
اللفقيه المفسر توفي سنة سبمئة وواحد وسبعين من الهجرة ... ويؤيد هذا
أن أسلوب مؤلف الإعلام غير أسلوب مفسر القرآن ... وأن ابن فرحون
رحمة الله ... في " الديباج المذهب " (1) لم يعد الإعلام من كتب القرطبي
المفسر ... وأن القرطبي الفقيه المتوفي سنة سبمئة واربعة وثمانين من الهجرة
نقل منه عن " أوغستين " وعن " حفص ".

ويقول " كارل بروكلمان " : إن مؤلف الإعلام هو القرطبي مؤلف
تفسير القرآن الكريم لا غيره ... ويقول: إن لعلام نسختين خطيتين في
" كوريللي " الأولى رتمها: سبمئة وأربعة وتسعين رمز " بآ " والثانية
رتمها: سبمئة وأربعة عشرة ... ويدعو بالقرطبي مؤلف الإعلام والتفسير
الاسمي: " الجامع لأحكام القرآن " والبين ما تضمن من السنة وأي
الفقرات " ينقل: هو شمس الدين ... محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح

(1) الديباج المذهب في أعيان المذهب - ابن فرحون صفحة 317
الانصاري التراثي المتوفي سنة ستمائتان وواحد وسبعين من الهجرة، ووافق ألف ومائتين وثلاثة وسبعين من الميلاد. ويؤيد: أن القرافي مات في نفس السنة التي فرغ منها مؤلف الإعلام كما يقول فهرس مجدد من المخطوطات عن تاريخ النزاع، ومن المحتمل أن يكون قد نقل عن المؤلف قبل اظهار الكتاب في دور المكتبة، أو هما ما تعن لغته غيرهما.

ويؤيد "كارل بروكلمان": الدكتور "زلط" الحاصل على الدكتوراه من كلية أصول الدين جامعة الأزهر في موضوع: "التراثي ومنهجه في التفسير"، ومؤيداً أيضاً: صاحب كتاب "هدية المارفين".

**

وهذا الكتاب يشتمل على أربعة أجزاء: ويتضمن أربعة أبواب.

**

الباب الأول: "بيان مذاهب النصارى في الأثنائين الثلاثة وأبطال قولهم فيها.

ونذكر التراثي - رحمه الله - تقولهم في اثنائين الصنف الثلاثة وهي: التقدير والعلم والحياة أو: الوجود والعلم والحياة، ونند قولهم هذا

(1) أصل الأثنائين في اللغة السريانية: "شخص مستقل بنفسه".

(2) وهو مقدار عند الكاثوليك، الذين يقولون بتميز الأثنائين وانفصال كل أثنا - أي الله - عن الآخر. ثم استعمل مجازاً في "مرحلة" من مراحل ثلاثة لذات الله تعالى عند الأرثوذكس، والثالثين بحسب السبط في شخص الصبي: ابن مریم، أي أن عيسى هو لله الخلق الرئيسي الحيي البشري - "كبرت كلمة التوراة.

(3) كنف القيامة: "لد بنالله\\n(4) "الرب الهنا راب واحد" (ب) "ليس مثل الله" (انظر سفر تنمية الاشتراع).
وذكر توليم في تحليل التثليث، ورد عليهم فيه، وذكر ادانتهم على التثليث. ورد عليها، وبين أنهم مختلفون في حقيقة الأذانين اختلافًا شديدًا.

الباب الثاني: في بيان مذاهب النصارى في الاتحاد والحلول والبطل

وفي نهاية الباب: ذكر مذهب "أوغسطين" الذي وضحه في "المملك الكاذب" ونقده نقدًا شديدا - وبانتها، الباب الثاني ينتهي بالجزء الأول.

الباب الثالث: في النبوات وذكر كلام النصارى فيها. وهذا الباب
ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: حكى الترطبي - رحمه الله - فيه كلام مؤلف "تثليث الوحدانية في معرفة الله" في أمر "المسيح المنتظر" الذي هو "السيا" الذي تشير إليه نبوءات: (1) التوراة (الأسفار الخمسة) (ب) وأسفار الأنبياء، وبين أنه عيسى ابن مريم - عليه السلام - والحق: أنه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.


والقسم الثاني: ذكر فيه المؤلف معيت "النبوة" ومعنى "المجزأ".
وبين أن مجازات عيسى - عليه السلام - لا تدل على الوحيه، بل على نبوته. وعند هذا الحد، انتهى الجزء الثاني.
ذكر المؤلف في القسم الثاني أيضاً أربعة أنواع لثبوت نبوة نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام -

النوع الأول: من الأدلة على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -
أخبار الأنبياء به تقبله.

النوع الثاني: الاستدلال على نبوته بقرائتِ أحواله - صلى الله عليه وسلم -

النوع الثالث: الاستدلال على نبوته - صلى الله عليه وسلم - بالكتاب العزيز الذي "لا ينداه الباطل من بين يديه ولا من خلقه، تنزيل من حكيم جميل" (فصلت: 42) أي باعجاز القرآن.

النوع الرابع: في الاستدلال على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -
بجملة من الآيات الخارقة للعادات - وابنتها هذا النوع ينتهي الجزء الثالث.

الباب الرابع: في بيان أن النصارى محكومون في أديانهم، وأنهم لا مستند لهم في أحكامهم إلا محض أعراضهم وأهوائهم. وهذا الباب يشمل على:

1- مقدمة: بين فيها أن النصارى ليسوا على شيء، وأنهم خرجوا على تعاليم التوراة وخرجوا على تعاليم الإنجيل الذي قال فيه مسيس ابن مريم عليه السلام: "لا تظروا أين جئت لأنقض الناموس".

2- ويشمل على فنين:
الفن الأول: ذكر فيه من أسرار الكنيسة السبعة(1)، وذكر فيه من الشعائر النصرانية والطقوس.

والفن الثاني: ذكر فيه عقائد الإسلام، وأصول أحكامه، ورد فيه على شبه النصارى على الإسلام - وبانتها الباب الرابع ينتهي الجزء الرابع - وهو الأخير - من هذا الكتاب المفيد.

***

(1) أسرار الكنيسة السبعة هي: 1- سر المصودة، وهي عند الأرثوذكس بالتغطيس في الماء، وعند الكاثوليك بالرش 2- سر السحة 3- سر النبران 4- سر التوبة 5- سر مسحة الرضى 6- سر الزواج 7- سر الكهنوت.
وأنه كتاب مفيد في "علم مقارنة الآداب" لأن مؤلفه رتب فيه على كتب كثيرة ورسائل للنصارى، نصارى الكاثوليك في الأندلس، وما حولها من القرى. ومن الكتب والرسائل التي رد عليها: كتاب "السائل" وكتاب "الحروف" وكتاب "الديثم الوحيد" في معرفة الله وصف "العالم الكائن" (1) للقديس أوغسطين، فيليسوف النصارية، وكتاب من كتاب التلفيق البشك "حصين بن البر" (2) ورسالة الأستف "ليون" إلى أساقفة "السنة" وكتاب "الصقلية" وكتاب "الساحة" للإنس "الأندلس" للرعية، وكتاب "الجائح" في رسالته لـ "ليون" الملك الذهبي. 

ومؤلفه من العلماء الأندلس، الذين لهم حظ من حنفية نثر وشعر، وأمثال وحكم، وقرآن سنة، وتحت بأسلوب أدبي راتي، ووضع الكلمة في موضعها المناسب، وأحسن عرضاً للآداب، وأحكم رد في كثير من المسائل.

**

وأما كنت أني أخرج هذا الكتاب، لأن أخرجت كتب كثيرة في موضوعه. منها: "الأصول الحق" للشيخ رحمت الله الهندى (1233 - 1208 هـ) الذي أطلع على كتاب الإيلام هذا في "تركيا" أثناء مغامرة في ضيافة الخليفة عبد العزيز خان - رحمه الله - ونقل منه نسخ "السيلة" وقدم "القيد" بـ "بولس" وصاغ كتابه على مثاله (3). ومنها: "شواء الطويل" في بيان ما وقع في النوبة والإنجيل من التبتيد" للجوني عبد الله أبى المعالي، إمام الحرمين، ومنها: "منظمة الإمام الأبوصيرى" في الرد على النصارى واليهود" تلخيص الإبصري نظم برده الدين المبارك. ومنها كتاب: "على التوراة" للإمام الباجي الشافعى. وقد ألفه في "الكرك" بالأردن. في نفس المكان الذي ألف فيه الإيلام. ومنها كتاب "الفصل في الملالي والأهواء والنحل" لـ ابن حزم - الجزء الخاص بندف النوبة والأجوسن - ومنها كتاب "بداية الحبارى في أصول اللهود والنصارى" لـ ابن تيم الجوزية.

---

(1) يقال: إن هذا الكتاب مفقود إلى اليوم.
(2) خصص بن البر، وكذا كتب. وكذا أيضا خصص بن البرقى.
(3) واعط عليه ونقل عنه أيضا الإمام القرافي مؤلف كتاب: "اللله" في فلسفته الأندلسية و"الشيء المأمور" في مصحف العالم الكائن. و"القرافي - رحمه الله - مات في سنة 1285 هـ" وهو مصري من ولد والنشأة والوفاة.
ولكن أخرجه لحبي لأساتذة الجليل، الاستاذ الدكتور الشيخ:

عبد الغني عوض الراجحي، وتقدير له & نافي ما رأيت أسلوب المؤلف كأسلوبه في الحديث الشمالي، وفي التالي، رأيت للذكرى أن أخرجه ليتجلى للناس مظهر من مظاهر فترة الله في خلقه وهو تشابه رجلي في عصور مختلفين في العقل والنطق، ولا يمكن أن يحدث هذا ومثل هذا من غير أن يكون وراء الكل مدير حكيم، وهو الله عزوجل.

يتميز مؤلف الكتب، وأستاذنا مثله: يحبه للمعرفة، وتاكده منها،
ثم حاسمه لنشرها، حماس التعلم الفطنة، الذي يجعل الكلام في النظريات.
- كما يقول القديس "أوغسطين" في مصحف العالم الكائن - "على
منازل ودرجات، ليكون من اجتمع معا في الدرجة الأولى، تكلمنا معه في
الدرجة الثانية، ومن اجتمع معا في الدرجة الثانية تكلمنا معه في الدرجة
الثالثة، ثم نمضي كذلك إلى أقصى نهاية الكلام. فانما يكون نساد
الكلام وتثبيبه وانتشاره من قبل النقص في معرفة هذه الدرج.
لنا متأثرنا في الدرجة الثانية، من لا يجتمع معا في الأولى، لا يبلغ الكلام
غالية، ولم ينفع من نهاية 100٪.

وبهذا كان يقول الدكتور عبد الغني(1) - أعزه الله -

***

فقد رأيت أن أكتب في هذا التدريج: مبحثين. البحث الأول: (أصل
الاتجاهات وتطورها) والبحث الثاني: (السياق النظري) الذي هو (المسيح).
لأن مؤلف الإلقاء ترك شيئا وغياب عنه اسمه، وبذلك نكون معا قد
وضعنا الرد التفصيلي، المحكم بالأمل: على النصاري.

(1) الدكتور عبد الغني. لم يقتصر على فهم العلم التي تدرس في
الأزهر وهي الفقه والنحو 000، بل درس الكيمياء، والطبخية وعلم
الإحياء 000 العلوم الحديثة. وكان يفهمها للأزهرين بأسلوب واضح
على نظرية "أوغسطين" فاستطاعوا أن يفهموها، ولم يكن جامعا على
القراء، بل كان يجهد ويجري بالقراء في الفقه والتفصيل وغيرهما تجهله
من الأئمة المجددين، وما كان يتم عالمي للسماع عنه، بل إذا سمع
طلب الكتاب الذي نقرأ، الذي قال فيه الدمن من أجله، ونظر فيه
بمسحة، ثم يقول ما يقول عن علم، لا لا سمعنا. ولذلك هو أول أزهرى
أناضف الشيخ محمد عده ومدرسته وأعطاهم حقهم من التقدير والإجلال
والاحترام - جزاء الله خير الجزاء، وأكثر من أمثاله - وقال للجامدين من
الأزهرين: "مؤتوا بغيركم" (آل عمران : 119).

(2) بفتح الميم وكسر السين وتشديد الياء مفتوحة.
المبحث الأول:

أصل الألفاظ وتطورها

الإبانة عند النصارى ثلاثة: هي أقنوام اللب - بحمد الهزاء ونطق اللب، نطق خفتا - وأقنوام الأب، وأقنوام الروح القدس. ولكلمة "اللبن" عندهم لقب لله عز وجل وهو يصلى اللب. وأصل "الأب" عندهم لقب للنبي المختار وزعيم لذو لواء السلام. ذلك لأنهم يقولون "نحن أبناء الله، وأحبائنا" (المائدة: 18) كما حكي القرآن عنهم. ولما أرادوا جعل النبي المختار الذي أخبر موسى عليه السلام أنه سيكون منهم من نسل اسماعيل عليه السلام، نبوا منهم أنفسهم لا من نسل اسماعيل، ووضعوا عليه لقب "ابن" كما يلقون أنفسهم ليومًا العالم أنه سيكون منهم لا من نسل اسماعيل. وصل الروح القدس عنهم لقب للنبي المختار أيضاً في الإصحاح الرابع عشر من أنجيل يوحنا، فقد روي عن عيسى عليه السلام: "بتركليت(1) الروح القدس" وبركليت: اسم أحمد - صلى الله عليه وسلم - والروح القدس، لقب لأحمد، أي أحمد المصطفى نبياً من الله الفتى الطاهر. ولما أرادوا ختم النبوة عيسى عليه السلام - جلله هو "الابن" وجلوه هو الروح القدس، أي لقبه ب:"الابن" و"الروح القدس" بعدما جلوله هو الله "اللبن" وعريضهم من ذلك: نقل باب النبوة في وجه محمد صلى الله عليه وسلم.

وبيان ذلك:

لقد كتبوا - ونحن نجاهم بما كتبوا بغير النظر عن صحته أو عدم صحته، لأنهم يعتمدون في صحة الكتاب - كتبوا في توراة موسى في سفر التثنية في الإصحاح الرابع عشر أن الله تعالى يخطب اليهود بقوله: "أنتم أولاد للرب皈كم" (تبع 14:1) واليهود خاطبوا الله بقولهم: "أنت يا رب آبونا" (اليمين 16:11) واليهود يقولون: أن الأبوا والبنوته مجازية، أي أن الله تعالى ولي النعم وصاحب الفضل وعم منتسبون إليه.

(1) بتركليت، جاء في الكتاب أيضا ب"تركليت" ثم حرفها إلى "فركليلت" (باركليلت) ثم حرفوها إلى بعض الطبعات وكتبوا بدلها "المزي" بضم الهم وفتح العين وتشديد الفرعي مكسيمة.
يقول الشيخ الإسلام الإمام ابن تيمية النفيسة سنة 728 هـ - يرحمه الله - في ذلك المنهي: "لطف الابن يعبر به عن ولد الوالدة المروعة، ويعبر به عن كان هو سبباً في وجدانه، كما يقال: "ابن السبيل" له ولدته الطريق، فإنما جاء من جهة الطريق جعل كانه ولده، ويقال لبعض الطريق: "ابن الماء" لأنه يجيء من جبهة الماء، ويقال: "كونوا من أبناء الآخرة، لا تكونوا من أبناء الدنيا" فإن الابن ينتمي إلى أبيه ويجبه ويضاف إليه أي كونوا من ينتمي إلى الآخرة ويجبها ويضاف إليها.

وعذا الفظ موجود في الكتاب الذي يتأدي أهل الكتاب في حق "الصالحين" الذين يجمع الله ويربيهم، كما ذكروا أن المسيح قال: "أبي وأبيكم، والله والهمم" (يوحنا 1:17) وفي النوراة: "إن الله قال ليتعوّب: "أنت ابن بكرى" (خروج 4:22) ونحو ذلك مما يراد به - إذا كان صحيحاً له معنى صحيح: المحبة له والاصطなの والرحمة له، وكان المعنى منه وما عند الأنبياء - عليهم السلام - ومن يخاطبونه، وهو من الأفكار الانتسابية، فصار كثير من أتباعهم يرون به المعنى الباطل"(1)

بقول اليهود بذلك لأن الآيات المحكمة في النوراة تدل على أن الله واحد وليس كمثلهم شيء. ولم يكن أحد، ولن يقطر أحد على رؤيته. فإلى الإصلاح السادس من سفر التثنية: "اسمع يا إسرائيل! الرب الهنا رب واحد"(2) وفي الإصلاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: "ليس مثل الله". وفي الإصلاح الثالث والثلاثين من سفر الخروج قال الله لموسى: "لا تقتدى أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش" وقال النصارى الأوائل الذين كانوا في الزمن من قبل التحريف يقول اليهود، لأن عيسى نبيهم قال لهم: ما جئت لأنسخ النوراة. وفي الأناجيل المتناولة إلى اليوم في أبيهم رغم تحريفها دخل على التوحيد والتنزيه ففي الإصلاح الثاني عشر من انجيل مارقس: نجد كاتبًا (عانا) من علماء اليهود يسأل عيسى عليه السلام - عن الوحدانية نيجبه بأن الله واحد كما قال في النوراة موسى عليه السلام: "يقول مارقس: "فناح واحد من الكتبة، وسمعهم ينحاون". فلما رأى أنه أجابهم حسنًا سأله: أي يقصد هي أول الكل؟ فأجابه بسوع: أن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل: على الهنا رب واحد، وتحب الحب الهلك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل

(1) الجواب الصحيح من بدأ دين المسيح - ابن تيمية صفحة 2347
(2) وقد استدل عيسى بهذه الآية على أن الله واحد كما جاء في الإصلاح الثاني عشر من انجيل مارقس، وورد أيضاً عنه في متي ولوئا.
فكرك، هذه هي الوصية الأولى، وقد ذكر بوخنا في الإصلاح الأول من
النفي المنتظر، وهو متبع للتوراة، غير خارج عنها:

وسبب تنبو داود عليه السلام عن النبي المنتظر، وهو متبع للتوراة،

أن الله تعالى وعد ابراهيم (1) النبي - عليه السلام - ببركة الأم في
أمة، فعن ابراهيم - عليه السلام - قال الله تعالى: «وأما ابراهيم» (تكوين 17 : 20) وقتل ملك الله هاجر - رضي الله عنها - "ها أنت حيى نتلدين ابنًا، وتدعو
اسمبه ابراهيم. أن يب بن العرب قد سمع ذلك، وأن يكون أنسانا وحشا،
يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه" (تكوين 17: 11 - 12) وعند
النبي ابراهيم آبيك - لا تخف لألميك وأباركي وأكثر نسلك. من أجل ابراهيم أبدي" (تكوين 22: 14) ومنية البركة: 1 - أن يكون من النسل ملك على الشعب.
ليمحكوا الناس بشريعة الله حتى يحكم الناس أنفسهم 2 - وأن يكون
من النسل نبي يضني الله ويعطيه شريعة ليتحاكم بها الناس.

وبدأت البركة في نسل اسحاق الأول، فقد اصطفى الله ولده يعقوب
عليه السلام لتحل البركة فيه، واصطفى من كل يعقوب (إسرايل) موسى
ابن عمران وأعطاه: التوراة "موعظة وتقصيب للأمم" (الأعراف: 145)
وجعل من بنى إسرائيل: أنبياء، لكن علي شريعة موسى لا ينسخونها
ولا يخرجون عنها، وجعل منهم ملوك على الشعوب كما قال تعالى:
"وأي داء موسى قومه يا تقوم أنكروا نعمة الله عليك، إذا جعل فيكم
أنبياء، وجعلتم ملوكا، وآتاكنا مالم يأت أحد من الناس" (المائدة: 20)
لقد جعل فيهم أنبياء، وملوكا لتتحقق بهم بركة ابراهيم في الأمم.

***

(1) يلقب النصارى ابراهيم عليه السلام بلقب "بطريك" لأنه رئيس
الأباء، وكلمة بطريرك من أصل يوناني (Patriarches) وهي تتكون
من مقطعين (PATTRIA) أي عائلة و (ARCHE) أي رئيس.
ثم نبه الله على لسان موسى على مجيء نبي من اسماعيل،
فانتهى مجتهد بركة إبراهيم في الأمم بآل اسحاق. وبدأ مجتهده بركة
إبراهيم في الأمم بآل اسماعيل، هو محمد صلى الله عليه وسلم، كما كان
موسى عليه السلام في آل اسحاق. قال موسى على السلام: «يقيم الله
الرب الهلك: نبيًا، من وسطك، من أختوك، مثل، هل تسمعون حسب
كلما طلبت من الرب الهلك في حوريب يوم الاجتماع، يوم تلت: لا أعود
سمع صوت الرب الهلك، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لثلا أموت.
قال لى الله: قد أحسننا فيما نكلمنا، أمين لهم: نبيًا، من وسط أخواتهم,
مثلك، وأجعل كلامي في منبه، فيكيلهم بكلما أوصي به»

ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلام الله الذي يتكلم به باسمه أنا طالبه.
وأما النبي الذي ينطق، فيتكلم باسم كلاما لم أوصيه أن يتكلم به أو الذي
يتكلم باسم آلهة أخرى نعموت ذلك النبي (1). وان تقلت في ذلك:
كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؛ نما تكلمنا بالنبي باسم
الرب ولم يحدث ولم يبصق، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل
بيطهان نكلم به النبي، فلا تخف منا» (تن 18:15 - 22)

معنى: «كالذي سالت الله ربك في حوريب، يوم الاجتماع، يوم
تلت: لا أعود اسمع صوت الله ربي، ولا أرى هذه النار العظيمة غاموت.
إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: «ها أنا آت الرب
في ظلم السحاب، لكي يسمع الشعب حينما يتكلم ملك مبذون بها،
(خروج 19:9) ولا جمع موسى الشعب نحو جبل حوريب، أي: جبل
طور سيناء. كان جميع الشعب برون الزرع والبرزوق وصوب البرق
والجلب يبخن ولا رأى الشبع ارتحدوا ووقفا من بعيد. وقالوا لموسى:
تكلمت أنا معنا فنسمع، ولا تكلم معنا الله لثلا نموت» (خروج
18:19). فقال الله لهم: حسنًا قلتم. وإذا أنتو محتاجين، فسارسل
نكلم نبيًا مثل موسى له تسمعون وتطبيعون.

وهذه النبوءة تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم وهو المبشر
عليها في الآية السابعة والعشرين بعد المائة في سورة الأعراف، وجبه
دلالته عليه: إننا تهدد نساء أوصاف النبي المستقر كلمهم فيه صلى الله
عليه وسلم.

(1) في التوراة السماوية، وفي ترجمة اليهوديين: «فيليقتل ذلك
النبي.»
1 - نبيه « يقيم لك الرب Analytics نبيه »

2 - من بني اسماعيل من مصلى إذن الناسه خاص اسماعيل

واسماعيل برقة مثل برقة اسماعيل

3 - مثل موسى مثلي في الاصحاب الرابع والثلاثين من سفر التثنية لأن يكون في إسرائيل نبيه كموسى إذن الأئمة هو من اسماعيل

4 - ينسخ شريعة موسى له تسمعون

5 - أمي لا يقرأ ولا يكتب وأجعل كلامي في قمته

6 - أمين على الوحي الأولي في الكلام بكل ما وصي به

7 - يزيل ذلك بني إسرائيل من العالم، أي ينهي الكرة فيهم: ويكون أن الإنسان من اليهود الذي لا يسمع لكلامى الذي يتكلم به باسمى أنا أطلبه أي الله يتنتمون من الذي لا يسمع على يدي وإيدي.

8 - لا يتل أو النبي الذي يدلي، فتتكلم باسمى كلاما لم أوصي أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فهو ذلك النبي.

9 - يتحدث عن مغيبات، وتحدث في المستقبل، كما قال: وان قلت في تلك: كيف يعرف الكلام الذي لم يتكلم به الربي؟ فلا تتكلم به النبي جاسم الربي ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الربي، بل بطفيات.

تتكلم به النبي، فلا تخف منه.

***

هذا النبي الذي تنبأ عنه موسى عليه السلام ووصية بالاصطلاح التسعة.

كتاب عنه اليهود نبوءة في سفر الزمر (الزمر) ولتبور بلقب « ابن الله »، ليؤ/movie الناس أن النبي المنظر الذي ينبا عنه موسى في التوراة سيكون من بني إسرائيل لا من بني اسماعيل. ونص النبوءة، وهي في الزمر الثاني: « مما ارتجت الأمم وتفكر الشعب في الباطل؟ قام ملك الأرض، وتأمر الرؤساء، كما على الربي وصيحي للطيين: لنقطع فيه، ونطرع عنها ربطهما».

الساكن في السماء يضعك، الربي يستهزئ بهم. حينها يتكلم عليهم بغضبه، ويرفعهم بنظشه. أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون.

جبل موسى.
اني أخبر من جهة قضاء الرعب. قال لي: أنت ابنى. أنا اليوم مولودك. أرسلني فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأنا الأرض ملكا لك.

تحتيم بقضايا عن حديد مثل أبناء خزاف تكسروهم.

فلانون، يا أبا اللوك، إعتقوا تادروا! أنت إله الأرض، إعدوا الرعب.

بخوف، واختفوا، فلمروا، أن لا يمضب، فتسبعوا من الطريق، لأنه عن قليل ينتقد غضب، طوبي لجميع التكلمات عليه» 100 (المؤرخ الثاني:

101)

ومنى النبوءة: أن أمير الأرض سيفكر في القضاء على النبي المنتظر.

ودعوته هذا النبي المنتظر، بمقبلاً مسمى وقلبته ابن الله.

لكن (الله يستهر) بهم، ويمدهم في طبقائهم يعهوون» ( البقرة: 15)

ثم ينصر نبيه، ويملك على البلاد، خاصة البلد التي فيها جبل (صهيمون).

في أرض فلسطين.

ويقول داوود - إن كان هو القائل -: أني أخبر بما قضى الله أزلا.

وتقد، أني أخبر: أن الله قال عن النبي المنتظر، اللقب بلقب «مسيح».

قال عنه: (أنت ابنى) أي (مصفحتك على الناس برسالتي ويكليتي)

، (الأعراف: 143) »، أنا اليوم، ولدتني، أني تلت ورودت في العالم من قبل أن تثقف، وسوف يمتد ملكك إلى أقصى الأرض، وسوف تنتشر إتباعك في كل مكان.

اني أعظمهم أبا الناس: أن تقبلوا دين هذا النبي، وأن تعملوا به، لما تشكلوا.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في التعليق على هذه النبوءة: "انه إذا كان الأب في فتحه هو الره، الذي يرش عبده، أعظم مما يرش الأب بنه، كان منعي لفظ الولادة مما يناسب معنى هذه الأبوة، فيكون المعنى: اليوم جعلت مروحا مصطفى مختارا، وقال شيخ الإسلام: (ويحنذ فلا يكون تسميتهم إنا لكون الرب أو صنئته احتبت به، بل كما سمى داود: إنا، وكما سمى إسرائيل: إنا، فقال: (أنت ابنى بكرى) وهذا في كتابهم".

***

1) الجواب الصحيح لإن جدي فنبع 128، 239 ج 2


وتلمد الدكتور عاتي رقص - وهو من نصارى الأرثوذكس - كتابه في "النبيات" سماه: "يسوع المسيح في نصوصه والوعي» وطبعه في مصر طبعتين اثنتين، ربط فيه بين نبوءات الأساطير الخمسة وبين نبوءات داود عن النبي المنتظر، اللقب بلقب ابن الله ونبيات أخرى، وبين أن كل نبيات تشير إلى النبي واحد هو في نظره، وننظر جميع النصارى: عيسى ابن مريم، ويعقوب الدكتور عاتي رقص في تعليله على نبوءات داود: "القول الطائر: قال لي: أنت ابني. أنا اليوم ولدتك" يشير إلى أن يسوع المسيح هو ابن الله الابن. أوان ولادته من الآب هو منذ الأزل، إذ أن اليوم في هذا القول: هو الأول 10000 الف" (1).

هذا هو أصل أش()<< الأبن" عند النصارى، وأما << الآب" بعد الظلمة فهو لقب الله عز وجل عندهم يساوي الآب في اللغة العربية.

**

(1) يسوع المسيح في نصوصه والوعي، ص 94.
(2) الإعلام.)
وأما أصل أقنونهم { الروح القدس } فهو نبوءة تنباها بها النبي عيسى عليه السلام - عن نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم - في الأصحاب الرابع عشر وما بعده من انجيل بيوتا. قال عيسى عليه السلام - لتلاميذه: { إن كنت تجبونى فأحفظوا وصاياي }، وأنا أطلب من الآب فيعطينكم مزيا آخر، ليتمك مكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما أنتم فتعمرون لأنه ما مكم معمم ويبوقع نفكم...

والكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للآب الذي أرسلني. بهذا كلتمكم وانا عندكم، وأما المزى الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمى، فهو يعلمكم كل شيء، ويدرككم بكل ما قلته لكم 300 وقلت لكم الآن نقل أن يكون حتى متى كان تؤمنون 300.

ومتى جاء المزى الذي سأرسله أنا الذي أريد من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب يبنئك فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من البداية. قد كنتمكم بهذا لكي لا تعترموا سخرونكم من المجامع، بل نأتي الساعة، فيها يظل كل من يقتلك أن تقدم خدمة لله واستطاعون هذا لكم، لأنهم لم يعرفوا الآب، ولا عزونوم. لكن نقص كنتم بهذا، حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أنى أنا قلته لكم.

ولم أقول لكم من البداية، لأنني كنت معمم وأما الآن فاننا ماضي إلى الذي أرسلني، وليس أحد منكم يسأني: أين تمضي؟ لكن لاني قلت لكم هذا، قد مل الحزن قلوبكم، لكنني أقول لكم الحق: انه خير لكم أن أنطلق لأنه لن أنطلق لا ياتيكيم المزيا. ولكن ان ذهبتي إرسله الليكم، ومتي جاء ذلك يبتك بك على خديعة وعلى بر وعلى دينونه. أما على خديعة فلنهم لا يؤمنون بي. وأما على بر فانه ذهب بي إلى أبي ولا يتوثن أيضا. وأما على دينونه فانه رئيس هذا العالمshade

إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم، ولكن لا نستطيع أن نحتطلوا الآن، وأما متى جاء ذلك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آنية.

ذاك يمجدني، لأنه ياخذ بما لي، ويخبركم... ***

في هذا المقول: نرى المزى { الروح القدس } أو المزى { روح الحق }، فنام هو المزى الملقب بلقب { الروح القدس } أو { روح الحق }؟
انتقى كلمة اليهود والنصارى على أن الكلمة العبرانية « بيركليت »
التت نتجم في اليونانية : « بيركليتوس » معناها : أحمد . وتقول
النصارى : أن عيسى لم ينطق « بيركليت » بل نطق « باركليت » وعى
صوفاً لا اسم ، ومنهنا : الذي يأتي عوضاً عن عيسى ليعزي بني إسرائيل
في نقدهم والندوة ، وفي بعض الترجمات كتبوا : « باركليت الروح
القدس » وفي بعض الترجمات كتبوا : « المخلص الروح القدس » ثم قال
الأنثوذكس : أن المخلص الروح القدس هو نفسه عيسى ابن مريم . لأنه
عيسى - في نظرهم - هو الله متجسدًا ، وقبل تجسده يلقب بلقب « الآب »
وبعد تجسده يلقب بلقب « الإبن » وبعد قتله وصلبه وصعوده إلى السماء
يُلقب بلقب « الروح القدس » ويقولون : أن عيسى الإبن وهو يمشى بين
الناس ، وعد قبل اختفائه بناسوته من الدنيا أن يجيء اليهم بعد خمسين
يوماً من الاختفاء في صورة أخرى ، فلبنوته نفسه بلقب « الروح القدس »
لا يلقب الإبن . وكتبوا هذا القول في الأصحاح الثاني من سفر أعمال
الرسل.

وقال الكاثوليك : أن الآلهة متعددة ، لا لاها واحدة متجسدة ، كما يقول
الأرثوذكس ، « الإبن » هو مستقل بنفسه ، والابن اله مستقل بنفسه ،
والروح القدس هو مستقل بنفسه . ومع تعددهم هم واحد في درجة
اللائمة ، و يقولون : أن عيسى الإبن وهو يمشى بين الناس ، وعد قبل
اختفائه بناسوته من الدنيا ، أن يرسل اليهم الآله الآخر بعد خمسين
يوماً من الاختفاء ، الآله الروح القدس . ومع هذا يقول الكاثوليك أن
« المخلص الروح القدس » هو نفسه عيسى ابن مريم ، ورغبهم كفر ضر
الأرثوذكس واليهود و هو : جمل كل نبوءات التوراة والأنجيل الأربعة
تنطبق على عيسى لقتله باب النيابة في وجه محمد صلى الله عليه وسلم .

في كتاب النبوءات الذي الله الدكتور هاني رزق : ربط بين نبوءات
التوراة ، وبين نبوة داود - عليه السلام - وبين تبشير عيسى عليه
السلام يبني من بعد في قوله : « ان كنتم تجرونني ملاحظوا وصاباي
وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً 1000 ذكر » وقال تحت نبوة « العزيز »:
أن عيسى ينظر بالأخلاص الثالث في الثالوث القدس ، الذي هو نفسه عيسى
عند الأرثوذكس ، وغير عيسى عند الكاثوليك ، وبين أن أشياء قالت في
سفره : « أن الله تعالى قال لليهود : « كأنساس تعزز أمه » ، هكذا أعزم
أنا » ( أشياء 22 : 13 ) وأن عيسى لما نطق : « وأنا أطلب من الآب
فيعطيكم معزياً » كان ينطق استناداً على ما جاء في سفر أشياء عن
« العزيز » . 1000 يقال الدكتور هاني :
"بذلك تحققت نبوءة أشعيا بتعزيز يسوع المسيح إبنا إسرائيل، المؤمنين باسمه، أثناء وجودهم، ثم، وعدهم مارسل العزى الحقيقي الروح القدس ليكتب فيهم ويكون معهم. وقد أطلق السيد المسيح - له المجد - كلمة العزى والنصر على "روح القدس"، إذ هو يعزى المؤمنين على احتمال كافة الأوجاع والآحزان، في سبيل كلمة الله، ويرشدهم إلى الحق" (1).

ثم بين الدكتور عوضي: أن الروح القدس نسب للمعزى، وان العزى الملقب بالروح القدس هو نفسه عيسى - عليه السلام - على مذهب الأرثوذكس يقول تحت عنوان: (الله الواحد ذو الثلاثة أقانيم):

"يعلن الكتاب المقدس في العهد الجديد عن أن الله الواحد قائم في ثلاثة أقانيم هم: الآب، والروح القدس، والابن، ويعبر المقدس، والروح القدس، الأقنوم الثاني. والروح القدس، الأقنوم الثالث. وأن الثلاثة أقانيم في وحدة كاملة هي الله الواحد، الثالوث المقدس" (2).

وفي جميع القسنطينية سنة ثمانية وواحد وثمانين من الميلاد اتفق النصارى على أن يكون عيسى هو "روح القدس" كما اتفقوا من قبل على أنه الآب. وكتبوا هذه العبارات في قانون أطمانهم وهي: ونؤمن بالروح القدس، والروح الحي، المشتق من الآب، المسجد له، مع الآب والابن. الناسط في الآباء. لينقذوا باب النبوءة في وجه محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى الأبد.

***

وقد رد عليهم كثير من علماء المسلمين، ليدخلوا في الإسلام فسخوا في الدنيا والآخرة. ومن العلماء الذين ردوا الأهام الفقهية شهاب الدين أحمد بن ادريس المالكي التراقي فقد كتب في كتابه "الجواب الفاخرة" في الرد على الإستئشة الوجبة، عن "نبوءة الآب" نقل أولى من عبارات الزبور الثاني، لداود عليه السلام، ثم بين أن النبوءة تشير إلى محمد صلى الله عليه وسلم - ونص عبارته: «قال داود - عليه السلام - في الزفائر: "أنت ابني وأنا اليوم ولدتك، سلمى أعطيك الشعوب مباراك، وسلطاتك إلى أتصي الأرض، ترعاه بقضيب من حديد، وملع آثار القنار تسخينهم» محمد - عليه السلام - هو الذي ورت، وبلغ...

(1) يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته ص 36
(2) يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته ص 222
سلطانه أنتظار الأرض، وحاظ الأمم، وسماهم بسنه، ولم ينفق هذا
لذا، لا أحد من بعده، نكون هو المشربه، وسمي: ابننا على العادة
القديمة في تنمية الطبع والتبني: ابننا، كما قال في الثورة في إسرائيل.
- عليه السلام: (ابن بكر) (1) 100هـ.

والإمام الثقفي شيخ الإسلام ابن تيمية الهاجري، فقد كتب في «الجواب»
الصحيح لن بلدين المسجح عن «الفاروق)، الروح القدس» نقل فألا
كلم يوجي، ثم ذكر أقوال النصارى في متنى «الفاروق» ثم ذكر وجهة
نظرهم، ثم رد عليهم رداً حسناً، ومن عباراته: (إن عنى الفاروق)،
أن كان هو الحامد أو الحمد، أو الحمد، أو الحمد، أو الحمد، فهذا الوصف ظاهر
في محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه وأمته: الحمدون، الذين يحمدون
الله على كل حال، وهو صاحب لواء الحمد، والحمد منحته خلعته، ومفتاح
صلاته. ولياً كان حمداً جزئي بوضعة، فإن الجزء من جنس العمل
فكان اسمه: محمدًا، وأحادها، وأم محمد فهو على وزن مكرم ومغتمم،
وهو الذي يحمده حمده كثيراً مبالية فيه، ويستحق ذلك، نلما كان أحمد، كان
محمدًا. وفي شعر حسان بن ثابت:

وشقيق له من اسمه، ليجلله: فذ الفرحة: محمد، وهذا: محمد.

وأما أحمد، فهو أعمل التنضيل، هو أحد من غيره، أى أحق بأن
يكون محمودًا، أكثر من غيره، يقال: هذا أحمد من هذا، أى أحق
بأن يحمده عمداً، ن يكون فيه تنضيل له على غيره في كونه محمودًا.
فلنفح محمد، يفتقض فضله في الكلمة، ولنفح أحمد يفتقض فضله في الكلمة.
ومن الناس من يقول أحمد، أي أكثر حمده من غيره، فعلى هذا يكون
بمعنى الحامد والحمد.

وقال من رجح أن معنى الفاروق في لمتيم هو الحمد كما تقدم:
إذا كان كذلك فهو ما جاء في القرآن: (ومبشروا برسول يأتي من بعد
اسم أحمد) (الصف: 6) قالوا: ولا شك عندهم أنه اسم مشتق
من الحمد 300 الخ) (1) 100هـ.

وقد وضحنا ذلك كله في كتبنا: آثاث النصارى، وفي كتابنا:
الله وصفاته في اليهودية والنصرانية والإسلام.

* * *

(1) كتاب الأجيبات الفاخرة: على هامش الفرق بين الخلق والخالق.
(2) الجواب الصحيح ج 4 ص 16.
ولأنهم على بابال في أصل الأثنين، لأنهم اخترقا ما ليس لهم، وبنوا عليه معتقدا ومميا: اختلفوا فيما بينهم اختلافا شديدا، وتجاذبوا جدلاً عنيفاً، ولفن بعضهم بعضاً، وكثر بعضهم بعضاً، وأذاكر عننا البسير مما في كتبهم عن هذا الموضوع ليكون شاهاة على ما نقول: جاء في كتاب

تاريخ الأنباط لزكي شنودة في الجزء الأول ما يلي عن الاختلاف والجدال:

قال "نيسطور": "ان مريم لم تلد الها، بل ما يولد من الجسد، ليس الا جسداً، وما يولد من الروح هو روح، ان الخليقة لم تلد الخالق، بل ولدت انساننا، هو الله الراهموت" وقال نسطور أيضاً: "انه لم كان الجزء الراهموني من طبيعة المسيح لم يولد من العذراء، فلا يحق أن تسمى والدة الله، بل والدة المسيح الإنسان" يريد ان يقول: ان المسيح ليس هو بالله كلي، وليس هو بانسان كلي، بل بعضه الله، وبعضه انسان، وبذلك جعل للمسيح اثنين، أحدهما: انسانى، والآخر: الله، واعتقد بأن الطبيعة الألهية لم تتحد بالانسان.

وقال "مكديلوس" : "ان الروح القدس: عمل الها منتشر في الكون، وليس اثنتين متميزا عن الآب والابن".

وقال "أوفارثى" : "ان طبيعة المسيح الناموسية اندمجت في اللاهوتية، إذ ان جسد المسيح بما انه جسد الله، لا يعتبر مساوي لجسدنا في الجوهر، ان طبيعة البشرية قد تلاقشت في الطبيعة الألهية".

وقال "آريوس"(1) : "نؤمن بالله واحد متعال، كيف حد التصور، منظر على نفسه، وهو من العين بحيث لا صلة له بناسا بناء شيء، نهاية، وهو فريد، لا شبيه له، لا بد لانه لا يموت، صالح، وهو وحده

سبيحان ينفرد بهذه الصفات".

وقال "كونتيميوس" : "ان روح المسيح حلت على يسوع الناصري عند عماده من بحنا بنهر الأردن حتى إذا قضى عليه اليهود ليصلبوا ظارت روح المسيح إلى السماء، تازة بسوع يسوع، وحده.

(1) قال كثير من العلماء: في الخطاب الذي وجهه الأنبيى صلى الله عليه وسلم إلى قيصر الروم وجعله اثم الأرسانيين فيه إذا لم يسلم: ان الراد بالارسانيين اتباع القيس آريوس الذي جهر ونادى بقيءة التنزه والتنزه، وهذا القول سميد، لأن اتباع آريوس ظلوا على دينهم من بعد، ونادوا به.
قال: (أمونيوس السقاصي): «اننا يجب أن نضم جميع الآداب بما فيها الدين السبكي في دين واحد ليعتنق الجميع، وأن نجعل مبادئ هذا الدين الجديد مرضية لكل أصحاب الآداب».

وقال (باربيلووس): «ان يسوع المسيح قوة غير عيبية، وأنه كان يتخذ لنفسه من الرمائم، ولذلك فانه حين اراد الربه أن يصلى، اتخاذ صورة سمعان القرى وأعطاه صورته فصلب سمعان وأما يسوع فقد صعد الى السماء».

وقال (كريوكراتس): «ان المسيح انسان كسائر الناس، وإنما يمتاز عليهم بقوته».

قال (فايلنتيوس): «ان المسيح مركب من جوهر روحي، وقد أخذ جسما آثريا من السماء، ومر به من جسد السيدة العذراء، ثم اتخذ بجسد يسوع عند العذاب، فلما أراد الربه صلب يسوع تركه روح المسيح الى السماء وعلق على الصليب جسد يسوع المادي».

وقال (سياسيوس): «ان الله أفنون واحد، وان أعطى الناموس لبنيسرائيل بصفته الآب، وصار انسان في العهد الجديد بصفته الإبن، وحل على الرسول في علبة صهيون(1)، بصفته الروح القدس، وأن جزء من الطبيعة الإلهية انصف عن الله الآب، وهو الابن بالاتحاد مع الإنسان يسوع المسيح، وأن جزء آخر انفصل عنه فتكون الروح القدس».

وقال (نيبيوس): «ان الوقت قد قرب ليملك المسيح على الأرض ألف سنة كأحد ملوك العالم».

وقال (بيرلس): «ان السيد المسيح قبل ولادته من العذراء لم يكن له لاموت منميز، وإنما كان له لاموت الآب. أي أن المسيح لم يكن له وجود قبل ولادته من مرير وأن النفس الإنسانية التي أصلها من الله دخلت بالولادة واتحت بالناس، وهي بلا ريب فائقة كل النفس البشرية لأنها منبثقة من الطبيعة الإلهية».

وقال (بولس السيمباطي): «ان ابن الله لم يكن من الأزل، بل ولد انسانا حلت فيه كلمة الله وحكمته عندما ولد من العذراء، وأن هذه الحكمة التي مكننها من أن يعلم ويعمل العجائب قد فارقته حين امسكه».

(1) اقرأ الأصحاح الثاني من سفر أعمال الرسل.
ليست ليصلبوه، وبسبب هذا الذي حدث من اتحاد القوة الإلهية بالإنسان.

يمكن القول: أن المسيح هو الله ولكن مجازاً، لا تقريبًا. وقد أدى هذا التحول بالسيماسيت لابن بأنه كان في المسيح أثقل الناس، وبذلك شائع "سبيلوس" في انتكاز الثالثة، بالقول: إنه يوجد الله واحد هو الذي تدعو الكتب المقدسات، وان كلما وحكة ليست أثقلما، بل إنها في الكيان الإلهي.

بمات الفهم في العقل الإنساني.

وتقال "ما هي": "إن الكون يحكمه الله، كما الله النور، والله النور، وقد تمكن الله النور من مزج المادة الخالية بفسى من النور. فكان هذا هو الإنسان المكون من جسد مأخوذ من مادة النور، ومن روح مأخوذة من فل البيض النور. وقد أراد الله النور أن يخلق عصر النور في الإنسان، من نصر ظلام، فخلق من نفسه كائنين عظيماً وهم: المسيح والروح القدس. ورسل المسيح ليخلص أرواح الناس، ويغدوا إلى وطنها السماوي. وتقرر المسيح بين النور لأبسا صورة جسد إنساني وليس جسماً حقيقياً. وأعلن لهم سبيل الوحيد لخلاص النفس من أجسادها، وبمر معه لهوته بطبيعته، ولكن الله ظلمة أخرى للهود، فصلبه. ولما لم يكن له جسد، لم تؤثر فيه اللم، وقد عاد المسيح إلى عالم النور، بعد أن ترك تلاميذه ليعلموا الناس ديناته وودعم رسال رسول أعظم.

يفصح عن حقائق أسمى، وهو "البارقليط".

***

وبعد ما تدمنا طرفا، بسيرا من الخلافات والاختلافات في العقائد الدينية، تذكر أهم المراجع التي تقررت فيها العقائد النصرانية، فنقل عن الجزء الأول من تاريخ الأقباط:

١ - مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية

يسمى مجمع نيقية بالمجمع السكوني الأول، وعقد في نيقية عاصمة بثنية بأسيا الصغرى في ٢٠ مايو سنة ٣٢٥ ميلادية. بأمر الإمبراطور قسطنطين الكبير، وقد حضره بنفسه وبضعة ٣١٨ أسقفًا غير القسسوس، والشامسة من كل أنحاء العالم السيحي.

وعند انتخاب جلسات المجمع دخل الإمبراطور "قسطنطين" وتصدر الاجتماع، ثم ألقي خطاباً حضور فيه على نقض الشاكل بالحكم، ثم بدأ المجمع أعماله، ونظر في المسائل المروعة عليه.
وكان السبب الرئيسي لمقد المجمع: النظر في بدعة «آريوس» الذي نادى به «يسوع المسيح ليس آلياً، وإنما هو مخلوق من الآب».

وكان أبرز الذين جادلوا: القديس أتناسيوس الأسكندري. وقد قرر المجمع: حرم آريوس وتحريمه بدعته، وحرق كتبه، ونفيه إلى الأließ بك بجوار بحر الديمليتيك، وضع المجمع الجزء من قانون الإيمان، الذي يبدأ بعبارة: «نؤمن بالله واحد»، وينتهي بعبارة: «لله الكهنة انقضاء» ونصه:

"نؤمن بالله واحد، الآب ضابط الكل، خالق السماء والأرض.
ما يرى وما لا يرى، ونؤمن بواحد يسوع المسيح، ابن الله الوحد، المولود من الآب قبل كل الدهو، نور من نور، الله حق الله حق مولود غير مخلوق من الآب، في الجوهر، الذي فيه كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتهيج من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وناتس، وصلب عنا، على عهد بيلاتس النفيتو و تعالى و قبر، وقام من الأموات في اليوم الثالث، كما في الكتب، وصدد إلى السموات والجبال عن يمين أبيه، وأيضا يأتي في مجده.
"ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس للكهنة انقضاء» (1) 100م.

2 - مجمع القسطنطينية سنة 381 ميلادية

كان الغرض من عقد المجمع: محاكمة أصحاب البدع (2)، التي ظهرت في ذلك الحين، ومنهم (مكوديونوس) و (يوسايبيوس) و (أبوليناريوس).
وكان مكوديونوس أستناداً أثاث أهم الآريوسين على القسطنطينية سنة 343 م.
ثم عزل في سنة 367 م، لصالح المجمع.
اذ قال: أن الروح القدس: مخلوق كسائر المخلوقات، وقدم ناشئه المجمع.
ثم حرم بدعته، واستطع من رتبة الأسقفية.
وكان يوسابيوس ينكر وجود الثلات الثلاثة الآثائيين، ويقول: أن الثالوث ذات واحد، وأن ناموت ذات واحدة، وتأتيهما واحداً، فنافحله المجمع، ثم قلبه وأستطع من رتبته.
وكان أبوليناريوس، أستناداً على "الثلاثية" بالشام، ودأ أنكر وجود النفس البشرية في المسيح، واعتقد أن لعومة نام مثل الروح القدس في الاحتكار، والأموم، أي أن الأموم وولدت قف وقفاً على جهر الاموم، كما اعتقد بوجود تناوت في العظمة بين الآتانيم الثلاثة، فالروح القدس عظيم، والإبن.

(1) النص من خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية
الأثوذكسية.
(2) في نظر النصارى.
أعظم والآب هو الأعظم، وقد حكم المجمع بحرم أبوليناريوس، وتحريم بدعته، واستطاعه من رتبته.

ثم وضع المجمع تكملة لقانون الإيمان الذي وضعه مجمع نيقية، ونص التكملة:

"وأؤمن بالروح القدس، رب المحبى، النبئق من الآب، المجدد المعصوم في الأنبياء، وبكنسية واحدة مقدسة جامعة رسولية، وتعزف بمعمودية واحدة لففران الخطيا، وتخرج غيرة الأموأ، وحياة الدهر الآتى. آمين" (١)

٣ - مجمع أسفرت الأولى سنة ٢٩١ ميلادية

كان الفرض من هذا المجمع: محاكمة أصحاب المدعو التدعي في ذلك الحين، ومنهم: «بيلهاريوس» و«نساطور»، وكان بيلهاريوس يعتقد أن خطيئة أحمد قاصرة عليه، ولم تبت به من آلهة، وذلك نان الأنسان حين تولى كأن كأدم قبل الخطيئة، ومن ثم يمكنه ببعض آرائه وملكاته أن يبلغ أسمى درجات الكمال، وكان نسطور ينادي بأن: «طباعة السيد المسيح اللاهوتية متصلة عن طبيعته الناصحة»، ورتب على ذلك: أن اللاهوت لم يولد ولم يصب ولم يقم بالنار، كما أجاب على ذلك: عدم جواز تميزية السيدة العذراء، بواحة الله، وتسميتها: "أم يبوع" فقط. فانعقت المجمع وحكم بتحريم بدعة نسطور، وأثبت أن في المسيح أقوام واحدة وتطبيق واحدة بعد الإيجاد بدون اختلاف ولا استثناء، ولذلك فإن العذراء تدعي بحق بواحة الله، وقد وضع المجمع مقدمة لقانون الإيمان تبدأ بعبارة: "نعتظك يا أم النور الحقيقي"، وتنتهي بعبارة: "يا رب ارحم، يا رب بارك، آمين" (٢)

نص السلكية: "نعتظك يا أم النور الحقيقي، ونمجده أنتها العذراء القدس، والدة الله، لأنها ولدت لنا مخلص العالم، أنت وخلاص نفوذنا، المجدد يا سيدنا وملكنا المسيح، فخور الرسل، أكيل الشهداء، تجليل الصداقين، ثبات الكنائس، غفران الخطايا، نبض بالثالوث المقدس، لا هو أحد، نسجد له، ونمجده. يا رب ارحم، يا رب بارك، يا رب بارك، آمين" (٢)

(١) النص من خلاصة الأصول الإيمانية.
(٢) النص من كتاب العذراء في التاريخ الكنسي - انظر ص ٦٠ من كتابنا.
4 - مجمع أفسس الثاني سنة 449 ميلادية

سبب انعقاد هذا المجمع: التماس تقدمه به "أوبالاس" الذي كان قد اعترف بأن طبيعة المسيح الناصري، اعتمدت في اللاهوتية، وتائب من هذا الاعتراف، وطلب برائه، فانعقد المجمع وحكم برائه، كما نانش الجموع "الأسقف فلافرسوس" الذي اتهم بأنه من أتباع "نظور". وحكم بعزله ووظيفته، ولا لم يرق في عين أسقف (روما) ترارات هذا المجمع، لم يعترف به، وطلب عقد مجمع آخر، هو مجمع "قلقيدونية".

5 - مجمع قلقيدونية سنة 451 ميلادية

حضر هذا المجمع أساقفة روما، كما حضرت البابا "ديكسترس" بطريرك الإسكندرية، ومعه أساقطته. وقد استدعى الخلاف في اليوم الأول بين أساقفة روما وبين بطريرك الإسكندرية وأساقطته حتى إذا كان اليوم الثاني للمجمع صرح البابا ديكستروس وأساقطته بالقوة من حضور الجموع، واجتمع أساقفة روما مع بعض أساقفة الشرق، وحكموا بعزل ديكستروس، ونفيه، ونادوا بعقيدة الطبيعتين والشبيتين. وقد أراد الإمبراطور "مركبا" أن يلزم البابا ديكستروس بأن يعترف بهذه البدعة. مهدها اباد بالقتل. فأجاب ديكستروس قائلاً: "أن القيصر لا يلزم البحث في هذه الأمور الدقيقة، بل ينبغي له أن يستغل بأمور ملكته وتبريدها، ويدع الكهنة يبحثون عن الأمانة المستقيمة، فأنهم يعرفون الكتب، وخبر له أن لا يميل مع الهوى، ولا يتبع غير الحق". فأصدر القيصر أمره بنفيه إلى جزيرة "فلاغونيا" بآسيا الصغرى.

وللا تعترف الكنيسة التبجيلية (الأرثوكتس) بمجمع قلقيدونية ولا بقراراته، كما لا تعترف بالمجمع الذي عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك في سنة 553 وسنة 586 لخلافة الذين استمروا فيها مع الكنيسة التبجيلية في الاعتقاد بأن المسيح طبعة واحدة ومشيئة واحدة". (انتهى من تاريخ الإثبات).

* * *

لقد تم الانفصال التام بين الكنيسة الغربية، كنيسة الكاثوليك (المكانية)، وبين الكنيسة الشرقية، كنيسة الأرثوكتس (البعثة)، من برونز منذ يوم مجمع قلقيدونية سنة 451 ميلادية إلى يومنا هذا ونحن في سنة ثمان وسبعين وتسعمائة وألف من الميلاد، ونادي الكاثوليك، بعقيدة تعد الألله، ونادي الأرثوكتس، بعقيدة تجسد الإله.
السماح ابن مريم الله ثان من الآلهة الثلاثة عند الكاثوليك، الله مستقل نفسه، والسماح ابن مريم هو الله المجسد عند الأرثوذكس.

يقول الكاثوليك: "إن الآلهة ثلاثة: 1 - الآب (الله) 2 - والابن (السماح) 3 - والروح القدس." يقول الكاثوليك: "إن السماح فيه طبيعة الهيكل كاملة، وطبيعة انسانية كاملة - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - ويدعو الأرثوذكس: "إن الله - وتعالى عما يقولون علوا كبيرا - حلق في بطن العذرا، مريم، وانحدر حتى يخرج إنسانا هو السماح يسوع، ثم كبر وقتل ودخل القبر ومكث في الجيم ثلاثة أيام، ثم خرج من الجيم إلى القبر ومن النهر قام وارتفع إلى السماء، وقبل التجسد بسمى أنفون الآب، وبعد التجسد يسمى أنفون العبد، وبعد القتل يسمى أنفون الروح القدس، والأنفون عندهم مرحلة من مرحلين ثلاث لذات الله تعالى. ويقول الكاثوليك: "إن لم أرتفع حسبا بجوار أبيه، وهذا يعني أنه الله مستقل عن الآلهة الآب، وأنه قبل قتله أوصى ابني بالروح القدس، وقد ذل بعد ارتفاعه، وهذا يعني أن الروح القدس ناحiel.

وقد رد الله تعالى عليهم في القرآن الكريم بقوله لأتباع الكاثوليك والأرثوذكس: "(لا نقولنا ثلاثة)" (1) أي ثلاثة آلهة متعددة، أو ثلاثة مرحلات للإله الواحد المجد، ورد على الكاثوليك قائلًا: "لقد كفر الذين قلوا ان الآلهة ثلاثة) (2) ورد على الأرثوذكس قائلًا: "لقد كفر الذين قلوا ان الله هو السماح ابن مريم) (3).

***

(1) المائدة: 171
(2) المائدة: 73
(3) المائدة: 17, 172
المسيح المنتظر

كان من عادة الكهنة، علماء بنى إسرائيل أن يسمحوا للملك بزيت، أو بدهن، عند توليهم الرأسية على الناس، وكانوا يمسكون العلماء أيضاً والأنبياء، ويطلقون على الملك المسحو، أو العالم أو النبي لقب:
"مسيح" أي أن الله هو الذي اختياره واصطنه واتباعه.

ولقب "المسيح" هو في اللغة العبرانية: "هاماشيش" و "هاء" في العبرانية تن全力以 الف واللام في العربية، خلال ذلك تنطق: "ماشيش" والسريانية أي الآرامية تنطقها: "ماسيح" ونطقها اليونان: "مسيح" وعرفت في اللغة العربية واشتهرت: "مسيا" بفتح الميم وكسر السين وتضهد اليا، فسترة في الإصحاح الأول من أنجيل يوحنا: "مسياً، الذي تفسيره المسيح" (يوحنا 1:41).

ودليل الكهنة على المسح: آيات في التسورة، منها قول الله لوسي:
"وتلبس هرون الثياب المقدس وتسحبه وتحمسه ليكن لي، وتقدم بنيه وتلبسهم أقنعة، وتسحبوهم كما مسخت أباهم ليكنوا لي. ويكون ذلك للنصير لهم مسحتهم كهناة أبدية في أجيالهم" (خروج 40:13 ـ 15).

وقد مسح صموئيل: طالوت لما اصطفاه الله ملكا على بنى إسرائيل - كما هو مبين في سفره - ومسح داود مرتين، ومسح أيضا سليمان ابنه، وكذلك مسح ايوب، والبيسع.

***

ولما كان لقب "مسيح الله" لقباً معظماً في بنى إسرائيل، يتفاخر بحمله الملك والعلماء والأنبياء لقبوا النبي الذي تحدث عنه موسى - عليه السلام - بقوله: "يقيم لك الرب الهك نبيا، 300 الاسم" لقبوه بلقب "المسيح" وقيلوا: نحن في انتظار المسيح، وهذا هو أصل ظهور فكرة "المسيح المنتظر" في العالم.

وفي مدينة بابل أراد اليهود تزامن شريعة التوراة عليهم، وأرادوا أن يصدو الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم إذا جاء، بكرها في العرب الذين خذلهم في حربهم لنبوخذ ناصر ملك بابل، فأهاهم الناس أن المسيح الذي ينتظره ليس من العرب أبناء إسماعيل، بل سيظهر من اليهود ونشرها الإشاعة هذه في كل مكان حاول فيها، وهذا أول مكان ظهرت فيه فكرة المسيح المنتظر في العالم على أنه سيظهر من اليهود.
ولا رجع اليهود من سبي بابل انقسموا الى سامريين وعبرياء، كما
كانوا قبل السبي بقبل وقال السامريون: ان المسيح سيظهر منا، من
آل يوسف - عليه السلام - وقال العبرانيون: ان المسيح سيظهر منا.
من آل داود - عليه السلام -

 فقال المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام - للعبرانيون: لن يظهر
المسيح من آل داود لأن داود نفسه قال نبوءة عنه، وقال في النبوة:
"ان النبي المنتظر سيدى" ولا يكون ابن سيد أبيه، وبالتالي: يكون
النبي المنتظر، اللقب بلقب المسيح لا يكون من آل داود أبدا. يقصد:
لا يكون البتة من اليهود.

وبعد رفع عيسى - عليه السلام - الى السماء قال «بولس» للتذين
رضوا بتبزير دعوة عيسى - عليه السلام -: اجتلو عيسى هو المسيح
المنتظر، وقولوا: ان هو الذي تحدثت عنه النوراة، وأسفر الأنبياء،
ولا النبي بعد، ان جلوسه هو المسيح المنتظر، مع أنه بين في حياته: أن
المسيح المنتظر سياتى من بعده.

***

والآن: نسوق الأدلة من التوراة على أن المسيح المنتظر هو محمد
رسل الله صلى الله عليه وسلم، وليس هو عيسى ابن مريم كما يزعم
النصارى، وليس هو اليهود لم يظهر وإذا ظهر سيكون من اليهود كما
يزعم اليهود، وقيلوا ذكر الأدلة نقول: اننا بهذا لا نقول ان عيسى ابن مريم
- عليه السلام - ليس مسيحا، بل نقول: هو «مسيح» ولكن لا نقول
انه هو «المسيح» هو مسيح كاتالوتو وكادارو وسليمان والياس واليسمع
- عليه السلام - ولكن ليس هو المسيح الموعود به في النبوات، بحسب
اصطلاح اليهود والنصارى في النطق والتعبير. ولا قيمة لاختلاف الأسماء
والانفاذ إذا وضح النسبيات فان «فجوة بالتناص والمعانى لا بالانفاذ
والبانانى» كما يتولى أهل الأصول.

الدليل الأول: في التوراة نبوءة عن النبي المنتظر، الذي يلقبه
بلقب المسيح، وقال علماء بنى إسرائيل: ان هذه النبوءة أصل فكرة المسيح
المنتظر، ومن أوصافه في النبوة يعرفونه اذا جاء، ونص النبوة:

"يُقيم لك الرب اللك نبيا من وسطكم من اخوك مثله، له تسمون«

300: اتقم لهم نبيا من وسط اخوتكم مثلك وأجعل كلامي في نمه فيكملهم
بكل ما أوصيه به، وكون أن الإنسان الذي لا يسمع للكلام الذي يتكلم.
إلى أن الذي سيخلف موسى في الدعوة هو النبي مستدرّب الذي يشير إليه يحيى بن أيوب. وإذا كتب أو نقلت تلك النبوءة، فقد كتب في كتابه "هادي الحباري في جوهر اليهود والنصارى"، وقد توفي في "الجواب الفاخر"، وابن حزم في "الفصل في الملل والأهواء والملل"، وكتبوناه عديدًا، ومن كتاب الفصل ما نقصه: "أما عقاب القرآن فلما يعزعج العلماء بلغة العرب، ثم يعرفه سائر الناس بأخبار العلماء لهم بذلك، مع ما أخذت من الإيرادات بين موسى عليه وسلم وله، من قوله تعالى فيها: "سأقيم لبني إسرائيل نبيًا من بينهم، فجعل على لسانه كلامي، فتنتمي إليه".

الدليل الثاني: في التوراة، يقول يعقوب - عليه السلام - لبنيه: "أن الملك لا يزل منكم، وإن الشريعة لن تزل منكم إلا إذا أتى "شيلون" فأنه إذا أتى يتسلم الملك ويتسلم الشريعة، وتدنيله أمم الأرض بالطاعة، والولاء. قال يعقوب - عليه السلام -: "لا يزل قطيب من يهوذا، ومشترع من بين رجله، حتى يأتي شيلون، ولنه يكون خضوع شعوب (تقوين 49:40) ومعلوم أن الملك لا يزل من اليهود إلا على يدي عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - لا تسلم مدينة القدس (أورشليم) من البطريرك "صرفتوروس"، ومعلوم أن النصارى شيعة من اليهود وطائفة - وعسي عليه السلام - هو آخر نبي في بني إسرائيل، ولم ينصح...

(1) تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور غرينسيس دانيديسون - المجلد الأول ص 434 - ص 111
(2) الفصل ابن حزم الظاهري الأندلسي ج 1 - ص
التوراة: وانما الذي صرح بنسخها نبي الإسلام - صلى الله عليه وسلم - فهو الذي حثنا زالت شريعة اليهود على يديه - والدليل على أن قول يعقوب عليه السلام - هذا نبوءة عن السيا المنظور: قول مسولي التوراة في شرحها: «حتى يأتي شبلون: هذه عبارة صعبة» لكن يبدو أن أفضل تفسير هو ذلك الذي يعتبرها نوعا من الحديث عن السيا إذا تحرك الحرف الساكن - وهذا أمر مسوح به في اللغة العربية - فان الكلمة يمكن أن تترجم (الذي له) »000 الله« (1) أي أن النبوءة تدل على السيا في أفضل تفسير.

وإذا كانت هذه النبوءة تدل على النبي المنظور الذي يلقبه بلقب مسيا - وهي تدل - فإن السيا هو محمد صلى الله عليه وسلم - والدليل على ذلك هو الدليل الذي ذكرته في النبوءة الأولى. ومن العبارات التي جاءت في كتاب تفسير القرآن الكريم عن هذه النبوءة قول الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره المسمى (تفسير المراقي): «جاء في مسفر التكوين: فلا يلزم التفسير من يهودا، والرايس من تحت أمره، إلى أن يجيء الذي هو له، واليه تجتمع الشعوب»، وهذا دلالة على مجيء محمد عليه السلام - بعد تمام حكم موسى وعيسى (2).

الدليل الثالث: في التوراة يقول الكاتب: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رسول الله بني إسرائيل قبل موتاه: فقال: جاء الله من طور سيناء، وشرق لنا من ساوير، واستغل من جبل فاران، ومعه ربوة من أطهار الملاكهة عن يمينه، فوهد لهم وأجلهم ورحم شعبهم وباركهم، وبارك على أطهارهم، ومهم يدركون آثار رجليك ويثبتون من كلمتك.»

والله - أي الله يقبلهم - مسماً مثيراً لجمعية يعقوم 000 الخ. (3) يتنية 32: 1 - 4. هذا النص من الترجمة اليونانية، وأما النص العبراطي فهو: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى قبل موت الله بني إسرائيل قبل موتاه: فقال: جاء الله من طور سيناء، وأجلهم من أطهارهم، ورحم شعبهم، وباركهم، وبارك على أطهارهم، وهم يدركون آثار رجليك ويبتلون من كلمتك.»

وموسى ميرانا لجمعية يعقوم 000 الخ.

ودلالة هذه النبوءة على محمد صلى الله عليه وسلم - أنه يقسم بركة الله التي وعد بها إبراهيم عليه السلام - أن تتبارك الأمم في نسله.

(1) تفسير الكتاب المقدس لجمعية من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس دافيديسون - الجزء الأول ص 210.
(2) تفسير المراغي في سورة الأعراف الجزء التاسع ص 82.
(3) أيضا تفسير القرآن للشيخ رشيد رضا.
ونسل إبراهيم القائم بالبركة هو في إسماعيل واسحاقي، عليه السلام، كما سبق ذكره وموسى الذي نزل عليه التوراة في طور سيناء، وعيسى الذي نزل عليه الإنجيل في جبل سارع، هما من نسل إسحاق، عليه السلام. وقد أشار نبائان إلى نبي يظهر من آل إسماعيل قبلياً من وجوده بركة الأم في آل إسماعيل على يد واحد من نسله، والدليل على أنه يقصد بفراش نسل إسماعيل: يسوته شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، ملكاً:

"يقول في الجزء الثالث من كتابه: "الوجوه الصحيح من بدل دين المسيح".

وبعدهم يقول في الترجمة: "تجلى الله من طور سيناء، وأشرق من ساري، واستعان من جبال فاران" قال كثير من العلماء، واللفظ لحمد ابن قتيبة. ليس بهذا خفاً على من تنبأ ورغب، لأن مجيء الله من طور سيناء: انزاله التوراة على موسى من طور سيناء، كلاً كُلاً هو عند أهل الكتاب، ومما يجد أن يكون أشراهم من ساري. انزله الإنجيل على المسيح، وكما وجد أن يكون إشراهم من ساري، بالسجح، في ذلك يجب أن يكون استعمالهم من جبال فاران، إنزاله القرآن على محمد، صلى الله عليه وسلم، وجبال فاران: هي جبال مكة، قال: وليس فارانين، وأمر الكتاب: خلاف أن "فاران" هي: مكة، فان أدعوا أنها غير مكة، وليس ينظر ذلك من تحريفهم واتخافهم، بلنا: ليس في التوراة: أن إبراهيم أسكن هاجر واسماعيل فاران؟ (تكوين 21: 21), وذلك: دلنا على الموضع الذي استعمل الله منه، واسمه فاران، ودئاب الذي أنزل عليه كتاباً بعد المسيح؟ الأوسط "استعمل" و"على" مما يعني واحد: وهو ما ظهر وانكشف، فهل تعلمون: ظهر دين ظهور الإسلام، ونشأ في مشارق الأرض وغربها؟ 300 الملاً».

(1) الجواب الصحيح 3 - ص 300,
(2) الإعلام.)
الخير كله، وسائرهم على الأمم كلها، وسابع نبأ فيهم رسول منهم يتولوا عليهم آياتي (تكوين 17:20).

واليهود مغنتون بهذه القصة، لا أنهم يتولون: أجابه بالملك دون النبوءة والرسالة.

وقد الزمتهم: إن الملك الذي سلمتم، أهو ملك بعدل وحق، أم لا؟ فأن لم يكن بعدل وحق، فكيف يمن على إبراهيم بملك في أولاده هو جور وظلم؟ وإن سلمتم: العدل والصدق من حيث الملك، فمالك يجب أن يكون صادقاً على الله تعالى فيما يدعه ويقوله.

وكيف يكون الكاذب على الله تعالى صاحب عدل وحق؟ إذ لا ظلم أشد من الكاذب على الله تعالى، فني تكتبه، تجوزه، وفي التجوز: رفع الله بالنعمة، وذلك خلف.

ومن العجب: إن في التوراة: أن الأسباط من بنى إسرائيل، كانوا يبرعون الفنون من بنى اسماعيل ويميلون أن في ذلك الشعب علما لدينيا، ثم يستمهم التوراة عليه، وورد في التوراة: أن أولاد اسماعيل كانوا يسمن: آل الله، وأهل الله.

وأولاد إسرائيل: آل يعقوب، آل موسى، وآل هرون. وذلك كسر عظيم.

وقد ورد في التوراة: "أن الله تعالى جاء، من طور سينا، وظهر بساعير، أولن بن باران" (تنبيئة 33:2) وساعير: جبال بيت المقدس، الذي كان مظهر عيسى - عليه السلام - وفاران: جبال مكة، الذي كانت مظهر الصطفي صلى الله عليه وسلم - وما كانت الأسرار الألهية، والأنوار الربانية.


عبر التوراة عن طول صبيحة النوبيات والتنزيل: بالمجيء، على طور سينا، وعن طول الشمس: بالظهور على ساعير، وعن البليغ إلى درجة الكمال، والاستواء: بالإعلان على فاران. وفي هذه الكلمة: إثبات نبوة المسيح، والاصطفى عليه السلام (1) 100م.

وبعد ما عرنا رأي أئمة المسلمين، ومن يريد أن يعرف رأي علماء بنى إسرائيل فليقرأ ما كتبه شموعيل بن يهوذا في (بغل المجهد) نذكر

(1) الليل والنحل للشهرستانى - على هامش الفصل ابن حزم ج 2.

ص 51 054 -
من كلام مفسر التوراة ما يدل على أن تلك النبوءة، نبوءة فاران تدل على المسيا المنتظر. يقول مفسر التوراة، مانصه: "في يديك: الانتقال إلى ضمير الخاطب جعل البعض يعتقدون: أن هذه نبوءة عن المسيا الآتى... الخ" (1)

فانتوى مما تقدم: أن نبوءات التوراة (الأسفار الخمسة) أفلحت من ظهور النبي من بعد موسى، معالج له، وأن نبوءات التوراة ما التي حددت أوصاف هذا النبي، الذي يلقبه بلقب "مسيا" أي "المسيح المنتظر" وأن آثمة المسلمين، بينها: أن نبوءات التوراة التي حدثت أوصاف المسيا تدل على محمد - صلى الله عليه وسلم - وكذلك بين علما بني إسرائيل الذين مهدتهم الله إلى الإيمان، وبناء على هذا: يكون المسيا هو محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليس هو النبي - عليه السلام - كما يشترى النصارى، وليس هو النبي لم يظهر بعد وإذا ظهر سيكون من اليهود كما يزعم اليهود.

فكان داوود يدعو ربا، فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيب بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسالة بتهة" (عنى 22: 41-44) ومعنى الكلام: أن داوود - عليه السلام - قال في سنجر الزبور: أن الله تعالى قال لسيدى: كن معي حتى أنصركون على أعدائك نصراً مزراً. فنوم هو سيد داوود الذي قال الله له، كن مي حتى أنصرك كما حكي داوود عن الله يقبل عيسى، عليه السلام - حيث قال داوود: أن الله قال لسيدى، أذن النبي الآتى: سيد داوود، وإذا ثبت أنه سيد داوود يثبت أنه لا يكون من نسله، لأن الآب لا يكون لديه على أبيه، وإذا ثبت أنه لياتي من نسله، فكيف يصح لليهود: أن يدعوا...

(1) تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين - رئيسة للدكتور
(2) الفرسين دانيالس - المجلد الأول من 470.
(3) الفرسين طائفة من علماء اليهود المبرانيين كانت تدعى الفجيرة.
(4) أي من أي نسل يكون؟
جمع وضوح الدليل من كلام داود نفسه: أن النبي المنتظر الذي لقبه بلقب
"السيا أو المسيح سياً منهم؟

وكلم داود من ترجمة البروتستانت هكذا: "قال الرب له: "

"أجل، يا مريت، حتى وضع أعداءك موطنًا لجحيمك. يرسل الرب قضيبك
عبرك من صهیون. تساول في وسط أعدائك، شعبك منتسب في يوم فوتته,
في罰ه من فجر لك طل حديثك. 300 الخ. (المور
ثلث والعشرون) ومن ترجمة الآباء اليسوعيين هكذا: "قال الرب لسیدي
300 الخ."

**

ومن هذا يتبين: أن عيسى نفسه لم يقل: "أني أنا المسيح المنتظر،
"ويبتبن: أن أوصاشف الزبور لا تدل عليه لأنه لم يحزب ولم ينتحر
على أعدائه. صحيح أنه أمر أتباعه بحنا السيف للقتال، ولكنها لم يحمل
نفيًا. ولم يجرد جيشًا. ففي الإصلاح الثاني والعشرين من أنجيل لوتا
يقول لتلاميذه: "حين أرسلتم بلى كيس ولا مزود ولا أحذية. هل
اوزكم شيء؟ فقالوا: لا. فقال لهم: لكن الآن من له كيس فليأخذوه ومزود
هكذا. ومن ليس له فليبيع ثوبه، ويشرب سيفًا" (لو: 32 - 36).
وفي الإصلاح العاشر من متن يقول: "لا تظنوا أنني جئت لأنني سلاماً على
 الأرض. ما جئت لألقى سلاماً، بل سيفاً" (متى: 10: 4)

وبعد رفع عيسى - عليه السلام - على السماء، نادى "بولس" بأن
"عيسى هو المسيح، لا مسيح، وزعم أنه ينادي لا من نطقته نفسه،
قبل أن المسيح ظهر له في الرؤيا، من بعد رفعه إلى السماء بزمان، وأمره
في الرؤيا: "أني ينادي في الناس وأنه كأنه هو المسيح وما كان له بخارانين.
لا تقولوا أنه لم يخدع السنج، البسطة، وثورة هذه الحياة إلا بعد
مساندة له من بعض اليهود الذين تظاهروا اعتناق دعوة عيسى - عليه
السلام - لحلفوها. وقولهم عدا أن قد استدلوا عليه بآيات في رسالة بولس
إلى أهل غلطة في الإصلاح الثاني وهو قوله: "ثم بعد أربع عشرة سنة
صعدت أيضا إلى أورشليم، مع بناناه آخذا معي نيسك أيضًا. وانما
صعدت بموجب إعلان (أ) وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم,
ولكن بالانفراد على المتبرعين لثلا أكون أسس أو قد سمعت ببطا 300 الخ.
(ق: 2: 1 - 2) لما خذ عريهم أنجيل سريا للغاية؟ لما أعرضه
على الأعيان والوجوه البارزين في المذهب على انفراد؟ أكانت دعوة عيسى

(1) يشير بالآباء إلى الرؤيا، المذكورة في الإصلاح التاسع من سفر
الأعمال الرسول.
حديث؟ كيف ذلك؟ في الإصلاح الثامن عشر من أنجيل يوحنا: "فسأل رئيس الكنيسة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه: أجابه يسوع: أنا كلمت العالم علنًا. أنا حملت كل حين في المجوع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائمًا، وفي الخناص لم أتكلم بشيء. لماذا تتسألني أنا؟ إسال الذين قد سمعوا: ماذا كلمتهم. هو ذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا؟" (يوحنا 18:19-21).


وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانياً. فقال له الرأب في رؤيا: يا حنانياً، فقال: هناذا يا رأب. فقال له الرأب: قم وأذاعي إلى الخطاب الذي يقال له: المستقيم. وقى ياهوذا رجلاً طبيباً، اسمه شاليل. لأنه هو يذكى. وقد رأي في رؤيا رجلاً اسمه حنانياً داخل ووضعًا بيد عليه. الذي يبرص، ناجب حنانياً: يا رأب قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل، كم من الشرور، فعل بتديسك في أورشليم، وعنه ملكه سلطان من قبل. رؤساء الكنيسة أن يوثق جميع الذين يدعون باسمك. فقال له الرأب: أذهب. لأن هذا ليس إنساً مختاراً. ليجعل اسمي أمام أمم ومملوك وبدنٍ إسرائيل، لإن مبارى. كم يبنغي أن يقال من أجل اسمى.

غضيب حنانياً، ودخل البيت وضع عليه يديه، وقال: آيا الإخ، شول. قد أرسلني الرأب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت.
فيه لكي تنصر وتتمليء من الروح القدس. فللتونت وقع من عينيه نسائم
كأنه ينير، فابصرب في الحال، وقامت واعتمد، وتناول طعاما فانفوذ.
وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياما ولونت جمل يكز.
في المجامع بالسبيح: أن هذا هو ابن الله، نبىته جميع الذين كانوا يسمعون،
وكانوا: اللبس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم،
وقد جاء إلى هنا لهذا، ليسوفهم مؤتمنين إلى رؤساء الكنيسة.
وأما شاول فكان يزداد قوة، ويَحِيِّر اليهود الساكنين في دمشق محتفاً
أيا هو المسيح 300 الخ » (أع 9:1-22)
ووَضَحَّ من هذا النص: أن اليهود لم ياضطهدوا عيسى ابن مريم
- عليه السلام - وأتباعه، ولم تتوقف الدعوة عن الانتشار مع الاضطهاد.
رأوا أن ينتظرون ببعضام اعتناق الدعوة، ثم بكيدها لب كبدا، ومن اليهود
الذين اضطهوا الأتباع علنا: بولس - الذي كان من سكان مدينة طرسوس.
وأما أن يضطهدوا: زعم أن عيسى نفسه ظهر له بعد قتله وصلبه
- كما يزعمون - وآمره أن لا يضطهد أتباعه، وأمره أيضا أن ينطلق
بالدعوة لا إلى بني إسرائيل أنفسهم، بل ولي جميع الأمم - ولم يأمره
بالدعوة التي جاء بها في حياته - فانه لم يقل أنه هو المسيح الذي ندل
عليه النبوءات - بل أمره بغير ما صرح به في الحياة الدنيا.

**

وقد قرأنا في كتاب «الاعلام»: هذا: أن مؤلف «تقليد الوحدانية»
قال للمسلمين: «وإن كان فيها - أي في النترة - محذو منتظرا ثم وافقت
علاماتها، علامات الكتب، فقد أصاب السلم، ولزم النصراني الخروج عن
رضاه معبوده» أفيخر الآن من دينه بعد هذا البيان؟
أسال الله تعالى توبة وسدادا: «ويما توفيقه الوا الله، عليه
وتؤكل وعليه أنبوب: 1(1)

العربية في القاهرة في 26 شوال سنة 1398 ه
29 سبتمبر سنة 1978 م

الدكتور الشيخ
أحمد حجازي أحمد السقا

(1) هود: 88
الصفحة الأخيرة من المخطوطة
embali الله الذي من علينا بتوحيده، وجعلنا من أفضل عباده، الذي
جينبنا الأهواء المذلة، والآراء المضللة، أرانا الحق، إذ هدانا لبرهانه
ودلنا، وأظهر لنا الباطل، وفضل علينا بالعدول عن سبيله، نحمده
بمحامده التي لا تحصى، وشكره على الآية التي لم تزل تترى، ونسأله
الصلاة على نجيه من كافة الورى، أنيبيه ورسله، أئمة الهدى
وخصوصا المبولوج إلى الثقيلين، المفضل على العالمين، المؤيد بالآيات
الصادقة، والبراهين القاطعة، موضوع الحق بوضوحات الدلائل
ومرغم الكثرة والباطل، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وعلى جميع
النبيين والمل经纬، ورضي الله عن خلفائه الرشدين، وعن صاحبته
الأجمعين، والتابعين لهم باحسن إلى يوم الدين.

أما بعد
فقد وقفت - وفقه الله - على كتاب كتب به بعض المتحلين لدين
الله النصرانية سماه كتاب (تثليث الوحدانية) بوث به من (ملبطة) -
أعادها الله إلى مدينة (قرطبة) جرسها الله 100 متبرعا فيه لدين
المسلمين، نائلا فيه من عصابة الحق الوحداني، سألكلا عما لا يغنيه
ومتكلما بما لا يدريه، فأمعنت النظر فيه، فإذا بالتفکم يهرف بما
لا يعرف، وينطق بما لا يحقق، نافض ولم يشعر، ومن حيث يظل
أنه يستبص (أم تحسب أن أكثرهم يسعون أو يعقلون، أن هم
الأ 법률)! بل هم أفضل»(أ) بلحن إذا كتب، ويعجم متي أعراب.
وذي خلط فيقول تصور أنه مصوب لما يلمع به، فهو تاجهه
على ضعف عقلكه، وبيكاته على سوء محاولته. تعادي
درجة النظر، وسود بابا الباطل ذلك المظلم، ليسترل به الإغباء
10 الفرقان : 44
الأعمال، ويسخط بذلك على ما أكله شنار «فويل لهم مما كنت أيديهم وويل لهم مما يكسبون»! وليته إذا أدعى النظر سلك طريقه، والتزم شروطه، فاعترف بالبدائيات، ولم ينظر الضروريات، التي هي أصول النظر الصويا، ولكن حل من عنقه رقبة العقول، فهو في كل جهلة يجول، وأليها يدعو، وبها يتول، فليته لو دفن من عواره ما كان مطورعا. ولكن كان ذلك عليه في الكتاب مطورعا.

ولكن ليسان المرء - ما لم ينكن له.

حصاً على عوراتي - لديلي.

فاستنكرت الله تعالى في جوابه على تخطيط مهانيه، وتثبيج خطاه.

فبعد أن أقول له: أعلم يا هذا: ان البغاء بأرضنا لا تستندر، والتميز عندي بين الفضحة والقصة متيسر، وهو أننا - أن شاء الله تعالى - أجاوك على ما كنت حرجا حرفا، وأبين نساده الذي لا يكاد يخفى، على أنهم لو فتح عليهم بابا من السماء «فظؤا فيه يعرجون، قالوا أنا سكرت أبصارنا، بل نحن قوم مسحورون»! فكيف لا؟! وتد ركبوا من استحالة الأحاد، وال профессиональн، والحلول، ما يدرك فساده بضرورة العقول. وقد قالوا في الآب، والابن، والأقانيم، ما تجمه بفطرته الأولى، كل ذي فهم مستقيم، ولا يتسع لقبوله قلب ذي عقل سليم.

ومن كان اللعين له ليسانًا شكل جدالة زور ونكر شكل مثالهم أفلك وزيز ونص كتبهم شرك وكفر.

ومن أعلم ما ظهر عليهم من الفساد، فاصروا لذلك عن التوفيق، والرشاد: إنكارهم ما يدل على نبوة نبينا من المعجزات، وواضح الدلالات، وقد قلبت الضروريات، حتى أنكروا ما جاء في كتبهم من الأعلام على نبوته، وأجابات اتباع شريعته. فقد كانوا يجدونه مكتوباً عندهم، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وساذر أن شاء الله تعالى ما وقع في أنجبهم من وصفه، وصحيح نعته، ولا تبين للعقلاء عناهم، سطت لذلك ارشادهم، ووجب حله على السيف، ووجههم، فقد يفعل الله بالسيف واللسان، ما لا يفعل بالبرهان، ومن كلم الحكماء: يزع الله بالسلطان، ما لا يزع بالقرآن. فأعرض العقلاء عنهم،

(2) الحجر: 14، 15
(11) الفقرة: 79
وأكتشفوا من الود عليهم بحكاية مذههم، ووكلوا الناظر فيه، لظهور
تناقضه، وفساد معانيه.

وقد كنت عزتم على الاقتداء بالعتلاء في الأعراض، حتى أكثر هذا
المتكلم من التعرض والاعتراض. ففتيين لذلك الجواب، وأنا أسأل الله
التوقيع للصواب، ومجانية الخطأ، وما يوجب العتاب، إنه ولي التوفيقي،
وهو بباحابة السائلين حقائق.

فصل) لتعلم يا هذا المنتسب لدين المسيح: أني أجاوبك— أن
شأء الله تعالى— بطريق عرفي فصيح. أسلك فيه مسلك الانصاف
والإرك طريقة التمثيل والاعتساف على أن كلامك لا يستحق الأصواء
عليه، ولا الجواب عنه. لأنك لا تصن السؤال، ولا تعرف ترتيب المقال،
بل تتولى مالا تفهم، وتكتفي بأنك تتكلم، ولكن كلامك هذا كثير الغلط
فظاهر التناقض واشتباط. وأشت مع ذلك لا تصرف مذاهب النصارى
المتقدمين، الذين كانوا بنوع نظر متمستين، وإن كانوا عن مذهب الحق
نابكين، حتى أنهم لو سموا كثيرا مما ذكرت لثير أو أغنه، ولأنفوا منه
اذ لا ينسب أكثر ذلك إلى من تكييس منهم، ولا يروي بالحال عليهم على
أنهم في أصول عقائدهم مختلفون، وفي ورطة الجهال مرتكون، ونسبيين
لك ذلك كله— أن شاء الله تعالى—

ولما تبين ذلك منك، أعرض المسلمون عن جوابك، ونيزوا أنفسهم
عن خطاك، أذ الاعراض عن الجاهلدين، شريعة رب العالمي، على لسان
سيد المسلمين، وأيضا فمن لم يعرف شروط النظر، ولم يسلك مسالك
البحث والعمل، فالكلام مه ضرب في حديد بارز، وعمل ليس له جدوى
ولا عايد.

ولما أعرضوا عليك لجلالتك، تبجحت بذلك عند عصابتك، فظنت
أن سكتنا عليك، انها هو أرهاة منك، حتى لقد أبلغتنا عليك نركا، وقلت
في كتابك هذا فحشا وهجرا، فنحن وأياك كما قال: —
سكت عن السفيفه فظن أني عيبت عن الجواب. وما عيبت
فعظيم هذا الأمر حين نمي خبره الي، مع أنه رغب الى في ذلك.

جماعة من آخوان، خضار ذلك على كأنه من فروض الأعيان، فاغتنمتها.
فرصة وسيرة بها قصة، لعلني: أن النكال في العدو بالبرهان واللسان،
واقعة من نكال السيف والسنان
والرجا من ملك الدارين، الجميع بين الأربين، وأحراز أجرا
العملين، على أن لا أتعرضهم بقطع السباب، ولا أنزل معهم إلى
اعتذار وعتاب، وإنما هو أظهر جهله، وتناقض مذهبه وقولهم.
 فأذكر كلام هذا السائل - كما بلغني - وأebin من خظه، وتناقضه
ما شاء الله أن يفهمني، فأناقشه في لفظه، وأظهر سوء نقله وحفظه.
غترة أسأله، وأخرى أجاوبه، ليظمن أن النافذ بصير، والباحث خبير،
وليتنين عليه وجهه للكبر والصغير، ثم من بعد الفراق من تتبعت كلامه،
أعط بالناذرة على أثنته، ورهبته، فأحتى مذاهبهم كما دونوها في
كتبتهم، وعلى ما تلفظها من أساقفتيهم، ثم أسبرها على محق العرض,
وابين بعض ما فيها من الفساد، والنقص، وما توفيقه إلا بالله، وهو
محسبي ونعم الوكيل.

وقد استخرت الله تعالى في أن أجعل هذا الكتاب على: صدر،
وأربعة أبواب.

الباب الأول: في الكلام على الأقانيم.
الباب الثاني: في الاتحاد والحلول.
الباب الثالث: في الكلام على النبوات، وأثبات نبوة النبي عليه
صلاة وسلام.
الباب الرابع: في جعل من فروع أحكامهم، أبين فيها: أن ليس لهم
في أحكامهم مستند، إلا محض الهوى والتحكم والعدم.
وقبل باب من هذه الأبواب يتضمن فصولا، وأنا أسأل الله تعالى
أن يطلق المستنث بالحق والحكمة، ويخرسها عن البطل والفخنة، لأنه
ذى الفضل والنعم، والعفو والرحمة.

***
سَلْطَانُ الْكِتَابُ

ذُكِرَ فِي هَذَا الصَّدرِ كِلَامٌ هَذَا السَّؤَالُ فِي خَطِبَةِ كِتَابِهِ، وَالجُوابِ.

علىِّها أَن شَاء اللَّهُ تَعَالَىٰ

فِصْلٌ

فِي حَكَاِيَةِ كِلَامِ السَّؤَالِ فِي خَطِبَةِ كِتَابِهِ

قَالَ: «كِتابٌ: (تَثْلِيثُ الْوُحُدَادِيَّةُ) فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ» فَقَالَ:

الْحَمُدُ اللَّهِ لِلَّهِ الْقُوَّيَ الَّتِي فَظَنُّنَا عَلَيْهَا، وَاَمْرَنا بِحَمُدِهِ، فَنَجَنَّ نَحْمُدَهُ، وَنَشَكِرُهُ وَنَعْظَمُهُ بِمِثْلِ تُعْارِفَنَا فِي الْحَمُدِ وَالشّكَرِ وَالْبَعْضِ وَالْمَعْلُوكِ، وَأَهْلُ الْرَّحْمَةِ مِنْ ذُوِّ الْسُّلْطَانِ مَنْاً، فَرَضَّا لَهُ، شَكْرِينَ حَامِدِينَ مَعْظُومِينَ، وَأَمْرُ وَقَطَنِينَ عَلَيْهِ مَنْهُ، وَلَا مَدْرِكِينَ لَثَيْرِهِ مَنْهُ، وَأَنَّا نَقْعُ عَلَى أَسْمَاءِ أَفْعَالِهِ، فِي خَلِيفِهِ، وَتَدِبِّرُهُ فِي رُبُوْيِهِ.»

الجُوابُ عَنِ تَرْجِمَتِهِ: أَمَّا قَوْلُهُ: «تَثْلِيثُ الْوُحُدَادِيَّةُ» فَكِلَامٌ مَنْتَقَضٌ لَفْظًا، وَفَاسِدٌ مَعْنًىٰ، بِيَانُ ذَلِكَ: أَنَّ قَوْلُهُ: «تَثْلِيثُ الْوُحُدَادِيَّةُ»

كِلَامٌ مَرْكَبٌ مِنْ مَضَافٍ، وَمَضَافِ الْيَهِ، وَلَا يَفْهَمُ اللَّيْلُ ما لَمْ يَفْهَمُ

المَضَافِ الْيَهِ، فَأَقْفُلُ: لَفْظُ الْوُحُدَادِيَّةِ مَأْخُوذٌ مِنَ الْوُحُدَادِ، وَمَعْنَاهُ:

رَاجِعُ إِلَى نَفْسِ الْتَّنُّدُدِ وَالْكَثُرَةِ، فَهُوَ أَذِنُ مِنْ أَسْمَاءِ السَّلَوِّبِ. فَإِذَا

وَضْفِنَا بِهَا مُوْجُودًا، فَتَدُّ نَفْنَفُ عَنْهُ الْتَّنُّدُدُ وَالْكَثُرَةُ، وَتَثْلِيثُ مَعْنَاهُ:

تَنُّدُدُ وَالْكَثُرَةُ، فَإِذَا أَضْفَعَ هَذَا الْقَائِلُ الْتَثْلِيثُ لَلْوُحُدَادِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ:

«تَكَثِّرُ مَا لَا يَتَكَثِّرُ»، وَتَكَثِّرُ مَا لَا يَتَكَثِّرُ بَاطِلًا بِالضَّرُورَةِ، فَأَقْفُلُ كَلَّمَةٌ

تَكَلَّمُ بِهَا هَذَا السَّؤَالُ: مَنْتَقَضَةٌ وَبَاطِلَةٌ بِالضَّرُورَةِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ» فَقَوْلُهُ لَمْ يَحْتَمِلَ بِمَعْنَاهُ، وَلَا فِهْمُ مَسْمَاهُ.

وَلَا فَيْنُ حَدُّ الْمَعْرِفَةِ؟ وَكَمْ أَقْسَامُهَا، وَهُلْ يَصْحُ بِأَنْ تَكُونَ مَكْتَسَبَةً لَّنَا؟

وَهُلْ يَجُوزُ عَقَلًا أَنْ يَكْلِفْنَا بِهَا الأَلْبَاءِ، وَأَنْ يَجَاءَ ذَلِكَ فَمَا طَرِيقُ تَحْصِيلِهَا؟

ثُمَّ هُوَ أَيْمَاهُ الْلَّفْظُ، وَأُوْهُمْ أَنْ رَحَمَ هَمْسَهَا عَلَى حَظِّ، فَأَنَّ كَانَ دَلِيلً

يَا هَذَا عَلِى مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَا ضَمْمَةُ كِتَابِهِ، فَابْكِ فِي مَصَابَكِ، وَاقْرِعٌ
أسفا على عقل نابك • فإن الواقف على معناه • المقتحب لفحواه • علم على القطع والقطع • أنك لم تعرف الله تعالى قط • لأنك لم تذكر فيه هلا صحيحا • يعم • ولا قولوا فصيحا • وإن كان لك دليل آخر على معرفة الله تعالى لم تذكره هنا • فهذه ترجمة بلا معنى • وأسم يبول بلا مسمى • كلامك يا هذا • كفأع حمص • خلي من المعنى • ولكن يجمع

ثم نظم هذه الترجمة على ما أبديناها من التنافض أن يقال: تكثير ما لا يتكثير في معرفة الله • وأي رابط بهذا الكلام ؟ وهل هذا الاضطهاد الخاص والعام • وعكر لم يصل إليه أحد من عقول الأئمة

ثم بعد ذلك شرع هذا القائل في الخطابة • وصناعة الكتابة • فسبح على "سبحان • نعم النسيان • وأني • "ابن • كل ما أبائ • وصهر فصيح "وأنا • أأنا من "باقل" • فقال: "الحمد لله بالغ القوى • التي نظرنا عليها" • فيا للعجب • ويا لضياعة الدين والأدب •

دع المكارم • لا ترحل بغيرها • واقف فانك أنت الجائع العارى(

أما قوله "الحمد لله • فكلام حق • ومثال صدق • عند من عرف معناه • وفهم فحواه • وأما عندك فكلام سمعته • وما وعية • وكيف تعيه • أو تطلع في أنك تدريه • وأنت بمعزل عن اللسان • عري عن تحصيل شرائط البرهان

دليل ذلك: أن "الحمد لله" يوجه ل拴كة • وأنت لا تهتدي • تفهمها • كيفك لحلفها • منها لفظة • ومنها معنوية • فقولها حدة • واله ماذا يرجع • وما الفرق بينه • وبين الشكر • وهل هو في هذا الموضع عام • أم لا • وهل يصح أن يطلق على غير الله • وإن أطلق فهل بالحقيقة أم بالجائز • وعلى أي وجه يضاف إلى الله تعالى •؟ أو جهة الملك • أو على جهة الاستحاق • أو غيرهما من أنواع الإضافا • ولا شيء يوضع في أوائل الكتب • ولا يكتفى عنه بالتفصيلة؟

وأما قوله "بالغ القوى" • فكلام مختل صدر • عن لم يحصل تنزيل مفهومه على فائدة • لأن المتكلم به عمل (بالغ) • موضع (مبلغ) • ثم ذهب

(1) مشهور هذا البيت: فانك أنت الطاقم الكافئ •
يبلغ إلى معينى (خلق) والعرب الذين تكلم هذا السائل بكلامهم، وتعاطى معنى خطابهم، لا يتكلمون بالغ في معينى الخلق، لتباين اللغتين، واختلاف المعاني، ومعنى (خلق) المشهور عندهم: اختراع ما لم يكن، والإبلاغ هو أيضا، له كائن، إلى غاية ما. فإن أنكر هذا التكلم أن يكون آراؤه هذا. فقد شهد على نفسه بالغلط، واعترف بأن كلامه من أردل، أردل السقط.

ثم أضاف باللغ إلى القوى، والقوى جمع قوة، وهي: القدرة والشدة. فأن كنت تريد هذا فأي فائدة للفك؟ وأي لطيفة لقولك التي فطرنا عليها؟ في التيران، والأباير، والحمير، من هو أشد منك وأقوى. فقد فضله عليك، حيث أبلها من الشدة أكثر مما أبلغ. ولقد كان ينبغي ليك يا هذا: أن تذكر من نعم الله عليك، النعماء الخاصة بالإنسان، وهو المعنى الذي به تميز عن أصناف الحيوان. ثم من عجيب أمر هذا السائل، وأدله دليل على بلاده وجعله، أن هذه الخلقنة التي صدر بها كتابه، على ما هو عليه، من تبديد النظم، وعدم الفضاحة التي إنها نقلة من رسالة "عبد الرحمن بن عثمان" (شبيب) التي كان أساقفة النصارى كتبوا بها إلى الإمام الزاهد "أبي مروان بن ميسرة" ونسبوها لعبد الرحمن، وكانوا قد اجتمعوا على كتابته بمطابقة— أعدها الله— فيما كتبوها بعثوا بها إلى القاضي "أبي مروان ابن ميسرة" فبعد أن بذلوا جهدهم، وأجدهوا جهدهم، كتبوا له رسالة منفتحها هذه الخلقنة، في بطاقة صغيرة عدد أسطرها نحو ثلاثين، لحنوا فيها، وصحفوا في تسمة عشرين موضا منها، ومع ذلك فأتوا بالكلام، ولم يتحصل لهم من سؤالهم مطلب، ولا رمهم، فأتجابهم الإمام القاضي —رحمه الله— وأحسن في الجواب، وأظهر لهم جههم وتبذلهم في ذلك الكتاب.

فلو كان هذا السائل عارفا بصاصته، ومميزًا بين محسناته ومقايره، لاكتفي بانفاح أساقفته المتقدمة، وعثرت الجاهلة المظلمة، ولكن يسره ظاهر خطاليهم، وروبع كلامهم، ولكن آراؤه تجديد ما قدم لهم من النضجية بمقالة صادرة صحيحة، ثم ليته أذ رأى إلى كتابه كلامهم، لم يفسر المعنى، ولم يغير اللغة، بل غيره تغييرًا يدل على عدم الهفاء، وقلة الحفظ، فقال: "أحمد الله باللغة القوية" وهي في كتابهم المتقدم، الذي نقل منه "الحمد لله بلغ اللنبي القوي" وبين مفهوم كلامه، (4- الإعلام)}
وكلامهم، ما بين القرن والقدم، وما بين فصاحة العرب، وطرافة العجم.

وأما قوله: "أو أرأيتونا بمع회의" فقول لا تعرف حقيقته، ولا تسlek طريقتها، حتى تعرف أن كان الله آمرا، أم لا. إن كان آمرا فحماقة أمره، وإلا هذا يرجع؟ وهل هو قديم، أو حديث؟ إلى أسئلة كثيرة لا تعرف أنك مأمون من جهة الله تعالى حتى تعرفها. فاعل للمسائل.

جوابا، وللأسئلة خطايا.

وأما قوله: "فنحن نحده ونشكرون ونتمسه، بمثل تعارفنا في الحمد والشكر" فكلام يدور على اللسان، ولم يستر لك شيء منه بالجنان. وكيف يحمد الله من ينتقصه؟ وكيف يشكره من يكره؟

وهل الحمد والنقصان، والشكر والكفران، إلا أمران متناقضان.

بيان ذلك: أنكم تجعلون لله ما تكرهون لأنفسكم، وتنتقدون به أبناء جنسكم. ما أنتم تكرهون له رهبانكم، وأنتم تختار الزوجة والولد، فكل يلتقي برذيلة مجري البول، ودم الحيض. أو تستبى نسبة الزوجة والولد. ثم أنكم بجهالكم تزعمون أن الأناهر تدرع بناسوت السيد، وسكون في ظلامة الرحم مدة، ثم خرج على مجري البول، ودم الحيض، وتعلقت نسبة الولد وزوجة، وأنتم تجعلون لله ما تكرهون. وتصف أسانتكم الكذب. لا جرم أن لكم النار. وأنكم مفرطون. وكيف يعظمه من يعبد غيره، ويعظم سواء، ويغافرون في أمره. ويرتكب ما عساسه؟ وها أنتم قد اختذتم السهيم لها، أو شطر الله. وعبدتم من دون الله غيره، وعظمتم سواء، وخالفتم في ذلك قول المسيح عليه السلام، وعصتم آمر خالقتكم، ومرسلة من جلال الآله، وأنتم تقرأون في كتابكم عن أشعية عليه السلام، أنه قال عن الله مثرا، بالسياح عليه السلام: "هذا غلامي الصوفي، وحيوي الذي أرضت به نفسى" (1) وكذلك تقرأون في نجدية "ماركش" (2) أن المسيح قال.

(1) ترجمتها الحديثة هو ذا عبد أي أذى أعداءه، مختارا الذي سرت

به نفسى. (2) أشياء 42: 1)

وهذه النبوءة لا تشير إلى عيسى عليه السلام. فليس فياقترح ولا في أسفار الإنبية، بنوؤوات عنه. بل النبوءة تشير إلى "المسيح المنتظر" وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) ماركش في الترجمة الحديثة."موقس".)
للعالم الذي سأله عن أول المهود: "أن السيد الله، الله واحد" وذكر: كلاماً. فقال له العالم: "كل الحق يا معلم أن الله وحده، ولا الله غيره"، فالتلعقه يقول عن المسيح: "هو غلامي" وأنتم تقولون: "هو ولادك" والمسيح يقول: "لا الله إلا الله" وأنتم تقولون: "آت الله آخر" فتعلن الله عام تقترحون، وسبحانها عما تصفون - وسياقي الكلام على هذا أن شاء الله تعالى - فها أنتم قد خالفتم أمر الله، وعظتم مسواه يهوه، وهذا أنجيل "متاؤوش" يشهد عليه بخلان ما اليا صرت. فأن فيه أن المسيح قال لأبليس حين رام خديعته: "قد صار مكتوبا أن تعبد السيد الله، وتخدمه وحده" (0) وأنتم تبدون غير الله، وتفجردون لسواء، تنتحرون في ذلك بأهوائكما، وتخالفون قول أنيبائركم: "ومن أصل من أتباع هواه، بغية هدى من الله" (0) وقول بالعطائم على الله.

وأما قولك "بذل تعارفنا في الحمد" فان كان في وضع (تعرف) موضوع (معرفة): فقد أخذ بالمسمى، وخفاف اللقة، ولو كان يضم رائحة من كلام الفصحاء، لو بيخ نفسه على القالة هذه الشمعاء، ولو نزلها على أنه أراد، ما تعرفه مخاطب فيما بينهم في مبنى حمد الله، لكن كلامه أيضاً متناقضاً وفاسداً، وعن الصواب حايحاً. فان حمد الله عندهم: دم، وشكرهم له كفر - كما تقدم - ومن كان حمده، له ذما.

جتاما: "حينذا قال له يسوع: إذعب يا شيطان، لأنه مكتوب: للرب، وسجد، واجله وحده" (مني: 4: 10). (3) القصص: 100.
وشكره له كثيراً، وكان معرفته مثل شكره وحمده. فقد حصل من العلم على نضجه، وخرج من الشكر عن حده.

وأما قوله: « والسعي في المغالبة، وأهل الرى من ذوى السلطان،» فقول لا يدل على زهلك في الدنيا، وانتقادك بقبر المسيح فيني، وبخشية العبد الحبيب، عتبت الملوك للكل، طمعًا في نيل سحت ملكهم، وعرضت عن القاسيين، ونسكنم، ولو هدى السبيل، كان الأنبياء، والخوارج أحق وأولى، بالثناة والتبتجل، لكن استهواء العلم، واستفزك الجشع، فآتى الدنيا من الآخرة، فصفقت ذلك، إذ ذكر، وتجارتك بائرة.

وأما قوله: « فرسنا له شاكرين، حامدين معظمن.» فكلام غير متظم، وليس له مفهوم ملتهم، ذهب مبناه، لكنه لحنه، يقبح العاقل بديئته ذهنه. أتلفت مبناه، رضاءة العجم، فكانه تبقى في نفسه قاله مكتم.

وأما قوله: « غير واقفين على ذاته، ولا مدركين لشيء منه.» فلم يمري، لقد صدقته، وما أنت عليه من الجهل بما يعودك نطقه. فأتيك هذا من قولك: «كتاب: تثليث الوحدانية في معرفة الله.» فقد جعلت هذا الكتاب ب(Arguably, من فضلك، يوحنا الب ylim) إلى معرفة الله، ثم لم تراجع النفس حتى شهدته على نفسك بالهل بالله. فظهر تناقض اعتقادك على لسانك، وفي تقييدك، وكذلك ينعل الله بكل جاهل مهذا. وكيف يعرف الله من لم يقف على معرفة ذاته، ولا علم شيئًا من صفاته؟ وهل ذاته تعالى إلا عبارة عن وجوده؟ فان الموجودات: الموجود من غير مزيد، على ما يعرف في موضعه بالبرهان، فلم يعرف ذاته تعالى لم يعرف وجوده، ومن لم يعرف وجوده: فاما شاك، واما جاهل.

 سمحت، وأستغن عن أحلاك جملك، فاني أسألك، وأياهم عن: حد الأسم، وحقيقته؟ وهل هو السمى أو غيره؟ فان كان غيره، فما حد الأسم؟ وما حد السمى؟ وما حد التسمية؟ ثم هل ينقسم السمى بالإضافة إلى السماى أم لا ينقسم؟ فان أنقسم فعلى كم قسم؟ وانما أوردت عليه هذه الأسئلة: كيلا له بضاعة، ولبن ذلك أبلغ في فسقه، وأقطع لنزاعه.
ثم أنه أضاف (اسماء) الى (أفعال الله) ولا يشك عاقل ناهم: في أن أفعال الله تعالى، انما يراد بها مخلوقاته، ومخلوقاته و الخليقته واحد في المعنى، فكان قال: على ما يقتضيه ظاهر كلامه: "وانما نقع على اسماء مخلوقاته ومخلوقاته" فأبدل لفظ "مخلوقاته" بأفعاله.
وهذا كلام قليل العائدة، بل عديد الفائدة. ثم اسماء أفعاله: انما هي عبارة عن الألفاظ الدالة على أفعاله، وأفعاله: كما قلنا - مخلوقاته، كلفت السماء والأرض، و غير ذلك: فمن عنف الألفاظ الدالة على هذه المخلوقات، أى شيء، يحمل له بسببا من معرفة الله تعالى؟ وأي دلالة؟ وأي نسبة؟ بين معرفة اللهquel الذي يدل على السماى " في التخطيط مثلا، وبين معرفة الله تعالى؟ واهل قوله.
هذا: الا هذين من القول، وارتباك في ورطة الجهل؟
وأما قوله "وتذبح بن روبوته": فالظاهرة من لفظ التدبير السابق، منه إلى الفهم: أنه عبارة عن التفكير النفسي، والتثبيت الذهنى، والبارى. سببته مثالي عن التدبير الذي هو التفكير والتثبيت، فإنه لا يتصرف إلا في حق من جهل شئا، فأراد أن يستعمل فكره في تحصيل العلم به، والجهل على الله حوالى التدبير بمعنى الفكر عليه حالى. فإنه أراد السائل بكلامه غير هذا، فلا بد من بيانه، وأيضاح برائنه،
فإن أراد به المعنى الأول الذي يرجع إلى السؤد والشرف فهو: خطأ، من حيث أن سؤدته واجب له فلا يحتاج في تحصيله إلى سبب من تدبير، ولا محتاج تفكير، وممتزج كلامه ومفهومه: أنه دمر في روبوته، وأوجد بها عن تدبير نفسه. وهذا جهل بواح، وكثير صراح، وأن أراد به المعنى الثاني الذي يرجع معناه إلى المال فلا يستقيم أيضا على ظاهر كلامه، فإنه يكون معنى كلامه: أنه دمر في مثله، وأوجد.
عن التدبير، الذي هو رؤية وتفكير، ويعتالي عن ذلك الخالق القدير.

المنزل عن خواطر النفس، وهواجس الضمير.

ثم ما فرغ هذا السائل من خطبه الغراء، البديعة الإنشاء، التي من وقف عليها علم أنه عن المعارف مصروف، وأنه لا يفهم المعاني، ولا يحسن كتابة الحروف، شرع في طريقة الجدل، وكيفية الاستدلال.

فلكله في نظام معقولاته (الل/archive) في آداب جدله (البروي) ولعمر الله لو كان هذا السائل عاقلاً لستر عواره، ولم يبد غارة.

ولكنه جيل من قلال، وحيث وجب أن يسكن جال.

ولقد كان ينبغي لهذا السائل ألا يتكلم في شيء من علوم الاعتقاد، حتى يحسن شروط النظر، ويعمل ما يحتاج إليه من المواد والفكر، ولما بادر إلى الكلام في ذلك ممن تحسد على كلامته، وصعب عليه مرامه، فربما كان المعنى الذي يقصده قريبًا فيبعده، أو مجتمعاً فيبدده، وسبتين ذلك في كلامه.

ولما كان ذلك رأيت أنني أن تتبعت كلامه، كما تتبعت خطيته خرج الأمر عن الاعتقاد، وأدى ذلك إلى الكسل والملل، وضياع الزمن في ضروب الدنيا، هو غاية الخسائر. فرأيت أن أعرض عن آحاد كلامه، وأناقشه في معانيها ومفهوماتها. ثم انني ربعاً لا أتكلم معه حتى أحكم مذهبه، فأبين له ما أراده بكلام حسن وجيز، ليكون ذلك بلغ في الفهم، وأمكن أن تتميز. إلى الله عز وجل أرغب، عليه أن يكون في أن يشرح صدورنا، ويبرع علينا آمورنا، ويستعننا فيما يقربنا منه، ويجبنا عندنا. انها: ولي ذلك القادر عليه.

تم الصدر. والآن نشرح في الأبواب.

***
الباب الأول

في بيان همّم في الآقاتيِمِ، وأبطال قُومِهم فيها

الآقاتيِمِ أسماء وأفعال
آقاتيِمِ: القدرة والعلم والحياة

تحليل التثليث
دليل التثليث

في بيان اختلافهم في الآقاتيِمِ
الجواب عنه : سألت يا هذا المقدم بعد اعجام ، واستبهمت
هل خلق الله تعالى الخلق بقدرة ، وعلم وارادة أم بغيرهم ؟ وهذا
السؤال كان ينبغي لك ألا تسأل عنه حتى تقرر من معرفة المراتب
التى قبله ؛ وذلك أنك لا تصل إلى ما سأنت عنه ؛ حتى تعرف مننى
( الخلق ) وهل العالم مخلوق ؟ وإن كان مخلوقا فهل يحتاج إلى خلق
أم لا ؟ فإذا بلغت إلى هنا ، وقطعت هذه المفاوض التي لا تقطع بالنهاى ،
ولا يتخلص منها بالهوينى ؛ ولا يكتن في تحصيل العلم بذلك ؛ بالتقليد
بل بالنظر الشديد ، والبرهان العتيد
حينئذ كان ينبغي أن تسأل عما سألت عنه ؛ لكنك بجهلك بطريقة
النظر قدمت وأخرت " وفعلت فعلتك التي فعلت "(1) ولو كنت من له
في النظر نصيب لضربت فيه بسهم مصير ، ولاقتديت بجعلكم الأرعن ،
وأسقفكم الأعظم " أششتين "(2) فها هو يقول في ( مصحف العالم
(1) الشعراء : 19
(2) ولد القديس " أوغسطين " (ST. AUGUSTINE) في ( طاجست ) بالجزائر
في نوفمبر عام ثلاثمئة وأربع وخمسين من البلاد لاب وثنى ؛ وأم مسيحية هي
الديسة " مونيكا " وقد أرسلت، أمه في السابعة عشر من عمرها ليتم دراستها
العليا في ( نورسجنس ) وقد اندفع في الشهوات النسائية اتفاؤها شديدا ؛ ثم
الكائن) في أول ورقة منه: «يتبغي أن يجعل الكلام في النظريات على منازل ودرجات ليكون من أنجح معا في الدرجة الأولى، تكلمنا معه في الدرجة الثانية، ومن أنجح معا في الدرجة الثانية، تكلمنا معه في الدرجة الثالثة، ثم نمضي كذلك إلى آخر نهبات الكلام، فاننا يمكن فسد الكلام وتناقضه وأشتباهه من قبل النقش في معرفة هذه الدرج، لأننا إلى ناظروا في الدرجة الثانية من لم أنجح معا في الأولى، لم يبلغ الكلام غاية، ولم يقف على نهاية».

وعلى هذا النحو نستحيل: «حصص بن البر» في أقواله. ولقد كان ذلك فيهما آسيا، لو كنت أهلا للقوة، فبنك وبين من سؤالك هذا: ثلاثة أدراج حارته فيها عقول كثير من النظائر وفنت أزمان، ونفدت أعمر، فكلاهم يا هذا فاسد هجين، بشهادة قسيسكم (أغسطس).»

وأما قوله: «فذا اضطرت السؤال إلى القول بها» فقول غير صحيح، والجهل على قائله يلوح، وكيف تضطر المسألة مع نظر سقيم، أخذت مقدمته بالتحكم والتسليم، وأنا كان يلزم ذلك: لو نزلت في

- استقر على اتخاذ خليفة وانقطع عن الاتصال الجزيء الطليعي، يوجد نفسه في عام تلثماني وأثمان وثمانين، وهو لا يزال في الثامنة عشر، أنا: لولد ذكر، كان يستشهد (ابن خطيبت) مدة و«عذبة الله» هذه أخرى، أما من حيث نموه العطلى فقد طاب بكثير من الذهاب الفلسفي كما فعل القديس (جوسف) من قبل. فاعتقن الفلسفة الماوية مرة أخرى، والإفلاطونية الجديدة مرة أخرى.

وقد ظل (أغسطس) حوالي تسع سنوات، معتنقا الثنائية الماوية، لأنه رأى فيها وسيلة لنهم العالم المركب من الخبر والشر، فمن طبيعة الوجود عندهم أن توجد الظلمة إلى جانب النور، فالنور عصر أساسي في طبيعة الحياة الإنسانية. وهكذا وجد (أغسطس) ما يبرر وجود الشر في العالم. لكنه في الواقعظل طوال هذه السنوات النسج «سراميك» والمساهمون في الماوية، هم الأتباع الذين يؤمنون بالذبب، ولاسمون به. أما الأتباع الأوفراء، فهم الصديقون أو المختارون، وهم (أغسطس) في سنة أربعمائة وثلاثين من البلاد (صفحة 84 و 161 من كتاب: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط - تأليف: اثنين غلوبن) عرض وتعليم: الدكتور إمام عبد الفتاح. إمام - دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة سنة 1974).

انظر أيضا صفحتين 136 من كتاب "فجر الإسلام" للدكتور أحمد أمين -
كلامك على شرط السير والتفصيل، ونهجت منهج النظر القويم، والإملاء في نظر الدهر، حيث يقول: "لا أسلم أن العالم مخلوق"؟ ويتم تتذكر على الفلسفي، حيث يقول: "أسلم أنه مخلوق، لكن لا أسلم أنه يحتاج إلى خالق، مخترعه بعد العدم"؟ ويتم تتذكر على الطبيعية، حيث يقول: "لا يحتاج عالم الطبع إلى خالق ذي قدرة، وعلم، وارادة، وحياة"؟ ثم لأي شيء تحكمت، وقلت: "إنه ثلاثة"؟ فخلعتها أكثر، وأقل، ولا بد لك من معرفة أبطال مذهب هؤلاء بالبرهان، وجينئذ تحصل على مرفقة الأيقان، وهذَا ليس بمشكل، فاضطجع على نمشك.

على الطريق، من بين المنار به، واقعد ببرزة حيث اضطرك القدر.

ولما قولك: "فاني أسألك أن كنت أسماء ذاته، أو أسماء لأفعاله.

فان قلت: "أسماء ذاته فقد نقضت، وجعلتها أسماء للذات، ووقعت فيما أنكرت من الجسم"، فسأول لا يستحق أن يسمع، ولا لصاحبه في العقل مطمئن، وقامت، وسببت، وقعت عليه آن قام وما شعرت.

اذ لقال أن يقول: "ليس هذه الأسماء من أسماء الذات، ولا من أسماء الأفعال، بل هي قسم آخر، وهو أسماء الصفات"، والتقييم: محتماً ما يكون دائماً بين النفي والتأكيد، فهو معرض للنقض والنقاط، ثم أطرف من العتباء: شرعه في أول كلامه في السياقات، ثم أخذ في الكلام في الأسماء، ولم يفرق بين الاسم والسمي، فهو جاهل أعمى.

ثم انظر بله هذا السائل، وعدم حسه، فلقد خرج بجهله عن أبناء جنسه، كيف قال: "فان قلت هى أسماء ذاته، فقد نقضت، وجعلتها اسمًا للذات"، وأي فرق بين قوله في المقدم، وبين قوله في التالي؟ وهل هذا إلا بمثابة من يقول: "ان قلت هذا اليوم نهاراً، فقد نقضت، وجعلته نهاراً"؟

فما أعرفك يا هذا نتيجة الشرطي المتصل ووحدته، وحديد النقيض، وشروطه، فلو استرزقت الله عتاقاً. لك كان الأخرى بك من الكلام في المعقول والأولى، ثم أعجب من ذلك كله: أنك ألمت من قال: 

أن العلم والقدرة والإرادة أسماء ذاته، النقول بالتنقيص.

وهذا نتيجة الجهد الصميم، والفهم المستقيم، وهذا من أين يلزم.
أيمن نقيض التالي أو عين المتقدم ؟ فوالذي خص الأفكار بالعقلون، لقد أربت في جلهك على كل جهول، وأتيت بما ليس بمفهوم ولا معقول.

وأما قوله: "وان قلت من أسماء أعماله التي منها اسم قادر عالم مريد فهو التثليث الذي أمرنا بالقول به " فيقضي أن الأفكار من أسماء الأعمال، فهذا قول لا يقول به الحنان ولا الأطفال فان منى تسمية الله تعالى بأسماء الأعمال أنما متناها عند العقلاء. أن يخلق الله فعل يسمي ذلك الفعل باسم فيشيقي لله تعالى من ذلك الفعل اسم، مثال ذلك: خالق، ورازيق، يقالان على الله تعالى، باعتبار خلق الوجه، ورزق الرزق، فإن أردت هذا المعنى كان ذلك محالا على الصفات العليا، فإن صفاته سبحانه وتعالى ليست بمطلقة، على ما يعرف في موضعه، وأيضا فلو جاز أن يسمى بعلم خلقه عالما، وبارادا يخلقها ميدا، وقطرة يخلقها قادرا، جاز أن يسمى بحركة يخلقها متحركا، وبصوت يخلقها صوتا، وذلك مجرى إلى جهالات، لا يقول بها عاقل، فإن أراد هذا السائل بأسماء الأعمال أمر آخر، فهو، أما أصطلح مع نفسه، فكان ينبغي له أن يفسر ما يقول إذ لم يتكلم بما أصطلح عليه أرباب العقول.

وأما قوله: " فهو التثليث الذي أمرنا بالقول به " فقوله فيه كتب، وعلى الله ورسله افترت، فإن الرسول عليهم السلام لم تأمر باعتقاد التثليث لأحد من الأنام، بل قالت الإبلاء عليهم السلام ما يعرفه الخاص والعام " فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا ثلاثة (1) " ولقد حصل للعقلاء النوائر، وعلموا بالوزارة: أن الله تعالى قال: " لقد كفر الذين قالوا أن الله ثلاثة ثلاثة (2) " ثم قوله هذا تزيد به أنكم أمرتم باعتقاد آلهة ثلاثة، وانكم قيل لكم: اعتقدوا في الله تعالى أنه آلهة ثلاثة، الله واحد، وقولوا به، وليس الأمر كذلك عند ربانكم المتقدمين، وأساءتمكم الماضين.

وهذا " أغثتين " يقول بعد أن تكلم في الأفكار، ما تثبت أنها صفات على ما يختصه كلامه، وذلك أنه قال: " وهذا قولنا في الأفكار الثلاثة التي لا يمكن جمعها منه، ويا وصفه بغيرها " وهذا تصريح (1) النساء: 171 (2) المائدة: 73
هناء: بأنها صفات. ثم قال بعد ذلك: "فهذا قولنا في التثليث، الذي
وصفه الإنجيل، وأمرنا بالابن به، وسائتى نصف كلامه. ولم يقل
أمرنا بأن نعتقد أن الله واحد، ثلاثة. فان الواحد لا يكون ثلاثة
والثلاثة لا تكون واحدا. كما قد تبين فساده، بل مفهوم قوله: ان الإنجيل
وصف أن الله تعالى موصوف بهذه الصفات. وأمرنا بالتصديق بذلك
ولو انكرتم عن السنتكم أمر التثليث، واعتقدتم ان الله تعالى واحد
موصوف بصفات الكمال، ونعوت الجلال، لوقفتم في هذه المسألة
للصواب، ولحصلتم منها على الحق بل ارتياب. ولكن من حرم التوقيف،
أستدرك الطريق، ونكل عن التحقيق.

علي أن ما ذكرته في أمر التثليث لا يستقيم على رأي المتقدمين
من أحبكم. هذا صاحب كتاب: "المسائل السبع والخمسين" يقول
فيها: "لا نقول: أن التثليث ممتزج في أقنون واحد كقول "شباليش".
ولا الهوية متحدة، أو متباعدة الذات، كفرية "آريش" بل أن أقنون
الابن غير أقنون الابن، وأقنون الابن غير الروح. لكن التثليث المقدر
ذات واحدة، فإذا لم تكن ممتزجة، وكان كل أقنون منها غير الآخر
والاقنون معناه عندكم: الشيء المستنبر، دخله عن أصل جوهره في
إقامة خاصة جوهريته. فكيف يتسع عقل، لأن يقول: إن هذه الثلاثة
المتنازعة التي هي على ما ذكر: واحد؟ وهل قاله الآمن، أو معاند؟

* * *
في حكاية كلامة أيضاً
قال: "فان قلت لم لا تتولون: نسم العلماء القادرين؟ إذا
قلتم: باسم الآب والابن والروح القدس، فتبين: آب، وابن،
روح القدس، ثالثاً.

أعلم أن المسيح لما بعث الحواريين إلى جميع الأجناس قال
لهم: "من آمن منهم فعبدوه على اسم الآب والابن، والروح
القدس" (1) وأتمنا خاطيين يمثلون تعالىنا، فجعل هذه الأسماء كاختلاف
قضايا تلك الأفعال، ثم واسط، ثم آخر.

فأول القضايا: خلق الله جميع بيد، سماها: آبا، وأضافها إلى
القدرة، وأضاف قضية عزل المسيح للناس إلى العلم، وسمها: ابن،
لأن العلم لا يوقع عليه، حتى يتولد كلامة، وأضاف قضية فناء جميع
الدنيا، ومكافأة أهلها بأعمالهم إلى الإرادة، وسمها: روح القدس،
الذي هو قادر، عالم، مريد، اسمه لل الواحد الذي لا ينكر" أهـ.

والجواب عن قوله: أعلم يا هذا! أنك لم تحسن السؤال،
وأنا حصلت منه على صواب مغال، بل حصل منه في عقل غل، وفي
رجليك عقول، قلت السؤال، ولم تسعر، وجعلت من حيث ظننت أنك
تستبصر. أوردت أن تقول في الاعتراض الذي وجهته على نفسك
لم لا تكتب باسم القادرين، العالم، المريد، ولا تقولون: باسم
الآب والابن، وروح القدس، فقدتمت وأخرت، وبالنظر إلى المدنى أخلت.

(1) النص: "فاذهووا وتعلموا جميع الأمم، وعودوا باسم الآب والأب،
والروح القدس" (متى 28:19) وفي فننج مرسى، وقال لهم: اذهبوا
إلى العالم جمع، وأكثروا بالإنجيل، للخليلية كلها، من آمن واعتنى خلص;
ومن لم يؤمن به، (موطس 12:15)"
ثم انتجت النتيجة، قبل ذكر المقدمات، فصار كذلك كلماك من أرك
الترهات. فقدت فيها: «فيبتين: آب، أببن، وروح القدس ثانتأ»
وهذا كلام مختل ناقد، مشوب بالفساد غير خالص، وانما كان صوابه
أن يقول: فيبتين أنه آب وأببن، ثم قلت: «ثانتأ» بالنصب، بحطر
ضبطه، مشعرًا بأنه أهلهتهني، بل بالالتزام كنتهني، ولم تشعر بأنه قلته
وصلى، والذي يقول: ان المسيح لما أبعث الحواريين إلى جميع الأنصار
فكلما نقلته مدعيا أنه رويته، ونحن يجب عليه: إن توقف في أخباركم
ولا تقطع بتصديقكم، ولا باكذبكيم، بل نقول ما أمرنا به الوسول
وبلغنا على السنة النبوية العدول: «آمنا بالله ورسله» (أ) فإن صدقتم
لم نكن نكم، وإن كذبتتم لم نصدقكم، ومع تسليم ذلك جدلا، فلا بد
أن نباحكم فيما نقلتم، ونتفقه فيما حكيتم.

فقول: ظاهر قولك هذا، يفهم منه: أن رساله عيسى كانت عامة
لجميع الأنصار، وليس الأمر على ما زعمتم (أ)، وسأتي الكلام على
هذا في باب النبوت، وكذا الكلام على العمودية، وما يلزم عليها يأتى
في باب الكلام على آهاتهم أن شاء الله تعالى.

وأما استدلالاته على اعتقاد وجوه آب والأب، والروح القدس
واطراف القول بذلك بما قاله عيسى للحواريين، فلا حجة له فيه، إذ ليس
بنص قاطع، بل هو مما تتقولون أنتم فيه مشابه، فإنه يحتلم أن يكون
مراده به: عملوه على ترجم هذا القول، كما يقول القائل: كل
على اسم الله، وإلهية على اسم الله، أي على بركة اسم الله، ولم
يؤمن الآب والأب، من هم؟ ولا ما يعني المراد بهم؟ فلعله أراد
بالآب هنا: الملك الذي نفقه في مريم آب الروح، إذ نفقه سبب علوق
أمه وحبها به، وأراد بالأب: نفسه، إذ خلقه الله تعالى من نفخة
الملك، فالنفقه له بثواب النطفة في حق غيره.

(1) في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: قال: كان آهل الكتاب
يقرؤون التوراة بالبرونية، وفسرواها باللغوية لأهل الإسلام، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: لا تصفوا آهل الكتاب ولا تكنواهم (وقولوا
أما أنا بالآب أنا، وانزل الكتاب) الآية (العنكبوت: 46)، باب: لا تراسوا آهل الكتاب عن شيء» الجزء الثامن ص931.
(2) سئلته عليها في باب النبوت.
ثم لا يبعد أيضا في التأويل - ان صح - عن عيسى عليه السلام؛ لأنه كان يطلق على الله لفظ الأب - أن يكون مراهبه به؛ أنه ذو حفظ له، وذو رحمة وحنان عليه، وعلى عبادة الصالحين، فهو لهم بمنزلة الأب، الشهيف الرحيم، وهم له في القيام بحقوقه وعبادته بمنزلة الولد البار، ويدخل أن يكون تجوز بالواقع هذا اللفظ على الله تعالى، لأنه مبهمه، وواضح وجوده. كما يقال: "المعلم، أبو المعلم" ومن هذا قوله تعالى في كتابنا: "ملة أبيكم إبراهيم، هو سماكم المسلمون من قبل" (1) على أحد تأويلاته (2).

ومن هذين التأويلين: يصح حلف ما وقع في انجيلهم. من هذا اللفظ - ولهذان التأويلان ظاهران، وسائغان فيها، ويشهد لهذين التأويلين: قول عيسى للحواريين، على ما جاء في (سورة الوصية) حيث قال لهم:

"إذا صلتم، فقالوا: يا أبانا السمَوى، تقدس اسمك، وقرب ملكك" (3) ثم قال بعد كلام، ووصايا: "فأذا كنت أنتم على شرطكم تعرفون أعطاء الخيرات أولادكم، فكيف أبوكم السمَوى" (4)؟

وكذلك وقع في انجيل يوحنا (يحيى): أن عيسى قال لليهود: "أنا عالم أنتم من نسل إبراهيم، ولكن تريدون قتلى أناكم".

(1) الحج : 78
(2) في تفسير الكشاف لعلام الزمخشر، "فان قلت: لم يكن "أبراهيم" أبأ لامكة كله. قلت: هو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان أبا لامته. لأن أمة الرسول في حكم أولاده" (1001).
(3) في تفسير "المجام لأحكام القرآن" للقرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: "وإبراهيم هو أبو العرب نازية، وقيل: الخطاب لجميع المسلمين، وإن لم يكن الكل من ولده، لأن حرمة إبراهيم على المسلمين، كحرمة الوالد على الولد" (1001).
(4) النص: "فان كنت، فان كنت مائة. إن تعرفون أن تعطوا أولادكم عطاءا جيدة، فكم بالحري بأبكم الذي في السموات، يبغي خبرات للذين يسالونه" (مثي 7: 11).
(5) الأعلام (1).
لا تعلق لكم في مصلتكم، فأعلمكم بما رأيت عند الآب، وأنتم أنتم تعملون ما رأيت من أبيكم وَفَأَجَابَوَهُ، وقالوا: إننا أبونا إبراهيم، فقال لهم: إن كنت من بني إبراهيم، فاقتفلوا أثره، ولا ترتدوا قتلاً على أني رجل وذنبتي، إن الله الحق، الذي سمعت عن الله، ولم يفعل إبراهيم غير هذا. إنكم تنفون أن أتى أبيكم، فقالوا له: لننا أولاد زنا، وإننا نحن بنو الله. فقال لهم: لو كان الله أباكم لحفظتموني لأنتى منه

(1)

ثم نقلوا: لأنه عليه السلام، وإن كان يطلق هذه الأسماء، فإنما كان يطلقها متميلاً بها، وهكذا أكثر كلامه الذي يحنون في أنجيلهم.

ثم قد نهى عن إطلاقها في الأنجيل: الحواريين: قال في أنجيل لوتأ:

الحواريين: «ما تقولون أنتم؟ فأنجبه سمعيو بيطر وقال له: أنت المسيح ابن الله فنهاهم» (2) وهكذا كان يقول: إذا كان يخرج الجنون عن المجنون، فكان تخرج، وهي تقول: «أنت ابن الله» فكان ينتههم ويتبعهم من هذا القول (3).


فهذا يدل دلالة بينة على أن المسيح كان يطلق لفظ الآب على الله تعالى، بالمبنى الذي يطلق على إبراهيم عليه السلام أنه: آبٍ، وذلك بمعنى: المعلم الشفيع، وكذلك جاء لفظ آب في كتابنا: "عِلَّمَ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ" (1) وذالك المبنى تقول اليهود، والنصارى، في إبراهيم، وليس على حقيقة الأب. ومع ذلك فـ: "ما كان إبراهيم يهودياً، ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من الشركين" (2).

وكرّر في الإنجيل في غير ما موضع: "قال لكم أبوكم، وقلت لأبي" (3) ويلزم على مساق هذا آلا يخص المسيح باسم الآب، ولا الله تعالى باسم الأب.

وما بالنال نطول الأنيس عم هؤلاء الجهل، فإنَّه إذا احتتم هذه التأويلات، كان من المشابهات، ولا ينبغي أن يصير اليه في الاعتراضات، وخصوصاً في الاعتقادات، ثم نقول: لا يخلو المسلم بذلك، أو ما يقارب على المعنى المقدم: إما يريد به حقيقة الأب والابن، أو لا يريد ذلك، فإن أراد الحقيقة كان محال وباطلًا، فإن حقيقة الأب عند المقالة: حيوان ولد من نطفة حيوان هو من نوَّه، وبهذه النسبة والصفة تفهم حقيقة الاِبْن، وهذه الوصفات محالان على القدرة والعلم، فإن العلم ليس بحيوان مولود من نطفة حيوان، ولا القدرة حيوان يخرج منها نطفة تولد منها حيوان، وهذا معلوم البطلان بالضرورة.

(1)والآرواح النجسه حينما نظرته خرت له وصرخت قائلة: انك أنت ابن الله، وأوصاه كثيراً أن لا ظهره» (مرقس 3: 11) وهذا يدل على أن "قدوس الله" تساوي "ابن الله".

(2) الحج: 78 آل عمران: 17

(3) في الإنجيل نصوص كثيرة بهذا المبنى منها: في (يوحنا 12: 44 - 49) "فأدت يسوع وجالож: الذي يقول بي ليس يؤمن بي، بل بالذّى أرسلني، والذّى يرسلني يري الذي أرسلني، أنا قد جئت نوراً إلى العالم، حتى كل من يؤمن بي لا يكمت في الظلمة". وان سمع أحد كلامي ولم يؤمن، فانا لا أدينه، لأنى لم آتي لأدين العالم، بل لخلاص العالم، من رذائل ولم يقبل كلامي فإنه من بنيت. الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير، لأنى لم آتي لأجعل من نفسى، لكن الآب الذي أرسلني هو أطاعتي، وقصة ماذا أقول؟ وبماذا أتكلم؟ 100 الخ.

ثم نقول: لأى شيء صرتم إلى الجامع بين الحقيقة والمجاز؟ هو: الذي ذكرتم؟ وبم تتكرون على من يزعم: أن هنالك وفراً آخر؟ لم تطعوا عليه ثم تحكمتم بتعيين هذا الوجه الذي ذكرتم؟ ثم نقول: أنتم قاطعون بتعين هذا الوجه الذي أريدتم، أو غير قاطعون؟ فإن زعموا: أنهم قاطعون. فما مستند قاطعون؟ فلا بد من أسبابه، ولا شك في أنهم يجدون في هذا المعني نصا قاطعاً، فإن زعموا: أنهم ليسوا بقاطعين، فقد اعترفوا بأنهم شاركون في اعتقادهم، وقد كفروا مؤنة الكلام معهم، فإنهم أبدعوا اعتقاداتهم إلى الشك، وكيفك ذلك زوراً وافكاً؟ ثم بلزمهم على تسليم ما ذكوره من الجامع الذي أبدعونه: أن يكون الباري - تعالى وأنزله وتقدس - أبا لكل المخلوقات، إذ هو أصل كل المحدثات، أي موجوداً ومختروعاً.

وأما قولك: "فجعل هذه الأسماء ثلاثاً" فيفهم منه: أن هذه الثلاثة للفاظهم الذي تقدم ذكرها، مجمولة، وأن الله تعالى هو الذي جعلها.
وإذا كانت بجعل الله فمي بخلقه، وما كان بخلقته فهو محدث فيلزم
على ظاهر قولك: أن هذه الأقليان محدثة باختراعه تعالى، وأنتم
تقولون أنها آزليات قديمة.
وأما قولك: "التي هي أسماء أعمالها" فقد أبطلناه فيما تقدم حيث
بينا حقيقة أسماء الأعمال، ومن وقف على ذلك، تبنين بطلاه هنالك.
وأما قولك: "مختلفة الأسماء كاختلاف قضايا تلك الأعمال، ثم واسط،
ثم آخر" فكلام لا يروقه منظوره، ولا يعزف فائدة، مخبره يشهد على
قاتلته بالجنون، ويضحك من عدم فائدته وارتباطه العقلان. أراد هذا
الجاهل أن يتكلم فخرس، وكذلك يفعل الله بكل مبطل إذا نكس. وإنا
أراد هذا المبطل - ولم تطوعه العبارة لما لا يحصل - أن هذه
الأقليان الثلاثة انما سميت أبا، وابننا، وروح القدس باعتبار قضايا
نائها، وذلك أن القدرة انما سميت أبا، باعتبار أنها أصل الموجودات،
اذ أنها وجدت، وانما سمى العلم ابنبا باعتبار أنه اتخاذ بالألين، الذي
هو المحيط، وصدر عنه، وانما سميت الاردأة روح القدس باعتبار
مكافاة الخلق في الدار الآخرة بالنعيم.
فان زعمت أنك لم ترد هذا فكلامك غير مقول، وقولك ليس
بمقبول وهذا الذي أبديته في هذا الكلام لم يقل به أحد - فيما علمت -
من علاء نصاري الآلام، وكفف بقولك عاراً: مبين خالفته لاستفكم
"أشتختين" فهما هو يقول في (مصحف العالم الكائن): " 만나 سمى
العلم ابنبا باضافته إلى القدرة، إذ القدرة أصله، وكما صار التعارف
الأعجمي: أن تسمى القدرة التي هي الأصل: وابننا. كذلك صار
التعارف في ذلك اللسان ان يسمي العلم المنسوب إليها ابنبا. فقوله هذا
مخالف لقولك، ورأيه غير موافق أرأيك، على أنه غلط في قوله: ان
القدرية أصل العلم، وينتبين غلطه عند من وقف على ما قدمته قبل
لكله، وإن كان قد غلط، فالآمر عليه أقرب، والخلاف معه أهون، لأنه
رجع الخلاف معه إلى إطلاق لفظ، وليس وراء ذلك كثير حظ.
وأما قولك: "أن العلم لا يوقع عليه، حتى يتولد كلاماً" فكلام
حضارتين من جهل وتخليط، إن العلم لا يتولد كلاماً، إذ لو جاز
ذلك لاقتلت حقيقة العلم، ولو جاز اقتلاب حقيقة واحدة، لجاز اقتلاب
كل حقيقة، فيقلب القدمما حادنا، والحدث تقديما، والجسم عرضاً.
والسود بياضا إلى غير ذلك من أنواع انقلاب الحقائق، ثم قوله:
فأاسد وباطل بالضرورة فانيا نعلم أمورا من غير كلام موصى إلى ذلك،
فقدنا بوجود أنفسنا وبالنها، ولذاتنا ومحيسستنا: بديهات.
ثم قد صرحت بلفظ التولد، وهو باطل من أصله، فان المولدات
مكثت، وكل ممكن محدود بقدرة الله تعالى، فكل المولدات محدودة
بقدرة الله تعالى، وإنما ثبت أنها حدثت بقدرة الله تعالى، فلا يقال:
أنها مولدات.
أقول هذا، والكلام شجون، والعلم فنون، على أن أعرفه.
أنك لا تفهم ما أقول، وإننا أخطب أهل الفهم والعقل.
وأما قوله: "الذي هو قادر، عالم، مريد، اسما للواحد الذي
لا يتكرر"، فقول يدل على تخبطك، وسوء تناولك، نقضت به ما تقدم
من تقولك، حيث جعلت الألفاظ اسماء افعال يتكرر، ثم قد صرحت
هنا بأنها اسماء للواحد الذي لا يتكرر، ولو حكى مثل هذا الكلام عن
المستقراءين النوم، لقيل: هذا أضعاف أحلام.
وبعد هذا، فلتعلم أنني تجاوزت عنك في هذا الفصل، ولم
أؤخذك، بكل ما فيه من خلل القول خصبة طول الكلام، وتبعد المطلب.
وبعد المرام، وأول ذلك، أنك لحنت، وصحفت في ثمانية مواضع
تتبين للناشئين، بل المراضع.

* * *
 تعديل التثليث
في حكايته كلامه أيضاً
ثم قال: «فان قلت بالتثليث لأنها أسماها أفعال الله، فأسماء
أفعاله أكثر من ثلاثة، فقولوا بها كنولك بالتثليث، لأن عزيز وقوي
مغولب ونور وقاهر وصبر وغفور وراضي وسخاخ ومعاقب، وغيرها
من أسماء أفعاله، فقولوا بها أجمع كنولك بالتثليث، قلت لك:
هذه التثليثا، هي أصول جميع التسمية، ومنها تثليثا، وفيهما
تندمغ، فميزز وقوي وغليب وقاهر، وما أشبهاها، أصلها القدرة,
ومنها تثليث، وفيها تندمغ، وغفور ورحيم وراضي وسخاخ ومعاقب
أصلها الارادة، ومنها تثليثا، وفيها تندمغ. فان قلت: فقديم،
وحي ليست منثى منها، ولا منغفعة فيها. فقولوا بالتثليث، قلت
لك: إن قديم وحي: أسماء ذات، لا أسماء أفعال، وكل اسم للذات
لا يؤدى معنى واحداً للفن مصداً، فقديم لنفي محدث، وحي لنفي
محتوى، ورب لنفي مربوب، والله لنفي ملوث، فكلي اسم من هذه
القدرة والعلم والإرادة التي هي أسماء أفعال، ثلاثة ذات واحدة,
لا ينكر، وكما أنت قد فهمنا أن نفس الإنسان لا يقوم لها فعل إلا
عند ثلاثة: ينقص منها واحد لم يتم له فعل. وان زاد فيها رابع لم
ينتقح. وكذلك فهمنا عن خالقنا أن تدبيرنا بناء عن ثلاثة: وذلك أن الإنسان
لا يقوم له فعل دون الثلاثة. وذلك: القدرة والعلم والإرادة، ولا رابع
منها فإن عجزت منها واحدة لم يتم له بالاثنين فعل. لأنه إن علم
أراد ولم يقدر فقد عجز، وإن قدر وعلم ولم يريد، فلا يتم له شيء
بالإلا للإرادة. وإن قدر ولم يعلم، لم يتم له فعل بالحيل. فقرب
منا الكتاب، معرفة الخالق بخلقته لهم، بمثل تعارضنا في أنفسنا، أن
القدرة والمعلم والإرادة خواص قائمة هي المتممة للفعل منا، وأنها ذات
واحدة، وكذلك التثليث في الله واحد.»

الجواب عن ما ذكر: أعلم يا هذا أنك اعتلست على نفسك بما يدل
على كلال ذهنك، وعدم حدسك. لأنك أخلت بالسؤال، وتحكمت في
الانفصل • أما اخلالك بالسؤال، فأول ذلك: أنه لحنت في هذا الفصل في ثمانية عشر موضعًا، وذلك بين عدد من تأمل مكتوب، وثانية: أنه كان ينبغي لك أن تقدم قبل هذا السؤال: النظر في حد هذه الآفتيين، وحقيقة، ثم في الدليل على وجودها، فإن النظر في كون الشيء واحده أو كثريًا، إنما يصار إليه بعد معرفة حقيقتها، ومعرفة وجوده. فإذا فرغت من ذلك، نظرت فيها، هل وجودها زائد على الذات، أو غير ذات الفاعل - أم هو عين الذات؟ فإذا عرفت هذه المطالبة كلها. حينئذ كان يمكنك أن تنظر: هل هو واحد أم كثيرة؟ أو هل ترجع إلى شيء؟ أو يرجع إليه شيء؟ ولا بد لكل نظر ينفي فيها نظرت إلى فيه: إن تعرف قبله ما ذكرته بالإبراهيم القاطعة، ولا فكيم تنتمي في فرع لم بثت عندك أصله؟ ولو كنت في نظرك من المتفقين، لنظرت إلى الطريقة التي علمها لكم "أغشتين"؟

وأما تحكمك في الانفصل: فاننا ينبغي أن حكيت كلامك، وفهمت مرادك. • وذلك أنك وجهت على نفسك، كان قائلًا قال لك: لم جعلت الآفتيين ثلاثة، وأسماء الله تعالى أكثر من ذلك: فانفصلت عن ذلك، وقبلت: أسماء الله تعالى. • وإن كانت كثيرة: فاننا ترجع إلى هذه الثلاثة، فتغاهر وقوى وغفرونا: وأشهد نرجع إلى القدرة، وغفور ورحيم، وما أشهدنا: نرجع إلى الإرادة. • هذا هو مقتضى كلامك بعد التكرار والتأثر، وهذا كان يحكم بما لم يقدم لك عليه دليل، ولا يشهد له من كلامك نظر، ولا تعليل.

والأيضا الذي يدخل على أن أسماء مختلفة الفهمات والحقائق، راجعة إلى معنى واحد؟ فإن جار أن ترضي الأسماء المختلفة الفهمات إلى معنى واحد بالتحكيم، جار أن تقتضي بعكس ذلك، وهو أن ترضي الأسماء المترادفة على معنى واحد إلى معان مختلفة، وذلك لا يقوله الغني الجاهل، بله الكيس الفاضل. تقول على جهة السؤال، وله ينظر تحكمك في الانفصل: لم تنظر على من يلزم أن جميع صفات الكمال مثل القدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام والحياة والقدم والبقاء، وغير ذلك من صفات الكمال والاستغناء: هو آفتيين الموجودات وآسولها؟ فإن المكتات إنما يبذل عدمًا بوجودها مبجدة موجود متصف بصفات الكمال، ومنه عن صفات النقص، والانتقاد. • وأن تتصف بصفات النقص والانتقاد، كان يحتاجًا إلى مزيج النقص.
الله، ومن كان محتاجاً كان ممكنًا، وكل ممكن فلا بد أن يستند وجوده
إلى سبب واجب الوجود، فحال من هذا: أن صفات الكمال
والاستغناه كلها لا يصح ايجاد موجود محدث إلا إذا أتى بجميعها.
وأن من لم ينصف بها فلا يصح منه ايجاد موجود، فاذن هى أصول
الموجودات الممكنة، فاذن هي أثاثيم على تولك.

وسيأتي مزيد كلام في الأفانين، ثم نقول: أن قضيت برجوع
هذه الأسماء بعضها إلى بعض مع تباني مفهوماتها، واختلاف معانيها،
فلم لا ترضى الارادة إلى العلم، وبرجوع العلم إلى التجريد
عن المادة كما زعمت الفلاسفة؟ ولم لا ترضى برجوع القدرة إلى
الوجود كما قد ذهب إليها طوائف من النصارى المتقدمين؟ فقد كان طوائف
منهم لا يبعدون القدرة أسفماً، وكانوا يردونها إلى الوجود، وكانوا
يردون الارادة للحياة، فالاثاثيم على تولك: الوجود والعلم والحياة،
وسيأتي حكايته مذهبهم أن شاء الله تعالى.

وأذا كله يدل على أنكم في عقائدكم متحكون، لا ترجعون فيها
إلى أصل عليه تعالى.

وأما سؤال الثاني الذي وجهت على نفسك، فهو عدد عليك، ولازم
ذلك، ولم تتفصل عنه: على أنك أطلقت به، فإن الذي يعترض به عليك:
أكثر من قدم وحي، إذ قد يرد عليك الوجود، فإن أصل الأفانين
والسمع والبصر، فإن لا يصح رجوعها بحال إلى العلم، فإن العلم لا
ينوب عن الارادة، فإننا بالضرورة نعلم الفرق بين العلم بالصوت،
وسمع الصوت، وبين العلم بالمرئي، ورؤية المرئي، مثل ذلك:
أنا نعلم معلوما على غاية ما يمكن من العلم، ثم إذا رأيت حصل لنا
بالضرورة، فسجد وضوح، ومؤيد ببنية على العلم به، وكذلك في المسموع،
فذلك المزيد، والتلك المزيد، أما أن نقول: إن الله يبارك وتعالي مدرك
لها، أو ليس مدركا لها؟ فإن لم يدركها، فقد فاتته بعض المزايا، ولم
يحصل له ذلك الوضع فيكون من يدركها، وحصل له: أتكمل مع لم
تحصل له: فيؤدي إلى أن يكون الخلوق أكمل من الخلق، والمصنوع
الشرف وأتم من الصانع، وذلك محال، وان كان مدركا لها: فذلك
الاوناب يسمى بصيرا صيماً، وهو زائد على العلم، فإن العلم لا يغني
 عنه كما تقدم، ولستا نشترط فيهما بنية مخصصة، ولا جارحة ولا
اتصال الصحمة، بل تنزه الله تعالى عن كل ما يوهمن النقص والنقصور فيه.
والكما كما على لئwed rates في كونه تعالى عالماً: قلباً، ولا دماغاً، ولا في كونه، قادراً: بنية، ولا آثة، بل السمع والبصر أدرآك، أعني: صفات متعلقتين بالسمع والبصر، على ما يعرف في موضعه.
 فإذا تبين أنهما لا يرجعان إلى العلم، فعودهما أسماء زائدين على ما ذكرتم، وهذا ما لا محيض عنه، ولا جواب عليه.

وأما قوله: » وكل اسم للذات انما يؤدى معنى واحداً، لنفي ضده،« فكلام من لم يحكمه الاعتبار، ولا عرف اصطلاح النظر. وذلك أنك أطلقين صفات الذات، وصفات الأفعال على ما لم يطلق عليه النظر، ولا استعمله في نظره أحد من علماء الأمصائر.

ونحن نذكر ب슷اح النظر المعتمرين في صفة النظر، والأفكار.

في إطلاق هذه الأسماء، ليتبين للواقف على هذا الكتاب: أنك لم تعرف شيئاً من اصطلاحاتهم، ولا حظت على شيء من مفهوماتهم.

قالوا: انما تطلق الأسماء بحسب المسميات، والسميات ما ذات.

وقد يقال عليه: اسم الإضافة: مثل خالق، ورازق، وما أشبه ذلك.

فحصل من التقسيم: أن الأسماء على أربعة أضرب: أسماء ذات.
وأسماء صفات، وأسماء سلوب، وأسماء أفعال. وقد يقال عليها:
المعتبرين، فإن كنت اصطبحت مع نفسك على غير ما تعارفه النظر، فنحن في شيء مما كان عليه العلماء والأحبار، فتتكلم باصطلاحك مع نفسك، ولا تتخابه به أحداً من أبناء جنسك، ولا يظن الظن أن هذا السائل، أراد باسم الأفعال: الأسماء التي لا يوجد الفعل إلا بها. مثل العلم، والقدرة، والإرادة. فإنه قد جعل من أسماء الأفعال، ولا يوجد به فعل كسميع وبصير وغيرهما مما ذكر. وفيما أحسب: أنه أراد هذا المعنى، ولم يساعده العبارة فعليه، وعنى.

وأما قوله: "حي لنفي ميت، ورب لنفي مربوب، والله لنفي مالوه" فكلام مجهول معتوه. فإنه أن جاز أن يكون حيا من أسماء السلم، والنفي، فما المانع من أن يكون العلم من أسماء السلم؟ فإنه يمكن أن يقال: عالم لنفي جاهل، ومريد لنفي كاره، وقادر لنفي عاجز. وهكذا يجري في جميع الصفات والأسماء، التي لها نتائج، وذلك يؤدي إلى جهالت، وجذو المتقولات، وأيضاً، فإن كانت الحياة سببا، فهناك أن تكون شرطا للعلم والقدرة والإرادة وغيرها، وكونها شرطا لهذه الصفات، معلوم بالضرورة، والنفي لا يكون شرطا، ولا شروطا.


وأما قوله: "رب لنفي مربوب" فقول مختلف عقله، ملغوب. فإن الررب معناه: الملك. فهو من أسماء الأضافة والأفعال. وأما الآخر فهو من الآلهة، وهي العبادة، فهو مالوه، أي معبود آلهة عبادة، فهو من أسماء الأفعال والأضافة.

وأما قوله: "وكما أنا قد فهمنا أن نفس الإنسان، لا يقوم لها فعل إلا عن ثلاثة" من ذلك فهمنا عن خلافتنا: أن تديره بتنا عن ثلاثة، فقوله يبدل على سوء نظرك، وقائلة تويسه: وذلك أن مفهوم ما ذكرته في هذا.
الفصل على تثبيجه وسوء ترتيبه، هو أنك قلت: أن الإنسان لا يتأنى منه فعل حتى يكون قادرًا عالما مريداً. فإن نفسك منها واحد، لم يصح إيجاد الفعل منه. فكذلك خالقتنا سبحانه وتعالى هو قادر عالم مجيد، ولو نقصه منها واحد لم يصح منه إيجاد فعل كالإنسان. هذا مفهوم كلامك على كثرته.

وهذا كلام فاسد، لأنه قياس الغائب على الشاهد، إذ هو قياس خال عن الجمع. وأيضًا فلو كان هناك جامع لكان بإملا فانه قياس جزئي على جزئي، وذلك إنما هو صالح للنظريات، لا للعمليات، ولو جاز قياس الباري سبحانه على خلقه، للزم الذا يكون قادرًا حتى يكون ذا آلة، وعصبة، ويد الجارحة. فإن الواحد منها لا يكون قادرًا حتى يكون كذلك، وكذلك كان يلزم الذا يكون عالما حتى يكون ذا قلب ودماغ إلى غير ذلك من المجالات، ويلزمك على مساق قولك، أن يكون الباري تعالى جسما. فكما كما لم تر موجداً، ولا فاعلا لفعل، الذا قادر عالماً مريداً، كذلك لم تر فاعلاً، ولا موجودا الذا جسمًا. وهذه جهلات لازمة على قولك، ومنتجة عن جهل جهلك، فلا تنتفع بهذا الكلام حتى تسره على مئات النظراء الأعلام. ولو تبتعنا خطاك في هذا الفصل، إطالة الكلام، ولكن عليك التوضيح واللام، لتصنع النفس فيك الوقوف على نسبته معانيه.

***
دليل التنقليح

في حكاية كلامه أيضاً

قلت: "فان سأل سائل من المخالفين فقال: فما الدليل على صدق ما تدعون من تنقيح وحدانية الخالق. وكيف يمكن أن تكون الثلاثة واحدة والواحد ثالثاً، مع ما ابتدعتم به من القول وأثبتتمي إياه فرداً لم يزل؟"

قلنا لهم: "أما أن تكون الثلاثة واحدة، والواحد ثلاثة، فلذلك لعمري ما لا يمكن كونه. ولكن نقول: أن جوهرًا قدماً لم يزل موجوداً بثلاث خواص آزليات: جوهرات غير صفيات، ولا متماثلات في الجوهر القديم الأزلي، الذي لا يتبضع، ولا يترجأ بعينه، وكماله فلا هو ثلاثة، وجميع الثلاثة: خواص، هي بمعنى ما هو واحد، ولا هو واحد، بمعنى ما هو ثلاثة، أعلى ليس هو خاصة واحدة، بل ثلاثة خواص، لذا مذهبنا في تنقيح وحدانية الخالق".

الجواب عنه: هذا السؤال الذي وجهته على نفسك، وارد عليك، ولازم لك، وأما انفصالك عنه، فخرجك عن ملة النصارى، ولا يبقى عليك منها بقية. وذلك أن مرادك من هذا الجواب: أنك قد كلاماً معناه أن تكون الواحد ثلاثة، والثالثة واحدة، غير جائز عقولاً. ولكن معنى التنقليح: أن الله تعالى جوهر قدماً لم يزل موضوعاً بثلاث خواص أوليات، فهو واحد بمجموع الأفانيم، وكانت بتفارق الأفانيم. وذلك الأفانيم لا تفارق وجوده، ولا تباينه، ولا يمكن أن يحمل كلاملاً على هذا، وإن عمل على غيره فهو بعيد وغير مفيد.

وهو الذي ذكرت، لا يسأله لك أكثر النصارى، بل يتبأرون عنه، ولا يرضون بشيء مما اذ نصارى تبناه، أكثرهم متفقون على أن الأفانيم الثلاثة آلية، وأنها الواحد فالتقول: هي خواص، وهم يقومون بألوية ؛ فتأي شيء يجمع بين الخاصية والإلهية، وبينهما ما بين السماء
الأرض، والرفع والخفض، وسيضح ذلك إذا نقلنا مذاهبهم في ذلك.

فإن شاء الله تعالى.

ثم نقول لهم: لأي شيء تحكمتم بتسمية خالقكم جوهرا؟ وفي أي موضوع كتب الأنباء وحددتم الأمر بذلك؟ أو على لسان من تكلم الأمور به، ولا تجدون لاثبات الأمر بذلك سبيلا غير التحكم؟ ولو كنت من يستحي من الله لما تحكمتم عليه بأن سميتكم بما لم يسم به نفسه، ولو أن واحدا منكم سمى له ولد بغير أمره، لأنف من ذلك، وعظم عليه، ولوبخ السمى لأنه تصرف فيما لا ينبغي له. هذا إذا كان الأسم مما يفهم منه الدجو. فما ظل ذلك لو سمى بلقب يفهم منه النقص والعيب ولفظ الجهو. في التعارف عند النظر وغيرهم يطلقونه على التحيز، وهو الجرم الشاذ قدرنا من الساحة. ولا بد له من الحركة والسكن، وهما خليلا تغيره، وحدوده، فإن أردت بهمعنى آخر فلا بد من بيانه إذ لم يتلكم بما تكلمن به أرباب النظر، المخللون سبيل العبر.
الفصل السادس

في بيان احتلالهم في الأقراص

نبيت في هذا الفصل مذاهب أوائلهم، ونذكر معهم فيها، ونوضح مسائلهم فيها عن شاء الله تعالى، ونذكر مذاهب الفاظهم كما وجدتها في كتبهم. ولم أعمل في ذلك على نقل علمائنا عنهم فقط، بل نتبتبي ما أمكنني من كتبهم والله والموثق.


وقد تمت الأعراض المشتقة في الجوهر كالسوسود والبياض، وما أشبههما، لا تقوم أشخاصها مكتفية بذواتها دون الجوهر اللازم لها، فالاقناع هو المستغنى بهذاته عن أصل جوهره كالإنسان المستعنى بخاصية انسانه عن الناس والشجرة عن الأسنان والدينار عن الدنانير، فامتتنا أجزاء الإنسان من القيام أشخاصا لاضطرارها وعجزها عن القيام بذواتها: كروحة العاجزة عن القيام بتحديدها أنسانا دون جسمه ونقطته، وكذلك نطفة خجسمه، يعجز كل واحد منه عن القيام بتحديدها أنسانا دون روحه، وذلك لاضطرار كل جزء منها إلى صاحبه في القيام بانسانيته.

فأذا تقرر هذا، فحاجة الله ونقطته لا يخلو من أن يكوننا جزأين من جوهره، كما هو عن الإنسان، أو غير جوهره، فإن قالنا: هما جزءان من جوهره ألمشاه ما يلزم الإنسان من الاضطرار والتأليف، لأننا وجدنا..."
جزاء الإنسان لاضطرار بعضها إلى بعض تقصر عن احتمال أسماء الأقليم، وهذا يستحب على الجوهر الأزلي، إذ هو متعالى عن الأجزاء والتأليف والتركيب والأعراض، فأوجبها أن تكون خواصه لغنائه وكمالها، تسمى أقليم قائمة بخواصها، مستحتبة الذي توصف به الجوهرة قديمة كخدمه، لا جزآن مركبين، ولا عرضين منفصلين، لأنه لم يزل حيا، وناطقا بكلمةه.

ومن زعم أن الحياة من الله، والنطق منه: محدثان وصف الله تعالى في أزليته بالموت والجلب، وان ينما: حياته ونطاقه غير جوهره أزلياته، فقد أدركنا مع الله في أزليته غيره فذلك يسمى كل واحد من الروح والكلمة جوهرية خاصة، فوجب أن يكون جوهر الخالق تعالي: أقليمو، خاصاً، قائماً كاملاً بحصيبة لم يزل، ونطاقه الذي هو كلمته أقليمو، خاصاً، قائماً بحصيبة لم يزل، وروجة أخرى حياته: أقليمو، خاصاً، قائماً بحصيبة لم يزل، وهذه ثلاثة أقليم معروفة بعمانها، لا مختلفة، ولا متركة، ولا متشابكة، جوهر واحد، ذات واحدة.

هذا كلام صاحب «الحروف» وهو عندهم التقيد المعروف.

ولقد رام تقصين مذهبلهم، وتبيين مطلبهم، ولكن لا يستوي الظل، والعود أروع، ولا يصلح المذهب وقائله أهوج.

* وهل يصلح المطار ما أفسد الدهرَ.

وهم مع ذلك فيما ذكرناه من الأقليم مختلفون، والحيصة عموم.

هذا صاحب كتاب «المسائل» يقول: هذه الثلاثة أقليم.

* متوحدة لأجل الآب، متساوية لأجل الأبن، منتظمة لأجل الروح.

* تفتيماً: أن الآب: أب، لأجل أنه ذو ابن، والابن: ابن، لأنه ذو أب.

* والروح القدس: مفتقي لأنه من الآب والابن، فالابن: أصلية الألهية، لأنه كما لا يحل فعل أن يكون لها كذلك لم يخلو قط أن يكون أباً، الذي الأبن منه مولود، والروح القدس منه ليس مولوداً لأنه ليس من شؤ، بل إنه منبعث من الآب والابن الله.
وأقنعتم الآب غير أقنعتم الآخر، وأقنعتم الآب غير أقنعتم الروح القدس. لكن التثليث المتضمن ذات واحدة، الله واحدة. وهذا
 تصريح بأن الأقانين: آلهة، وأن كان واحد منها غير الآخر.

وقد ذهب شبيليش إلى أن الثلاثة الأقانين، ممترزة في
 أقنوم واحد، وهو عند كثير منهم مفاخر، وكالفكر. وقد ذهب
 آريش إلى أن الهيئة الأقانين مخزونة ومتبعة الذات، وهو عندهم
 مفتتر خارجي» 100.

 وقال صاحب كتاب المسائل: «لسنا نؤمن أن في التثليث
 شيئا مخلوفي، أو خادما كاذبًا، أو نشأء دنونيشيش»، أو غير معتزل
 كتول «أونوميش»، أو ناقض الامتينان كتول «أونفس»، أو قدما
 أو مؤخرا، أو مخربا كتول «آريش» ولا ذا جسد كتول «مالمة»
، و«ترتليان» ولا مصورة بالقدرة كتول «أريش» و«نرشيش»
، أو مجوبًا بعضه عن بعض كتول «أوريان» ولا مرابيا من المخلوقات
، كتول «فرشاط» ولا متفرق الأرادة والموائد كتول «مرحيون»
، ولا ممتنعًا من ذات التثليث إلى طبيعة المخلوقات كتول «فلانون»
، و«ترتليان» ولا مخبارًا في رتبة مشتركة في آخرى كتول «آريان»
، ولا ممترزة كتول «شبيليش» بدل كله كامل لأنه كله واحد، ومن واحد
، لا تعدد، كزعم «شلبانش» 100.

 وإذا وقفت على هذه الأفكار الضعيفة، والآراء السخيفة،
 لم تشك في تخطبهم في عقائدهم، وحريتهم في مقاصدهم. قالوا في
 الله تبارك وتعالى بأرائهم، واتباعوا فيها ظاهرة أهوائهم، فهم في ريبهم
 يتبردون، ويجاهلهم ممتدون، وبضلالهم مفتدون.

 ولما رأينا هذه المذاهب الركيبة لا تستحق أن تحكي، بل يضطرك
 من ذهاب عقول آربابها وكتبها، أعرض عنها أعراس المطلع على عوره،
 أمام من يخف جوره، فعزمت على نقل مذهب كبرهم «أغشتين»
، فان مذهبه في الأقانين: مقارب في الصفات مذهب المسلمين.

 وذلك أنه قال بعد مقدمة كلام برجي: خامله إلى ما ذكره:
 (1- الأقانين)
لما أثر علماء المجوس بالقوة الماسكة لكل شيء، وأراد بعضهم أن ينزلوا جهرا غير حي، ولا مثمن بنفسه، وجب علينا أن نحتاج عليهم بما يضمه إلى الاستمرار بأن تلك القدرة ذات علم وارادة أُهم.


قال: وأما قوله: أن القدرة والعلم إنها هي أعراض لا زمنه فيها، بينه وبين الخلق، وإنها مثل الرحمة والحكم. فاننا نحتاج عليه في ذلك بأن نقول: ليست تذكر أنه كان قبل الأشياء، ودون الأشياء، فلا بد، فإن نقول أن تذكر أن تُتجَدَد أنه كان أبدا قادرا، فإذا أثمرت أنه لم يزل قادرا، فقد أُثرَت أن القدرة صفة أزليَة، فإن قلت: أنه لا يجوز أن يسمى قبل أن يكون الشيء المقدر عليه. وإنما يسمى قادرا بعد كون الشيء المقدر عليه. قلت: أهلا أن يكون قادرا على أن يقدر أم لا، فلا بد لن كن أن نقول: كان يقدر، فيلزم وصف بالقدرة على كل حال.
وكل ذلك قولنا في العلم والإرادة، وقولك: يرحم، ويعف ويعظم.
ليس مثل قولنا: يقدر ويعمل ويريد، لأنك لا تقول: كان أبدا يرحم.
وكان أبدا يخلق، ولا بد من أن تقول: كان أبدا يقدر، وكان أبدا يعلم، وكان أبدا يريد»اءه.
ثم قال بعد كلامه مع الفلاسفة: فنحن لما نصفه بالعلم والإرادة، لم نصفه بمدبر ولائياء.
ثم قال: ان قلنا عرفناه بوحدانيته، وعلمناه بذاته من غير نظرنا إلى فعله، والد على قدرته وعلمه وإرادته، فقد كتبنا لأنه لا يقدر أحد أن يقول: أنه وقع على معرفته إذا بما نظر إليه من خلقه، وتنكر فيه من حكمه، وبعرفته بنفسه، وكل هذا اقرار بالثلاثة الأقتصام التي ذكرنا، لأننا لما وجدنا الخلق الذي لم يقدر أن يكون بنفسه وجب الإقرار بالشئ الذي قدر أن يكون، وهي القدرة التي سماها علماء المجوس: الهولم. ثم لما نظارنا إلى تدبير الخلق وجب الإقرار بالعلم والإرادة، لأن التدبير لا يكون إلا من يعلم ويريد، فثلاثتها اسم لا واحد، ونعت تدبر فرد، ولا تجد هي غيره، ولا يوجد هو غيرها.
فهذا قولنا في الثلاثة الذي رفضه الأئمة، وأمر بالإيمان به، وسماه بالسنا المجري: الآب والابن والروح القدس»اءه.
فهذا كلام هذا النسج، والنصاري يعتبرون بأنه أعرفهم بديينهم وأعلمنهم بشرههم، ويقينهم ينص على أن الأقتصام الثلاثة صفات ونوعت للواحد الفرد، ولا يقال فيها: أنها هو، ولا هي غيره، وهو لمحمي من المسدين في هذا النظر إذ قد سلك مناهج البحث والبرهان، ولقد فارق العلماء، وتبعد عن الملة التسارية، إلا أننا نزاهم نزاعين أحدثهما: في تسبيحة هذه الصفات: الآب والابن والروح القدس، على ما تقرر، وهذا نزاع لم يئن ليسم بكبير، ولا له حظ خطير، والنزاع الثاني: في أنه قصر الأقتصام على هذه الثلاثة، ولم يعد الحياة فيها كما فعل غيرهم منهم، وكذلك الوجود الموصوف بهذه الصفات لم يعد أقنتهما. وقد صرح بأنها صفات ولا بد للصفات من موصوف بها بالضرورة.
وسنصرف عليه بالرد إذا تكلمنا مع غيره أن شاء الله تعالى، ومع
هذه فقد سلك هذا الرجل مسلك أرباب العقول، وتبنا من جهالة كل
جهول، وإذا كان كذلك فسربنا أن نتكلم مع الذي صدرنا هذا الفصل
بذكر كلامه، فإنه كثير الفساد، مضرب عن الرشيء، ويتضمن الرد
عليه، الرد على غيره ممن يقول مثل قوله، أو ما يقاربه، مستعينين
بالله، متوكلين عليه.

الجواب عن ما ذكره المصدر كلامه:

نتعلم أيها الناظر في كتابنا: أننا يمكننا أن نناقش هذا القائل،
كما نناقشنا السائل، فإن كلامه كثير الغفلة، ظاهر التكلف والشطط.
لكننا تركنا مناشته الفظية، وصرفنا المناقشة للمباحث العينية
كراءة إلا لكثير ومحب للإيجاز والاختصار، أيضا، فإن نفس الله في
العمر، وصرف عن عوائق الدهر، فضرب عليه في كتاب مفرد أن شاء
الله تعالى، أبين فيه غلطاته، وأوضح جهالاته، وسقطاته، بحول الله
وقوته.

فنقول له: لا يشك عاقل سليم الفطرة: أن خالق العالم موجود.
ليس بمدموم وقد اعتبرت بأنه حي عالم، ومن لم يعرف بذلك أقيمت
عليه البراهين القاطعة، فإذا تقرر ذلك، فلنا: فجمهه أنه حي،
هو عين مفيوم أنه عالم، أو غيره، فإن كان إليه فقولكم: حي،
عالم كقولكم: حي، حي، حي، أو عالم عالم، وإنما المعلوم
ضرورة، ولو كان عينه، لاختلطت الحقائق فثبت أنها متناقشان متعددان.
فذا ثبت ذلك، فاما أن يرجا إلى الخالق سبحانه وتعالى في قولكم:
إنه حي عالم، أو لا يرجع، فإن لم يرجعا لم يصح الأخبار عنه
بهما، ولم يكونا وصفين له، فثبت أنها يرجعون إليه، وإذا ثبت ذلك
فاما أن يكونن من أوصافه تعالى النفسية أعنى الذاتية، فإن كانا من
أوصاف النفسية آدي ذلك إلى أن يكون ذاته وماهية متراكبة متبوعة،
وذلك محال على ما تقرر فيما تقدم من كلامكم.

وأيضاً أو عقل كون العلم والحياة من الأوصاف النفسية في محل.
عقل ذلك في كل محال، ويلزم من ذلك كون العلم والحياة من صفات
نفسنا، وذلك معلوم البطلان بالضرورة.
وأيضاً فلو جاز ذلك للزم أن يكون العلم والحياة قائمين بنفسهما، 
أعني موصوفين، لأن جزء القائم بنفسه، قائم بنفسه. وقد تبين 
بالأتيان الاقطان: أن الباري تعالى قائم بنفسه، والمقول من العلم 
والحياة أنهما صفتان، لا موصوفان. فإذا تقرر ذلك، وثبت لزم 
منه أنهما زائدان على النفس، فإذا ثبت ذلك. فاما أن يبقوا به، 
أو لا يبقوا به، فان لم يبقوا به لم يتصرف بهما، ولو جاز أن يتصرف 
فيما لا يقوم به، لجاز ذلك في حقنا، فكان يلزم عليه، أن يكون علم 
زيد. يتصرف به عمرو، وذلك مجال ضرورة. فذال ذلك على أنهما 
قائمان به، فإذا قاما به، وهو وجودان زائدان على الذات حصل من 
ذلك كلها: أن ذات واحدة لا تركيب فيها، ولا تعدد. وإن صفاته الزائدة 
هي المتعددة، وهذا لا احالة فيه، بل هو الحق، الذي لا يغبار عليه، 
ولا بد لكل ناظر من الروجوع، وإن تختبئ اليه، فهذا ينبغي أن تفهم 
صفات الباري نبارك وتعالي، وتقديس وتثنزه عما يقول الجاهدون، 
ووالكافرون علوا كبيرا.

وهذه الطريقة البارهانية تجري في كل سما يدعى نبواتها للباري 
 تعالى. وبعد الانتهاء إلى هذا المجال ينوي. هل أوضاءه أزليته، أم ليست 
أزليته؟ والحق أنها أزليته، ولا محرز أن يكون شيء منها حادثاً 
اذ لو كان شيء من صفاته حادثا للزم عليه أن يكون مجازا للحوادث، 
وإذ لزم على ذلك حدوثه تعالى، وهو مجال، على ما يعرف في موضعه. 
فذا تهمد هذا الأصل، فلنا بعدم المتكمل معه: الأنثني عنكم 
لا تحمل من أن ترجع إما إلى صفاته النفسية، أو إلى صفاته العرفية، 
أعني الزائدة على النفس، ولا واسطة بين التسمين، فإن رددتوبها 
الي القسم الأول، لزمكما ما تقدم من الحالات، حدو النمل بالنقل، 
وان رددتوبها إلى القسم الآخر، فلأ يعرف قلتم في حد الأنفوم: 
أي الشيء المستغني به ذاته عن أصل جوهريه في اقامة خاصة جوهرية؟ 
وهل المفهوم من هذا إلا أنه صفته نفس، لأن المستغني به ذاته عن أصل 
جوهره الذي نعبر عنه بالقائم بنفسه، ويعبر عنه غيرنا من 
النظر بالوجود، لا في موضوع.

وأيضاً، إن كان أراد هذا القائل أن الأنفوم هو الصفة الزائدة 
على الذات فيلزمه أن يجعل الأعراض أقائيم، فإنها زائدة على الذات.
وفي عجيب أمره أنه أنزل من قال إن العلم والحياة غير الجوهر: الأشراك به، وأي أشراك يلزم من قال: إن صفات المنزل زائدة على ذات الموضوع بها؟ وكيف يمكن أن يقول عاقل: إن صفة الزائدة على الجوهر، إنها عين الجوهر؟ وهل قال هذا إلا جاهل، أو متجاهل؟ فتحمل من هذا كله: أن الأقليم لا يصح عندهم أن تقال على الصفات النفسية ولا على الصفات المحوية. ولا يعقل هذا أمر آخر متوسط بينهما، فقالوه في الأقليم غير معقول، فكانه قول مجنون. مخالب.

ثم نقول لهذا القائل: لأي شيء لم تجعل القدرة من الأقليم، كما ذهب اليه مهتمكم الأقدم، وأسفكم الأزم (أغتشين) فتكون الأقليم أربعة؟ فإن قال: إن القدرة ترجع إلى الوجود كما صرح بذلك بعضهم، فقوله مخالف ذلك: ولم ذلك؟ وهل لا يرجع العلم والحياة إلى الوجود وما الفصل بينهما؟ إلا محض التحكم؟

وكذلك القول في الارادة ترجع إلى الحياة.
قيل له: إن صح ذلك فليرجع اليها العلم، وإن جاز شيء من ذلك فلتتوجه كل واحدة من هذه الصفات إلى الأخرى، ويرجع الكل إلى الوجود، والوجود هو نفس الذات، فتوجه الأقليم الثلاثة إلى واحد، وهو مجال على ما تقدم لكم، وعليكم، ويكون هذا أيضاً قولنا بامتزاج الثلاثة الأقليم في الفنون، فله كنفول الخليفة)،(سباليش)، وأنتما لا ترضون شيئاً من قوله، ولا يذهب به.

ثم نقول: لأي شيء تحكمتم، بأن الأقليم ثلاثة؟ وهل أضفتم إليها القدرة والعلم والسمع والبصر كما تقدم الكلام عليه؟ أو قلها اثنان، وحدم انصرارهم على سعد أنصارهم، ولا حجة لهم في هذه الواطن كله، إلا أولى من التحكم، فبينما أذن أن يتكلم معهم على جهة الفنقة والتهكم، وعائتيهم في ذلك: إن يرجعوا إلى الاستقراء والتهليه، وهما في المعتقدات: طريقاً الخطا، والتفصيل.

ثم نقول: هذه الأقليم الثلاثة قد قلتتم: إن كل واحد منها مستغرق بذاته عن أصل جوهره، وإذا كان ذلك، فلما أن يكون كل واحد منها
الله، أو جزء الله، أو يكون مجموعهما: الله واحداً، فإن كان جزء الله،
لزم عليه: أن يكون الله متراكباً وبعضًا. ويلزم، على ذلك: أبطال
النتل، الذين يقولون به، ويلزمهم على ذلك: الانتزاح الذي ذهب
الله. شباشيش» وأن كان كل واحد منها الله بانفرادها، لزمهم على
ذلك أمور كثيرة، مشينة، باطلة. ومنه أن يكون كل واحد من هذه الأفكار
حيماً عاملاً، مرتداً موصوفاً بصفات الكمال. إذ الله هو الموصوف
بصفات الكمال، التعالى عن صفاته النبوية. فإذا الصفة ذكر، فلزم
لزم أن تكون الصفة بالصفة. وإن جاز ذلك جاز أن يقوم العلم
والمقدمة، والإرادة والمقدمة للعلم، والمقدمة والحركة، والمقدمة والمقدمة للعلم، بالمثالي إلى غيرها. فلا يرضى بسمعها فاسدًا. وإن جاز
قيام الصفة بالصفة، جاز أن يقوم بالصفة صفة. ولتلك الصفة صفة،
وينسج، وما يشمل، لم يتصل، ويلزم عليه: أن تكون الأفكار
لا نهاية لها. إذ العلم يقوم به حياة، وللقمر إلى الحياة حياة بحياة، إلى غير
آخر. ومنها: أن تكون المقدمة قادرة في المقدمة، والمقدمة علم علم، والحياة
حياة بحياة، إلى غير ذلك من الصفات. وهذا غير معقول. فإن العلم
والمقدمة، وسائر صفاته المعاني: إنها توجب أحكامها للمحال التي تقوم
بها، لا لأنفسها. والعلم لا يكون عالماً، ولا قادراً، وكذلك المقدمة
لا تكون عالماً ولا قادرة، وكذلك سائرها، وإنما العالم والقادر والمريد
والحي: هو الذات الذي تقوم به هذه الصفات. وهذه معلومة من غير
أسباب، ولا أطباب.

ومنها: أن يكون الله صفة لموصوف. فإن المفهوم المفصول من
هذه الأفكار أنها صفات لا موصفات على ما تقدم إلى أمور كثيرة
ينقول الكلام بذكراها.

ثم نرجع إلى بقية التصفيق. فنقول: وإن لم تكن هذه الأفكار
حية، ولا عالمة، ولا قادرة، فلا تكون الله. وقد أطبق العنصر
على أنها ألمة. ويلزمهم أن لم تكن الأفكار موصوفة بهذه الصفات
ووصفها بأصدقها أو بالألفاكن عنها أن لم يوصف بحياة وصفت
بالإنسانك عنها. والنقل عن الحياة حياة. ولهعلم عليه: أن يقولوا
بالله، أمورها. وكذلك يلزم في صفات الأفكار.
وقد كع المصدر بكلامه عن هذا الالتزام، وصعب عليه المرام، فتكلم بما لا يعقل فليته سكت، ولم يتقول، وبعد الخبط والتأوه، قال: هذا مالا يجوز لنا به التفوه، ومن أراد أن يقضي العجب العجاب، فليقف على ذلك الكتاب.

وتلخيص ما ذكره في الانفصال: أن قال: ان قلنا ان الآب نيس يحيا، كذبنا، وإن قلنا هو الحياة أبطلنا، فاذا كان ليس حيا، وليس بحياة، وجب أن يكون حيا بلا محالة، وكذلك قال في العلم والحياة.

ومن أفضى به إلى هذا الهذيان بحثه ونزاوه، فقد تعين تركه وانتظاعة، وحسب في شر سماعه، وذلك كله يدل على أنهم ليسوا من العقلاء، ولا معدودين من جملة الفضاء، بل قد انخرطوا في سلك الحكماء، الجاهلي الأغياء، فهم قد جعلوا الهم هواهم، فأضلهم لذلك وأرداهم، فهم كما قال الله العظيم في محكم كتابه الكريم: أرأيت من أخذ الله هواه، أفانت تكون عليه وكيلا، أم تحسب أن أكثرهم يسعون أو يعقلون، ان هم الا كالأنسان، بل هم أصل مسبيلًا»(1).

وأما حكايته صاحب كتاب "المسائل": فتكلم يدل على أن القوم ليس فيهم مستحى، ولا عاقل، كما كانوا العروضات، وجدوا المقولات، تارة يتناقضون، وأخرى يتوافقون، افتراء على الله، واستهانة بحرم الله، وحسب دليلا على ذلك: اختلافهم في البديعات هنالك، وقد كتبت النظر فيه لظهور تناقضه، وفساد معانيه، فإن غاية الناظر في كلامه: أن يلزم من المجال والتناقض مثل ما صرح بالتزامه، ومن أنكر الضرورات، وارتقب المجالات، فدار المرضى والمجانين، أولى به، والباقي: من استغله بالمقولات.

* * *

(1) الدرقان: 43-44
في باب هلهم في الإتحاد والخلال وإبلق قايم فيها

* اتحاد الكلمة
* معنى الإتحاد
* الواسط بين الله وبين موسى
* تجسد الواسط
* كلام المتقدم
* مذهب "أغشتين" أذ هو زعيم القسيسين
الгласل الأول

الكابط

في حكاية كلام هذا السائل

قال السائل: «ثم نبدأ بالقول في الاتحاد» فان قلت: إذا كان التثليث عندكم أسماء أعمال لخواص قاتمة، والذات واحد لا ينقسم ولا يتبعض، فلم بعضاً دون الآب وروح القدس؟ ولم سميتموه: آبآ وروح القدس؟

اذكر أنها لما تعارفت القضايا بالأعمال، اختلفت أسماؤها كما تدامنا. فاختفت قضية خلق الخليفة بيد إلى القدرة، وسماه آبآ، وأضافت قضية الوعظية إلى العلم المتولد كلاما، وسماه آبآ، وانفردت قضية الوعظ بالحكمة دون غيرها، لأن المسيح اتخذ في الدنيا، للموعظة، لا لخلق الخليفة، لأن الله لو اتخذ جسم ليخلق به الخلق بيد، سماه الجسم: آبآ. وأضافت الوعظة إلى الآب، ولكنه اتخذ ووعظه الخليفة، والوعظ مضاف إلى العلم المتولد كلاما، فسماه: آبآ، فذلك قال الإنجيل: "انتصحت الكلمة، وسكنت فيها". فأفرد الكلمة بالاتحاد، لأنها الوعظة بالأمر، والنهي، دون القدرة، والإرادة.

فهذا أقصى شرح الاتحاد».

الجواب عن كلامه: يا عجبًا من بلاده صاحب هذا السؤال، كيف لم يحسن إذ تتبجع عليه المثال، وكثير عليه اللحن والاختلال، حتى أخل بمفهومه، وعدل عن السؤال، فصار كلامه لذلك كأنه كلام مجنون مخبل إذا تهذين، ولم يثبت فيما يقول، وذلك أنه وجد على نفسه في كلامه هذا: أسلطة انفصل بزعمه عن واحد منها، وتفاقل عن سائرها، جهلا من بورودها، وحيدا عن جوابها.

(1) النص في الترجمة الحديثة «والكلمة صار جسدا وحل بيننا».

(2) بحنا 1:14)
أحد الأسئلة أنه أراد أن يقول: قد قلت أن التثليث قد ردتتموه
إلى ثلاثة خواص، لواحد لا يتبعه، فلم يمض ما لم يتبعض؟
وثانياً: لم اتحد الأبناء بالسياج دون الآب، وروح القدس؟ وهذا
تضمنه كلامه حيث قال: دون الآب، وروح القدس، وثالثاً: لم
سميت المسيح ابنًا؟ ورابعًا: لم سيميت الله تعالى بأبا، وخاصمًا:
لم سيميت أرادة الله تعالى روح القدس؟

على أن ظاهر كلامه يدل على: أن السؤالين الأخرين أنما هما
راجعان إلى المسيح. ألا ترى أنه أعاد الضمير، أعني ضمير سيّمتها
عليه، لكنه لم يرد هذا، وبدلاً عليه، إنه لم يسم أحد منهم المسيح
أبا، ولا روح القدس، وإنما سموه إبنا، فتارة يقولون عليه، «ابن
الله» وثالثاً، وأما روح القدس، فقد تقدّم في
اصطلاح هذا السائل، أنه أراد به الإرادة. ومن اصطلاح غيره أنه
أراد به الحياة، ولم يقل قط أحد منهم: أن المسيح اتحدا به أرادة
الله وحياته، فلما وجه عليه نفسه هذه الأسئلة التي لم يشعر بوجه
لزمها، ولم ينفصل عن شيء منها أخذ بعد ذلك بزعمه يفضل بكلام
لا يلتمس، ولا ينصل، فاسهم في التكرار والتزداد، فصار كلامه لذلك
أبرد من الحديث معاد.

ثم قال في الجواب: ما كان قد فرغ منه، ولقد كان يستغنى عنه
قد قدمنا أن الأفتيين الثلاثة أنما سمعت بالابن والآب وروح القدس،
لاختلف القضايا الثلاث، فأصبح الخلل إلى القدرة وسمي إبناً،
وأضيفت الوعظة إلى العلم وسمي إبناً»، وهذا كلام مكر مستغنى
عنده في جواب ما سأل عنه، إذ لا تعلق له به، وإنما الكلام الذي يمكن
أن يكون جواباً لبعض ما سأل عنه هو قوله: «انفردت قضية الوعظ
بالحمة، دون غيرها لأن المسيح انما اتخذ في الدنيا للموعظة، وسكت
فينا، لا لخلول الخليلة. »، ولذلك قال الأنجل؛: «التتحتد الكلمة، وسكت
فينا،» هذا مقتضى كلامه في الانفصالية، بعد تلفيق عبد، وتهذيب
متبج السائل، ومع هذا فكلام هذا السائل لا يقابل التفاقيح من صاحب،
فان للفائق اتنعم على الراقي. وبعد تحرير هذا نقول:
قد تقدم جوابك عن أكثر هذا الفصل فيما تقدم حيث تكلمنا في
الأفتيين، وعلى أسماء الأفعال وعلى التثليث، وعلى القضايا الثلاث
بما يغنى عن اعادته، فمن أراد أن يحقق فساد هذا الكلام فليعد نظراً
فما تقدم. حوافِما الكلام معك هنا على قولك: »إنا أتحدث بالسليم
الكلمة التي هي العلم، لأن السليم أتخذ للموعظة« كيف يتمكن عاقل
من أن يقول هذا الذي ذكرته وعيسى عليه السلام قد اتخذ هذه الله تعالى
لإбриه الأكبر والأبرص وأحياء الموتى، وخلق الطير من الطين. وهذه
الأمور كلها لا يمكن أن تحق إلا بالقدرة والأراده. فقولوا: إنهم
حدثتنا به ولا فرق بينهما وبين العلم، ولا محض الجهل والتحكم,
لاسيما. وقد جاء في بعض كتبهم أن عيسى عليه السلام قال: »قدرتته
قدرتنا، ومشيئته مشيئتى.« أو قولوا: إنه عليه السلام كان يفعل
هذة الأمور الخلاقة للعادة بغير قدرة فيلهمهم أن يقرونها بغير علم،
ثم يلزمك على مساق كلامك أن يكون كل من أتخذ للموعظة من الأنباء
والعلماء أن يخذ بلحمة الإنسان.

وأما قولك: »إن الله ثم اتخذ جسما ليخلق به الخلق لسمى ذلك
الجسم أبا، فهو الزمام، فالله تعالى قد اتخذ الأرض
واللساء والهواء والنار ليخلق بهم المخلوقات، ولا يلزم من ذلك أن
يكون أبا، ولا أن يسمى أبا وهي أجسام.

وأما قولك: »فذلك قال الانجيل: »التحمث الكلمة وسكت
فينا. فلقد خالفت التنزيل، وحرفت التأويل، فهلا عليك، ستتر
على مكرك، ولم تلبس على نفسك وخصوصك. ولأي شيء لم تذكر
الكلام من أوله، وتسوته على منازله؟ أظن أن المسلمون ليسوا بكتبكم
عشرين، ولا لتعريفكم وتنبيهكم.« تاتهم. لقد فيهم من
تعرف منها الحق، الذي لا يعرفون، ويحقق منها الحق الذي
لا يعرفون، ويحقق منها ما أنت قرأه، كيف تحكم بها.

ومن ذلك أن هذا الكلام الذي حكيت عن الانجيل، وسلكت به
مساكل التجهيل، هو في انجيل (يوحنبا بن سبائىى) المصور بزعمكم
م بصورة عقاب، يقول عن عيسى عليه السلام: »من يقبله منهم،
وآمن باسمه، أعطاه سلطانا ليكونوا أولاد الله، وهم الذين لم
يتولوا من دم ولا شهوة لحوم، ولا شهوة رجل، لكن توالدوا من
الله، فالتحت المسمى، وسكنت فيها، ورأينا عظمته كعظمة ولد الله.

الفرد، المحشور رضوانا، وصدقًا»

هذا مساق كلامه في الانجيل، وهذا الكلام لا يستدل على ما ذكرت، ولا على غيره، حتى يعلم أن عيسى عليه السلام هو الذي قاله، وليس هو في الانجيل مرفوعا إلى عيسى، ولا صندا إليه، ولا مخبرا به عن الله تعالى وغايته - أن صح أن يكون موقوفا على (يوهنا) ومن قوله، وحائطا عن قول مثله، ثم لو سلمنا ذلك فليس بمعصوم، فإن المصممة انما ثبت للأنبياء، أو من آخر الأنبياء عنهم، أنهم معصومون، وهذا ليس ينبغي، ولا بلغ عن الأنبياء بطريق قاطع أنهم معصومون، وسيأتي الكلام على هذا في باب النبوات أن شاء الله تعالى.

ويتدقير أنه معصوم، فكتابكم قابل للتحرير والتغيير، فإنه لم تكمل فيه شروط التواتر فانه، وراجع إلى أخبار آحاد، لا تفيد علمًا على ما نبينه، وعلى التقدير: إن أتابيلام إنما هي أربعة عن أربعة(2)، كل واحد منهم لا يفيد خبره العلم بأنه خبر واحد، ومع ذلك نلو أنهم نواردو على نقل خبر واحد، لكن نقلهم لا يفيد البقين، فإن الخبر الذي يحصل به العلم البقين إنما هو التواتر حقيقة، الخبر المفيد للعلم بالخبر عنه، الذي تحيل العادة على ناقلها العقل والتواظر على الكذب على ما يأتي أن شاء الله.

وعلى تسلم أنه لا يقبل التغيير، ولا التحرير هذا الكلام ليس بنص قاطع بل هو محتمل للتوليد، وتأويله معضود بسياقة اللفظ، وذلك أن مساق هذا الكلام يقتضي أن كل من آمن بعيسى عليه السلام

(1) في انجيل يوحنا بن سبدي هكذا: »وأما كل الذين تغلوه، فاعتزལهم سلطاننا أن يصروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه، الذين وردوا ليس من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله، والمسمى صار جسدا، وحل بينا، ورأينا مجهده، مجدًا، كما لوحيد من الآب مطولا، نما وحنا. (يوحنا 1: 10 - 14). وبمعنى بصورة خاطئ لما جاء في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي عنه.

(2) متى ومرقس ولوئا ويوحنا.
فقد كنت تريد أن تستدل بهذا اللفظ على أن الكلمة اتحتت بالسيح خاصة، فليس لك فيه دليل، بل يدل ظاهره على أن كل من آمن به التحتم الكلمة به، وسكت فيه. وهذا شيء لا يتقولون به، ولا يذهب إليه أحد منكم، فهالا عليكم، فهمتم كتابه، وتدبرتم خطابه، وردتتم آخر الكلام على أوله، حتى تعرفوا نصه من مؤله، على أنه لو كان نصا قاطعا لا يتحمل التأويل لما كان ينبغي لعلقل أن يقول بمغتاضاه.
فإن الاتحاد محال قطعا على ما يأتي أن شاء الله تعالى، إذا تكلمنا على حقيقة الاتحاد والحلول.

وأما قوله: "فأفرد الكلمة بالالتحام لأنها الوعاظة بالأمر والنبي"، فقول لم يقل النجيل، ولا دل عليه ظاهر ولا تأويل، وعابه ماف النجيل: أن الكلمة التحتمت، وليس فيه: لأنها الوعاظة فمن عرفك أن الكلمة احتحت لهذه العلة، بل لعلها التحتمت لعلة أخرى لم تعلمه، أنت ولا غيرك. لعلها التحتمت، لا لعلة، بل لنفسها. وانما نزلنا في هذا المحل على تسليم الاتحاد. وإن كان بإطلا بابرهان ليتبين: أن هذا الذهب هذيان.

وأما قوله: "لأنها الوعاظة بالأمر والنبي"، فقول من لا يعرف خرق ما بين الأمر والنبي والوعاظ، ولا حصل من الشرع، ولا من المعتق على حديث القطاع المخالف للأمر والنبي بحقيقته وقصصته. إذ قد يعجب الوعاظ من غير أمر ولا نبي، وينهى ويأمر ولا يبعضهما أمان. متفقان، غير متلازمين، على ما يعرف في موضعه.

وأما قوله: "فهذا أخير شرح الاتحاد" فليس من موضع الصاد أليق، إذ الخساران ليه أقرب، وبه الزرق، لأنك أهتمت أنك شرحت وأوضحت، واختصرت وأوجرت، بل ألخت وطولت وفائدة ما أتيت. وكيف تصح لك هذه الدعوة، وقد قلت كلاما لا فائدة له، ولا جديورة في ذلك ذلك: أنك أهتمت على نفسك باعتراضات كثيرة، ثم انت حدت عن الجواب، ولم تأت بفصل خطاب، بل أتبت بكلام يشهد عليك عند العقلاء بالبلاد، وقلة التحصيل، وعم الإجابة.
وقد كان ينبغي لك أن تبين حقيقة الاتحاد والحلول، وتبين فرق ما بين مذهب (الروم) فيه، وبين ما به تقول، وتبين الفرق بينه وبين الاختلاط والامتزاج. وبعد ذلك تستدل على صحة وقوعه.
وعلى اختصاص عيسى عليه السلام به دون غيره من الأنبياء، فلو فعلت ذلك حينئذ كان ينبغي لك أن تدعى أنك شرحت وأوضحت، وأما الآن فقد جهت وافضحت.

***
الفصل الثاني

معنى الأخبار

من حكاية كلامه أيضاً

قال: " فان سأل سائل عن معنى الاتحاد - قلنا: نقول بذلك، تقلدنا الآلهة، والنبيين، ورسل رب العالمين، فيما نقلوا عن ذلك، وأعلموناه عن الله. وفيما نص لنا عنهم تصديق الأخبار الذي لا تكاذب فيه.


الجواب عنه: هذا كلام توجه الأسماء، وت转发 عنه الطباع، سأل فيه قائله عن حقيقة الاتحاد ومعناه، فأجابه بالدليل عليه، وما جرى مجراه. ومن حق الانفصال أن يكون مطالبًا للسؤال. فكان يلزمك لما سألت عن معنى الاتحاد، أن تجيب بحده وحقيقةه. ثم بعد ذلك تستدل على صحته ووجوده. أن صح ذلك، وأمكن الاستدلال فهناك. 174 ( الإعلام)
أما تقولك في جواب من سألك عن الاجتماع وحقيقته: "نقول بذلك تقليداً للانجيل، والنبيين، ورسل رب العالمين" فكلام غير متنين، لا يصدر مثله عن عقل رصين.

لتعلم يا هذا: أن الأنبئاء عليهم السلام صادقون مصدقون، والصادق ما يخبر بصحة ما يعلم بالعقل فساده، واستحالةه، فإن الصادق لا ينافض قوله دليل العقل، ولا يعارضه بل يصدقه، ويشهد بصحته، فلو فرضنا شخصيا جاء بأمر معجز فيما بريء وادعى أنه أرسله الله لنا ليخبرنا: أن الثلاثة واحد من حيث هي ثلاثة، وأن الواحد ثلاثة من حيث أنه واحد، وفهم ذلك من باستحالة التأويل، البادر العقلاء إلى تكذيبه، وعلموا أن ما أظهره على جهة المعجزة لم تكن هي حيلة ومفرقة لأن المعجزة اما هي دليل صدق، ولا يقلب دليل الصدق دليل الكذب.

وذلك لو قال: أن الضدين يجتمعان بعد مراعاة شروط التضاد.

وذلك لو أخبر أن الله تعالى يقبل جوهرة عرضة، ولونا، وطعما.

إلى غير ذلك من أنواع المحالات. ومن هذا القبيل: هو ما ادعى تم من الاجتماع، وسيتبع أن شاء الله.

وبعد هذا، فلو فرضنا نبياً علما صدقه على القطع تكلمت بشيء من هذا فيكون ذلك الكلام لا يدل على ذلك المعنى دلالة قاطعة بل دلالة محتملة أو ظاهرة، فسبيلاً أن نتأمل أن وجدنا وجها للتتأويل، أو نتوقف على تأويله أن لم نجد له محمل في التأويل. مع أن العقل يعلم استحالة الظاهر، ويقبل معرفة باطنه إلى الله تعالى، فإن الشروط فلان لم تتأت بما يخالف العقول، فقد تأتي مما تقترح العقول عن دركه، وفرق بين علم العقلاء، بين العلم بالاستحالة، وبين عدم العلم بالاستحالة، فإن عدم العلم بالاستحالة، لا يلزم منه نفي الجوائز، ولا إثباته، ولا نفي الواجب، ولا إثباته، وهذا مما لا خفاء به عند العقول.

وأما تقولك: "وعلى الجائز في العقول" في ينبغي لنا أن نسأل هنا أسئلة تبين أنك بما ادعى جهول، فنقول لك: ما حد العقل أولا؟ وما حد الجائز العقلي؟ وما حقيقته؟ وكم أقسامه؟ وما حد الواجب.

- ٩٨ -
العقلى ؟ وكيف أقسمه وما حد المعالى ؟ وكيف أقسمه ؟ فذكر من جواب هذه المسائل سأذكرك: هل أحكام المعال تتحصر في هذه الثلاثة؟ أم تزيد عليها؟ أم تنقص عنها؟ ولم يذكر ما ينبغي أن تتكلم مع من لا يعرفها. فأعلم على القطع والثواب أنك لا تعرفها. ولا قراء على من يفهمها. والد فالجواب وان لم تجب، وان لا فيظهر أنك من دينك على شك وارتبراب، ثم نقول: كيف يتجازع عاقل أن يقول: أن علم الله تعالى الذي هو صفته، ولازم له وقديم أولى. حل في جسد انسان حادث بعد أن لم يكن حالا فيه. ومع أن حل فيه فهو لم يفارق الله تعالى، ولولا الله تعالى سلوك عفوكم وابتلاكم بظلمة التقليد الذي أفضي بكيم إلى مكارة العقول وانكار البداية، لما وجد مثل هذا المذهب مستقرًا في قلب مجنون، فأجرى في قلب غافل. ولكن الله تعالى سر في إبعاد بعض العبادات ومن يغفل الله فما له من هاد؟

وأما قوله: "أنا لا نقول أن التقدم في الجوهر صار حادثاً، ولا الحادث في الجوهر صار قدما. ولكن نقول: صار الحادث الها. فهذا القول منك يدل على أنك تقول بحلول الحادث في الجوهر واتحده به. ولم يقل بهذا قط أحد من المخلوقات، ولهذا أشعن وأتبعت وأدخل من اتخاذ التقدم بالحدث وحلوله فيه. ولهذا الذي ذكرت أنه يلزمك يدل عليه قولك: "ولا الحادث في الجوهر صار قدما". ف_PIN_فت عن الحادث القدم، وأبقى عليه الحدول في الجوهر. وهذا بين نفسه من كلامك. ثم هذا الذي فررت منه يلزمك. وذلك أنا نقول: هذا التقدم الحال، لا يخلو أن يكون حالا في ناسوت المشيح قبل خلق السبиж، أو لم يكن؟ فإن كان حالا فيه قبل خلقه كان حالاً ولا بطلًا بالضرورة. فإن قبل خلقه مهدوم، والوجود لا يحمل في المعوم. وإن كان حلوله في ناسوته بعد خلقه، فإن حلوله لم يكن حالاً. فقد حدث له حلول. وقد صار حالاً بعد أن لم يكن حالاً. ويلزم على هذا أن تقوم الحوادث بالقدم وهو حالاً. فإنها يؤدي إلى حدوثه على ما يعرفه أرباب النظر.

وأما قوله: "صار الحادث الها" فكلام تشمار منه النفس إنه.
ويسعد لقاءه بالويل والعکوس • وكيف لا يستحی العاقل من مثل هذا الكلام • الذي والله هو عار • على الأثام • وكيف يتمّور أن يعقل • الالهية محدث مخلوق • يحزن تارة • ويرفع أخرى • ويجمع تارة • ويشبع أخرى • وينبسط ويمتزع • وتظفر به آدابه • ويعبدهون به الضرب • والإلهمة • والشوك والصلب • والقتل بزعيمه • وهو مع ذلك يقول • { أعبوا الله ربي وربكم (1) ويقول لكم: إذا صلتتم • فقولوا: يا أباانا السماوی • تقدس اسمك • وقرب ملكك (2) • ويقول: إن الله وحده • ولا الله إلا هو (3) • ويقول لابليس: أنا أمرت أن • تعبد السيد الهم وحده (4) • ويقول حين قرب رفعه • وأعلمه الله به • سبئي أبن الإنسان ما كتب له (5) • يعني نفسه • ثم تقدم • وسجد • على الأرض • ودعى أن يزاح عنه ما هو فيه وقاس: يا أبناء أنتم تعود • على جميع الأشياء • فرج على هذه الكأس (6) • وقال في إنجيل لوقا • يا أبناء إن كانت هذه الكأس • لا تقدرون تجاوزن حتى أشريبها • فلتندن • أرادتكم (7) •

(1) { أعبوا الله ربي وربكم (المائدة : 117) • ومن معنا في إنجيل يوحنا: قال لها يسوع لا تلمسني • لأنني لم أصعد بعد إلى أبي • ولكن • أذهبي إلى الآخرين • وقولوا لهم: إنني أصعد إلى أبي وأبيكم • والبي والهكم} (يوحنا 20 : 17) •

(2) النص: { متى صليتم • فقولوا: أباانا الذي في السموات • ليdürس • اسمك • ليأت ملكوتكم} (لوقا 11 : 2 • ومتى 6 : 9 – 10) • يشير إلى ما في الإصحاح الثاني عشر من إنجيل مارقس • ويسبق أن ذكرته في التعليم على صدر الكتاب •

(3) يشير إلى ما في الإصحاح الرابع من إنجيل ميتي وسبق أن ذكرته في التعليم على صدر الكتاب •

(4) النص: { إن ابن الإنسان ماض • كما هو مكتوب عنه} (متى 26 : 44) •

(5) نص الآية: { وكان صلى قائلًا: يا أباه • أن أمكن يقول عن} هذه الكأس • ولكن ليس كما أريد أنا • بل كما تريد أنت} (متى 26 : 39) • وفي رواية مارقس: { وكان صلى لكي تعود عنه الساعة أن أمكن • وقال: يا أبا الآب • كل شيء مستطاع لك • فاجز على هذه الكأس • ولكن ليكون لا ما أريد • بل ما تريد أنت} (مارقس 14 : 36 – 37) •

(6) النص: { يا أباه • إن شئت أن تجيز عن هذه الكأس • ولكنلتكن لا أرادتني بل أرادتكم} (لوقا 22 : 42) •

(7)
ومن أطلع على أنيجيلكم علم على القطع أن عيسى عليه السلام يبرى مهما تدعووه، وتنسبوه إليه، وستلقون بين بدأ الله في الوقت الذي يقول الله تبارك وتعالى: "يا عيسى ابن مريم أنت تلت للناس، اخذوني وأمي الله من دون الله" (أ) فيبته من ذلك القول. فيقول: "سبحان الله ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، أن كنت لله فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك. إنك أنت علام الغيب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به، أن أعبدوا الله وربكم، وكنتم عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيت كنت آنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد." (2)

وقد جاءنا على لسان من دلت المعجزة بصدقه أن الله تعالى
إذا حشر الخلاص في صعيد واحد - يعني يوم القيامة في كتاب للنصارى: "ما كنت تعبدون"، فيقولون: "كنا نعبد المسيح ابن الله"، فيقول لهم: "كذبتون ما اتخذه الله من صاحب ولا ولد" ثم يقال لهم: "إلا ترون"، فيعبثون إلى جهنم، كأنها سراب يحطم بعضها ببعض. (3)

فإن الله - إنك أدرك بقية نفسك قبل حلول رسمك، واستعمل سديد عقلك، ولا تعول على تقليد فاسق نقلك، واتبع الدين القيم، دين الأب إبراهيم، فما كان "يهوديا ونصرانيا، ولكن كان حنيفا مسلما، وما كان من المشركين".(4)

فإن الله يعلم أن أنذر اليك، والى كافة خلق الله بعين الرحمة وآساؤه هداية من ضل من هذه الأمة، وأتاسف على الأباطيل التي ينحلون. فالله، ونا إلى راجعون، وسيأتي إن شاء الله تعالى في النبوات كلام على حقائق الملل، وتبين الهداء والضالين من ذوى النحل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما قولك: "كما نقول صارت الفحمة نارا، ولا نقول صارت النار فحمة" فتمثيل ليس بمستقيم، ولا جار على منهج قومه، وذلك

---

(1) المائدة : 116
(2) المائدة : 117
(3) آئل عمران : 67
أن الفحمة مما صارت نارا، فقد حدثت النارية، وانعقت الفحمة، وليس هذا مساويا لقولك: صار الحادث الها، فإن الذي صار به الحادث الها عندكم هو قديم، فكيف تشبهه بالارية الطارئة، وهي حادثة، فإن ساوث بينهما لزومك أن يكون الحال في الناسوت حادثاً، أو النارية قديمة، فترتفع الفحمة، وهو مجال بالضرورة.

وأما قولك: «فان قلت: فما علة هذا الاتحاد؟ قيل لك: الإرادة» فهذا قول فاسد. فان الإرادة، انها يصح تعلقها بالجائزات، ولا يصح تعلقها بالحالات، والاتحاد مجال فلا تتلقى به الإرادة على ما نقرره أن شاء الله، إذا نقلنا مذهب (أقواسكم) في هذا المعنى، وتكلمنا معهم عليها.

وأما قولك في جواب سألك عن الاتحاد «هل حادث أو قديم؟».

حيث قلت: «انه قديم وحادث» فقولك لم يقل به مؤمن ولا تأكد.

فان الجمع بين القدم والحديث مما يعلم فساده بضرورة العقل، فان معنى القديم الذي لا أول لوجوده، والحادث هو الذي لوجوده أول، والجمع بين نفي الأولية، وأثبت الأولية مجال.

وأما قولك: «فمقدم بالقوة، حادث بالفعل» فكلام ليس له أصل، إذ لا يعقل العقلاء في القدم قوة ولا فعل، فإن القدم من أسماء السلوب والقوة والفعل فانما يتوردان عند الفئتين بهما على الصفات الوجوديات، وعلى عدمها مع امكان وجودها، ثم اننا نسأل عن هذه القوة وحقيقةها، وما الفرق بينها وبين الامكان؟ وهل هي موجودة؟ وعن حد الفعل وما حقيقته؟

فانك تكلمت بما سمعته، وما حصلته ولا وعيته.

وأما قولك: «وكل عنده حاضر مقيم» فكلام حق، ومقال.

صدق أن كنت أردت بحاضر أنه معلوم، وقد أخطأت بادخال مقيم في هذا المعنى، فإن القديم انها هو ماخرج من آرام بالوضع، إذا ثبت فيه، فإن أردت هذا المعنى لزومك أن تكون العقدات المكيدة موجودة عندك في حال عدمها، وذلك مجال، وان أردت غيره فكان ينبغي لك أن تبين مرادك فانك لم تتلك به على مقتني كلام القوم، الذين تعاطيت الكلام بسانهم.
ثم قولك: «لأنه تبارك وتعالى لا تأخذ الأزمان» ذكرته موهماً
ذلك تستدل به على أنه تعالى عالم بجميع الأمور، محيط بالكل، ولا يدع
ذلك على ما أردته، ولا فكونه قابل للزمان أو غير قابل للزمان،
ما المناسبة بينه وبين كونه عالماً بجميع المعلومات أو ببعضها. ولا بد
أن يسأل عن الزمان: ما هو؟ وهل هو موجود، أو معدوم؟ فإن كان
موجودًا فهل هو جوهر أو عرض؟ وإن كان جوهرًا أو عرضًا، فهل
هو في زمان، أو ليس في زمان؟ فإن لم يكن في زمان فلستن في الموجودات
كلها عن زمان، ويلزم عليه اثبات موجودات ليس بزمنية غير الباري
تعالى وتقدس، وذلك محل على ما تقرر. وإن كان في زمان، فهل
ذلك الزمان في زمان. وينسلف. فلا بد لك من علم هذه المسائل أن
أردت أن تلتقي بالصنف العاقل. ومن أراد أن يعلم فيرحل على الرأس
والفقد.

وأما قولك: «ولا يعد الأشياء بالأعداد» فيفهم منه أن المعلومات
لا تتعدد عندنا، وإذا لم تتعدد المعلومات عندنا، لا تتميز جذرياتها.
وإذا كان ذلك فإنما يعلم الأمور على وجه كل، وهو ما تقوله الفلاسفة،
وأهل الشرائع، كلهم مطبقون على أن الله تعالى يعلم جذريات الأمور،
وإن دقت على التفصيل، ومن لم يقل هذا يحكم عليه في كل ملة
بالتفكير والتملص.

فأنت يا هذا في أكثر كلامك بين أمرين: ما أن تنكر الضروريات،
أو تكفر بالشرائع. فنسأل الله تعالى أن ينور بصائرنا، ويسدد أحوالنا
ولامورنا وأن لا يجعل وباع علينا أعمالنا، وأقوالنا، أتى سميع الدعاء.
 قريب مجيب.

***
الفصل الثامن

والاستواء بين السيدتين موسى

من حكاية كلام السائل

قال: «ثم ننiniz لم ناظري من باتنة المسلمين: ان كتابكم يقول: أن موسى سمع الله، وكلمه تكلما.. فكيف كان ذلك؟ وأنتم قد أعجزتم جميع الحاسات من ادراكه في الدنيا والآخرة، لأنه لا مفترور، ولا مشبه بشيء مما يتصور في الأوهام؟

فان قلت: أنه كلمه بذاته. فقد أوجبت له جارية النطق، ووقعتم فيما أنكرتموه من الجسم. وان قلت: أن الله خلق له كلاما، فقد أثبت كلاماً مخلوقاً قابلاً بخلقته، جوهرها في نفسه إذ لم يكن عرضاً في الله. قال موسى: «أنا الله، لا الله إلا أنا، ناعبدن». 

وأثبت أن الكلام واسطة بين الله وبين موسى، وأن موسى أثر بالربوية، لقوله: «رب أرضي أنظر عليك»(1) وقول الصديق، الذي هو المتكلم له: «لا الله إلا أنا، ناعبدن».

فان قلت: أن الصديق لم يقل له: «أنا الله» ولكنه في مسامع موسى: «أنا الله» قلت لك: أن الصديق هو العامل في مسامع موسى، وهو المحرك له، وعلى رده، وأياه أجاب:

والدليل على أنه كان في غفالة: فما كان يريد الله من ارساله الى فرعون، حتى خلق له ناراً أبصرها، فنزع إليها، فلما آتاه أحبب الله له فيها صدى. قال له: «أنا الله» و«لا الله إلا أنا، ناعبدن». 

لا أن تقولوا: أن موسى قد كان يعرف ما كان يريد الله من ارساله الى فرعون دون النار، والكلام، فتكون خبر النار والكلام لا معنى لهما، وخبرهما لم يفث شيئاً.

(1) الأعراف: 143

(2) طه: 14
وهاذا من القول تشنيع الكذب، وإذا لم يكن بد من أن موسى لم بدرك المرسل له إلا بواسطة، أتحد له، يسمى باسمه، فالواصط هو العامل في موسى، وعنه تحمل الرسالة، حتى يأتي فرعون بمصر، ويقول: أن الله تزاري لي بطور سيناء، وبعثني اليك؛ لترسل معي بني إسرائيل، ولا تعتذبهم، مجدداً الوضع الذي أقبل منه من عند الله. وكان الله بمصر، وفي كل مكان، ولا كان يعجز موسى عن معرفة الأمر، والنبي إلا بكلام محدود من جسم مفطور، خلق الله له ناراً، أبصراً، فنزع اليها، ثم أحبب له فيها صدى، سمعه منها، قام عنده مقام خالق فسماه يا» أُهُّ

الجواب عنه: أما قولك: "ثم تقول لن تأثرني من باقية المسلمين" فتعلم يا هذا أنك غلطت في نفسك، وغفلت عن حسبك، حيث ظننت أنك من يستحسن مناظرتاه أحد من المسلمين، للذي أروا به من الأعراض عن الجاهلين. وكيف، وأنت لا يمكنك النطق بكلام فصيح، ولا تقدر على نظر صحيح، وأنت لك من مناظرتهم، ولم تسلك شيئاً من طريقتهم، وكيف يمكنك النظر معهم، وأنت لم تعرف طريقه، ولا التزمت شروطه؟

فوحزي دين الإسلام الذي هو دين إبراهيم عليه السلام لقد وددت أن تكون من عقلاء الأنام، لتعرف قدر ما يلقي من الأسئلة عليك، وما يكتب به من الحكم عليك، ففعال مقلب القلوب، يستنذك من عبادة الله مصلوب، ويدلك بها إخلاص العبادة لعالم الغيوب ولولا رجاء ذلك لما كان ينبغي لي أن أعطي الحكمة غير أهلها، كما لا ينبغي أن أسمعها من هو من أهلها.

وأما قولك: "أن كتابك يقول: أن موسى سمع الله، وكلمه تكليماً" فكيف يسوح لك أن تنجح بما أنت منك لآصله، ولا تتحترف بأنه كلام الله، وأنت منك لتصديق من جاية به، فلا يحل لك أن تتحتر نفسك ولا تغبرك بما تعتقد أنه كذب. وأما نحن فيمنكنا أن نتحتر عليك، وعلى اليهود بالتوراة والإنجيل. لأننا نعتقد أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، وهما هدى قبل أن يغير.

ويبذلاً وينسخاً بغيرهما.
وأما اليوم بعد أن ثبت عندنا ما ذكرته فلا نحتاج بشيء منهما
على جهة انتزاع الأحكام، فإن الله تعالى قد أخرجنا بالنور من الظلام،
وهدانا لما اختفت فيه من الحق بنينا محمد عليه السلام، وسبين
إن شاء الله ما يدل على صدقه من المعجزات، وواظح الدلالات.

ثم نقول : إن الله تعالى كلم موسى بكلام الذي هو صفته وسمعه
موسى بالأدرار الذي خلقه الله له، وقوله : "كيف؟ ظلم، وحيف
اذا سألك بكيف؟ ففي هذا الحال دليل على أنك جاهل بمتلكه، فينبغي
لك أن تعلم : أن صيخ المطالب كثيرة، وهي مع كثرها لا يتوجه شيء
منها على الله تعالى، وعلى صفاتها، وذلك : أن من صيخ
المطالب "ما" و "أي" و "لم" و "كيف" و "متى" و "أين".
وغيرهما، مما في معاناه، ولا يتوجه علي الله تعالى بشيء منها لاستحالة
معانيها على الله تعالى، فلا تسأل عنه بـ "ما" ولا بـ "أي".
لذا ليس له، ولا فصل ولا بـ "لم" إذ لا علة له، ولا أصل.
ولا بـ "متى" إذ هو مقدر الزمان، ولا بـ "أين" إذ هو خالق
المكان، ولا بـ "هل" إذ لا يشك في وجوده، وهو خالقنا،
ولا بـ "كيف" إذ لا يناسب جوده، ولا صفاته شيئًا من أحوالنا
وأوصافنا.

وجوده إثباتاته، واثباتاته ذاته، وعلمه كل شيء صنعه، ولا علة
لصنعه، لا يتوجه لمخلوق عليه حق، ولا يعجزه خلق "ليس كمثله
شيء، وهو السميع البصير"(1).

ثم نقول : وما بين لك : أنه "يصح السؤال بكيف هنا، لأن
المطلب بكيف انها هو سؤال عن حال موجود يناسب حال السائل بكيف.
فذا قلت : "كيف زيد؟"، انا معاه على أي حال هو من الأحوال
التي تناسب أحوالنا في حال صحة، أو في حال مرض، أو في حال
علم، أو في حال جهل، إلى غير ذلك من أحوالنا المناسبة لأحوالنا.
فذا قلت : كيف سمع موسى كلام الله؟ فكانك قلت : على أي حالة
سمع موسى نص الله من الأحوال التي تكون نحن عليها، حين يسمع
بعضنا من بعض، وإنها والعقلاء الذين يعرفون ما يجب لله له

(1) الشوري : 11
ويما يجوز، وما يستحيل في حقه يقولون بالبراهين القاطعة: أنه يستحيل أن يسمع موسى كلام الله على شيء من الأحوال التي يسمع عليها بعضًا من بعض على ما نبينه إن شاء الله.

فعلى هذا إذا سألنا سائل كما سألت أنت قلنا له: السؤال عن الله تعالى وصفاته بـ «كيف»؟ ظلم وحيف، فان النظم وضع الشيء في غير موضعه، وقد سألت بـ «كيف» في موضع لا مدخل لها فيه، فتتآدب مع الله قبل حلو عقب الله، فإن من لم يتعمل مع الله الأدب فقد استحق القتل، وحرم الرتب، ومن لم يستكر هذا الكلام لحق بالله، والله، وفتى لم سأل عنين لم يدقي قلذة الجماع، وقال لها: كيف أدركك أنت لذة الجماع؟ كان الجواب يصعب عليك، ولم يمكنتك تفهمه إذ لم يدقي لذة الجماع، وكذلك كل من لم يسمع كلام الله كما سمعه موسى عليه السلام فهو كالنعين بالإضافة إلى أدرك الكلام القديم إذ لم يسمعه، ولا يتصف بالأدراك الذي اتصف به موسى عليه السلام، وكما لا يقال: كيف يسمع الله كلام الخلق؟ كذلك لا يقال: كيف يسمع كلامه أحد من الخلق؟ وكما لا يقال: كيف يرى الله الخلق؟ كذلك لا يقال: كيف يراه الخلق؟ فان الكيفية محل على الله تعالى، وعلى صفاته من جميع الوجوه.

ولولا خوف الأكثر، وأنا وضعنا هذا الكتاب على الاختصار لملأ صدرك من عظمة الله تعالى، إن كنت عاقلا، حتى يتبين لكم: أنكم لم تعرفوا الله حق معرفته، ولا قدرتتموه حق قدره.

وأما قولك: "فإن قلت: إنه كله بذاته، فقد أوجبتم له جارحة النطق، ووقعتا فيها أنكرتموه من الجسم، فلا يلزم من هذا كله شيء، وإنما كان فيلمنا هذا: لو قلنا: أن الله تعالى كله بصوت وحرف يخرج من لهوات ويبقى لهسان، ونحن لا نقول شيء من ذلك بل نقول: أن الله تعالى متكلم بكلام هو وصف قائم بذات الله، ليس بحرف ولا صوت، وهذا معقول مفهوم، فان نحس من أنفسنا كلاما قائمًا بذواتنا، فتحدث به مع أنفسنا، ليس بحرف ولا صوت وهذا مما يجيد الإنسان من نفسه بضرورة، ويكون الحرف والصوت دالين على ذلك المعنى الذي في النفس، وهذا لاستحالته في كلام بناسبه.
من بعض الوجوه لله تعالى. لكن على من أقدر الذي يجوز في حته تعالى. 
وأما ذكرنا لك أنفسنا مثلًا لذلك، على جهة التأنيس، كما أنا نقول:
حقيقة العلم واحدة في العقید والحدث، وتعني بذلك انكشاف المعلوم،
لأن العلم القديم يشبه الحادث، فافهم، وهذا كله يتبنى في موسعه،
ويعرف بدأله.
فعلي هذا الأصل الذي قرَّناه. نقول: الكلام الذي سمعه موسى 
عليه السلام هو كلام الله القاطع ذات الله، الذي ليس بحرف وصوت، 
فإن تكلم: كيف يسمع ما ليس بحرف ولا صوت؟ نقلنا: 
الجواب عنه قد تقدم، إذ لا يصح السؤال عنه بـ «كيف» لاستحالة.
شروط السؤال بها.
ثم نقول: سلمنا جداً أنه يصح السؤال، ثم يكون الجواب عنه.
أن تقول: يسمع ما ليس بصوت، ولا حرف، كما يعلم موجود ليس بجوز ولا عرض، وكما يرى الله الخلائق، وليس بذي حدقة ولا عين،
وكم يسمع أصواته، وليس بذي صمأخ ولا آذن، وكما يعلم وليس بذي تقلب، ولا دماغ، وكما يراه المؤمنون في الدور الآخرة، كرامتهم لهم،
وليس بذي جسم ولا لون. فكما تصح هذه الأمور، كله، وأن كانت 
مستبعدة بالإضافة إلى أهالينا في حق الله تعالى، فذلك يصح أن يسمع 
موسى ما ليس بحرف ولا صوت.
ثم نقول: الذي لا تبقى معه حسية في النفس، ولا استبعاد.
في الومه: أن الله تعالى خلق موسى أدركنا كلامه القديم، وصل به إلى تحصيل مفهوم كلام الله تعالى ومراده منه، فسمي ذلك الإدرك، 
سمعًا، وعبر عنه بسمع، كما أنا نجوز أن يحكم الله من شاء من أصفياء خلقته بأن يطيعه على بعض ما في نفس بعض الناس من غير 
تعبير عنه بصوت ولا حرف، وذلك كما في بعض كتبكم أن عيسى عليه السلام أعلم بعض الحواريين وما في نفسه، ولو عبر عن ذلك 
بأن يقال: يسمع عيسى كلام ذلك الرجل لكان صدقًا وحقًا. وهذا كله 
جائز عقلًا، لا استحالة فيه.
فإن قيل: كيف ينبغي لك أن تقول: أن الله تعالى متكلم بكلام، 
ليس بصوت ولا حرف، وقد جاء في التوراة: أن الله تكلم بصوت.
لادم وحواء وذلك أنهما لما طفتا يلفكان ورق التين ليسترا بهما عورتهما، فسمعا صوت الله ابب التمثلي في الفردوس. إلى أن قال: فدعا ابب ادم. وقال: أين أنت يا ادم؟ وقال ادم: سمعت الصوت في الفردوس. فقرأت أني عار. فاستخفت وأستغلرت. (1)

وهذا يدل على أن الله تعالى صوتاً، وهو خلق ما ذكرت فيلزمك على هذا تذكيه التوراة. أو تقول بمقتضاها. فترجع عما تلته آنذا.

فقول ما أورنا به نبينا على السلام - عندما تحدثوا شيء - آمنا بالله وكتبه ورسله. وبعد ذلك نقول في التوراة بمثل ما قلناه في الأنجيل، أو قريبا منه. فجدنا به عهداً، وفيه نظرا.

ثم أن سلمنا صحتها فليس في هذا الذي ذكرته ما يدل على أن الله تعالى متكلم بحرف وصوت وانما الظاهر منه أن آدم سمع حس خاص لله في الفردوس. ألا ترى قوله: فسمعا صوت ربي التمثلي في الفردوس؟ هذا هو الظاهر من هذا اللفظ، وإنما لا تقولون به ولا نحن. وإن كانت اليهود، أو أكثرها قد قالت بمقتضى ظاهر فجسمت.

وأنتم أن قلت بظاهر يلزمكم ما لمكم. فأنا هذا اللفظ مؤلف عنكم، وعندنا أعني من المشابهات التي يعلمها الراسخون في العلم، فلما لم يستم جعله على ظاهره، تأولتموه أنتم وصرفتموه عن ظاهره. وقلتم: أن هذا إنه يراد به كلام الله تعالى الذي هو حرف وصوت عندكم.

وهو فعل من أعمال الله تعالى عندكم.

والى نحو من هذا صار: أغشتينا. وإذا تأولتم أنتما هذا اللفظ، وأخرجتموه عن ظاهره فنحن نخرجه عن ظاهره بتأويل آخر أحسن من تأويلكم، لا يلزم عليه شيء من المجالات التي تلزمكم وسنبينها أن شاء الله.

ولنا في ذلك تأويلان:

(أحدهما): أن الله تعالى خلق صوتا في بعض طرق الفردوس

(النص): فانفتحت أعينهما، وعلا أنهما عربان، فخاطبا أوراق تين، وصنعوا أنسهما مازر وسمعا صوت الرس لله ماهما في الجنة عند هروب ربع النهار، فاختبا آدم وامرأته من وجه الرب الله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب آدم وقال له: أين أنت؟ فقال سمعت صوتكم في الجنة، فخشيت لأني عربان، فاختبئت.

(تكوين 3: 7 - 11)
يثبط صوت الماتي، وهو الذي يسمى بلسان العرب: الهمس، والخشخشة. فلما سمع آدم ذلك الصوت تبته لخاضبة الله تعالى، ولحضوره معه، ثم أضاف الصوت إلى الله تعالى لأنه هو الذي تبته آدم عنده مخاضرة الله، وكان آدم كان في غفلة لشدته حزن وعظيم ما حل به. وهذا كما يعترى الواحد منا إذا كان مليها بناءً للنمون، فالغش بجسده، بل ويفعل عن نفسه. ثم قد ينتبه عند سماع صوت شيء، وحسن أنسان، فيرجع عند ذلك لنفسه وينتبه عن معه. وعلى هذا التأويل يكون في "يتميز" ضمير يعود على الصوت فإن كان "يتميز" الصوت في الفردوس لآلة الله.

اذ يستميل على الله تعالى ظاهر المثلى، ومفهومه السابق منه.

وهذا تأويل حسن ساير عند المنصف.

(والتأويل الثاني): أن الصوت يراد به الكلام القائم بذاته، وأن كان ليس بصوت فيجوز أن يسمى صوتًا، لأنه يمكن أن يدل عليه بالصوت، كما نقول: إن موسى عليه السلام سمع كلام الله القائم بذاته، بمعنى أدراكي وفهمه بأدركي خص به موسى، ثم عبر موسى عنه لنفس بصوت مقطاع. إذ ليس في قولنا أدراك ما ليس بصوت.

وبقرب من ذلك: نقول نحن في القرآن.

ووهذا النوع من التأويل نوع جائز، جار في الكلام، فانه تسمية الله، بما يدل عليه كما تقول "سمعت علم فلان" وإنما سمعت كلامه.

الذي يدل على علمه، والكلام ليس هو العلم. وعلى هذا التأويل يكون في الفردوس معنا بـ "سمعت" لا بـ "يتميز" ويمكن معنى يشتمى (يبلغ) والبلوغ عبارة عن الإدراك، الذي به أدرك كلام الله تعالى. يعيني سمع، وكذلك قوله "سمعت صوتك في الفردوس" أي، وأنا في الفردوس.

ولو كنت تعرف لسان القوم الذين ترجمت التوراة والأنجيل بلغتهم.

لذكرت لك من هذا أمثلة كثيرة، وفي القليل البصر غنية عن الكثير.

فهكذا ينبغي لك، ولكن عاقل أن يفهم تأويل الصوت الذي وقع في التوراة، ولعمري لا يعد أن يتناول تأويلات أخر جاريات على السيناق القومي، والمنهج المستقيم، وفيما ذكرته متعلق للماعل، فتدبر فهمك للله ما ذكرته، ولا تعتقد في الله تعالى أنه متكلم بصوت محدث. فان ذلك محال.
ونحن نبين استحالته مستعينين بالله، ومتوكلين عليه. فنقول:

من المقرر الثابت عند الشرعين كلهم: أن الله تعالى متكلم،
ومن لم يعول في ذلك على ما أخبرت به الرسول، ولا وافق على الشرائع،
ثم أنبئت عليه القواعط، التي لا يردها الا معاند، وليس هذا موضوع
ذكرها. فاذنا تقرر ذلك. فنقول:

أما أن يكون متكلما بصوت، أو بغير صوت. فإن كان متكلمًا بصوت
فذلك الصوت أما أن يكون قائمًا به، أو قائما بغيره، أو لا قائمًا به،
ولا قائما بغيره.

حال أن يكون قائما به، فإن الصوت لا يكون مفيدا حتى يتقطع
بالحروف، واتلك التدابيرات لابد أن تكون حادة، فإنلزم على أن يكون
محلا للحوادث. وإذا كان محلا للحوادث لم يخل عنها، وإذا لم يخل عنها
كان حادثا مثلها على ما تحقق في موضعه، وذلك كله محال على الله تعالى.
وان قام بغيره فذلك الغير يكون المتكلم به. سواء كان ذلك المح جمادا،
أوحيوانا. فإن نقلنا: أنه يجوز تيامه بجسم جماد. وأنا جاز أن يقوم
الصوت بمحل ويكون الباري تبارك وتعالى منكلما به. فجاز أن تقوم صفة
بمحل، وتوجب حكمها لمحل آخر فيلزم على ذلك: أن تقوم حركة بجسم
يكون جسما آخر متحركا بها، ويقوم بمحل لون. ويكون محل آخر
متصفا بها. وذلك كله محال بالضرورة. ويلزم عليه: أن يكون الباري
تعالى منكلما بما يقوم بنا من كلامنا، إلى غير ذلك من المحالات. وباطل
أن يقال: لا يقوم به، ولا يغيره، لأنه يكون قائما به نفسه، وخرج عن
كونه صفة زائدة على النفس، وإذا بطلت هذه الثلاثة الأقسام، وهو
ما قدمنا ذكره، ومن أراد مزيدا فليرحل. ويرتد للحق بعد أن يبحث
ويسأل.

وإذا ثبتت هذه القاعدة الوثيقة العظيمة الأنيقة، التي لا يعرف
تقدراها، ولا عظم خطرا الا من نور الله بنور البقين بصبرته. وأصلح
بجزيل التوفيق سبرته، بطل ما اتمته، ولم يلزم شيء مما الزمته،
ولا لم لكم شيء مما أردتموه.

فإن جملة ما تريد أن تقوله في هذا الفصل: أن الله تعالى متكلم.
وصوته، وأن موسى سمع بذلك الصوت، وهو يقول: "أنا الله، إلا الله إلا أنا، فأعبدني" وذلك الصوت غير الله.

ومع ذلك خاطبه موسى بقوله: "رب أرني أنظر اليك" وقد اعترف له موسى بالربوبية فكذلك المسيح في قوله: "أنا الله" صادقًا. إذ قد اتخذه واسطة بينه وبين خلقه، كما اتخذ جسم النار والكلام واسطة بينه وبين موسى، فينبغي لنا: أن نعزي فربوبيته، كما اعترف موسى بربوبية الصوت، وهذا الهديان كله، الذي ذكرته، وليتك ما أنحلته، الذي والله لا شرع يعده، ولا عقل يقبله ويرده. مبني على أن الله تعالى متكلم بصوت وقد أبطلناه، فبطل كل ذلك.

ومع ذلك علنتكم على أجزاء كلامك بعد أن بينا جملة مقصودك، ومراكم حتى يبتين أنكم لستم على شيء مما ينتحله العقلاء، بل ينabra منه الفضلاء. فنقول:


وعلى هذا الكفر الصريح يدل قولك: أن موسى أقر له بالربوبية تزيد للواسطة: وإذا أقر له بالربوبية - ولم يعرف قط من موسى عليه
السلام أنه أقر بالربوبية لانهين - فقد اعترف بربوبية الواسطة، وأنكر ربوية الله، وكذلك يفعل الله بكل مصرف مرتاب، أذاذنا الله من الاختلاف، الفرض يصاحب إلى الضلال، ثم هذه المخالفة يلزم منه قلب الحقائق. 
ويقال الصوت لا يقوم بنفسه، ولا بخلقه، والفاعل بذلك يشهد العقلاء، بصفته، فإن حقيقته صفة لوصف يستدعي وجودها ميلا، كما سائر الصفات، اذ لا يعقل قيام صفة بنفسها، بل بغيرها، وهذا ضروري.
وأما قولك: فكان قلت: ان الصدی لم يقل له: "أنا الله" ولكنه.
كان في مسامع موسى، (أنا الله) قلت لك: إن الصدی هو العامل في مسامع موسى، وهو المحرک له، وعلى رد، وإيام أجاب، فيلبزك على هذا الإنصاف: أن يكون موسى رسول الصدی، لا رسول الله، وعلى يدل كلاهما، وعنه تحمل الرسالة، لا عن الله، وأذا كان كذلك فقد كذبت موسى عليه السلام، على ما يلزمك، حيث قال لفرعون: أنا رسول الله، فإن كان يعمرك رسول الصدی، فذا كان الصدی يقول "أنا الله" ويتعترف له موسى بالربوبية، ويأمر موسى بتبلغ رسالته فقولوا: إن الصدی الله، وأضيفوها إلى الهتكم المتقدمة، هيكون عددهم (خمسة) وذلك أن الألقان من الثلاثة عندكم آلهة، وعبيد الله راحب، والصدی الله خامس، ومنكم طائفة تدعو أن مرعب الله، فتكون الآلهة، عند هذه الطائفة (ستة).
وأما انتهى عقل أنسان يقول هذه المخازن بلسانه، ولا يشعر به.
سكتت مكالمته، وجبت مجابته.
ولا معنى لتطويل الكلام مع من يرثك ذلك الهذيان، فقد تم للشيطان فيهم أمله، وأنجح معهم سمعه ومله، مع هذا فـ "انما يستجيب الذين يسمعون، ولا يثبطهم الله، ثم اليد يرجعون" (1). وينبغي أن يتعدى أكثر كلام هذا السائل مما هو ظاهر، الفساد، ولعلنا نصل إلى ما هو المهم والمورد من نقل مذاهب المتقدمين، أعنى (المطارق والقسيسين) (2) إذ كلامهم يمكن أن يعقل، أعني يفهم ويتصل، ولا بد من نقل كلام هذا السائل، ليعلم الناظر فيه: أنه ليس تحته طالب، وأن المتكلم به ليس بعاقل.

(1) الأعمام: 136
(2) درجات الكهنوت عند النصارى مكذا: شمس ثم قميس ثم أسقفة، ثم مطران ثم بطريرك ثم بابا.
فأنا أوجيكم عليهما الشرك في قولنا: بواسطة، فإن الحق والعقل لا يعبد الواسط، فكلا الواسطين بين الله والخلق.
وإذا ذهبت إلى أن النار صادقة، لا يتخوف عليها الكذب، وأن المسيح يتخوف عليه الكذب، فإن موسى قد أوجز في النار والكلام. وإنما تقطع الملك بالبلقين بابية العصا، والبيد، الذي أدخلها في جيه. وكذلك تقطع المؤمنون بربوبية المسيح شكم بأمر الموتى عند أحيائه لهم بربوبته. وإن ذهبت إلى أن خلق النار في ذاتها أشرف. فإن كل مخلوق في الدنيا هو منافق لولد آدم، مسخرة لهم. وكفى بقولكم في ترانيكم أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم. وأن أبيض مسخط الريش في الإبد، لابائه بالسجود له، وقوله: «أننا خير من خلقتنا من نار وخلقتهم من طين»(1).

فان قلتم: كذبتم على المسيح لأنه لم يدع مما قللتم نبيًا. تلنا: إنما أنكرتم علينا القول بما وجدنا في كتابنا. نحن لا نستدل بمثل هذا في الأبد، فاسترناكم من كتابكم إلى القول بمثله. فلما أبتنا قلتم: كذبتم على المسيح. فلم تكذبنا، وكتابنا على القول بمثل قولكم في واسطة موسى وعبادته لها. وأنتم لنا أوجبتم أن الأمة تحاسب بعملها يوم القيامة، أن محاسبها يخطبها يوم القيامة ويكفؤها في أعمالها.

ثم يقول ترانيكم: «وجاء بيك والملك صفا صفا»(2).

فما تتكرون أن يكون المسيح الذي كان واسطة للوعظ، أن يكون هذا المقابل مع الملائكة، كما قدمته في الأنجيل حيث قال: «يعد ابن الإنسان - يعني الحجاب المتخذه من نسل آدم - في مجلس عظمته، وتقدم جميع الأمم بين يديه، ويميزهم كما يميز الراهب العنف من المزعومن من بينهم، والمجرمين عن شمله، ثم يعاتبهم، ويأمن كل طائفة بما قدوا في ذهنهم»(3).

واذا أوجبتم أن الله لا مظاهر ولا مدرك بحاسة، فقد وجب: أن المحاسب المستوعب مدرك بالحواس مع أقراركم أن ربك قال: «ترون».

(1) الأعراف : 22
(2) النص: «ولما جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع الملائكة القدسين معه، فحينئذ بلس عليه كرسي مجده، وجلس أمامه جميع الشعوب، فميزهم ببعضهم من بعض. كمًا يميز الراهب العنف من الجادة. يقيم الخراف عن يمينه، وإلقاء عن اليسار 33 الخ» (متي 25: 31 - 33) والرائد بابن الإنسان في هذا النص: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما سنتبين.

وكها ببينا.
ربكم، ولا تضامون في رؤية القمر ليلة القدر، أو لم تكنوا أن يكون المسيح الذي كان واسعا للوعظ، أن يكون هو الفيلب مع الملائكة كما قال عنه قرآنكم: "هل ينظرون ألا أن يأتيهم الله في ظل من الفمام والملائكة وقضي الأمور، واللى الله ترجع الأموات" (الكمثرى: 10).

الجواب عما ذكره: أعلم يا هذا المكلف في بغيته، المتصرف في تأويل دينه، أنك قلت في هذا الفصل بالباطل والكفتر، حالا حجة له، ولا أصل، خالفت فيه دين النصارى المتقدمين، ولم تخرج على مذاهب القسيسين، بل رجعت عن ملة أنتمكم لل" مطرانين "، فوجب على أهل ملك أن يعدوك في الخارجين، ومن الجهاء البندعين.

وذلك أنك زعمت أن الذي قال لوسي: "أنا الله، أنا الله إلا أنا ناعبدني"، أنت كان الصديق، ولم يكن الله تعالى، وزعمت أن موسى اعتزف للصدي بالربوبية، وأنه هو الذي كمل موسى، وأيام حارب، وعنه تحمل الرسالة حتى أنتي فرعون، وأن ذلك الصديق قام عند موسى مقام خالقه، فسعد الله، وزعمت أن موسى سجد للصدي، وأنه هو الذي سال موسى رؤيته، ولذلك زعمت أن موسى قال للصديق: "تبث اليك، وأنا أول المؤمنين"، فاذ كن هذا كله للصديق، فلا حاجة لوسي، ولا لأحد إلى الله تعالى، فإنه لم يقل: "لا الله، إلا أنا"، وإنما قالها الصديق، والصديء صادق بزعمك، فقد بطلت الهجة الله تعالى، وثبتت الهجة الصديق.

وأما كان كذلك فلم لا تعبدون هذا الصديق، الذي عبده موسى، وسجد له، وتبث له بعد أن اعتزف بربوبية، وما بال حبوق النبي، لم يعبد هذا الصديق كما عبده موسى، ولم يذكره، ولم يعتزف بربوبية، و.singletonList ما بال حزقيال لم يعبد هذا الصديق، كما عبده موسى، ولم يذكره، ولم يعتزف بربوبية.

وذلك أشعيا، وحيى، وغيرهم من الأنبياء، والحواريون، ما بالهم لم يعبدوا ما عبد موسى، وسجد له واعتزف بربوبية، وأنت لا رب سواه، فهؤلاء الأنبياء، والأولاء، أما أن يكونوا علموا: أنه لا الله إلا الصديق، كما قال الصديق بزعمك، أو جعلوا ذلك، فإن كانوا

(1) البحرة: ٢٨٠
علموا فلاي شيء لم يعترفوا بذلك، وسكتوا عنه إذ لم يصح قط عن واحد منهم أنه قال: لا الله لكم إلا الصديق، فيلزمكم أن يكون سكوتهم عن ذلك: أما عن جد أو تلبس فإن كانوا علموا الحق فجحدوه بذلك، كفر منهم، وهم: صلى الله عليهم أجمعين - مبروون عن ذلك، منزرون. ولو كان ذلك لا استحال أن يظهر عليهم من الآيات شيء مما ظهر. وإن كان سكوتهم عن تلبس فإن جاز عليهم التلبس في مثل هذا جاز عليهم التلبس في كل ما أخبروا به من الشرائع، إذ كل الشريعات والأحكام تحتقره، بالإضافة إلى معرفة الروبية، وإن كانوا جهلوا ذلك، فكيف علمت أنت يا أحق ما جهله الأنبياء والأولى؟

فإن كانوا تكلموا بذلك، وقالوا به: ففي أي سفر من أسفار
الكتاب هو أن موسى أخبر: أن: الله لا له ولا لكم إلا الصديق، وإن الصديق أرسله إلى فرعون، وأنه الله، فإن كان ما تدعه حقًا فائدة
بالتزامة فاتلها. ان كتبت من الصادقين. وفي أي كتاب من كتب الأنبياء
جاء مثل ذلك؟ أي كتاب حقائق؟ أو في كتاب حقائق؟ أو في كتاب
أصليات؟ أو في كتاب دانيال؟ أو في أنجيل لوتس؟ أو في أنجيل ماركوس؟
or في أنجيل يوحنا؟ أو في مصطفى الإعلام؟ أو في أي كتاب من رسائل الحواريين وجد مثل ذلك؟

هلا وقع شيء من هكذا؟ وهذه الكتب التي ترجمونا إليها،
وتعولون عليها، إذا لم يوجد فيها شيء مما ذكرت، علم من حالك أنك
على الله ورسله كنت، وانتصرت. ويوم القيامة ترى الذين كنوا
على الله. ووجهكم مسودةً أليس في جهنم مثوى للتكبرين؟)

بل قد تواردت الرسالة على الأخبار بالقواطع التي لا تجبر بأن
الله واحد، وأنه ليس له في الوهبة، شبيه ولا مضاد، وإذا تبين
بها أنك كفرت، وأن الله ربك سببت، وعلى رسله كنت. وأنك من
جميع الملائكة.gz تبين على اليهود والنصارى أن يشترووا في أمك،
وأتمنوهم في حرفك، أو نحرك «ولذاب الآخرة أشغ»، وما لهم من الله
(دوPO)
ثم نقول: هذا الصدي الذي وصفت، وهو الله علدنك – كما زعمت – هو الله تعالى رب العالمين، وخلق السماوات والأرضين؟ أم الله غيره؟ فإن كان هو الله تعالى، فلم سميته الصدي؟ ولم جعلته واسطًا بين نفسه وبين خلقه؟ وهل هذا إلا محال، فانه لا يتصور في العقل. واسطًا، لا بين الاثنين، ويكون الواسط الثالث.

ثم يلزم على هذا أن تجعل ذات البارى، الرب تعالى صوتا حادثًا فإن ذلك الصدي عندكم حادث، وهذا لا محل بالضرورة العقل. وإن قلت: إنه غيره. فيلزم أن يكون ذلك الصدى هو المتكلم عن نفسه، والمخبر بحقيقته. فذا سمعه موسى يقول: «أنا الله - لا الله إلا أنا» فاما أن يخبر عن نفسه، أو عن رب العالمين. فإن آخر عن نفسه فهو كاذب، فإن الرب تعالى يكون إليها آخر وان أخبر عن الرب. فلأي شيء قلت: إنه الله. وأن موسى اعترف له بالربوبية، وسجد له. بل الاله الحق رب العالمين، الصدي ليس بالله، ولرب.

فقوله: »اعترف موسى بربوبيته، وعبده« باطل بالضرورة.

ثم نقول: هب أن ذلك الصدى هو المتكلم عن الله، وأنه الله. فهل يقدر الله تعالى على أن يتكلم، ويخبر عن آرآته به غير ذلك الصدى؟ فإن قلتم: لا. فلذلك تعجز لله تعالى، وهو القادرين على كل شيء، ويلزم عليه أيضا: أن يكون محتاجا لذلك الصدى، وكل من كان محتاجا فهو ناقص معب، وليس بمعنى، والله تعالى هو الغني عن كل الموجودات، وليس لشيء من الموجودات عنه غني. وإن كان قادرين على أن يسمع كلامه بغير واسطة فلم يسمعه بغير واسطة. وإذا جاز أن تسقط الواسطة انهمذ كل ما رمت بناءه، على أنه قد كتب همدها أولاه في أوقى لحظة، بأي نفخة. وإنما أردنا أن نبين لك، ولكن من وقف على كلاهما بعض ما يلزمك، وأنت لم تشعر بشيء من ذلك، ولولا خشية التطويل، لأوردت عليك من النقوض واللوازم ما يتعجب منه كل جبر نبيل.

ثم نقول: هب أنا نسلم جدلا: أن الله تعالى تكلم عن موسى بواسطة الصدى. فلم قلت أن عيسى مثل الصدي؟ أعنى أنه واسطة كما أن ذلك الصدى واسطة. وما الذي ذلك على ذلك؟ ولأي شيء سويت بينهما؟ والفرق بينهما ظاهر، وذلك أن الصدى الذي زعمت أن موسى سمعه أنما سمعه موسى بعد أن احتجبه للنار كما زعمت، والنار جماد.
وعندما قال بالجماد صوت يفهم منه: "أنا الله، لا اله الا أنا" فيمكن أن يعقل هذا غالط ملك، أن المتكل ن بذلك الصوت أما غير الجماد لاستحالة الآلهة على الجماد. وإنما حي نا ممكن أن يتوهم فيه أنه الله، كما توهتم أنتم في ذلك. ولا يصح ذلك في الله، لأنه إذا قال: "لا اله الا أنا" فعن نفسه يخبر، واله يرجع حكم خبره، بخلاف الجماد. فكيف يست أحد الواسطين على الآخر، وليس في معناه، ولو أردنا تطول الكلام لذكرنا فروعا أخر تفع مباقيسة النار بالبشر.

وأما قوله: "أنا عيسى عليه السلام قال: "أنا الله" وأن الحواريين صدقوه في ذلك" فكتب صراح، وإنك بواح. فإنه لم يرووا عنه عليه السلام في ذلك أقوال بوجه صحيح، ولا نص صريح، بل الذي صحب منه، ونقل بالتوتر عنه أنه كان يقول: "اعبدوا الله، الذي لا اله إلا هو" وآناجيلكم تشهد بذلك علیكم.

ثم نقول: لوث بد أن عيسى قال ذلك اللطف بعينه، فمن الممكن سوغ حمله على محمل قوي في العقول غير مختلف للمتنقلي، وهو أن عيسى عليه السلام كان محبا لله تعالى مشتيرا في محبته، ومن عادة المشغوف بشيء، المشتهر به: "أن يستحضر ذلك الشيء المشتهر فيه في قلب، ويجعله "نصب عينيه"، حتى لا يلاحظ شيئاً سواه، بل ربما ينتهي ذلك به إلى أن يذل عن نفسه، ويعيب عن حبه. ففي مثل تلك الحالة، يظن المشتهر أن الشيء الذي شغف به: هو هو حتى يقول: أنا من أهوى، ومن أهوى أنا.

وكذلك قال الآخر:

فكل شيء رآه ظنه قدحا، وكل شخص رآه ظنه الساقى.

وكذلك عيسى عليه السلام لما اشتكى له من سلطان الحقيقة أمره غاب عن نفسه، وفني عن حسه، لما شاهد من جمال الروبية، والحضرة الآلهية، فذهل عن كل ما سوى الله، فقال: "أنا الله" وهذه أمور عجيبية، وأذواق غريبة، لا يدركها إلا من اختراع الله من خلقه، واصطفاه بحضرته.

ف"ليس بعشك فادرج".
وأما قوله لنا: "قد أوجبت أن الخليقة لا تدرك الخالق إلا بجسم مخلوق، تتذذو وتجعله واسطة بينه وبين مخاطب من الأنيبياء" فقوله باطل علينا، فاؤسب لدينا، فإننا قد أحسننا تلك "والاسطة" فيما تقدم بوجود متعدد. وقد حكمنا بتكمير من أثبت واسطة على نحو ما زعمت، ولا أعلم أن أحدا من المسلمين قال شيئا من ذلك، بل ولا من أهل اللمل غيرك.

ثم نقول: هذا الواسط الذي زعمت لا يخلو أن يدرك الله تعالى.

أعني يعرفه ويسمه كلامه أو لا يدرك؟ فإن تلقتم قلتم لا يدرك فقد شهدتم على أنفسكم: أن الواسط ليس بالله إذ الله لا بد أن يكون دراكا، ويلزمكم على ذلك أن يكون عسي لا يعرف الله تعالى، ولا يسمع كلامه، وهو محال.

وآن قلتم أنه يدرك الله تعالى، فهل يدركه بواسطة، أو بيغير واسطة؟ فإن أدركه بواسطة آخر فإنكما في تلك الواسطة كالكلام في الأولى، ويلزم التسلسل، وآن أدركه بيغير واسطة، فيجوز لنا نحن أن ندركه بيغير واسطة. وفي هذا ابطال ما ذكرت من أثبات الواسطة الذي ذكرت أن المسلم قد اضطر إليه.

وأما قوله: "أما أوجب عليهم الشرك في قولنا بواسطة فإن الحق والعمل لا يعيب الواسط" فنعلم أننا لم نوجب عليك الشرك من حيث الواسط فقط، بل من حيث أثبت واسطة النهاية وذلك أن زعمت أن الصديق قال لوسي مخبراً عن نفسه: "أنا الله، لا الله إلا أنا. فأعبدي" واعترف له موسى بالربوبية، وتحمل عنه الرسالة وعبادته وسجد له.

فهذا أثبت الله غير الله. وكذلك قلتم في السفيئة أنه قال: "أنا الله" واعترف الحواريون له بالربوبية، فهذا الهان. ثم أن الأقاطيم ثلاثة آلهة، فصارت آلهتهم خمسة، فيها لبت شعرى هذه الآلهة الخمسة هل أشتركون في إيجاد الموجودات، واختراع الكائنات، أو انفرده بها أهدهم؟ فإن كان قد انفرد بها أحدهم فهو الآله الحق الواحد الفرد، وإن كانوا قد اشتركون وتعاونوا على خلق المخلوقات فلا معنى للشرك إلا هذا، ويلزم على تقدير اجتماعهم وتوافقيهم على الخلق: أن يكون كل واحد منهم مستلما إلى مساعدة الآخر، وكل مضطر ناقص، والناقص ليس بالله. وإن قدرنا اختلافهم في الخلق، بحيث يريد أحدهم أن يخلق، ويريد الآخر أن لا يخلق في يؤدي ذلك إلى أن لا يخلق أحدهم.
شبيبه: فلا يوجد الخلق. وقد وجد الخلق فدل ذلك على أن الآلهة واحد لا شريك له. ولا الآلهة غيره.

ثم تقول: عباد الأصنام والأوثان آبائه حالا منكم، فأنهم في عباداتهم إما كانوا يعبدون أصنامهم ليقربوها إلى الله وليست لهما أرباب من دون الله متبرون منها، وهذه جهالات بيئة وضلالة ظاهرة، عميدها مصائبكم فأفطرت عليها قلوبكم، وأعجب من ذلك كله قولك «العقل والحق لا يعيش الواسط».

أما من قال هذا فقد خرج عن غزية العقل وتارة وقع في مفازة الجهل. فأن العقل الصريح يشهد بضرورة سابط الواسطة. وآمن الحق فهذه كتب الأبيضتين: أي أبا أحمد وأبي محيكم. ففي أي كتاب منها: أن الآلهة خمسة؟ إنها تدل كلها على أن الآلهة واحد، ولا ولد له. ولا واند. «وما ينبغي للرحمن أن يتخذه ولدًا ... إن كل من في السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا» (1) وتستدعي فتلم، وأنت قد اضطربت في هذا الفصل ولم يثبت لك فيه فرع ولا أصل، والكثير مع من لا يعقل عامل من لا يحصل.

وأما قولك «وأنت لما أوجبتم أن الأمة تحاسب بعضها يوم القيام، أن محاسبة يخطبها يوم القيامة، ويكافئها بأعمالها» فقد كان ينبغي لك أن تحتج بشيء لم تثبت عندك أصله، ولا تصدق بنقله، ثم لا حجة لك في شيء مما ذكرته، وذلك أن محاسبة الله تعالى للعباد في الدار الآخرة ما يجب الإيمان بها، وما قد تواردت عليه الشرائع، أما بالتصريح واما بالإيماءات والتويج.

وذلك يكون ولاد، ولا أجل مجازاة العباد بأعمالهم في الدار الآخرة: خلق الله الخلق وسط الزرق وأرسل الرسل وأرسل الكتب. أفسحتهم أنما خلقناكم عباداً، وأنتم إلنا لا ترجعون (2) ومحاسبة الله للخلق تكون على وجه جائزة في العقل وارادة في النقل، لا تحتاج إلى شيء مما تخيّله.

منها: أن العبد يوقف في موضوع الفصل والقضية. فيعطي كتابة

أحصيت فيه أعماله، وسأقال له: «أقرأ كتابك، كفى بنفسك اليوم عليك»

(1) مريم: 92, 93
(2) المؤمنون: 115
حسبياً (1) فذا وقف عليها ، علم أن الكتوب فيها هو أعماله ، فكان سعيداً . قال « هؤلاء أقرأوا كتابه . إنني ظننت أنى ملاق حسابي ، فهو في عيشة راضية . في جنة عالية . قطوفها دانية 」. فعند ذلك يقال لهم : "كلوا واشرعوا هنئاً بما أسلمتم في الأيام الخالية "(2) ، وان كان شقياً فيقول : "يا ليتي لم أوت كتابه . ولم أدر ما حسابي . يا ليتها كانت القاضية . ما أغنى عنى ماليه ، هك ينى سلطانيه "(3) .

فعند ذلك يقال للملائكة : "خذوه فظهوه . ثم الجحيم صلوه . ثم في سلسة فرعها سبعون ذراعاً فاسلوكوه "(4) .

هذا وجه من وجوه المحاسبة لا تحتاج معه إلى أثبات "واسط" . ويمكن أن يكون هنالك وجه ممكنة في المحاسبة ، ليس هذا موضع ذكرها .
ولأنت أهل لفهمها ، لا تحتاج في شيء منها إلى ما رتم من الواسطة . فكأنى والله بك من مت على ما أنت عليه - يؤخذ بناصبتك وقدرك ، وتحيط بك ملائكة ربك "ملائكة غلاظ شداد ، لا يعسون الله ما أمرهم ويفطرون ما يعورون "(5) .

فتداعي نقول : "يا عيسى ، يا سيدي ، يا النبي ، يا ولد الله " .
فيقول لك : "كذبت ، ما أخذ الله من صاحبة ولا ولد ، ولست بالله ، ولم ألقى لك كذلك ولا أبلغتك ذلك ، وانما بلغتك أن لا اله الا هو ، وحده لا شريك له " . فكيف ترى خجلتك بين يديه ، وحيرتك إذا طلبت في نفسك ، جواباً ترد عليه ؟ فذلك المقام لا ينفعك فيه ملك مقرب ، ولا النبي مرسل ، إلا ما قدمت يداك ، من حسن إيمان ، وصالح عمل ، وسعادة قضت لك بها سابقة الأزل .

فان الملائكة والنبيين لا يشفعون إلا من أرتضى رب العالمين . 
قال الله ، انظر في خلص نفسك لتجتني شمار غرسك .
وأما قولك " يقول قرآنتكم : "وجاء ربك والملك صفا صفا "(6) .

(1) الأسراء : 14 - 44  
(2) الحاقة : 19 - 32  
(3) الحاقة : 20 - 39  
(4) الفجر : 22  
(5) التحرير : 6  
(6)
لست لها، فما شأنك وايامها، أن لا تعرف لسان من خوطن بها، ولا تعرب مضمونها. كيف يمكنك الاستدلال بها، والتظافر حولها؟ وعند لا غير في الشرط الذي به يعرف معناها، ويفهم نحوها، وليس مفهومهما عنده من خوطن بها من العرب الفصحاء، البلغاء على شيء مما ذكرت، ولا يقرب ما نوهتم، بل معناها عندهم لا تخلالفه العقول، ولا يخرج عن أسلوب لسان العرب المقول وانما أكره أن أشارهك به لأنك فائد شرطه. فإن كنت ممن ينور الله بصيرته، ويسكن سريرته، شرعت في أن تتعلم، ويدع علينا أن نفهمه حتى أن شاء الله تفهم.

وأما قولك: "في الإنجيل يقدر ابن الإنسان في مجلس عمته" وتقدم جميع الأمم بين يديه، ويميزهم كما يميز الراعي الغنم" فقوله: أمنا بالله، ومالكته كتبه ورسله، ومع ذلك فنعلم على القطع والثبات أن كل آمة تدعى يوم القيامة بإسمها، وتنادي بمعبدها، وأنبيائها. فتتبع كل من كان يعبد الشمس، الشمس، ويتبع كل من كان يعبد الطواغيت: الطواغيت.

فإذا كان ذلك فلا بد لعيسى أن يجمع له كلا من لزمه اتباع شرعه، فحينئذ يميزهم كما يميز الراعي الغنم، فمن آمن به وانتبه على النحو الذي رسم له فهو من الفائزين، ومن اعتقد فيه أنه الله، أو ابن الله.

فالناس أولا، بعد أن يتبرأ عيسى من دعوته.

وأما قولك: "فإذا أوجبت أن الله لا مفرور، ولا مدرك بحاسة، فقد وجب أن المحاسب المسموع مدرك بالحواس" فهذا لا يلزم منه شيء، مما ذكرت، فإننا إذا قلنا: أن الله تعالى ليس مدركًا بالحواس فاننا نريد به أن الله ليس مدركًا بالحواس كما تدرك الأجسام والألوان فيكون محاطاً به، فيكون ذا حدود وأقطار وذلك محل.

فإذا قلنا: إن الله تعالى يرى في الدار الآخرة، إنما نريد به أن الله تعالى يخلق لنا إدراكاً آخر لا تتاسب حاله حالة إدراك الأجسام، ولا الألوان. فان الإدراكات مختلفة باختلاف متعلقاتها، وذلك إدراك خاص لهحكم نفسه، لم يذق منه ذوقًا في هذه الدار، فإننا انما يكرمون الله به أولياءه وأصيافه يوم القيامة.
وإذا أ忸م الله تعالى على وليه بذلك الادراك الممتع عنه بالرؤى، خلق له من اللذة ما لا يفه رأته، ولا ادأ مسعته، ولا خطر على قلب
بشر، فإن أنكرت أن يرى ما ليس بجسمه، ولا لون فلتذكر أن يعلم موجودا ليس بجسمه ولا عرض، وإن تزعم أن الرؤية غير جانبية عقلا، فقد جهلته موسى حيث سأل الله ما يستحق عليه، كيف جهل موسى
من وصف الله ما علمه جاهل مثل؟

وأما استشهادك بحديث نبينا عليه السلام على رؤية ذي الجلال والكرام، فإنها ممنوعة منه لأعراضك عنه، وهو من عدنا على أثاب.
رؤية الله تعالى في الدار الآخرة لكونا عالمين بحقه ودليل صدقه.

ثم أنك نقلت ذلك الحديث فأجحته، وبمعنى أخلت، وإنما
صاحب: «أنكم ترون ربك، ولا تشاهدون في رؤيته، إلا كما تشاهدون
في رؤية القمر ليلة البدر» وهذا لا حجة لهك فيه، فإننا نقول: أن الله تعالى هو المرئي لا غيره بالأبصار في الدار الآخرة على ما تتقدم، وأنتم تقولون: أن المرئي الواسطة، وهذا الحديث يعرف معاينة أهله، وهم الذين يصدقون رسالة من قوله، فلا تقطع في معرفته، فإنك لست
أهلا لداريته.

وأما قولك: «لم تنكر أن يكون المسيح الذي كان واسطا للوعظ،
أن يكون هو المقبول بالملائكة كما قال عنه تراتكم: "هل ينتظرون إلا أن
يأتينهم الله في ظل من الفهم والملائكة"؟» فكيف لا تنكر ذلك ولم يلز
على وقوعه دليل عقل ولا صحيح نقل؟ وليس معنى الاتيان في هذه
الآية إلا كالمجيء في الآية المقدمة، وكلاهما ليس المراد به: الجيء
الذي هو نقل الأقدام، بل الجيء والاتيان لهما معا آخر يعرفهما
العرب المؤمنون.

وهذه الآية فيها محدود تفسيره آية أخرى متقديره: "هل ينتظرون
الآية أن يأتينهم أهل الله، كما قال تعالى في آية أخرى: "هل ينتظرون
الآية أن يأتينهم الملائكة، أو يأتي أمر ربكم"؟ فقد ذكر في هذه الآية
ما حذف هنالك، وهذا على المعروف في لسان العرب من حذف المضاف،

(1) البقرة: 210 (2) النحل: 33
وأقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك الكلام على الآية الأولى. وهذا لا خفاء
يه عند البصير يليسان العرب، فإنها تستعمل الحذف والاضمار والمجاز
والاختصار، ثم هالك وكتابنا، ولأى شيء تثبت ضالتنا. "دعها
معها حذاؤها، وسقاها. ترد الماء، وتأكل الشجر، حتى يلقاه
ربها".

أثق السلاح فلست من أكفائنا واقعد مكان بالحضيض الأسفل

ثم نقول: من عجيب أمر هذا السائل: أنه لا يصح أن ينسبه
لقلد ولا ناقل، وذلك أن هذا المذهب الذي أبداه من اتخاذ الله
واسطة "صوت الصدای" انما حمله عليه، تقليده لكتاب "أغشتين".

وذلك أنه أشار في "مصحف العالم الكائن" إلى نحو ما ذكره
هذا السائل، وله وقف عليه، ولم يفهمه صحيحا، ولا أورده فصيحا
بل زاد عليه كلاما فاحشا قبيحا، وأنا إن شاء الله تعالى أذكر كلام
"أغشتين" في الفصل الذي بعد هذا وأبين فيه أنه ليس كما فهمه
هذا السائل، ثم أعطت على "أغشتين" بتبين فهي سعاد مذهبه، وأوضح
أنه غير مصيب في مطلبه، وأحقق فيه: أن "أغشتين" مخالف لغيره من
قوانين.

* * *

* * *
في حكاية كلام المنفسيين

لتعلم أيها الناظر في هذا الباب: أن النصارى قد كثر اختلافهم، وعظم خبطهم وارتباكهم فلا هم يستترون فيه على قدم، ولا يمضون منه على طريق آدم، فقليل منهم من نفي الاتحاد والحلول، ولم يقل بشيء من ذلك، وهم طائفة متقدمة يعرفون بـ (الإرشادية) ولا يكاد مذهبهم يخالف مذهب المسلمين إلا في انكارهم نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ومجملهم على القول به واثباته.

ثم المثبوت له منهم من قال: لا يقال فيه بـ "كيف؟" ولا يسأل عنه بحرف ومنهم من شرع في بيان كيفيةه وتفسير مايته. فصارت اليعقوبية والنصارية إلى أن الكلمة خلقت جسد المسيح ومازجته كما يمزج الخمر اللبن، واللى نحو هذا ذهب الروم، وزادوا عليهم، فقالوا: اختلطت الكلمة بالمسيح فصارا شيئًا واحدًا.

ولقد حكي من كلام اليعقوبية: ما يدل على توقعهم، وجرأتهم على الله تعالى. وذلك أنهم قالوا: أن الله نزل ندخل في بطن مريم، فاتخذ من لحمها جسداً فصار الله مع الجسد نفساً واحداً.

وربما أطلق بعضهم القول بأن الله اتخذ ذلك اللحم والدم فزاده في نفسه، فصار ذلك اللحم: الله، وصار معظم اليعقاتية إلى أن الكلمة انقلبت لحما ودمًا.

أو ألامسلحة: فقالوا ليس تلك النفس هي الله، وإنما هي بعضه. وهذا هو البهتان، الذي يعلم بطلانه بالضرورة كل إنسان.

وصارت طائفة من النصارى إلى أن الكلمة حلت جسد المسيح، كما يحل العرض معله، وصار أخلاء من النصارى إلى أن المراد.
بالاتحاد : ظهور الله يوت على الناسوت • وربما عبروا له عن ذلك بالفيض •

ثم اختلفوا في تمثيل ذلك على ثلاثة أوجه • فمنهم : من قال مثاله • ما ينطبع في الأجسام الصلبية من الأشياء التي تقابلها • ومنهم من قال مثاله : الطابع المنقوش إذا اتصل بشمع وما يشاهده • فيظهر نقش الطابع عليه • وان لم يحله شيء من الطابع • ومنهم من قال : مثلى ظهور الله يوت على المسيح • كمعنى استواء الله على العرش • عند الإسلاميين • مع مصيرهم إلى استحالة المثابة •

وربما يعبرا عن الاتحاد بالتدريع • كأنهم أخذوا ذلك من لفظ الدرع يشيرون إلى أن الله يوت أتخذ ناسوت المسيح درعا •

هذه مذاهب المشهرين من طوائفهم •

وأما اختلاف آخرينهم فهما لا يكاد ينضبط • ولا يرتبط • ومن أراد الوقف على شيء من ذلك فليطلق كتاب «المسائل» لهم • فنفيه يرى تثيرهم وخبطهم •

ونفرد بعد هذا أن شاء الله : باب • نذكر فيه كلام «أغشيين» •

فان مذهبهم في الاتحاد مخالف لذهب من تقتدم ذكره من الفرق • والقسيسيين •

الجواب عن كلامهم • أما من حكي عنه : نفى الاتحاد • فقدم قال •

بالحق • وأتى بالمراد •

وأما من أثبته • و قال : ان الاتحاد لا يسبال عنه • ولا يكيف •

فنقول : مثلى الاتحاد لا يخلو أن تعرفه أو لا تعرفه • فإن لم يعرفه فقد اعترف بجهله • وت فقير عند كلمه • فانه اعترف بالاتحاد • دعاه ثبوتته للمسيح وحده • ثم لما طول بتبثيبه • قال : لا أعرفه • وهذا تئافض • وقال باطل • وأما من قال : أعرفه •، لا أنى يقصر عن إدراك حقيقته عقلية • ولا أقدر على العبارة عنه • وهذا كما قلتم أنتم في جوابكم عن كيفية سماع موسى كلام الله تعالى • حيث قلتم : أنه لا يسال عنه بكيف • فانه ظلم وحيف • فنقول : أما تولك : أعرفه •، إلا أنه يقصر على
عن إدراك حقيقته، فمنتناقض أيضاً، لأن كل معرفة، لا بد أن يرتسم في العقل، ويحصل فيه على الوجه الذي يكون معرفه منه في العقل، وما لم يرتسم في العقل، لا جملة ولا تفصيلاً، فلاس بمعلوم، وأئذآ إذا أدعوت أنك عالم بالاتحاد، فلا بد أن تكون علاً به، أما على الجملة، أو على التفصيل، وكيفما كان فلايد لك من أن تعبر عن معلومك، على أي وجه كان، وإلا فأتت جاهل بالاتحاد، ومن جهل كافر عندكم، وما تشبيهك هذا بكيفية سمع الرأى، فلايس بصحيح، لأنا مهما قول لنا كيف سمع الرأى كلام الله فإننا نسأل عن أمر لم نعلمه: علم ذوق، وعن تفصيل ما لم نعلمه: تفصيلاً بل علمناه.

على الجملة

ولذلك أجنبنا بقولنا: أن الله تعالى خلق له إدراكاً سمع به كلام الله تعالى الذي هو وصفه، الذي ليس بحرف ولا صوت، ففهمنها الإدراك على الجملة، ولم نفهمه على التفصيل، وأئذآ لم تعرف الاتحاد، جملة ولا تفصيلاً بل جهلت وادعت، أنك علمنا تفصيلاً.

فـ "هاتوا برهاكم أن كنت صادقين" (1)

وأما من قال: أن الكلمة خلاطت جسم المسيح، ومازجته مازجها، الخمر اللين، فكلام فاسد، قائله للعقل فافقد، وذلك أن المفهوم من المخلطة والمازجة لا يتصور إلا في الجوهر المحدّد، وذلك أن المخلطة ما يعبر بها عن تجاور الجوهر، واجتماعها بحيث يكون كل واحد من الجوهر الممتوجة يحفظ حيزه ويشغله، ويمنع منه غيره، ولذلك إذا أفرغت انا طاء، على اناء لبن مثل، وتضايق كثر اللين، وصار لا يسعه بعد المزاجة ما كان، وعلى العلم ليس بجوهر، فاستحال عليه الاختلاط، والامتزاج بالضرورة، فان أرادوا بالامتزاج، الاختلاط أمر آخر، فلا بد من بياكه، وفٌاءة تصوره ولا يتكلم على الشيء، ردًا وقابلًا إلا بعد كونه مقتولاً، ولو سلمنا المازجاء جملًا، للزم عليها، أنواع من المزاجات، منها: قيام الصفة بنفسها، وانتقالها، وبقاء جوهر الله تعالى عليها، على قولهم: والعزي عن العلم جاهل، والجهل على الله مجال، ويلزم على

(1) البقرة: 111، النمل: 64 (9 - الإعلام)
ذلك: أن لا يكون العلم آزليا، بل حادثا مخلوقا، وأن حاله تغيرت وبدأت
أو لم يكن مختلطة ممتزجا: مختلطة.

وهذان أمران حادثان، ولا يخلو عن أحدهما، وما لا يخلو عن الحوادث حادث.
علي ما يعرف في موضعه، وهذه أمور باتلة، فالمفضلا
اليها باطل، وهو الاختلاط.

وأما من قال بالحلول، فليس له محصول، ولا معقول لأن حقيقة
الحلول إنما هي: أن يحصل جسم أو يتحيز في شيء، أو على شيء،
فليس للحلول: جاللها. والمحصول فيه: يسمي محلها. وتسمى النسبة
بينهما: حلولا، وهو الذي يسميه النحوى مصدرا، هذا هو الفهم.

من حقيقة الحلول.

وقد يتوسع فيه فيقال: حل العرض في محله، ومعناه: صار
المحل متصفًا به، وصار العرض قائما به، وموجودًا فيه.
فان أردتم حقائق الحلول كان محالا، فإن العلم ليس بجسم ولا
جوهر على ما مر.

وان أردتم الثاني فهو محل أيضًا لأنه يلزم عليه مفارقته العلم.
الجوهر: ويقال به: ويقوم عرض، واحد بمختلف، في زمن واحد.
وينلزم عليها انتقال الصفة من محل إلى محل وحدودها إلى أنواع من
المحالات، لا يبوء بها عاقل، ومندلها أحق جاهل.

وقد صحوا بأنهم أرادوا بالحلول: حلول الجوهير في العرض.
وقد صحنا نحن بما يلزمهم من الحالات على ذلك، وبيناه والحمد لله.
ثم نقول لهم بعد ذلك في قولهم بالاختلاف، وأنهما صارا شتاتًا
واحدًا: لا يخلو أن حين اختلطا، أما أن يبقى العلم موجودا بحاله.
والجوهر موجودا بحاله، أين نعدم أحدهما، أين نعدم مما

محال، لأن بيقيا موجودين بحالهما، مع فرض الاختلاف، وكوينهما
шийئا واحدا. فإن الواحد لا يعودان أيهما. و إذا
أضيف غيره إليه، ارتفعت الوحدة بالضرورة، على ما تقدم في التثليث.
وكذلك الاثنين لا يعودان واحدا إلا إذا انعدم أحدهما، فترتفع.
الأئثنيعة بالضرورة، ومحل أن ينعدما، فإنه يؤدي إلى عدم القديم، والي عدم ما هو موجود في حالة وجوده، فلم يبق إلا أن ينعدم أحكاما دون الآخر، وذلك محل أن يكون لا يختلف المعدوم ولا يمارسه، بل يبقى الواحد واحداً.

وإذا بطلت هذه الأقسام المنحصرة بطل الامتزاج والاختلاف، ومصير الأئثني واحداً لا واحد على ما قالوا.

وأما من قال: أن الكلمة انقلبته لحما ودما، فلقد ارتكب حماقة، والتزم عمي، يلزم عليه جواز عكس مذهب، وهو أن ينقلب اللحم والدم علماً، والله جدنا، والحادث تقياماً إلى غير ذلك من الحالات التي لا تصدر عن من ضم: أطرافاً من المعتقدات، ولولا الحماقة والتقليد، لما وجد مثل هذه الفوائض في كلام أحد من المخلوقات.

وأما من قال: ان الاتحاد هو ظهور وفليس، ولهانان düناباع الصورة في المرآة فهذا المثال انما كان يصح، لو كان العلم صورة محسوسه بالبصير، ويكون جسد المسيح صقيلاً تنطبع فيه صورة القبابات، وكل ذلك معدوم في مسألتنا بالضرورة، فتخيله فاسد، وباطل بالضرورة، فكما لا تمثل ذات الحياة، والإدراك في المرة كذلك لا تمثل الكلمة في جسد المسيح.

ثم أن جاز اتباع علم الله في جسد البشرى، فلتنطبع في كل ما يشبهه في الجسدية، وسيأتي لهذا مزيد بيان، وفيما تقدم ما بين فساده واستحالة.

وأما التمثيل بنقش الخاتم يعود منحرف في الشمع، والمحفري في الخاتم يعود نائباً في الشمع، فذلك لا يتصور إلا في الأجسام. وإن جاز في غير الأجسام فيلزم أن يكون كل واحد منهما، أعني اللاهوت والناسوت يؤثر في الآخر، ويجل فيه، فيكون الناسوت حل في اللاهوت، وذلك محل عند كل فريق. والأمر الثاني: أن النقش في الخاتم يوضع مثلب الكلمات، ثم تنطبع مستفيدة في الشمع، ولو وضعت في الخاتم مستفيدة لأنطابقت في الشمع، انعكس وفازم على مساق هذا المثال: أن تنطبع الكلمة في الناسوت، أما بالاستفادة.
وأما من لبس منهم، بأن مثل قولهم في الاتحاد، يقولوا في استواه، رفع بالعرش. فذلك مما لا يقال عليه عندما اتحاد، ولا حلول، ولا فييض، ولا انطباع. لأننا نريد بقولنا هو على العرش مستو، واستوى على العرش: أن العرش تحت قبضته، ومسكر بقدرته، والاستواء عليه، إنما هو بمعنى الاستيلاء على ما يعرفه العرب من كلامها: فإنها تقول:

قد استوى "بشر" على العراق، بغير سيف ودم مهرار.

فإن أرادوا هذا المعنى فهو حق وصحيح، لكنه لا يصح في حق عيسى وحده، فإن الله تعالى مستو على عيسى، وعلى غيره، وأما من أطلق منهم لفظ النزوع فيستجيب على الحقيقة، والتوصع، وذلك أن هذا اللفظ يشعر بأن الهلوسات اتخذ الناسوت درعا، أو كالدرع، وهذا كله مستجيب على الله تبارك وتعالى، وعلى علمه، وكل ما تقدم من الحالات على هذا المذهب يلزم، وعلى الجملة فهؤلاء القوم أغلبهم جاهلون، وعن التنويق معزولون، فهم عن العقول المعرضون، وببهم مستهزئون، لا يستحيون من خالقهم، ولا يتأدون مع مالكم ورازقكم. فسبحان الله، عنا يقول الجاهلون، وتعالى عنا ينبله الله البطلون. بل هو الله الواحد الأحق، الفرد الصمد، الذي "لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد"(1).

ولولا ضرورة الحال، ورجاء تقم أهل الضلال، لاستجزت حكايته مثل هذا المقال، وأنا استغفر الله ذا العظمة والجلال، أنه ذو العفو والافضال.

---

(1) الأخلاص: 64.
ولا بد مع ما تقدم: أن نطلبيهم أجمعين، بصحة الدليل الذي جعلهم على ذلك القول الغث الهجين، حتى نتبين تحكماتهم، وتظهر لكل أحد ترهاتهم.

فأقول لجميعهم: ما الذي حملكم على القول بالاتحاد، والператор في النضل والاتحاد؟ فلتعلم أنهم قد اختلفوا مسلكهم في ذلك، فمنهم من قال: أنا همنا بذلك تقليداً للإنجيل، وحذراً من المخالفة والتبديل. كما قال هذا السائل، ومنهم من قال: أنا همنا بالاتحاد لأن عيسى ظهرت عليه أفعال لا تنبغي إلا ألاه، من أحياء الموتى، وإبراهيم والأبرص، وخلق الطير من الطين، وهذه أفعال لا يقدر عليها إلا الله، وهو قد قدر عليها، فهو إذن الله، ومنهم من قال: أنا صرنا إلى ذلك لكون عيسى لم يخلق من الماء الدافق، الكائن عن أبوه، ولا خرج عن شهوة آدمية، بل خلق الله ناسوه من غير أبي ليكون واسطاً بينه وبين خلقه، وليتخذه لكلته، وربما قال بعضهم: السلم تقرأون في كتابكم: "الله على ما أخبر به كتابكم.

فنقول:

لا نقول بذلك تقليدا للإنجيل. جوابك قد تبين، فيما تقدم.
اذ قد تقدم أن فهم الاتحاد منه باسيج باطل. وأن الصائر إلى الاتحاد.
بعد الوقوف على ما تقدم: معاند جاهل.

وأما من استدل منهم على ذلك بما ظهر على يدي المسيح من خوارق العادات. فنقول له: لأي شيء قلت: أنها تدل على الوهيه، ولم تقل أنها تدل على ما كان يستدل هو بها من رسالتين؟ فقال: "رب أعلم أنك تعطيني كل شيء، ولكن أقول من أجل الجماعة الأيقنة، ليؤمنوا به، وليصدقوا أنك أرسلتني." فهؤلاء استدل بأحياء الموتى.

(1) النسخة: 171
(2) النص: «أبيا الآب أشكرك لأنك سمعت لي»، وأنا علمت أنك في كل
على رسالة، وأنتم تستدلون بذلك على ألوهيته، فيلزم من هذا الاستدلال: العدول عن شرع عبسي المنقول، ومصادمة العقول.

ثم نقول لهم: كيف ينبغي لكم أن تقولوا هذه الأعمال العجيبة تدل على أنه: لا هو، وأنتم تعزون في كتبكم أن عبئى كان إذا أراد أن يفعل شيئا مما ذكر تضرع إلى الله، ورغب الله بخضوع وتذلل حتى يقضي الله حاجته، وهذا موجود في كتبكم كثيرا فيها.

وكني دليلا على نفى ما تنسبونه إليه قوله حين صلبه بزعمكم: "الله، الهى، لم أسلمتني" (1)؟ وقوله قبل ذلك: "يا أبتاه، أن كانت هذه الكأس، لا تقدر تجاوزني، حتى أشربها، فلتكن ارتدتك".

ووهذا كله في سجوده.

وفي هذا الموطن قال: "يا أبتاه، أن كان مكننا فلتذهب عنى هذا الكأس" (2).

وفي أنجيل ماركوس أنه قال في هذا المقام: "سيلبي ابن الإنسان ما كتب له" (3) ثم قال بعد ذلك: "يا أبتاه، أنك قادر على جميع الأشياء، فرج عنى هذه الكأس" (4) فهذا كله يدل دلالة لا شك فيها: أنه كان يفعل ما يفعل بخذن الله، إذا أراده، وأقرده عليه.

وإنه إذا كان يتفق له ذلك: بعد أن يتضرع ويرغب لله تعالى، وربما كان يسأل أمورا لا يعطيها الله له، مما سبق في علم الله أنها لا تكون.

منها: ما تقدم. حيث سأل الله أن يدفع عنه أمر الصلب والقتل. فلم يجب لذلك على زعمكم. ومنها: أن اليهود كانت تطالب بهم ببعض.

---

(1) النص: "الله، الهى، لم أسلمتني" ؟ (متي 67: 6).
(2) النص: "كان يصل يقول: "يا أبتاه، أنك قادر على جميع الأشياء، فرج عنى هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت" (متي 22: 49).
(3) النص: "أن ابن الإنسان ماس كما هو مكتوب عنه" (مرقس 14: 21).
(4) النص: "قال يا أبا الآب، كنت مستطاع لك ما ناجز عنى هذه الكأس" (مرقس 14: 36).
معجزات موسى بن عمران، فلا يجيبهم شيء، ويسأتم لهذا مزيد.
ودليل ذلك من الأنجيل: أن عيسى قال للهود: "لست أفعل من ذاتي شيئاً، ولكن أحكم بما أسمع وأتأتي لسأ أنفاذ أردانى، بل أراد الله الذي بعثني إذا ما في كتبنك من هذا الذي قد عيتم عنه، ولم تسمعوا حرفًا منه، فتارة ينبهكم على وجه الاستدلال، وتارة يصرح بالمقال، وتارة يسأل فيعطي ويجاب، وتارة يسأل فلا يرد عليه جواب، وحينما يبترا من مشيئته ويعترف بزلته وعبوديته، ثم هؤلاء القوم، فمنهم يقولون هو: الها، ومحييتنا، وخارقتنا، وكأنهم ي يكونون بكم كالأئمة، وصم كالأنصام، ففال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثنا.

ثم نقول: إن كان احياء الأموات يدل على الألوهية، فلا شيء لا يقولون: إن "الأباس" و"البمس" كانا لهين، وأنه حل بناسوتهم اللاهوت، وشأنهما في احياء الموتى، لا يقدر أحد على دفعه. ولا يخفى.

ولم لا تعتقدون ألوهية النبي "حزقيال" اذ فقومه، وهو ألوه حذر الوباء، فأماتهم الله، ثم جاءهم نبيهم، فقال لهم: لتحيوا باذن الله، ففتحوا ورجعوا إلى قومهم، سبحنة الموت على وجههم حتى ماتوا بآجالهم. وهذا معروف عنهم، ولا مدع فيه.

وان أنكرتم وجود شيء من ذلك، نزلنا معكم بما في الكتب القديمة، من قصص الأنبياء، وكتبهم، وهذا لازم لهؤلاء القوم، لا ينفكون عنه واحد منهم، إبدا.

(1) النص: "أنا لا أقرر أن أنع من نفسي شيئاً، كما أسمع أدين، وودينوتي عادلة لا ينن كتبهم، بل مشيئة الآب الذي أرسلني", (يوحنا 5 : 30).
(2) النساء : 78.
(3) الاباس أحيان أربعة، انظر الاستصحاب السابع عشر من سفر الملوك الأول والبمس أحيان مئتين، انظر الاستصحاب الرابع من سفر الملوك الثاني، والاستصحاب الثالث عشر من سفر الملوك الثاني.
(4) انظر الاستصحاب السابع والثلاثين من سفر حزقيال، ذو الكفل.)
السلام أيد نفرا من الحواريين بباحية الوثني، وجعلهم رسولا إلى الأجانس، فأحيا الموت بزعمهم(1) فما الذي أوجب أن يكون المسيح في حال الوعي، قد أيد بذلك بشرا، وجعله رسولًا إلى الأجانس، كما زعموا؟ وما الذي معن أن يكون الله عز وجل يؤيد بذلك بشرا، ويجعله رسولًا إلى الناس ؟ فإن كان المسيح من أجل أنه أحيا ميتا: هو الله - فكل من أحيا ميتا من الحواريين وغيرهم - هو الله. ثم كل خارج للعادة يجعله دليلا على الوعي، فإنهم يعارضون بجعل ذلك في حق غيره من الأنبياء عليهم السلام. ويدعى الرسول، فلا يجدون فصلا بينهم، وبين يعارضهم.

وأما من استدل على ذلك بأنه خلق من غير آب فيلزم أنه يعترف لآدم بالكاملية (2)، فإنله لم يخلق من نطفة آب، بل انها خلق من تربة أرض. ثم نفخ فيه من روحه كما فعل ببعض، خلقه من نفخة اللطيفه بلحظة مرة، فنشأ منها، وفيها، فترته بمنزلة لمحب، ونفخه بمثابة نفخه، وهذا مالا مخلص منه، ولا خروج عنه، ثم أكرمه الله تعالى بأنوع من الكرامات، لم يكرم بها غيره من نطفة آب، وجزل عليه أنه أسجد له ملكته، وأعلمه بما لم يعلمهم، حتى جعله رسولًا لهم، وكفى بهذا شرفًا إلى ما هنالك من خصائصه، ومن فضائله.

بل لو أمكن لأحد أن يقول: أن بشرا يتصور أن يكون لها لكونه من غير آب، كان آدم أولي بذلك من حيث أنه لم ينشئ عليه أوضار الرحم، فقد شارك المسيح في كونه من غير آب، وزاد عليه أنه من غير أم، لم يعترف في ظلمة الرحم، ولم ينطلق بدم الثمود ولا خرج

(1) انظر الأصحاح العاشر من أنجيل متي الآية الثامنة، وانظر الأصحاح العاشر من أنجيل لوتا.
(2) وكذلك ملكى صادق ففى الرسالة الإبراهيمية مقدما: «لنملكي صادق هذا، ملك سليمان، كان الله العلي، الذي استقبل إبراهيم راجعا من كسره الملوك وباركه، الذي قسم له إبراهيم عشير من كل شيء. الترجم أولاً ملك البر ثم أيضاً ملك سليمان، أي ملك السلام، بلا آب، بلا أم، بلا نسب، لا بداية إلا له، ولا نهاية حياة» (عب 7: 1 - 3). وانظر التكوين 200 الأصحاح الرابع عشر الآية الثامنة عشرة وما بعدها.
من مجرى البول 0 هذا مع الاعتراف بأن ذلك كذلك ، ولم يختلف في ذلك أحد ، أعني في أن آدم مكون مخلوق من غير أبوين .

وقد خالفتم اليهود لعنهم الله في كون الهم المسيح من غير أبي ، واطلقوا القول على مريم البتول المرأة عند الله مما قالوا ، بما قد علمتم فلعنهم الله ، وغضب عليهم - فقد كبدوا .

وانما أسمعتكم هذا - تعلمو آنا نعرف ما قالت اليهود لعنهم الله في عيسى وأمه عليه السلام . وانا ننذهمها عما قال فيها البغضون لهم ، والمحبون القالون فيها ، فما أجلهم بكم - لو شاء الله توفيتكم - أن لو قلتتم فيما الحق ، الذي ينبغي لكم : أن الله جعل عيسى وأمه آية للناس ، هو عبد ورسول ، وأمه صديقة مباركة .

ثم نقول للمستدل بما تقدم : يلزم على استدلالك أن تكون حواء أم البشر إلهها فانها لم تخلق من أبوين ، ولا من نطفة ، وأنها خلقها الله من ضلوع من أضلاع آدم . لم تتكون في ظلامة الرحم ، ولا نشأت بعين الأقدار ، والأوضار ، وخلقها من ضلوع آدم كخلقه من تراب ، ولا فرق ، و "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون"(1) .

وأما استدلالهم بما في كتابنا من قوله تعالى : "أما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وكلمه واتبوا إلى مريم وروح منه"(2) فلا حجة لهم في ذلك . لوجه :

أحداها : أنهم لا يصدقون بكتابنا ، فلا يستدلون به على شيء .

والثانية : أنهم أن استدلوا على غرضهم ببشر هذه الآية . فإن صدرها يرد عليهم استدلالهم وكذلك الآيات التي بعدها ، قال الله تعالى في كتابه العزيز الذي "لا يأته الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزل من حكيم حكيم"(3) مخاطبا لهم ; وردنا عليهم : "يا أهل الكتاب لا تطوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق .

(1) يس : 82
(2) النساء : 171
(3) فصلت : 42
انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وكلهله . ألقاها على مريم وروح منه . فانها باركة لله ورسالتله . ولا تكونوا : ثلاثة . انتهى . خيرا لكم . انها الله الواحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السماوات ، وما في الأرض ؛ كفSTAT ككل . ولن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ، ولا الملائكة المقربون . ومن يستنكف عن عبادته ، ويبتكر . فسيحشرون إليه جميعًا . فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فيوقفهم أجورهم ، ويزيدهم من فضله ، واما الذين استنكروا واستنكروا فيذبحهم عذاباً أليماً ، ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ، ولا نصيراً ؛(1) .

(ونورد بعد ذلك الزوايا لهم):

اللزم لهم : نقول لهم : حين صار أقنون العلم لعيسى كيفما صار . هل بقيا الرب تعالى كما كان قبل ذلك . أو اختفت حاله .
فان كان كما كان قبل ، فلم يصرعيسي منه شيء . وأيضاً فلو صار إليه بعض أمانيه ليست ناقص الأقنانه ، وتبتل الوهيه فان حقيقته عندهم واحد ثلاثة أقنانهم . وأما ان اختفت حاله فيلزم عليه أن يصير من العلم إلى الجهل . ومن القديم للحدود . وهذا كله على الله تعالى .
كمال . ومرتكبه في بحبة الصلال .

اللزم آخر : نقول لهم : حين صار أقنون العلم لعيسى . فهل بقي البارية تعالى عالماً بذلك الأقنانه أم بيته أو غير عالما ؟ باطل أن يقال غير علم لاستحالة الجهل عليه . وباطل أن يقال : بقي عالماً بذلك الأقنانه . إذ لو كان ذلك للزم منه ألا يصير إلى عيسى ، فيلزم منه أيضاً أن يكون علم واحد يقوم بمحلين ، ولو صح ذلك يصح أن يكون الواحد منا ، موضوفاً بوصف علم وذلك مجال . فإن العلم الواحد لا يتبع ولا ينفسم . إذ العلم لل واحد انما يعتل في محل واحد بمعلوم واحد في زمان واحد ، فيما يقبل الزمان والتردد . وباطل أيضاً أن يقال : انه يكون عالماً بعلم آخر ، فإنه يؤدي إلى حدوث الأقنانه ، بل إلى حدوثه . وذلك كله مجال .

اللزم آخر يظهر تنافسهم : وذلك أنه قد تقدم من مذهبهم أنهم قالوا في الأقنانه انا غير متبابنة ، ولا مفترقة . ثم اتهم قد قالوا هنا .

(1) النساء : 171 - 172
ان أقنون الابن اتحد بناسوت المسيح، دون أقنون: الآب، وروح
القدس، فمفهم هذا: أن الابن اتحد بناسوته، وبقى جوهر الآب.
روح القدس لم يتحد به، وهذا تصريح بالباينة والمفارقة. فان
بعض هذه الثلاثة وجب له أمر دون صاحبه، فلو لم بياينةهما، ولم
ينكن غيرهما، للاوجب له من الحكم ما لم يجب لهما، ولا تنقض
فظير من هذا تنقضهم، وقد كنا أظهرنا أضرابهم في هذا في باب
الأقنون.

ثم نقول تحقيقاً لالتزام الجمع: هذه الأقنونما اما أن تكون مباينة
ل الجوهر، مفارقة أو لا تكون كذلك.

فان كانت مباينة لزم أن تكون زيادة عليه، وإن كانت زيادة عليه
لزم أن يكون الاله مركبا من أمور - كما مر - وقد أثبت ذاك وهو
محلٌ. ويلزمكم أيضاً: اخراجها عن كونها أقنون. ويلزمكم رفع
التوريد إلى محلات كثيرة عندكم. وإن كانت غير مباينة لم يصح
اتحد بعضها دون بعض، بل لو اتحد بعضها، اختصجم جميعاً فيلزم
على هذا اختصجم العلم والقدرة والأرادة والوجود، وهذا بين لا خفاء به.

التزام آخر وطلبه: نقول لهما: لأي شيء قلتتم أن الذي اتحد
بناسوت المسيح اما هو الابن فقط؟ ولأي شيء لم تقولوا أنه
اتحد به الآب وروح القدس؟ ولو قلتتم ذلك: لكان أجرى على ما أصلتم
من أن الأقنون، ممباينة ولا مفترقة.

فان قالوا: إنما قلنا باتحاد الابن لأن عيسى اما أرسله الله
لعلم الناس شعيعتهم، ويخبرهم بالمعاني عنهم ويعظمهم. وذلك
كما اننا قسم بالعلم.

فقول لهم: هذا الذي ذكرتم مسلم لكم جدلاً. ولكن لم قلتم:
انه اما اتخذه الله لهذا فقط؟ وإنما هو اتخاذه لهذا، ولأمور آخر:
منها: تعبده، وسما: ليبري، مرضاً، كانوا قد أعياوا الأطباء،
ورأده الله تعالى شفاءهم على يديه، وسما: أنه أراد احياء موتى
على يديه.

فتحصل من هذا أمران: أحدهما: أن هذه معجزات تدل على
صدقة، والثاني: أن من أباء أفاق من مرضه، وجذامه، وجنونه.
وبصره فانفع بذلك • وكذلك يحصل لله من البر، وناء على ذلك: أن الله أعن الله من فادحه، الذي يد ما يلعبه برسله، وهذه الأمور كلها، لا يمكن أن يكون كل واحد منها مفصولا لله تعالى • وإذا أمكن أن يكون كل واحد من هذه الأمور مفصودًا. فلم اقتصرت عليه مفصول واحد، مع امكان هذه المتاح؛ وإذا تقرر ذلك حصل منه: أن الله تعالى اتخذ ما لا يصح بالعلم، والقدرة، والإرادة، والحياة • فقولوا: إن هذه الأفكار احدثته بالفه. وهذا لا زام لا محيس عنه، ولا جواب عليه • ثم يلزم على هذا: أن يكون كل نبي أرسله الله تعالى يتحدث به العلم • فإن هذا الذي استدللته به في حق عيسى موجود في حق غيره من الرسل • إذ كل واحد منهم انما أرسل معرفا بشرع الله، ومبلغ رسالته الله • ومخبراً بوعده الله ووعديه • فلزم على هذا أن يتحدث العلم بكل رسول.

الاسم آخر: قد تقرر أن عيسى عليه السلام كان يحبى الموتى • ويبرئ الأكمة، والأمراء • ويخلق من الطين كهيئة الطير، فينفع فيه فيكون طائرا • فإذا قالنا هذا، فهما أن يكون عيسى هو الذي يفعل ذلك أو غيره • فان كان غيره فليس ذلك إلا لله تعالى • وغاب عيسى أن يكون عبداً يرغب لله تعالى في قضاء حاجته • ثم إن الله تعالى يفعل ما يشاء عند تويده بالنبية تصديقاً له في الدعاه • وعيسى ينظر إلى ذلك • ويتعجب عند ذلك من فعل الله، ولطيف صنعه. • وهكذا كان حل موسى عندما أبيده الله بالبصا • فنقل له: (\"الهوا\") "فانتها أنا هي حية تسمى (1) فلما رآها على حال لم يعرفه منها• • • وولي مدبرًا ناخداً وأنا شاهد من قدرة الله تعالى، فلما فزع. • قال الله تعالى له: (\"خذها، ولا تخف • سنعدها سيرتها الأولى\") (2).

وإذا قالنا: أن عيسى هو الذي يفعل ذلك • فهما أن يفعله بقدرة وعلم وإرادة أور لا يتزوج إلا شيء من ذلك بطل أن يقال: أنه لا يتزوج إلا شيء من ذلك • لأن العلم cặpتياري لا بد له من هذه الأمور بالضرورة • على ما يعرف في موضعه • فلم يبق إلا أن يفعل ذلك بقدرة وعلم وإرادة • وهذه الصفات هي شروط الفعل • ولا بد

(1) ط: ۲۱  (2) ط: ۲۰
وأعلن تكون منسوبة له، ويكون هو مصدرها بها، أو لا تكون منسوبة إليها، ولا يكون هو مصدرها بها. فكان لن يكون هو مصدرها بها، ولا تنسب إليه، فلا تنسب الفعل إليه، وقد نسبت الفعل إليه. فدل ذلك على أنه موصوف بها، وتنسب إليه كلها، وأذا أثبت ذلك فليس من يسبح عنه القدرة والأراذل، ويقول: هما صفحتي للتعالى، وليس لبعض عني فيلزم عن هذا البحث: إن هذا الفعل المنسوب إلى عني موجود عن علم وقدرة، واردته وأن هذه الثلاثة أننا ننسب لأحد، فاما لله، واما لسيدي، ولا يجوز عقالة أن ننسب بعضها لله، وبعضها لسيدي. فإن هذه الثلاثة مشروط بعضها بعض فالمجل أو الجوهر الذي يتجه لأحد هذه، يجب للباقى. وهذا ما خفاء عند العالق المؤقت.

الزم آخر: قد تقرر عند هؤلاء القوم: أن علم الله، اتحد بعيسي، ولا خلاف بين جمهورهم في هذا المعني. وأن اختلفت عباراتهم عنه، فعسي العالم، والله تعالى العالم، بلغ واحد. فقد اتخذ أئمة العلم وتدريس المجل. فإذا أثبت ذلك لزم عليه أن يكون عني العالم بكل معلومات الله تعالى. ويكون الله تعالى عالما بكل معلومات عني، فانهم عالمان بلغ واحد. فإذا علم الله أنه هو نفسه خلق المخلوقات، ينبغي له اسبي أن يعلم أنه هو نفسه خلق المخلوقات كذلك، لأن علمهما واحد. وكذلك إذا علم الله أنه هو نفسه خلق المخلوقات، ينبغي له اسبي أن يعلم أنه هو نفسه كذلك. وإذا علم عني نفسه متعولًا بآبائه، ومصموًا ومتوأمة بالشوك، ومصوصًا في خبيرة، ومسمرة يدا ورجلًا فيها، ينبغي له تعالى أن يعلم نفسه كذلك، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا. وهذا كله لازم على هذا المذهب، السفي، الفاسط الشعيب.

اللزم آخر: وذلك أنهم أتبعوا على أن المسيح صلب وقتلى بالنخز، ورفع فوق خشبة بعد أن أهين وصفع ووضع على رأسه الشوك، وسرمته بيدا، ورجلاه في الخشبة. وقد جاء كل هذا في أئنياتهم. كما زعموا - نقول لهم: أوقت ان آهين وصفع ورفع على خشبة، وسرمته بيدا، ونخز. هل كان متحدا بهلاءوت، أو زال عنده؟ فإن كان متحدا بهلاءوت في تلك المواطن فلقد أدرك لاهوتاه من المذلة، والدهانة والنخز، والموت، ما أدرك ناسوته، لاسيما. وقد التزمنتم فيما تقدم أن أقنومن العلم حي، فقيل لكم على هذا أن تبتدروا إلا ذللا مهانا. ينخز، ويومت وكيما هذا خزي وفضيحة. فان قلتتم: إنه فارته. فإذا جاء أن يفارقته في موطن، جاز أن يفارقته في كل موطن. وهذا مما يابونه ويلزم عليه: ان فارقه أن يكون جاهالاً، ولا يكون الهو فتعبدون ما ليس بالهـ.

وقد خرجنا مع هؤلاء الجهال بخالقهم، المستهزئين بأدباهم، إلى حد الاكثر، وفرتقنا شرط الاختصار. وقد أطبنا في هذا الفصل. نحن كان لا متمسك لصاحبه ولا أصل، لكونهم متفقين عليه، ومحتجين به. ومتحومن نحوه.

ولا يظن الخان: أن هذا المذهب الذي ارتقيه هؤلاء القوم في الأئنيات والانتحال، محتاج في إبطاله إلى نظر واجتهاد. بل العقول بأوائلها تشيد بفساده. كما أن الحس يدرك بيضا الجسم من سواده. وهؤلاء معاندون، وللضروريات جاحدون.

ومن كان حاله كذلك، أنهما يتكلمان معه بضرب الأمثلة بأبنين المدارك، وتعديل الألزمات، وتثبيك المسالك، وتبني الأفهام، ويلقي يد الاستسلام. وقد قدمنا العذر عن ذلك كله في أول الكتاب، وإلى الله أرغب في الهداية للصواب، وحسن المنقلب إليه والباب.
إننا نذكر أن شاء الله تعالى في هذا الفصل كلام هذا المذكور الواقع في "مصحف العالم الكائن" ونحن كألفاظه من غير زيادة ولا نقصان.

الآتي اختصر مفهوم كلامه، ما ظهر ضرورة سياق الكلام إليه، من غير إخلال بلغته ولا تقصير في معناه، وربما قدمت وأخرت، وانما خصصته بالكلام معه في فصل مفرد، لغرضين:

أحدهما: أن هذا السائل على مذهب عول، وأياء قلد، ومكتبته.

الثاني: أن النصارى معولون على معرفته، ومقلدون له في قومته وقعتده، على أنه أعرف بمسائل النظر، وأجراه على مناهج العلم، لكن نعوذ بالله من عين عوراء، وفضطة بتراء.

قال (أغشتين): "قد أجمع الله الملك على أن الله تعالى قد كلام موسي تكلمها، واجتمعت على أن موسي سمع صوتا يقول له: "أنا ربك" فأخبرنا: أنؤمن بأن الصوت الذي سمعه موسي هو ذات الرب. وأنا الرب في ذاته مسموع. أم تقولون: أن الرب أسمع موسي صوتا على ما يشاء من رفع وخفض وغلظة ورقة. وأنه أبتدى الصوت متي شاء، وقطعه متي شاء. وأنه إلى موسي من ارداده ما شاء؟ فان قالوا: أن الصوت نفسه هو الرب. وأن الرب مدرك بالسمع، فقد خرجوا عن نهجهم في نفي التشبيه، وان قالوا: أن الصوت من فعل الله وأن الله خلق الصوت على ما وافته. وأظهر فيه من ارداده ما شاء. وأن الصوت قد كان له مبتدا ومنتهي. وأن الله الخالق له. لا مبتدا له. ولا منهتي. قيل لهم: فقد ثبت أن الصوت الذي سمعه كان مخلوقا. فكيف جاز لموسى أن يقول: "سمعت الله"؟ فان قالوا: نقم الصوت من الله، ونقم صوت الإنسان من الإنسان. وانا نسمع صوت أنسان. فنقول:
سمعنا فلانا، وكذلك وجوب على موسى لما سمع صوت الله أن يقول:
سمعت الله فيهم: فقد أقررتهم: أن الصوت من فعل الله
كمان صوت الإنسان من فعل الإنسان، ولست تكررون أن تقولوا
إذا سمعتم صوت رجل: سمعنا صوت المريد، كذلك الصوت الذي
ابتدآه، وخلقه به، ولكنكم تقولون: سمعنا صوت فلان، وسمعنا
فلانا، إذ سمعتم صوتته، وكذلك من سمع صوت الله، وجب أن يقول:
سمعنا الله، لأن الله خلق الصوت، وجعله حجابا لأرادته التي أظهرها
فيه، فقد ثبت أن الناس لا يسمعون الرب إلا بصوت مخلوق على
هذا يشبهه تعارفهم، يكون حجابا فيما بينه وبينهم.
والواجب عليهم: أن يختاروا الصوت باسم الذي الصوت له،
كمان أن الصوت إنما خلطهم عن الله، وهم ذلك يلزمهم في كل ما يشبه
التحديد، مما وقع في كتاب الله الثلاثة من التشبيه بالعالم، ووصف
نفسه بالعين والوجه والفم، ولا يمكن جوده فقد رضي أن ينسب
إلى نفسه مثل كلامهم، وأن يختارهم في مثل لغتهم. فقد ثبت أنه
اتخذ التشبيه حجابا بينه وبين خلقه». 

ثم قال بعد ذلك كلاماً معناه: «كما جاز أن يتخذ صوتاً
ويجعله حجابا لأرادته، حتى أظهرا فيه، كذلك يجوز أن يكون قادرًا
على اتخاذ أي صورة شاء، وأن يظهر لعبادته في أي حلية وافقته،
وذلك الصورة ملكه يبدله كيف شاء. لأننا أن كننا أنه لا يقدر أن يسمع
عبادة صوتاً، ولا أن يظهر لهم بصورة فقد أرسلنا عليه القدرة على كل
شيء.»

ثم قال بعد ذلك: «فعلمنا أن الحجاب مخلوق، وعلمنا أن الله
خلق كل شيء، ووجب علينا أن نزله من الإكرام حيث أنزله الله المحتسب
به، لأنه لم يتزلف كل شيء على ما أنزله عليه، فقد عصينا
لنا، لأننا لا نعد بدأ من أن نكرم الملائكة فلا نكرم الشياطين، ونكرم
الصالحين، واللائتين الفجار، وهكذا فلا بد أن يكون شيء أعز من
شيء، وشيء أقرب إلى الله من شيء، حتى يكاد شيء في العز أن
يتباعد بالاجتهاد، ويكون أعز الأشياء، ويتكاد شيء أيضاً أن يكون في
الله ما بحيث لا يكون شيء تحته.»
والواجب على العارف بالله: أن ينزل كل شيء بحيث أنزله الله ويسميه بما سماه الله، فأن أثر بأن الله خاطب بصوت مسموع، أو ظهر في صورة مرئية، فقد أثر بأن الله خص ذلك الصوت، وتلك الصورة بما لم يخص به شيئاً من الخلق، وأن الواجب على من سماع ذلك الصوت أن يقول: سمعت صوت الله م، ومن رأى تلك الصورة يقول: رأت صورة الله، ولذا وجب على موسى أذ سمع صوت القائل: "أنا ربك"، أن يجاوبه باسم الربي، ويقول بأنه ربي، ووجب على آدم إذ قال: "يا آدم": أن يستجيب، يقول: "هانذًا يا رب"، وكذلك في مخاطبته لجميع الأشياء، لأن الصوت لم يستApellido فالله، وأننا أخطاب عن الله، وأننا الله خاطب، فقال: "أنا الله"، فالواجب أن نخطاب مثل ما خاطب به.

ومثل ذلك يجب في الصورة، ومن ظهر له الله في صورته كما ظهر للإنسان، ولدانيال، فقد وجب عليه أن يسجد للصورة، وأن يخاطبه باسم الله، لأن علمه بأن الله خص تلك الصورة بالاختياز لها، والاحتشاب بها، ضام له إلى عبادته فيها، لأنه قد رضى أن يرى فيها، ويعد بها.

وقد علمنا أن الله خلق الصوت الذي أسمعه موسى كما علمنا: أن الله خلق جميع الأصوات، ولكن وجب علينا الإقرار لذلك الصوت بالربوبية ما لم يجب لغيره، لعلمنا أن الله ولي الخاطبة بذلك، وكذلك يجب في الصورة أن يخصها من الأكرام بما خصها الله به.

ومن قال لا يجب أن يخاطب الصورة باسم الله، ولا أن يجاوب الصوت باسم الله، فقد قال: أنه لا يجوز أن يتخذه الله صورة، ولا أن يسمع صوتاً، وإذا وجد أكرام الحجاب باكرام المحتجب به، لم يبق علينا من الكلام شيء إلا في الحجاب، الذي أتّجه منه، وهو السبب والاستشمام بالتوراة والأنجيل في أمره، إلا أنا نقدم التقول في ذلك بالقياس، لتلا نستشهد بالكتاب إلا فيما كان داخلا تحت الأمكان» 1003.

ثم قال: "هذا وان لم يوجه القياس إيجاب الاضطرار فانه يجوزه تجوؤ الأمكان، لأن القياس الذي فضل به الإنسان على جميع خلقه، وخطابهم لمثل لستهم، وتشبههم في مخاطبته، وخلق كل

(1003 - الإعلام)
شيء لهم، ومن أجلهم، وأوجب لهم البقاء معه في رضوانه، وآلا يكون دونهم أبداً. وأنه ظهر لهم بحجاب مخالق، فتشبه لهم بنعت محدد، فغير متمتع فيه، ولا بعيد أن يكون حجابه فيما بينه وله، وهمما يشعبه، ونزوله الى مخاطبتين في مثل غفتهم، وهو نزوله الى الظهور لهم في مثل صورتهم، لأن اتخاذ الصورة مثل اتخاذ الصوت».

ثم قال: «شواهد الواضحة كثيرة من ذلك قول ارميلي النبي، حيث يقول عبدون من الندم: "يا رجاء اسرائيل، يا مخلصه من الفم لأنت ستكون في المستقبل كالغريب في الأرض، أو كالسافر يعدل الى المبت: لأنت ستكون في المستقبل كرجل صالح لا يقوى أن يخلص (1)؟» وقول: (2) النبي: "أن العذراء ستحمل، وتلد ولداً ويدعى ولدها عجببا هديبا لها قوياً، والدنا، مقبل الدماء العالم، يكثر ملكه، ولا يكون لسلطانه أن يقطعوا ولا آخر.» وقوله أيضاً: "من ذا يقبل خبرنا؟ أم إن ذا ظهر له ذراع الرب؟» ثم وصف أنه ظهر ضعيفا محترقاً، وأنه هدي بنفسه الى القتال طوعاً ووصف خبر المسيح ظاهراً كم كان (3) وقوله: «لا يفقدن.»

(1) النص: يا رجاء اسرائيل، مخلصه في زمان الضيق، لماذا تكون كنت قريب في الأرض، وكمسافر يجيل ليبيت؟ لماذا تكون كانسان قد تحير؟ كجبار لا يستطيع أن يخلص.» (ارميلي 14: 8 - 9).


(3) النص: «من صدق خبرنا، ولن استعنت ذراع الرب نبت قدمه كفرخ، وكفر من أرض يابسة، لا صورة له، ولا عالج، فنظر إليه ولا منظر فنشتهبه، محترق ومخلوز من الناس، وجلع أوجاع، ومختبر الحزن، وكمساء عنه وجوهنا محترق فلم نعتد به.»
الملك من سبط يهوذا، ولا يزال منهم أمير حتى يأتي الذي هو مرسلاً، وهو يكون رجاء الأجناس»(1) وترجم كذلك بالختصار:

«لا ينقطع الملك منهم حتى يأتي المسيح» اهم.

هذا ملخص كلامه وزبدته في عدة أبواب من كتابه المتقدم الذكراً من غير أن أخرج عن لفظه الا الفاظاً يسيره يتصل بها الكلام، ولا يغير المعنى.

وها نحن بعون الله نجاوبيه، مجاوسة على طريق البحث والمناظرة.


وأما أنه متكلم بصوت، أو سمع موسى صوته من الله فهذا شيء اختفت فيه الملل، وتباينت فيه النحل وأكثر أهل اللالة الحنفيّة يذكى ذلك ويخيطون من صار إلى ذلك. أعني من صار إلى أن يكون البالتي تعالى متكلمًا بصوت، وأن موسى عليه السلام لم يكلمه الله بصوت وأنما

لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها. ونحن حسبنا معصمان. مضروبًا من الله ومذولاً، وهو مجروح لأشاقنا، مسحق لأل آثامنا.

أنا كمًا لامعاصينا، كمن كمحزنا، ويرى والر��م على أمر جمعنا. ظلمنا. أما هو نذال، ولم يفتح فاح، كشاط تساق إلى الذبح وحَمْنَج صامتاته أمام جازيبا، فعل يفتح فاه من الضغطة وسنين الذبح. وفي جيل من كان يظن أنه تقطع من أرض الأحباء، ان ضرب من أجل انب شعيبي. وجاء مع الأشرار تبره، ومع غنى.

عدد مويته على أنه لم يعمل ظلماً، ولم يكن في فيه غش.

أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن، إن جعل نفسه ذبيحة إثين، يرى

نسالا تطول أيهنا، ومسرة الرب بيده تنجح، من تعب نفسه يرى، ويشبع. وبعدي البار بمعرفته يبرر كثيرين، وآكاؤهم هو يحملها، لذلك أقسم الله بعين الأزَنَّ، ومع عنها، يقسم جنوة من أجل أن سكب للموت نفسه وأحسى مع أثينا، وهو حمل الخطبة كثيرين وشفع في المذنبين» (إشعار

32 : 12) والتعبيرات في هذا النص: مجازية كتابة عن الآلام التي

سيلقها المسيح المتغير في الدعوة، وأنه ستنجذب دعوته في النهاية.

(1) النص: "لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجله، حتى يأتي شلون وأه يكون خضوع شعب" (تكوين 49: 10).
كلمة بكلامه الذي هو وضعه الذي ليس بحالت ولا حرف على ما تقرر بيانه فيما تقدم، فهذا الرجل البكي الذي هذا القول أمن أن يكون علم اختلاف الململ فيما ذكر فيه اجتمها. أو لم يعلم، فإن كان علم فقد كذب، وإذا عرف من أحد من الناس الكذب، فينبغي ألا يثبت إلى الله.
ولا يعمل عليه.

فينبغي لكم ألا تتعاونوا على شيء من نقله، لامكن أن يكون كذب فيه، كما كذب في هذا وأنا كان ذلك القول منه عن جهل هذا كثير في حق من جهتين.

أحدهما: أنه أقدم على الأخبار عما لم يتحقق من غير بصيرة، وليس هذا فعل العلماء، ولا الأكبيار من الفضلاء، وكتاب بالمرء كذباً.
وأما أن يحدث بما لم يعلم صحته.

والوجهة الثانية: أنه جهل أمرًا معلومًا على القطع صار اليه، وعمل على مقتضى: أنه، لا يحصون كثرة منذ مضى السنين ولا محمل يمن تعاطي نصرة المذاهب، والكلام مع أرباحها. أن يجهل مثل هذا، وإذا جهل هذا فهو هو أخفى من هذا أجل، فهو بين أمرين: أما أن يكذب متعمداً فلا يثرون بقوله، أو يجهل أمرًا جلياً يدرك بأدنى بحث.
وأليسر أمرًا فلا ينفعغ لكم أن تقولوا في عمل ونظره.

وأما ذكرت هذا لتحملوا أن عمدة التصور على هذا الرجل في مذاهبهم، بقوله يجعلون، ويهتجون وله يقلدون، وعليه يعولون، فهو يوم كره أمامي، ادعى أنه بصير فاستناده عمي، فقادهم فسقط. في حفرة فسقطوا لسفطه» وأشد عذابا يوم التهى رجل قتل نبيه. أو تكله نبى، ومام ضلالة» وانا كان كذلك لأن عليه وزره، ووزر من عمل بها «تحوى من مات، ومتات ومع ذونه».

وأما قوله: «فان قالوا: ان الصوت نفسه هو الرحب وأن الرحب مدرك بالسمع، فقد خرجوا عن مذاهبهم في نفسي التشبيه، فهذا نص من كلمه هذا الرجل: أن الصدى ليس بالرحب.

وقد قال السائل الذي جاوبناه قبل هذا: ان أثر له بالروبيوية» وظاهر قوله مناقض لقول أمامه، ثم نقول لهما: قد اتفقتما على أن
الصوت مخلوق • وأن الله تعالى ليس بمخلوق، فقدما الصوت المخلوق
اما أن يكون ربا غير الله • أو ليس رب • فإن كان ربا غير الله فيلزمك
أن تعودوا بعبادة خاصة غير عبادة الله، بل هو أولى بالعبادة من ناسوت
المسيح • إذ يتغوطن ويبول ويصلب على تولكم • الى غير ذلك مما عدناه •
وذلك أن الصوت لا يليق به شيء من ذلك • وذلك كله جليل • وقد
ألزمناهم على ذلك مناقضات لا محيص عنها فيما نتقدم • وإن كان هذا
الصدي ليس برب فيلزمك على قولك أن يكون موسى خاطب بالبروبية من
ليس برب • وذلك لا يليق به • وهذا على قوله أن المخاطب هو الصدري
لأزم ضرورة • ثم ما أعجب أمر هؤلاء القوم ينفون تشبيه الله تعالى
بخلته • ويجعلون نفسه قاعدة يرجعون إليها بزمهم • ثم يلتزمون
من التشبيه في حق الله تعالى ما لم يقل به من الشبيه أحد • وذلك أنهم
قالوا • إن الله تعالى متكلف بصوت هو من قبل أصواتنا • وهو مخلوق
مقطع بالحروف • وهو مع ذلك مخاطب بالبروبية • وهذا هو التشبيه
الذي فروا منه • وزيدة عليه •
ولقد أغلق في التشبيه كبيرهم • آشتين • وإن كان عن أصل
التشبيه من المعروض • وذلك أنه جوز عقلة بزعمه • أن يتخذ الباري
صورة يجهلها • ويظهر فيها ويسجد لها • ومن رأى تلك الصورة ويقول:
رأيت صورة الله • فإنه قد رأى الله • ولا تشبيه أعظم منها • بل المشبهة
أحسن حالا منه • وذلك أنهما • أعلى الشبيه • بناء أعمهم على ظاهر
الشرايع فثبتت ما أثبتت الشرايع • وما قالته الأنباء • وما جاء في كتب
الله مصدرهم لها • غير منحرفين عن ظاهرها • ثم عزلوا عقولهم فلم
ينظروا بهما فبقوا على جموع التقليد • وثبتوا على صميم الاعتقاد
والتوحيد • ومع ذلك فأنهم يعظون الله • ويقولون بأن لا الله إلا الله •
ومما صرح فيه بالالتزام التشبيه قوله • صوت الله من فعل الله • كذك
أن صوت الإنسان من فعل الإنسان • ولا معنى للتشبيه الذي نفى:
الله • هذا تناقض ظاهر • فإنه تارة نفي التشبيه • وترأى أثبتت ثم
قوله يصرح بأن حقيقة المتكلم • من فعل الكلام • وهو خطأ • بل حقيقة
المتكلم • من قام به الكلام والدليل على ذلك أن حقيقة المتكلم تفهم
بكمالها مع فرض الغفالة والذهول عن كونه فاعلاً للكلام • ولو كانت
حقيقة المتكلم من فعل الكلام لما فهمت حقيقة المتكلم حتى يفهم كونه
فاعلا للكلام على ما يعرف في موضعه ولو كانت حقيقة المتكلم من فعل الكلام، لكان الباري تعالى متكلمًا بالكلام الذي يقوم بناءً فارغه فاعل الكلامنا وخلقه عليه ما يعرف في موضعه، وذلك محال.

ولنعلم أيها الناظر في هذا الكتاب: أن كل ما ذكره هذا (القص) في هذا الفصل: إنما هو مبني على أنه تعالى متكلم بحرف وصوت. وقد أبطلنا ذلك فيما تقدم حيث قلنا: كلام الباري تبارك وتعالى ليس بصوت ولا حرف وإنما هو وصف له قائم به ليس بحرف ولا صوت كما نبهنا عليه.

وأذا بكل ذلك بطل كل ما انتحله في هذا الفصل من الهذيان.

وإنما كلامنا معه بعد ذلك على طريقة الملاحظة الجارية بيننا وذلك أن أرباب النظر ربما يسلمون ما هو معلوم الفساد، ليتبين تناقض الخصم، وتحكمه للمبادئ، وكذلك نفعل نحن بهذا الرجل. بحول الله، فنقول له:

لا يشيء قلت إن الله اتخاذ الصوت حجابا لاظهراء إرادته، ولبست بلفظ الحجاب? ولو قلت: إن الله جعل الصوت دليلا على ما أراد لارتفع التلبيس، ولزال الأبهام، الذي أهتمت فانه أوهمت بلفظ الحجاب: أن الإرادة احتجت به، واتحدت معه، حتى ظهرت بواسطة، فمعججت أنت بلفظ الحجاب، والظهور، وأوهمت، وأنت ما حصلت على فائدة، ولا وجدت.

ومما يتبين أن هذا الذي ذكره إنما هو جمعة لفظية، ليس وراءها.

معنى: أنا يبطل لفظ الحجاب بالدليل، ولا نبقى مما توهمه شيء. فهنا يمكننا أن نقول: إن الصوت الذي خلقه الله تعالى، وجعله دليلاً على إرادته على قوله: إننا هو بمثابة أن لا خلق خطوطاً في حجر يستدل بها المستدل على إرادته اذا ترأوا، فلا يمكن لاعتقال أن يقول: إن الإرادة انحجبت بخطوط ذلك الحجر، ولا أتخذت به. فإن الإرادة لا تقوم بجمال، وهذا بين نفسه.

وكذلك لو كتبنا لفظ النار في ورقة لما تخيل عاقل، بل غافل أن ذات النار حلت في الورقة إذا لو حلت النار في الورقة لاحترقت، وكذلك
الصوت المنقطع حروفاً، اما هو دليل على ما في النفس من غير أن يحل ما في النفس في الصوت، ولا أن يتحد به. وإذا فهم هذا، ارتفع كل ما توهمه هذا المخدوع بالضرورة.

ثم نقول له: نسلم جدلاً ما ذكرته من لفظ الحجاب والظهور. لكن لم تقلت «انه اذا صح أن تظهر أرادته بحجاب الصوت، فجاز أن تظهر ذاته بحجاب الصورة؟ واما الدليل على ذلك؟ وأي جامع بينهما؟

قال فان الدليل على ذلك: أن الله تعالى قادر على ذلك، كما هو قادر على حجاب صوته. فإنه لم يكن قادرًا على اظهار ذاته بصورة، فيكون عاجزاً، والعجز عليه محال، فهذا هو الدليل، وامام الجامع، فان الصوت: مظهر للارادة، والصورة: مظهرة للذات.

فقال له: أما استدلالك بأن الله قادر على كل شيء فاستدل亲子 فاسد. فان الأشياء التي يقدر البارى تعالى عليها. انها هي المكنات، لا المستحيلات. وهذا الذي ذكرت من ظهور الله في صورة مستحيل لا يكون به مستوراً. فان المستحيل لا يوصف البارى تعالى بالقدرة عليه ولا بالعجز عنه، لا استحالة شرط تعلق القدرة، وهذا انما يعرف من يعرف حقيقة: حقيقة الواجب والمكنة، والمستحيل.


وقدبينا فيما تقدم: أن اتخاذ البارى سبحانه و تعالى صورة ليظهر فيها مستحيل، حيث أبطلنا الحلال والاتحاد، وما في معناه.

ونزيد الآن هنا نكته: وهي: أنت قول: هذه الصورة التي يظهر فيها لا بد أن تكون محتززة محدودة، والظاهر فيها: أما أن يكون داخلا فيها أو خارجا منها: أولا خارجا، ولا داخلا، فإن كان داخلا فيها كان محدود، محاطا به، وهذا هو التشبه.
فانه يلزم منه أن يكون جسمًا، وهو بطل على الله تعالى ومحال.
وأن كان خارجا منها لزم تحديده أيضًا، لأنه لا يكون خارج لا محدود.
حتيح، فيلزم أن يكون بجهة من الصورة وإذا كان بجهة كان جسمًا.
وهذا تشبيه.

وأيضاً، وإذا كان بجهة من الصورة التي ظهر فيها كان مقارنا لها.
وإذا كان مقارنا لها، لم يظهر فيها، وإن ظهر فإنما يظهر بنفسه، لا بالصوره، وإذا كان لا داخل فيها، ولا خارجا عنها استحال عليه أن يظهر بها أو فيها، لأن ما ليس بمتحيز، ولا داخل، ولا خارج، لا يظهر.
في جسم متحيز، لأنه من حيث كان ليس بداخل فيها، فقد فارقتها.
وإذا فارقتها لم يكن فيها وإذا لم يكن فيها لم يظهر فيها.

ولو جاز أن يظهر في كل ماليس بداخل فيه، ولا خارج عنه، لجاز
أن يظهر في كل موجود وإذا جاز ذلك فعله قد اتخذ الأنباء كلهم حجابا.
يظهر فيهم، وهذا مما يأبونه، وهو محال عندهم.

وأيضاً، فإن الله تعالى عندهم ليس بإراد من غير صورة.
ولا يظهر دونها، فكذلك يلزمهم أن يبقى على حالة، لا يظهر وإذا وجد
صوره إذا ليس بداخل فيها، ولا خارج عنها.

فان الصورة لا تكسبه أبدا أوجب له ظهورا إلا لم يكن له.
وهذا بين الاستحالة، إذ يلزم على ذلك تغيره عند العاقل المنصف.

نكتة أخرى: وهي: أنا نقول: هلا نجوز أن يرى الباري تعالى.
ويظهر من غير صورة أم لا يجوز؟ فإن جاز ذلك، فلم تحتتم أتخذ
صورته عليه، وقالم: أنه لا يظهر، ولا برى الآبيورة، وإن تلتم:
لا يرى ولا يظهر إلا باتخاذ صورة. فإذا وقع بصير الناظر فاما أن يقع،
على تلك الصورة أو على الله وعليهما.

فان تلتم وقع البصر على الصورة، لا عليه، فالسري إذن هي،
الصوره الخلوقة، لا الخالق، وإن وقع البصر على الخلق وحده،
لا على الصورة فهو المرئي ولا ترى الصورة. فان الصورة ليست
هي الخالق تعالى، والراجي لم يرى الصوت. فذاذ لم ير الخالق.
وإن وقع البصر عليه، لم ير عليه أن يرى الباري شيء: الخالق والصورة.
وهو انما رأى شيئا واحدا بالضرورة وهو الصورة لقول من يقول: أنه
ظهور بالصورة.

أيضا فلو وقع بصر من رأى عيسي عليه السلام على ناسوته، ولاحتها لما احتاجوا أن يستدلوا على ألوهيتها بحيله الموتي وغير ذلك، ولما كان يحتاج هو أن يبدل على لاهوت نفسه بشيء من المجرزات، وخوارق العادات إذا كان يدرك منه بالحسن والعمان ذلك، والعلم.

بالعمان لا يطلب تحصيل علمه بالدليل والبرهان.

فحصل من هذا: أن الصورة المقدرة لا يظهر فيها البالغ تعالي. وأن ظهرت هي فان الرأي انما يراها وحدها، وهي الظاهرة له، وأما البالغ سيحانه وتعالي فهو بعد ايجاد هذه الصورة على ما كان عليه قبل ايجاده لم تتبديل حاله، أعني أنه إن كان قبل ايجاده هذه الصورة قابلا لأن يظهر فهو بعدها قابل لأن يظهر، وإن كان متمتعا عليه أن يظهر قبلها إمتسع عليه ذلك بعدها، واستحالة التغير عليه فإنه لو تغير.

لكن محدثا.

وأما ما أدعاه من الجامع فلا نسلم أن الصوت مظهر للارادة إلا بمعنى أنه يدل عليها، لا بمعنى الاحتكاب والظهور كما زعم. وإذا لم نسلم هذا في الصوت فلا يصح له قياس الصورة على الصوت. ولو سلمنا قياس الصورة على الصوت من حيث الجامع فإنا دليل يحمل أخذهما على الآخر؟ فان وجود الجامع لا يدل على أن حكم أحدهما حكم الآخر. نذ لا يبعد في المثلاء في بعض الصفات اختلافها في بعض الأحكام على ما يعرفه أهله، ولو سلمنا وجود دليل الالتحاق كان قياس جزء على جزء، وذلك غير متقدم في العقليات، على ما يعرف في موضعه. وعلى ما يقال مع أهله فهو من كلام هذا الرجل عند العقلاء: أنه غير متمسك بدليل عقلي، وسليمان أنه لم يستدل على صحة مذهبه بدليل نقلي. فإذا بطل له المقول والمقول: ثبت أنه بالتحكم والإلهوي.

يقول: وذالك داؤب كل غني جهول.

وأما قوله: فالواجب عليهم أن يخاطبوا الصوت باسم الذي الصوت له، وكذلك الصورة يجب أن تخطب باسم الذي هي له.
فنقول له: قولك: واجب عليهم هذا الوجوب الذي ادعيته. أهو عقل؟ أو شرعي؟ فإن قال هو عقل، وشرعي، فلا بد من اقامة الدليل على ذلك.

فان قال: الدليل على ذلك: النقل والعقل. أما النقل فهو أن العاقل إذا أقر بأن الله خاطب موسى بصوت مسموع، أو ظهر في صورة مرئية فقد أثر بأن الله خص ذلك الصوت. وتلك الصورة بما لم يخص به شيئًا من المخلوقات اذ تجلى هو فيها. وإذا ثبت ذلك فالعقل يشهد بأن ذلك الصوت، وتفك الصورة. وله الصوت لابد أن يعرف شرفه. وينزل منزلته، ولا أشرف من الله تعالى. وما ظهر فيه تعالى في ينبغي أن يعتصم به. وتتبع العقل، ويجب بالعمل، ويحصل بأجل العبادات. فخرج من هذا: أنه يجب عقلا أن تعظم الصورة لتعظيم الحلال فيها، فتخاطب باسم الرب، ويعرف لها بالربوية والألوهة.

وأما الشرع فإذ ذكر ذلك دل عليه العقل جاءت به الشرائع. ألا ترى أن موسى خاطب الصوت باسم الربوية، وكذلك من رأى الصورة. إنما يرى صورة الله، والله تعالى معظم بالشرع والعقل. فتلك الصورة ينبغي أن تكون معظمة بالشرع والعقل. ألا ترى أن الشرائع قد أمرتننا بتعظيم الملاكية، واهانت الشياطين، وليس يخفى أن العرش أعظم من السماء. وأن الشرق أعظم من الغرب. وأن الصالحين أعظم من الطالحين.

وهذا كله يشهد له العقل والنقل كما سبق.

هذا إنه تقرر حجته، وإليها أشار في كلامه، ولا زيد في التقرير.

عليها.

فنقول: قولك: العقل، دل عليه» باطل. فأنا العقل لا يدل على التزام العبادات. فإن معنى العبادات التي تفعل بحكم اللزوم أنها تفعل، والفيتعاب الله التأرك، وذلك لا يتوقف العقل العيب. إذ العبادات لا تنتمين عدده، إلا بتعيين معين الذي هو الشارع الذي ينص على ما يرضيه من العبادات، وعلى ما لا يرضى به. وأما العقل فلا يستقل شيء من ذلك، ففعل العبادة التي يعينها العقل ويلزمهها. فعل لله تعالى لا يرضيه بها. إذ يفعل الله ما يريد ولعل ما يطله العقل عبادة هو مقصورة. فإن هذا الله تعالى يفعل ما يشاء. فبما يجعل من شيء نبيا، ووليا.
يجعل من يشاء فاسقاً وخيراً. ويتم باسباب ذلك، ولا حجر عليه في ذلك، ولا حكم كذلك. يجعل ما يشاء من الأعمال طاعة، وما يشاء معصية، وإن لم تقل بذلك لزجك أن تجعل الله تعالى محكوماً عليه مخلوباً. وذلك كله على الله تعالى مجال.

وأما ما أدعية من النقل من الأنبياء، فذلك شيء لا يصح عنهم، انهم عظموا الصوت والصورة بما عظموا به الله حتى عدوهمها - كما تزعمون أنتم.

وتولكم: إن موسى خاطب الصوت بالربوبية زعماً وقحاً، وافك صراح، وإنما الخاطب بالربوبية المتكلم بالصوت بزعمك الذي قال عن نفسه بالصوت «أنا الله» والذي يعتقل المقلة الذين لا يلعبون بأدانيهم، ولا يجترؤون على ربيهم والهم. إن الصوت موجود يتكلم به، ولا يتكلم هو عن نفسه. فإذا سمع العاقل قائلاً، قال بصوت مقطع: "مشيت إلى بيت المقدس، فرأيته" مثلاً، لا يشك عاقل في أن الخبر عن نفسه. إنما الذي قال به الصوت، لا الصوت، فإن له كان الصوت هو الذي أخبر بذلك عن نفسه لصدق عليه ذلك، ولا صبح منه الخبر لأنه لا يتأتي منه المشى، ولا الرؤية. وذكره، لو قال أنسان مخبراً عن نفسه، بقوله: "آكل الخبز"، وهذا بين بالضرورة، وإذا تقرر هذا فالصوت الذي سمعته جدلاً الذي يتكلم الله به على زعمهم لم يقل من نفسه شيئاً مما ذكره. إنما الله هو الذي قاله مخبراً عن نفسه. وأما ما قاله موسى فانه تعالى، فله اعترف بالربوبية، والله تعالى، الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى، لا للصوت. وهذا معلوم على القطع والضرورة والمخالف في ذلك جاهل متضامح، أو معاند متواضع.

وقد كان تقدم من قول السائل، النبي الجاهل: أن موسى اعترف للصدى بالربوبية، وأنه الذي قال عن نفسه: "أنا الله، لا الله إلا أنا فاعبدني" وأنه هو الذي سجد له موسى، وعن ذلك الصدى تحمل موسى الرسالة، وأنه هو الذي كلم موسى، وأياه جواب، وأنه قام عند موسى مقام خالق، فسماه الله، وربما يظن ذلك الجاهل أن هذا
وغاية كلام «أغتشتين» وان كان فيه من المخاطرين: أن يقول:
قد علمنا أن الله تعالى خلق الصوت الذي أسمه لوسي كما علمنا أن الله خلق جميع الأصوات، ولكن وجب علينا الاعتراف لذلك الصوت بالربوبية ما لم يجب لغيره، لعلما أن الله تعالى ولى المخاطبة به » 100

هذا نص ما في كتابه على هذا المعنى.
ولا يفهم منه شيء مما انتحله ذلك السائل، وقد وكت الناظر العاقل المنصف للوقوف على كلامهما، وتهم ممانيهما. فأنى قد نصحت على كلامهما في هذا الكتاب، وحسبه، كي يزال الارتياب، ويعلم الناظر المنصف: أن السائل ليس على شيء من الصواب، وإنما نبهت هذا التنبيه، حذرا من الغائط والتمويه، فأنى أخاف أن وبخ أحد (أقصى) النصاري هذا السائل على هذا المذهب الذي اخترعه، والمحال لذي ابتدعو، أن يجب لنفسه بأنه ينسب إلى «أغتشتين»، ويكون في نفسه من الكاذبين.

فمن أراد الانصرف فليطرح عن نفسه التحصب والاعتساف، ويقف على كلامهما متمتراً، وفيه متفركاً، ولقد كنت أتمنى أن يكون أولئك (الأقصى) بين يديه، حتى يسمعوا منه، وينظروا إلى فليس كل ما في النفس تبرزه المكتبة، ثم ليس الخبر كالشافية.

وأما قوله: وأذا وجب أكرام الحجاب، بأكرام المجتمع به لم يبق علينا، من الكلام شيء إلا في الحجاب، الذي اتخذه من هو السيد، فنقول: المفهوم من لفظ الحجاب أنه هو السرائر للشيء المائع له. فأنى تقول: احتج عني فلان، إذا استمر عنك؟، وأمتعت من لقائك والخروج اليرق، ولا يصح هنا على مفهوم كلام هذا الرجل أن يكون الحجاب هو السرائر، بل هو الكشف المظهر على قوله، وذلك أن ارادة الله وذاته قبل اتخاذ الصوت والصوره لم يكن شيء منهما ظاهراً.
فلما اتخذهما ظهرت ارادة وذاته، هذا مفهوم مساق كلامه، فتدبره.
وهذا يدل على قلة التحصيل، وقصد التخليط والتجهيل، وإذا كان الناظر من قلة التحصيل بحيث يعبر عن المظهر بالساتر، فعلمه جهل، ونظره قاصر.

وأما قوله في الشواهد على اتخاذ الله السبعم حجاباً فتهويل ليس وراءه تحصيل، وذلك أنه قال: «إن لم يوجه القياس ايجاب الاضطراراً، فإن يجوزه تجويز الامكان»، ثم أنه تكلم بأكثر، وذكر القياس الفاسد الذي به كفر، ثم رجع حاصل كلامه إلى أن قال: «لأن اتخاذ الصورة مثل اتخاذ الصوت»، وهذا كله قد بينا فساده فيما تقدم.

وأما ما ذكره من شواهد الأنبئاء عليهم السلام على ما ادعاه من الهذين والهذر والهذاك على المتعالين عن النقصان، فليس له في شيء من ذلك شاهد، وحاشا أنهما النبي، وكثرة من مذهب الفاسد، وغاية ذلك الشواهد، أن تدل على رسالة عقيدة عليهم السلام، وليس دلاليتها قاطعة على ذلك، فتدبرها بنفسك، وخدّها بقياس عقلك.

وسيأتي ذكر ذلك واصباه في «باب النبوت»، بعد هذا أن شاء الله تعالى. وقد أتينا على ما أردنا ذكره في هذا الباب، والحمد لله على أننا أغلبنا كثيراً من ألفاظ أشجعتين يمكن البحث فيها، ترتكباها لخلا بطول الكتاب، ويخرج عن الضبط هذا الباب.

على أن هذا من كلامه هو اللب، والباب، هذا مع أن الأول أن يوافق القدر، أن أرد على «القس أشجعتين» كلامه، وأبطل من ذلك الكتاب قصده ومرامه.

وحسبنا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

** *

كمل الباب الثاني، وبكماله كمال الجزء الأول، والحمد لله حق حمدته، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وسلم، يلوه الثاني.

** **
الأعلام

بما في دين المصاري من الفساد والأوهام، وإظهار مهاتر دين الإسلام، وآثاره في نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام

تأليف
الإمام الطبري

تقديم وتحقيق وتعليق
الدكتور محمد محازى السفأ

المجلد الثاني

دار التراث العربي
الباب الثالث

في البكاء والبكاء

هذا الباب ينقسم قسمين:

أحدهما: نحن فيه كلام السائل، وذكر الجواب عليه.
والثاني: نتكلم فيه على النبوات، وعلى أثبات نبأ نبأ محمد عليه الصلاة وسلم:

(11 - الإعلام)
الفصل الأول

إحتجاج أصحاب الملّل

في حكاية كلاهم

قال: "إبتداء احتجاج الثلاث ملّل بنو الله،

أعلم: أن أهل الملّل أجمعين متفاوتون في ادعاء الإيمان، حاكمون
على كل قوم لأنفسهم بالإيمان، ولهؤهم بالكبر، قد غلب عليهم في
ذلك الغواية، وتأديب الصبا، ووصية الآباء والأجداد، حتى صار
ذلك طبعاً فيهم. لا أزال لهم، فكلهم قد سهل عليهم انتقص غيرهم،
وابعندهم دينهم بالتهنيء في دنياهم، عن معاد آخرتهم، وصاروا
في تدبير دنياهم ومعاشهم، على خلاف ذلك لأنهم تجد أهل كل ملّة
يضعون أن غيرهم من الملّل ألحب على كل طلب معايشهم، وأنفسهم
في استجاب أرزاقهم.

وأحسب أن العلة في ذلك: رغبتهم في التكاثر من الدنيا، وهي
التي تدخلهم إلى التحاسد والمعايرة، فيهجز كل قوم أنفسهم في طلب
معاشهم، وان الآخرة عنهم مهملة، لبدها عن حواسهم.

فذلك يزعم أهل كل ملّة: أنهم أحق خيرا من غيرهم. فذلك قل
تناصفهم فيها، وأن طال عصرهم. لأن كل قوم قد قلدوا سلفهم
وطاب عليهم خبرهم في مدح دنياهم، وذم غيرهم، فأسقط الرجل منهم
كل حاسة، وأمّات خواطره، وأذهب فهمه بقطع كشفه عن مصالح
ما يستقبله من خبره، واستعماله إياها، بما هو مهدب عنه من دنياهم.

ولتجدن الرجل من كل ملّة، يروم شراء خرقة يرقع بها ثوبه
أو شركة لعله، فتره يستجري، ويستثير خوف السقطة، والغلف.
ثم إذا صار إلى كشف دينه ومعاده، اكتفي فيه بتقلّب سلته.
ثم لا يبالي بدبل من خالف ملته، ويئنئ كل خارج عن دينه."
فكل يقتتح المناظرة، وإن لم يحسنها ويراه فريضة وهو لا يفهمها، ولم يتخذ شيئاً من العلوم والصناعات إلا الفضل، معرفة مبنية للقياس، لا الجدل والمناظرة، وإن الجميع يدعون أمرًا لا يقدرون على التناسف فيه لابعد غايته، وهو أنهم ليختلفون في معرفة البائري تعاونًا لأنه لا يدركونه بالحواس، يختلفون في معرفته. وإنما يتعارف الناس فيما يدركونه بالحواس ويتصورونه في الأوهام، فينتمون العقل السليم في إجابة الحق إذا أدركه، وأكتشف له، فإلي ذلك يجادل كلقوم عن دينهم، ويفضلون أنفسهم على غيرهم، ويدلك على ذلك: أنك تجد الصناعي، البعيد الحبشي (1)، يقع مرفوضاً بيد رجل من أجد الثلاث ملوك. فجرده إلى صحته، ويرد عليه أخبار سله، فيتبهله، كتب الاطفال المذيعين فيه، وعلمه في ذلك: أنه يجد صدره خالياً من الأخبار المدونة في الكتب، فيتعلق بما أورد عليه من أخبار من علمه، ويتكن ذلك في صدره، حتى يصير واحداً من أهل اللة في ادعاء الفضل له، وانتقاص أهل غيره والطقن عليهم، وله أن مجوسي دخل بدنا طارداً، أو تاجراً، فكبر عليه مجوسيته، ووحن لوحته على البقاء عليها، عازماً على رفضها، ثم طلب الخروج إلى أصل الثلاث المل، الفضيحة عليه مجوسيته، لتحمير، وعمي أية أفضل فخرج إليها؟ لأنه يجد كل تقوم يدعون لأنفسهم الإيمان، وغيرهم الكثير، ثم تجهده مكافئين في ادعاء الآيات. لأن أهل كل دين يزعمون أن بيئة دينهم على آيات قامت، وبراهين ظهرت، وما تجد عند أحدهم آية من تلك الآيات التي زعموا أنها أضررت عقل المجوس في الدخول في أدائهم.

ولكن الذي كان يضم إليه، حسن نظره: أن يتوقف حتى يسمع حجتهم، ويستعمل عظته في دعواهم، ليفهم ما احتاجهم من نبذ الحق، فكان يجد في دعواهم: أن النصراني والمسلم مقران لله، بأن دينه أول، وأصلباه حق، ثم يقول النصراني: أن كتاني جاء من بعد، فنسخ طاعة دين اليهودي، ثم يقول المسلم، وكذلك جاء كتاني: بعد، فنسخ طاعة دين النصراني، كما نسخ دين اليهودي، فإذا كافح المجوس اليهودي عما ادعو، أنكرها، وقال: لم يأت بعد كتاني.

(1) كذا في الأصل. مع أن الصناعي غير العبد الحبشي.
من الله كتاب، ثم إذا سأل النصارى عن أدعاه المسلم أنكر أيضا.

وقال: لم يأتي بعد كتابي من الله كتاب.

فوجب على النصارى أن يأتي بالبينة على اليهود من الكتب التي أقر لها بها. فان لم يكن فيها مصيحا منتظرا، فلا حجة له عليها، ولا معقل له اليه. وإن كان فيها مصيحا منتظرا، يرجى صلاح الحال من سببه، ووافقت علاماته، علامات الذي قد جاء وظهر. فإذا كان فقد اختار النصارى الرابعة الأولى، والثانية لنفسه، وخرج اليهود عن رضا المعبود بجعله الرسالة الثانية، ودفعهم بستنة فيما أعقب به في عبادته من الرسالة الثانية، ثم يحمل المسلمين البنية على النصارى من الكتب التي أقر لها بها وجامعه عليها. فإن لم يكن فيها محمد منتظرا، فلا حجة له عليها، ولا معقل له اليه.

وإن كان فيها محمد منتظرا، ثم وافقت علاماته علامات الكتاب.

فقد أصاب المسلم، ولزم النصارى الخروج عن رضا معبوده» أ.]

الجواب عن كلامه: ياذى أسهمت وأطنبت، وبحجة خرقد ما أنت.

كثر كلامك، فكثر غلطك، وقلت فائدة، فظهر ضرعوك وسقطك، ومن كثر كلامك، أكثر سقطه. ومن كثر سقطه، كانت النار أولى به، أعتمت لجهلك بلحنه، ولم تتفنن لنتبيجه ولحنه، فلقد استسننت.


وهدى كلام يشبه النظر العقلي. وبعد بحث شديد بينين فساده، خلصت شبهة في التمسك بعدمهم. ولو أورد المجوس شبهته عليهكم.
لصعب عليكم ابطالها ، لكونه يلزمكم من مذهبكم التزامات لا تنفصلون عنها.

وأما الآن أذكر طرفا من ذلك حتى يتبين عجزكم وجهلكم هناك:

أما مذهبكم في الأفقاءم ، فغير مقبول ، ولا معقول ، كما تقدم ، وكفى به فساداً قولكم : "آلهة ثلاثة ، الله واحد " وكذلك مذهبكم في الاتحاد والحلول ، على ما مر ، ومن العبج : أنتم تعتقدون مذهب المجوس ، ولا تثرون ، فانكم تسبعون الشرور والأضلال إلى غير الله تعالى ، وتعبون علينا ، إذا نحن فوضنا كل الأمور إلى الله تعالى.

وقلنا : كل موجود في العالم ، فانا هو موجود ايجاد موحد واحد وهو الله تعالى ، وهذا ، والله هو التوحيد الحق الذي ارضاه الله خلقه ، وكلفه أبوه ورسله ، وأنزل به كتبه.

فعين مذهبكم في هذه المسألة هو مذهب المجوس ، فانكم تسبون الشرور كلها إلى الشيطان وهو عدو الله ، وهو لا يصدر عنه إلا الشر ، وليس الشر من ايجاد الرحمن عنكم ، فإنه ما يوجد الا الخير ، على مذهبكم هناك خالقان : أحدهما : خالق الخير ، وهو الله ، والآخر : خالق الشر ، وهو الشيطان ، وهذا عين المجوسية ، فحرصوا بهما ، ولا تنكروها ، واجمعوا بينها وبين النصارائية ، وتقلدوها ، ثم زعمت على مقتضى ترجيمك : أنك تذكر حجاج المل المثلث ، ولم تتف شيء من ذلك ، ولا ذكرت في كلامك هذا حجة للسلاحيون عليكم ، ولا لليهود ، بل ذكرت حجة النصارى الداحضة ، وسكت عن حجة خصومهم المسلمين الظاهرة.

وهذا أثر التقليد ، والجود عليه حملك ، على الاعراض عن حجة خصمك ، لعلك لا تسمع ما يؤدى إلى تبكيتك ، ولطمك ، ولقد كان ينبغي لك - لو كنت من النصارى والعارفين بأيديكم - أن تذكر ححج خصومك أحسن ، فتفتح عنها واحدة بعد واحدة ، حتى يتبين لك فيها الصحيح من الفاسد ، ولكن مع هذا نقبل عذرك ، ونعلم جهلك . فانك واحد من عوام المسلمين ، الذين يشهوا بالقاسيين ، وفي ملك ينشد:

فسد الزمان فسدت غير مسدد
ومن الشَّابِه تفردى بالسَّود

ولكن لا عليك ، فانما هو جنا يديك ، فانى لأرجو أن يقف على هذا
الكتاب جماعة (المزارعين) ويعلموا بما فيه أنك مخالف لذاهبهم أجمعين،
في خردوه من بين التسليطين، ويلتحقو بالرياضين.
ثم قلت: "أعلم أن أهل المل أجمعين، متكافئون في دعاء الإيمان
حاكمو على كل قوم لأنفسهم بالإيمان، ولغورهم بالكفر." فقُول:
أما التكافؤ في الدعوى فنعم، لكن الفصل يقع بينهما من جهة البنين،
وبوقع العقلاء على حكمة المذاهب والديانات، فإن من الأديان
ما يدرك فساده بغير نظر، ولا برهان، بل بالفطرة التي خص الله بها
الإنسان، وكذلك دين النصارى، الضلال الحيالي.

ولقد حكي أن بعض حكام الهند - وكان من المفكين الذين يحكمون
بسياسة الدينية، الذين لم يتقنوا اتباع ملة دينية - ذكرت له الملأ
الثلاث، فقال: "أما النصارى، وإن كان مناصبهم من أهل الملأ
يجاهدونهم بحكم شرعي. فقد أدت آثارهم إلى أن لا نرى بحكم
عقولنا لهم عقولا. فاستثنى هؤلاء القوم يريد النصارى - من
جميع العوالم فائمهم تصدوا مضادة العقل، وناصبو العدوان، وتطووا
بسبب الاستحالات، مع أنهم حاذرون عن السلك الذي انتهجه غيرهم من
أهل الإرهاب. وقد كان لهم فيه كفالة، ولكنهم شذوا عن بعض ماهيج
العالم الشرعي الصالحة، والعقلية الواضحة، واعتقدوا كل شيء مستحيل
مكتبنا، فلم يعزب عنهم شيء، وبنوا من ذلك شرعًا، لا يؤدى البتة
إلى صالح نوع، من أنواع العالم إلا أنه يصير العاقل إذا تسرع به
الخلاق، والمرشد سفيهًا، والمسن المصريًا. لأن من كان في أصل عقيدته
التي جرى نشوؤها عليها: الإساءة إلى الخالق، والنيل منه بوصفه
بغير صفاته الحكيمة، فخلقت به أن يقصد الإساءة إلى مظله، ولذلك
ما بلغنا عنهم مما في خلقهم من الجهل، وضعف العقل، والطفخ، والبخل،
وهيئة النفس، وخصائص المهمة، والقدر، وقلة الخيال، إلا قليلا منهم
فلو لم تجب مجاهدة هؤلاء القوم، لما تعم أضرارهم، التي لا تحصى،
وجوهها، لكي، وكما يجب قتل الحيوان المؤذي بطبيعته، فكيف.

وقديم من الموحدين ما تقدم؟

فهذا ما بدأ هذا الحكم، في أول نظرية من مذهبهم على أول وحلة،
وليس بمختصر ولا مثارهم ولا بثبته باتفاق الهوى فيهم. لكن قد
تنين الصحيح لذي عينين، بحيث لا يشتك في أحد من التنقيط وسترى
ذلك واضحا أن كنت ذا بصر، وبصيرة، أن شاء الله تعالى."
ثم قلت: "قد غلت عليهم في ذلك الغواية، وتأديب الصبا".
ووصية الآباء والأجداد، حتى صار ذلك طبما فيهم". هذا الذي ذكرته: لعمراء، حكم الرعاع الغبر، والغثاء الغبر، وأما من أهله ببور توقفه، وبين له سوء طريقه، فقد تبين له الرشد من الغي.
والليت من الحي، فقد أخطأت في اطلاع هذا الحكم، على جميع الملوك، ولم تشعر به لمدرك من الفساد والز孓. لا بل الذي ذكرته وصفه: أهل ملك، وحيلة عصبتكم، إذ هم أهل تقليد، ونظرهم غير سديد.
ثم قلت: "فكلهم قد سهل عليهم انتقاد غيرهم، وطلب عندهم دينهم، بالتنهية في الدنياهم عن معاذ آخرتهم". وعدت في هذا الحكم عن العدل: فحلق على اللوم والعذال، بل في الملوك من لا ينتقص أحدا إلا إذا ذمه الشرع، وإذا رأى ذو فضيلة محقا، أحبه، وشكره، بالطبع والطوعة، وذل الفضيلة بهجر في طلب الحق جميع لذاته، ويبعد في جميع متملكاته، يبيع بذلك رضا سبده ومرضاته، يضرب في طلب الحق.
الأرض ضربا، فيقطعها شرقا، ويتقطعها غربا.

يوما يمان إذا لقيت ذا يمن
وان لقيت معدا ما: فعدناء
يفارق الأهل والوطن، ويلازم الفقر والعنان، فاذًا ظن نبزف.
ليبا وفطن. أما الدنيا فلا يلتفت إليها، وأما الآخرة فهو مقبله.
بكليتها عليها، فهو في كل حال ينتضد، وأحواله تشهد.
وأغضست فيك النخل، والنخل يانع
أعجبي من حبك السدر والضال.
وأهوى لجوان، السماوة والغضا
ولو أن صنيعه: وساعة وعدال.
فتأت لم تحكم بالسوية، ولا عدلت في القضية، حيث حكمت
بأعراض كل المعتلما من الأديان في الدنيا على كل البرية.
كلا. لا كان ذلك لا بقى منا أحد إلا هالك. فراجع نفسك عن هذا الاطلاق.
وتلب للواحد الخلاص، وأحكم على أهل ملك تلك الخصال والأخلاق.
فإن رب العالمين، بقي علينا ببركة الضلال، والصالحين.
ثم قلت: "وأحسب أن العلة في ذلك رغبتهم في التكاثر من الدنيا".
هي التي تدخلهم إلى التحاسد والمعايرة، فيعجز كل قوم أنفسهم
في طلب معاشهم، وأن الآخرة عندهم مهيئة».

يا هذا! لقد كثر غلطك، حتى يعجز الناس في نظره عن
عظام سقطك، حتى لا أقدر على استقصائه.
فما يدرى خراش ما يصيد
تفرقت النظرة على خراش,
فنتامة ينتشج عليك الكلام، وأخرى تبدل الدم بالدم.
فربما تريد
أن تندم فتندم، وتظن أنك تحل ربطاً، وأنك تزم، وأنك في هذا
للكلام. قد لحت فيه في عدة مواضع، وأردت أن تكون شيخاً,
فعبرت عنه بعبارة يفهم منها بحكم وضعها خلاف ما أردت أن تكون.

وذلك بين عدد من تأمله، من أهل العقول.

وبالجملة فانت في هذا الفصل أردت أن تتفسح وتضرب. فماذا
بلك تفهم ولا تعرف، عليه أن كلامك في هذا الفصل تقليل القدر،
وأبوه الأصل. فينبغي أن تنحدر أكثر كلامك، وتتنزه عقولك عن الأخذ
في كثير من هذينك. فإن الأخذ في الخرافات، والاستعمال بالترهات مخل
بالعقل والمروات.

ثم قلت بعد ذكر كلام حاكيته به فعل السفالة الطعام، المعدهن
في رعايا الأعوام «أليس كل قوم قلدوا سلفهم، وطاب عنهم، خبرهم في
ندهم، ودم غيرهم؟» يا هذا جعلت كل الأنام، أذ زعمت أن
التقدير داب كل الأعوام، ولو أنصقت في القضية، وعدلت بالسوية،
لوقت أن الناس قسمان: قسم أيدهم: برئاه، وقسم اعتقادهم,
تقليدي، هكذا: ظهر من أمر أهل الدنيا، وأما من لم يدين بدين،
فينبغي لا يعد في الموحدين.

وبعد هذا: فننبي: أن تعلم أن أمور الاعتقاد والأبدان، لم يقع
فيها قط أحد من الفضلاء بالتقليد من غير برئاه، ولا أجل هذا حرم الله
عليها الركون إلى التقديم، ودم من عز في اعتقاده على اتباع الآباء
والجود، وفصل تعالى حكايته عن المقد، وذاها له، وموحداً له على
جلبه: "بل قالوا: أنا وجدنا آباءنا على أمة، ونا على آثارهم مهتدون.
وذلك ما أرسلنا من بقلم في قرية من نذير إلا قال مرفوعاً: أنا وجدنا
آباءنا على أمة، ونا على آثارهم مهتدون. قال: أو لو جبتكم بأهدى
ما وجدتم عليه أباإكم قالوا: أنا بما أرسلتم به كافرون»(1)
فهذا ذم من الله للتقليد وألهه • وقد أمر بالنظر الصحيح، وحذ
على فعله • فقال تعالى: «قل انظروا ماذا في السماوات والأرض و
وما تغتني الآيات والنزور عن قوم لا يؤمنون»(2) وقال تعالى:
فلينظر الإنسان مم خلق؟(3) وقال تعالى: «أو لم يتفكروا في أنفسهم
ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق»(4) وقال تعالى:
أيام يسبروا في الأرض • فتكون لهم قلوب يغلغلون بها • أو آذان
يسمعون بها • فلن لا تعمي الأبصر • ولكن تعمي القلوب التي في
الصدور»(5)
ومثل هذا كثير • وكفى شرفا بهذا الدين • ودليلا على صحته عند
المتقليين. أنه حرم التقليد، الذي يجري إلى الأبلض والتجهيل
والتفريق • واستنثأ العقول للنظر • وأوضح لها مسألة العبر • وأوجب
عليها النظر الصحيح، المفضي إلى العلم • ومن لم يفعل ذلك من العقلياء
فخذ تعرض للعقاب • وألزم ذلك كله ليلتتين من بصيرة • الرشد من
العي • ويلentai على الحق من تحكم في دينه بظلال التقليد
والرأي • وبعد هذا • فإنا لا أشكي في أئذان لا تعرف حقائق التقليد
ولا أشكيه • ولا أحكمه • ولا في أي محل يجوز ؟ ولا في أي محل
يحرم ؟ ولا من الذي يقلد ؟ ولا من القتلد؟
فأسدعت أنك تعرف شيئًا مما هانئك • فجعل بالجواب على ذلك.
ثم تلقى بعد ترديدة وتطويل • من غير افادة علم • ولا شفاء غليل
فكل يقتحم الناظرة • وأن لم يحسنها ويراه فريضة عليه • وهو
لا يفهمها • ولم يتخذ شيئًا من العلوم والصناعات • الا الفضول».
اعلم يا هذا: أن الله تعالى • أنطلقك بشرح حالك • فانك عبرت
عن سوء مناظرتلك ونظرت بركيك مثالك • فجهلت حتى توهمت أنك من
أهل النظر • وأوحت عند الرعاع أنك من أهل المناظرة والنظر • كلا
فلقد ارقت مرتقي صعبا • وسلكت مسلكا وعراء • وادعتي دعوى

(1) الزخرف: 22 • 24
(2) الطراف: 8
(3) الروم: 46
عرضة لتخدع بها قلبا نسيفا، ونفسا مريضة، ولا بد من سؤالك، حتى يتبين حقك من حالتك، فأقول لك ما حد النظر وحقيقةته؟ وما أصوله؟ وكمل أسئلته؟ وما أحكامه؟ وما حقائق الناظرة؟ وما شروطها؟
وكم دري؟ وما الشيء الذي يطلب بالناظره؟ وما حقيقة الدليل؟ وكمل أسئلته؟ وكمل شروطه؟ وما وجه الدليل؟ وما الدلائل؟ وكمل أسئله؟
فان كنت تدعى الناظرة، فأجبنا عن هذه الأسئلة محاوره.

ثم قلت: "وان الجميع يدعون أمرًا لا يقدرون على التناصف
فيه بعد غايته" لتتعلم يا هذا أن حكمة على الجميع بأنهم لا يقدرون
على التناصف: حكمة خطأ، فإن العاقل المشغل بما يعينه، انما
يطلب الحق ليصل إليه، ويعرف الباطل ليتجنبه، ومن كانت هذه حاله.
أنصف وتناصف، وإنما يتمتع التناصف على من غلب عليه التقليل.
وجيد على ما ورثه من الآباء والجدود، وهو يصم على أنه على الحق.
فيمنعه ذلك التصمم عن البحث والنظر. ثم ان تنبه لنوع نظر كان
كله قال:

ان العصون إذا قومتها اعتدلت، واللتين إذا قومتها: الخشب.
فهذا الذي يتذرع عليه التناصف، وتبعد عليه الغاية المطلوبة.
وأما من نور الله قلبه، وأجز من المعقولات حظه، فالتناصف مغبوبه.
اذ الحق مظليبه، وفي مثل هذا ينشد:
يبعد على الكسلان، أو ذي ملاله، وأما على المشتاق فهو قريب.
فانت قلت: ما ذكرته أنت قليل، وما ذكرته أنا كثير، قلت لك:
وها ضربنا أنا قليل، وجازنا عزيز.
وجـنـا الأكثرين ذلـيلـه.
تعيننا. أنا قليل عددنا.
فانت قلت لها: أن الكرام قليل.
ثم ان وجد في جميع الظلم واحد بهذه الصفه، فقولك: فاسد.
قانك حكمت على الجميع، بحكم قبيح شنيع، وأطلقت القول، ولم
تخف فيه الزلل، ولا العول.
ثم قلت: «ليختلفوا في معرفة الباري تعالى، لأنه لا يدركونه بالحواس. وانما يتعرف الناس فيما يدركونه بالحواس.» أعلمن: أن هذا الذي ذكرت، لا يصح أن يقال على كل العقلا، وإنما يصح ذلك على الجهلة الأغلبية بل نقول: إن الأغلبيَّة أهل الجهلات يختلفون في الضروريات، وقد بينا علكم مواضع كثيرة من اعتقادكم، خالفتم فيها الضروريات، وناكرتم المقولة. وأما أهل العقول السليمة، والفكر المستقية، فلم يختلف منهم أثنا في معرفة وجود الله تعالى، وإنما تارفوا في أي وجود وجوده، وهذا يعرف في موضعه فست من أهله.

وأما تمثيله بالعبد البشري، فتعمل، ليس وراء تحصيل، وذلك.

أن العبد البشري إذا كان عاقلًا سليم الفطرة، إذا سمع كلًا، لا يقبل عقله، يرده، وأما إذا كان ناقص الفطرة، مختل العقل، فيقبل كل محال، ولا يثبت على حال.

ثم قلت: «ولو أن مجوسيًا، دخل بلدنا فكرت عليه (1) مجوسيته.»

ثم طلب الخروج إلى أفضل الثلاثة الملائكة أنت تؤمن بهذا القول: البراءة عن الجوسية، والدعاء إلى الملة النصرانية، عسالك يظن بك أنك تفحم الخصوم، أو أنك حصلت من دينك على أمر معلوم. كلا، بل لو ناظرك مجوسي لأفححك، ولو وزن دينه بدينك في معيار العقل.

ارجحه، وقد تبين ذلك فيما تقدم.

ثم قلت: «فكان يجد المُجوسي في دعواهم: أن النصراني، والمسلم، مقران للهويدين، بأن دينه أول، وأنبياؤه حق، ثم يقول النصراني: أن كتابي جاء من بعد فنسخ طاعة دين اليهودي، ثم يقول: المسلم: وكذلك جاء كتابي فنسخ طاعة دين النصراني.»

يا هذا البليد! أخطأت على المسلم، حيث ظلنت أن المسلم يسلم للهويدين دينه الذي بيده الآن، ويعرف بأنه أول، وليس الأمر كذلك!

بل الذي يقول به المسلم: أن الدين الذي جاء به موسى عليه السلام هو حق، وأنه الأول بالزمان، بالإضافة بينا، والليك، وأما اليهود اليوم فليسوا على دين عندنا، وعندكم.

(1) من الممكن أن تتقرأ في المخطوطة: فكسرت.
فمدونا من جهتين، وندكتم من جهة واحدة. أهدي الجهتين.

فمدونا: أنهم كناروا بمحمد نبينا صلى الله عليه وسلم. وقد كان الله تعالى أخذ عليهم العهد بالإيمان به، وبلغهم ذلك على لسان موسى عليه السلام، وغيرهم من أحبائهم عليهم السلام على ما نقله ان شاء الله تعالى. وكذلك نقول في المسيح عليه السلام: أنهم كناروا به بعد أن أنكروا، وهذه هي الجهة الأخرى. فهناك جهتان. وعندنا أننا نقولنهم من جهة واحدة، وهي كنارهم بالمسيح. فقد اتفقنا نحن وأياكم: على أن اليهود في هذا الوقت ليسوا على دين لهم، وليسوا من جنسهم، ليسوا من اليهود. وإذا كان الأمر كذلك، فكيف جازت فيه لفظك؟ ولئن كانت على المسلمين والنصارى ما يرضون به، ولا يعولون عليه؟ وهل أطلقت هذا النتيجة جهلك، وما يدل على نقص عقلك؟

ثم أنك ادعى: أن النصارى يتولون: أن كتابهم نسخ شرع اليهود. كيف يصح لك يا جاهل بديه أن تتول هذا، وعيسى عليه السلام يقول في الإنجيل، الذي أبيديك: «لم آت لانقض شريعة من قبلي. إنما جئت لأتهمها»؟ (1)

فاما أنت هو الكاذب، أو كتابك هو المحرف الباطل. وسبب أن شاء الله تعالى: ما أحدث في الإنجيل والتوراة من المناقضة والتحريف ما يدل على أنها ليست هي التي أنزل الله.

ومن عجيب أمرك. وأدل دليل على جهلك: أنك تدعى أن كتابك نسخ شرع اليهود، وأنك بجهلك ترجع اليه في أحكامك، وعله هذا الشيء تنقض ظاهر، وجلب ناحش؟

ثم قلت: «فاذاك تصى المجوس يهودي» خصايص إهداءك لنكرها. وقال: لم يأتي بعد كتابي من الله كتاب توافقه. يا هذا. لقد قولت اليهود لم يكن قبله، ولا يسعهم جهلهم، فان اليهود يعترفون بأنهم قد كانوا بعد موسى نحوين، كان عليه بالصبر، وقربوا على الناس كتبًا كثيرة، هي بين أبيهم وأبيهم اليوم، تقرؤها وتحكون بها. وها أنت قد استدللت بكثير منها في كتابك هذا. على أثبات بنوة المسيح، فتلك الكتب التي نقلت منها. أما أن تكون من الله أو لا تكون. فإن كانت...

(1) متي 5: 17 (وأنتم) في الأصل اليوناني: نصح.
من الله فقد أفحمت نفسك، وأذكرتها، وصار كلامك ينقض أوله آخره.
بمع أن اليهود توافقك على أن تلك الكتاب والصحف من الله، وعلى السنة.
رسّل الله
على هذا جمهورهم، وأكثرهم، وإن كانت تلك الكتب ليست من الله، ولا يساعدونك عليها، فكيف يشوه لك الاحتجاج عليهم.
يشيء ليس من كلام الله، ولا يسلمونه؟ فلقد مكتبت من نفسك يا هذا.
اليهود والمسلمين، وصاروا على كذب وكذلوك من الشاهدين.
فمثلك مثل الباحث بظلمه على حتفه، والجادع مارن أنفه بكفه،
فلقد لحقت بالأخرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا،
وهم يحسبون أنهم يحصنون صنعا (1).

وبعد هذا فلتتعلم: أن الذي تنكره اليهود، لعنهم الله، من الكتاب المنسوبية إلى الله تعالى: كتابك، وكتابنا، لا غير، وسقينم واصح.
القراءة أن شاء الله على من خالفنا.
ثم قلت: "ثم يجعل المسلم البيئة على النصارى من الكتب التي
أقر له بها: وجامعه عليها، فإن لم يكن فيها محمد منتظرا فلا حجة
له عليه، ولا مطعن له اليه، وإن كان فيها محمد منتظرا، ثم وافقت
علماته، علامات الكتاب، فقد أصاب المسلم، ولزم النصارى الخروج
عن رضا معبودها".

ظاهر كلامك، أنك أنصفت، وأنت في اعتقادك، عليه ما عولت).
ولقد أعلمناك إذا أثبت ذلك عليك من كتب، عدلت وغدت "شمشنة
أعرفها من أخز الت، وإذا كان المسلم في النفس، الخبيثة طباعا -
فالثقة بكل أحد هو جزئ وما هي أول بركتكم.
وأنسا الله العظيم، رب العرش الكريم، بأسمائه الحسنى،
وصفاته العلي، وبحق آدم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم،
ومهم بينهم من النجوم والرسلين، وبالملائكة المقربين، وأهل طاعته
أجمعين، أن يعلم من لا يرجع إلى الحق إذا نبين له، وأن يجعل عليه
جنبته في الدنيا، تكون علاما على غضب الله عليه، وعلى عذابه في

(1) الكفه : 104
الآخرة، العذاب الدائم، نسأل الله العظيم أن يفعل ذلك بعزته، وكرمه، آمين، آمين، والصلاة على خيرته من خلقه.

ثم ينبغي لك أن تعلم أن نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم تثبت لنا بطرق واحدة، بل بطرق كثيرة، فلو فرضنا أن الأنبياء صلوات الله عليهم لم يبشروا به، لكانت نبوته ثابتة، ببراهين قاطعة، كثيرة بها عرف نبوته العتلا الذين لم يقرأوا قط كتابًا ولا انتسبوا إلى شريعة.

وسنوضح هذه الطرق أن شاء الله تعالى ونبيها على ما لا يبقي معه ريب لعقلنا بحول الله وقوته.

* * *
الفصل الثاني

المسجد المنتظر

في حكاية كلامه أيضاً

قال: "ومن بنيا النصارئ على اليهود بناء في الكتب التي أثرى بهما، وجامعه عليها: مسجد منتظر لا يقدر على جحده. لأن انتظاره مروف فيهم، وظاهر عليهم. ودل على زمان مجيئه أنهم منتظرن له منذ سبت اليهود، وبددت إلى اليوم. فذالك قد لزم اليهود بانتظارهم وقت تغيرهم في الدنيا، فقد وجب للنصاري أن يقولوا: إنه قد جاء، والدليل على أنه هو: أن اليهود اختلقت من سبى فصارات فرقتين على الكفر والإيمان به، فالفرقة الكافرة هم اليهود، والفرقة المؤمنة هم النصارى، فأتمت طائفة، وكرفت طائفة، والكتب أجمع مع كلامهم، يحتجون بها بعضهم على بعض يجتمعون على ألفاظها وقراءاتها، ويختلفون في تأويلها كفعلهم إلى هذه المدة، والذي يستدل به الفرقتين على كفر أحدهما: أن نظرت في الكتب، وتشتد بها على حالة بنى إسرائيل منذ كانت على الإيمان والكفر، فإنهم أن كانوا على الكفر فهانه يلزمهم الدلالة، إذ الدلالة والأسرة والفرقة علامة الكافرين، ومعوق في النص: أن الله لم يوعد بالثواب في الآخرة لبني إسرائيل على الطاعة والإيمان، وإنما وعدهم في الدنيا(1)، فوعدهم عند الطاعة والإيمان بالملك والنعمة، والنعمة من عدوهم، والتثمير لزرعهم، وأعوذهم عند الكفر والنصارى بالتمكين عليهم، والملك والقهر لهم، من عدوهم. فلم يزالوا مؤدينين عند الطاعة والإيمان، ومستبعدين عند الكفر والنصارى".(2)
فأهم الجواب عنه: أعلم يا هذا: أنه لولا أننا نخاف أن نساعد اليهود على كفرهم وأن يحميلهم ذلك على دوام الاحرار، وزيادة العناند لنبناهم على مواضع في هذه الأدلة، التي ذكرت يفسد عليك لأجل ذلك أكثرها، ويبطل عليكم الاحتجاج بها، ولو فعلنا ذلك لما كان مما يقدح في صحة نبوة المسيح. فإنها تثبت بطرق آخر.

وإنما يكون ذلك دليلا على أنك لا تحسن الاستدلال، ولا تعرف طرق المناظرة والجدال، ولكن حاذيت أن أعين اليهود، أولى اللعبة والعداوة والبغضاء والأحنة على من التزم شريعة المسيح، وركب منها النهج الصحيح. وكيف أفعل ذلك؟ وقد أخبرنا الله على لسان نبيه ورسوله، بأنه كان منهم عالمون بالله، ومصدقون بما جاءهم على لسان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود، والذين أشروا»، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا: أنا نصارى. وذكر أنهم فسقين ورهبانا، وأنهم لا يستكبرون. وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدموع، مما عرفوا من الحق. يقولون: رينا آمنا، فاكتسبنا مع الشاهدين. وما لنا لا نؤمن بالله، وما جاءنا من الحق، ونطمئن أن ندخلنا رينا مع القوم الصالحين».

فهواء الذين عرفوا شريعة المسيح على السلام، وعلموا ما تعد اليهم من نعت محمد، خبير الأئمة فبادروا لتصديقه؛ ولم يمكنهم العدول عن طريقه. ولا ترحمة هؤلاء الأولياء الذين كانوا منكم، لما بقي ستر الله عليهم. لكن كما قال تعالى: «إنا نؤخرهم ليوم تتلظفهم فيه الأنصار، مهدين، متنعم، رؤوسهم، لا يرتد اليهم طريقهم، وأهدتهم هواء».

ومع هذا، فلا نخلص هذا الباب من التنبيه على نكت تدلي على سوء استدلال هذا السائل خاصة بعون الله.

قلت يا هذا: «ووالدليل على أنه هو: أن اليهود أختلفت من سببه، ففسارت فرقتيين: على الكفر والإيمان به، فالفرقفة الكافرة: هم اليهود، والفرقفة المؤمنة: هم النصارى. فآثارها طائفة، وكفرت طائفة».

(2) أبراهيم 43، 44 82-84
هذا دليل ليس له الدلالة على مجيء المسيح من سبيل بل هو عين المذهب الذي تذعنه ويُبقى عليك الاستدلال عليه. وإن جاز أن يكون مثل هذا دليل صحيحا على مجيئه، جاز أن ينقيضه دليل على انتفاء مجيئه، ولا فرق بين ما قلت، وبين ما يقوله اليهودي إذ كله واحد منكم تكلم بدعوى، ولم يثبتها، ولا بد لك من إقامة دليل فاذكره. فإن كلامك الأول ليس بدليل، فان أخذت تستدل بدليل آخر، خلاف ما ذكرت. فقد أعترفت بأن كلامك الأول ليس بدليل، وانتقضت. وإن رجعت تستدل بذلك تبين جهلك هناك.

فانظر ما أحسن هذا الدليل، فلعمري ما للمستدل به من النظر.

العقلاء: كثير، ولا قليل.

ثم قلت: "والكتب أجمع مع كلامهم يحتاجون بها بعضهم على بعض، يجمعون على أفعالها وقراءاتها، ويختلفون في تأويلها، كنعلمهم إلى هذه الاما ".

تناقضت يا مخوض، ولم تشعر، وظنت أنك تنتحر، فإذا بك تستأنس. أفصحت هنا بأنك تحتاج بعضك على بعض، وتضمئ ذلك أنك تحتاجون بال토اراة عليهم، وكيف يصح لك هذا، مع أنك قد ادعيت أنها منسوبة بكتابكم؟ فإن قلت: إن هذا عليهم في معرض الأزام.

قيل لك: فلا تأخذ من التواراة شيئًا من الأحكام، ولا تحكم منها على شيء بحلال ولا حرام.

ثم أن كلامك هذا: يفهم منه أنهم يحتاجون عليك بكتبهم على أن المسيح لم يجيء. وإذا اتفقت أن يحتاجون عليك مثل هذا من كتبكم.

ففقد أفتحمكم.

هذا كله على ظاهر كلامك، ولم ترو هذا المعنى. وانما أردت أن تقول: أن الجميع قد اتفقوا على أفعال الكتب، واختلفوا في تأويلها. ولم تساعدك العبارة. وهذا أكثر كلامك. تريد أن تقول شيئًا ثم تغير عنه بعبارة تدل على خلاف ما أردت، وسبب ذلك أنك أخطت نفسك في شيء لم تعرفه وتعاطيته، لم تحسنها. فكنت بمثابة من أدخل نفسك في سفط، ثم جاء آخر فشد عليه وربط.
ثم قلت: «والذي يستدل به للفرقتين على كفر أحدهما: أن ينظر في الكتب» إلى أن قلت: «اذ الخلة، والأسرة، والفرقة، علامة الكافرين».

وهذا الإطلاق، لو علمت ما يلزمه عليه، لاستغفرته الله منه. لذلك عجلت، فاطلقته حيث وجب أن تسمى أرسلت. وذلك أنه انصح ما ذكرت، فلا ذلة ولا أسرة، ولا تفرقة، أبلغ من ذلة من يصع في قيام، ويجعل على رأسه شوكة، وفي يده قصبة، ويساق للقتل، وعلى عنقه خشبة، ويصلي و潜水 يداه ورجاله وينخز، وهو يطلب ماء فيرفع إليه، يأكل، وهذا كله بزعمهم، ولا رتبة في الذلة أبلغ من هذه. فعلى قولك، وسياق دليلك، يلزمه تكفير الصلوب، ويحصل لليهود منكم، الفرض المطلوب، فإن كنت عائلا، فثقل كلامك، ولا يكن عارا عليك لسانك. وقد نصحتك، يا فشك، وما أظلم، تقبل.

وإذا أدرت أن تقول، فلم تطاوعك العبارة يا جهول: الدليل، على مجيء المسيح المنتظر: أنه قد ثبت في كتب الأنبياء عليهم السلام: "أن الله قال لليهود: لا يزال ملككم قائما، وخيركم دائما ما دمت مؤمنين، حتى تكفروا، فاذا كفرتم أزالت ملككم وأبادتم منه فغير" وغضبنا، وقعنا، ونعمة، وعند ذلك أرسل اليمين المسيح، ولا يشكن أحد في زوال ملك اليهود وانقطاعه، وفي نزول الخلة والمسكينة عليهم، فلان يشك في كفرهم، ولا يشك في مجيء المسيح، وأنهم كفرتوا به، ولا هو هذا قلت، لذا لم أركب شيء مما ألزمنا، وهذا الدليل الذي استدلت به على اليهود، إذا سبق على الطريق التي ذكرناها، وصح نقله عن الأنبياء بطريق القطع هو حجة على اليهود، لا مخرج لهم منها ولا محاص عنهم، على أنه بقي فيه مواضع للبحث، إذا انفصلت ثم الدليل.

وضوح السبب.

***

(11) يشير إلى عيسى عليه السلام بحسب المكتوب في الأناجيل عندهم."
الفصل الثالث

المسيح عيسى ابن مريم
من حكاية كلامة أيضاً

قال: "وأنا أثبت لك أن المسيح قد جاء من كلام الأنبئاء. قال النبي هوشع بن بثير عليه السلام: "كي يآ ميم وربم يا شابوا بناي إسرائيل ان ملك وان صار" تفسيره: "ان آياما كثيرة يقيموا بني إسرائيل دون ملك، ودون مقدم"(1). فادا سأَل اليهودى المجادل: "إن كان لهم ملك أو مقدم؟ فلا يكون جوابه، الا أن يقول: ليس عدننا ملك، ولا مقدم. فيقال لهم: أذا ليس عندكم ملك، ولا مقدم. فاسمع ما قال يعقوب، الذي كان فيثاني عشر ودانا الذي منهم يوسف الصديق رضي الله عنهم أصحابنا إلى يوم الدين. قال الفاضل يعقوب بكلام إبراني: "لو يا صور شباباً مي يهودا ومحو كيك مبين رعلان عاد. كي يا بو شيلو ولوا اقاته عميم" وهذا تفسيره: "لا ينتقض الملك من يهودا، ولا مقدم من بين رجله، حتى يأتي المسيح، والله تطوع الأمم"(2)

فيقال لهم: أذا ليس لكم ملك، ولا مقدم. فقد جاء المسيح، كقول يعقوب النبي: أذا ليس لكم ملك.

وكان ارئياء النبي عليه السلام في الطائفة الكافرة به، بكلام إبراني هكذا: "أمي يا عموه موسى، وشموال لقائنا أن نقصي الها عم.

(1) النص في ترجمة 1970 "لأن بني إسرائيل سيتعدون أيام كثيرة، لا ملك ولا رئيس" (مثوع 3: 4)، والنص الأبيك كامل.
(2) النص العبري كامل وتفسيره من ترجمة 1970 بمصر: "لا ينزل قضيب من يهودا، ومشارب من بين رجله، حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب" (تكويل 49: 10) ومعنى شيلون نبي الأمان أو السلام"
هذا شلاح مخالفًا ويا ساوة ياكي يرموا أثاث ناسا وامرة لا أهيمه
هي كما أت، لما بات إمي تشانى الأمي لا راعاب، لا راعاب، وخلاق
جاماتي باب» أ ٠ ٠ ٠

اسمع كلام الله على لسان ارميا النبي • تفسيره: "أن وقف الى
موسي وشمولة لا ترضي عن هذه الأمة، أرمهم من قدامى، يخرجوا
فان قالوا: إن يخرجوا؟ فتقل لهم: من الموت الى الموت، ومن الجنى
الي الغنى، ومن الجوع الى الجوع، وكمل غضب فيهم" (١) أ ٠ ٠ ٠

فهم في غضب الله بكفرهم بالمسيح الذي قد جاء.

ثم قال الله تعالى على لسان يعقوب النبي الفاضل برساله سريئ
هكذا: «ألا يا عصاك غلطان مد أفاث يهودا، وصفوا مائتانا بانوهي
غاض على ما عاث ذاك يابا مهشيا داث لاه ملخوشا وولد اشتماون عاما
مايا» وهذا تفسيره كما قاله الله على لسان نبيه يعقوب: "لا ينفض
قضيبه الملك من يهودا، ورسوم من أبنائه، حتى أن يأتي ما شيخا-
الذي هو المسيح، الذي له الملك — وله تطوع الأمم.»

وقال الله تعالى على لسان ارميا النبي في انتقاوت ملكهم بكلام
غيراني علقى: "أضاع أدوناي ياحور أفي كل مكان أن اسرائيل«
و вот تفسيره "قطع الله بشدة غضبه: جميع دولة اسرائيل» (٢) فافهم
فقد جاء المسيح، وانقطع ملكهم.

وقد قال الله على لسان ارميا النبي في أثاث شريعة المسيح،
وأيام الحواريين قالوا برساله عبراني: "هنا ياميم بابكم يوم يهو
واختريات ات بيت اسرائيل • وايت بت يهودا بريت حارشى، لا نخبريت
أشر بريت ات أبو ثام بيوم هو تزيكي بيرم له عايم مي ارس.

(١) النص البري مختصر • والتجمعة العربية الكاملة للنص هو:

(٢) ورد هذا المعنى في أيات كثيرة من سفر ارميا، خاصة في الاستحا.
قصيرهم أميرهم هفروات بريت وأثني بعلتي بم نام يهوهُ (1) تفسيرهً

«يقول الله: وأثنتي لبيت إسرائيل ويهودا، عهدا جديدا ليس كالعهد الذي قلت لآبائهم في اليوم الذي أخرجتهم من أرض مصر، من بيت العبودية».

فيнейن الله بهذا الكلام أيمان الحواريين، والتابعين لهم، كما قال الله في موضع آخر على لسان إرميا النبي بلسان عبراني، عن إيمان الحواريين: قالت: «شيوا بانيهم شوابيم نوم أدوناي» (2) كي انخفي با علتي با خيم ولا كحتي آتخيم أحاد معي وشنايم مبتان وهباتي

أتخيم سبون».

تفسيره: "ارجعوا يا أولاد اللجاعة فانى سدت عليكم، وأخذكم واحدا من مدينة، وأثنين من عشيرة، وأدخلكم إلى صهيون وكذلك آخذ الحواريين، واحدا من مدينة، وأثنان من عشيرة" (3) ثم قال لفضيق الآية: "وانتاي لاخيم روعيم كلبي" تفسيره: "وتعطيك رعاة كلبكي".

ثم قال: "وأراع آتخيم رعاه وأهسلك" تفسيره: "ويروعكم بالعرفة والفهم« (4) وكذلك جعل من الحواريين أئمة، ورعاة، يعلموا الناس العرفة والفهم، ثم قال لفضيق الآية في الا أعمل بالعهد البالني: وأهلا بك، تربوا أفرتم بأريش بالبوميم، فها نوم أدوناي (5) لو يروا غير دارون بريت أدوناي ولو يا عالا على إب ولديك كأواب، وولاوا

(1) نقلنا النص كاملاً، وترجمته العربية هكذا: «ما أيام تأتي بقول

الرب، وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهودا عهدا جديدا ليس كالعهد الذي نقلته مع آبائهم يوم أسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر،

حين نقضوا عهدى فرفضتهم يقول الرب» (أرميا، 21: 31- 32).

(2) في النزوة العراقية الحديثة: «يهوه» بدل "أدوناي" ويهوه: الله. وأدوناي: الله أو السيد، والنص العربي كامل.

(3) النص العربي من ترجمة 1970 هكذا: "ارجعوا أبدا البنون

الوام، يقلبهم يقول الرب، لأنى سدتها عليكم، فأخذكم واحدا من المدينة، وأثنين

من العشيزة» (أرميا، 3: 14).

(4) نص الآية: «وأعطكم رعاة حسب قلبي، فنظرتم بالعرفة والفهم»

(أرميا، 3: 15).

(5) في النزوة العراقية بدل "أدوناي" اسم "اهوه".
ينقولوا ولو بإعا ساعد» تفسيره: "ويكون إذا كثرتم، وتنمو في الأرض في تلك الأيام يقول الله: لا تتقولوا أبدا بتباوت عهد الله، ولا يصعد على قلب، ولا يذكر به، ولا يعتنه، ولا يعمل به أبدا" (1)

فاعلم أنه أمن الحواربين والتابعين لهم من الأمم ثم قال سليمان الفاضل: "لم أتعلم علمًا وعرفت معرفة المقدسين" (2)

فافهم أيها الإنسان، ما هي معرفة المقدسين، الذي لا يمكن لأحد أن يكون مقدسا إلا أن عرفها، وآمن بها؟ وفي حقيقة الإيمان قال: "من صعد إلى السماء وهبط؟ من قبض الأرواح في كنيته، من جمع الماء في ثوب؟" (3) ثم قال بكلام عبراني: "هي هاكم كل نفس آبريس هاجموا وهائم بنوآ" (4)

فافهم نسره، وكن عاقلا مدبرا ترشد.

قال سليمان: "هي هاكم كل نفس آبريس هاجموا وهائم بنوآ تفسيره: "من أقام جميع أقطار الأرض؟ ما اسمه؟ وأسم ابنه؟" ثم قال لضيق الآية بالعبراني: "كل أمر الموار ثروفا ماغين هو لات سيم بو" تفسيره: "جميع كلام الله ترس، منير هو لجميع الواجتتين به" (5) فافهم.

ثم قال الشهيد ليسان اربعاء النبي بكلام عبراني: "هنا باميم بايم نوم ادووناي(6) واكراتي أت بيت إسرائيل، وات بت يهودا بريت هارشات - زبرع كلام، وزبرع مهبا" تفسيره: "هذا يوم ياتي" (6)

(1) إبراهيم 3: 16
(2) النصي في ترجمة 1970: "لم أتعلم الحكمة، ولم أعرف معرفة النقدوس" (أمثال 30: 4)
(3) في سفر الأمثال، ترجمة 1970: "من صعد إلى السماء ونزل من جميع البريج في حفنته؟ من صرع المياه في ثوب؟ من نبت جميع أطراف الأرض؟ ما اسمه؟ ما اسم ابنه أن عرفت؟" (أمثال 32: 5)
(4) "كل كلمة من الله نفقة. ترس هو للمحتبين به" (أمثال 30: 5)
(5) بيل أدنوناي، يهوه، والنصي مختصر، وليس فيه: زبرع آدام، وزبرع مهبا، أي نسل آدمي وبهيمي.
يقول الله: ونزرع في بيت إسرائيل، وبيت يهوذا نسل آدمي، ونسل بنيهيم (1).

فكان النسل الآدمي: الحواريون المؤمنون بالسماح عند إبئله، والتابعين لهم، وكان النسل البنيهيمي اليهود الجاهدين للسماح، وكذلك الحواري يهودا، الذي اسمه (جوانش) قال: "من لم يؤمن، ولم يتمادى في تعليم المسيح فلا يأت له" (2). فافهم ترشد.

اعلم أنني كنت لك بالعبراني، والسرياني من شهادات الأنبياء عن الله من الكتب التي أكتبهم. وأن اليهود لا يقدرون على انكار حرف منها إذا احتج مبعده بالعبراني والسرياني، كما نطقته به الأنبياء، رضي الله عنهم في أثبات أقبال المسيح، وأيمن الحواريين، والتابعين لهم. وفي إطراف اليهود الملاعين الجاهدين للمسيح سيدنا فافهم أه (3).

الجواب عما ذكر: يا هذا المخدوع ظننت السراب ماء، والأرض سما، فاستسلمت ذا ورم، ونفخت في غير ضرر، أعلم يا هذا أنه لا يقبل منك في هذا المقام الاستدلال بالظنون والأوهام، إذ المطلب فيه تحصيل العلم القطي، واليقين البرهاني، فلا يحصل لك شيء من ذلك حتى تعلم صحة ما استدلت به هنالك، ولا تعلم صحة شيء مما أدعية دليلاً قاطعاً، مفيداً للعلماء، بعد معرفتك، أن هذه الكتب التي استدلت بها: أهتم عن عند الله، وأنها بلغتك عن الله على السنوات الصادقين؟ ولا يتوصى إلى معرفة شيء من ذلك إلا بعد معرفتك بالنبوات وحقيقةها، ولدائم صحتها العقلية.

ولاتتوجه إلى ذلك حتى تعلم حدوث العالم، وأنه موجود بعد عدم، وتعلم أن له محدث، وأن محدثه موجود. حي عالم قادر مزيد موصوف بصفات الكمال حتى يصح منه أرسل الرسل وتأليدهم بالأدلة، وكل ذلك انما يعرف بأدلة فطعية، ولا يصح أن تعرف بأدلة سمعية.

(1) النص العربي مختصر وتمامه هكذا: "ما أيام تأتي يقول الرب، واقطع مع بيت إسرائيل، ومع بيت يهوذا، عيداً جديداً ليس كالمهد الذي قطعته مع آبائهما، بل هو ذو العهد الجديد الذي قطعته مع بيت إسرائيل، بعد تلك الأيام يقال الرب، أجمل شريعتي في داخلي، وأكتبها على تلويهم، لأنه أصفح عن آبائهم، ولا أذكر خطئيتهم بعد" (امريما، 31: 31 - 34).

(2) رسالة يوحنا الثانية: 9.
فان السمع لا يثبت إلا بعد ثبوت هذه الأصول، فإذا وصلت إلي هذا المحل، وسمرت من التعر بدنيال الزلل، وكم دونها من مهنة، وحافة، وكام أرض جدب دونها ولصوص فحينئذ يجب عليك أن تنظر فيما ألقى الصادقون اليك، فان كنت ممن تسمع منهم كلامهم، وتشاهه بنفسك خطابهم، فقد سقطت عنك معرفة طريق النقل، وشروط нагруз واللحيمول، ولزمتك معرفة اللغة التي يتكلمون بها الصادقون، فتعرف مقاطع الكلمات وكيفية النطق من اختلاف بسكون أو حركات وتعريف فرق ما بين الحقيقة والمجاز، والنص والظاهر، والمجم والمؤكد، والعام والخاص، والفقه والقيمان، والرسائل والمنسوخ، إلى أمور كثيرة تعرف في علم الأصول، وإن كنت ممن لا يسمع من الصادقين، فلا بد لك من أن تنظر في الذي بلغه ذلك الدليل على يديه، إن كان يجوز عادة عليه: الغط والسهو أو لا، فإن كان ممن يجوز عليه الغط والسهو عادة، فلا يلتفت إلي خبره في هذا المقام، وهذا النوع هو الذي يسمى عندما آخبار الآحاد، وله محل تقبل فيه، بعد مراعاة شروط، وعرف كل ذلك في موضعه.

وأما مثل هذا الذي تصديت له، فلا يتوصل إليه بهذا الطريق، فإن المطلوب هنا حصول العلم، ولا يحصل العلم بقول من يجوز الخطأ والسهو عليه في خبره، وإن كان مما لا يجوز عليه شيء مما ذكرناه عادة، فهو الذي يحصل العلم بهقوله، وهو العدد الكثير الذين تحلب العادة عليهم الكذب، وهذا الخبر هو الذي يسمى المتوتر، والتوتر له شروط وأحكام تعرف في موضعه.

فذا تقرر هذه المقدمة، فاننا أسألين سؤال منصف لا مصنف، وأقسم عليك بدينيك، تسم متلفف، لا متعرجف، هل توفرت لديك هذه الشروط أم هل أكثرها عندك مطرح مستحق؟ فان أنصفت واعتبرت علمت أنك على العلم مما حصلت، فعينني لك أن تطلب حصول العلم من أبيه، وإن تجهد في تحقيق أسبابه، وإن أدعى علم ذلك، علم أنك مغالط معاني جائز عن الحق وحائدة.

وكن الصلاة في كتابك هذا على كذب شاهد ثم على قرب تريفض إذا خرست عن جواب ما عني سائلت، تجعل بالجواب، ولا تتأن في الكتب، وإن أثبتت الأتماديا في عينك، واستمرارًا على جهلك وفكيك، و
أرئيتك اختلال هذه الشروط عندكم عيانا، وأجمعنا على فساد كتبك حجة وبرهانا.
وذلك أنا نقول: أن من أعظم كتبكم التي ترجعون إليها، وتعولون في أحكامكم عليها: التوراة والإنجيل، وكفى بهما شرفا وشحرة أنهما عندكم كلام الملك الجليل، وأنتم تدعون أنكم تتقلتموها جيلا بعد جيل.
وأنا أبين أن شاء الله: أن نقلهما إنما كان بطرق الآحاد، وأن الغلط والسهو يجوز على ناقلهما، وسآتى منها ببطلان المراد.
ذكر أن شاء الله بعض ما وضع فيهما من التنافض والتحريف، والقلب والتصريف وأنبه على قبيح ما تسببته فيهما إلى الله من القول السلفي السحيف، وما تنتقشون به الأنيباء أولى الفضل والتشريف بحول الله تعالى وحسن عونه.
وأما بالتوراة لكونها مقدمة في الرتبة والزمان، ومعترفا بها عند أولى الأديان، وبهذا المستعان.

* * *
فصل
في بيان بعض ما طرأ في التوراة من الخلل
ونها تم تنقل نقاً متوتراً فتسلم لاجله
من الخطأ والزلال

فأول دليل: أنها لم تتفرعت على ما كانت في الألواح التي كتبها الله تعالى لموسى، ولا وعلى ما انتسبها لهم موسى، بل زيد فيها، ولا بد، ما ليس منها، ولا كان في الألواح التي كتبها الله لموسى، ويدل على ذلك: أن في آخر السفر الخامس أن «موسى توفى في أرض موب» بازاء بيت فغور ولم يعرف إنسان موضع قبره إلى اليوم. وكان قد أتى على موسى إذ توفي حاجة وعشرون سنة، ولم يضعف بصره، ولم يتشبه وجهه، وبكي بنو اسرائيل على موسى ثلاثة يونا، في عريب موب. فلما تمت أيام حزنهم على موسى، انتلا يشعوب بن نون من روح الحكمة، لأن موسى كان وضع يده على رأسه في حيته، وكان بنو اسرائيل يطيعونه، ويعلمون مما أمر الرب موسى»(1)


(1) هذا النص في الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية.
(2) تثنية 34: 6.
كلام الله بكلام غيره، وأجريتيما في نسق واحد، وزدتم على كلام
الله، ولم تشعروا بذلك، بل نسبتم كل ذلك إلى أن الله أنزله؟

وإذا جاز زيادة مثل هذا، ولم يتحرز منه، جاز أن يكون كل
حكاية فيها لا يصح نسبتها إلى الله زائدة، ولا سيما الحكوات الركيقة
التي تحكي فيها عن الأنبياء التي لا يليق ذكرها بسفلة الناس، وغالب
الأدنى، ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى: أن السفر الأول الذي هو سفر
البدء والأسابيع مما زيد على كلام الله تعالى، ولم يشعروا بزيادته.

ومما يدل أيضاً على هذا المعنى: أن كثيراً مما يجيء فيها: "وكلم
الرب موسى وقال له: اقبض حساب بنى جرشون" (1)؛ "وكلم الرسب
موسى، وقال له: كلام بنى إسرائيل" (2) ومثل هذه كثير.

وهذا يدل أن: أنه ليس مما قاله الرب جل ذكره لموسى، ولا مما
قاله موسى له، أعني لفظ "وكلم الرب موسى"، وقال له "(3) وما أشبهه
من لفظ الحكوات عنه، وإنما هو شيء حكي عنه بعد انقراضه، وأضاف
إلى كلام الله.

ثم لا يعرفون: من الحاكي؟ وإذا جاز مثل هذا، ولا يشعرون به،
جاز أن يكون أكثرها مثيرا ومبدلاً، وليس من كلام الله، ولا من
كلام موسى، ولا يشعرون به، ومن وقف عليها منتبنا لهذه المعنى
قطع بأنها زيد فيها، ما ليس منها.

وعند اكتشاف الغبار، تتبين: أفاس تحتك، أم حمار؟ ماء
ولا كصدٍّ، ومرعى ولا كالسعدان.

ولقد حفظ الله القرآن العظيم، فقال تعالى: "أنا نحن ننزلنا النكر
وانا له لحافظون" (4) ولذلك كره علماً ر şa الله عنهم: كتب التفسير،
وأسماء السور في المصحف، وان كانت بخط آخر، ولون آخر. وقد
اتفقوا فيما أحسب على أنه: لا يجوز كتاب فواحة السور، يعني:
أسماءها، بخط المصحف، ولون مدادها، إلّا ينفصل به ما ليس منه.
فالحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم، والمنهج المستقيم.

(1) عدد 15 : 1 - 2
(2) الحجر : 9
(3) عدد 18 : 25
وأما بيان أنها ليست متواترة: فهو أن اليهود على بكرة أبيهم يعرفون، ولا ينكرون أن التوراة أنما كانت طور عدة هلك بنى إسرائيل عند الكوهرن الأكبر الهاروني وحده، عنه تلقيت، ولا ينكر ذلك منهم، ولا منكم: الإمجاه بالباطل.

وكذلك ما يحكى من قتل بخت نصر جميع بنى إسرائيل، وأثارته كتب التوراة، حيث وجدت، واتلاف ما كان بأيديهم حتى لم يترك منهم إلا عدداً قليلاً، لا يحصل بخبرهم العلم، وكان قد أجلاهم إلى بابل، وهدم البيت، أو لعنة كان الباقى منهم عدداً كثيراً إلا أنهم لم يكونوا كلهم يحفظونها، بل كانوا عدداً قليلاً، لا يحصل العلم بقولهم.

وكان هذا كله قبل المسيح بخمسمائة سنة تقريباً.

وكذلك واقعة طيطش بن شيشان(1)، التي كانت بعد المسيح إلى أربعين سنة، إذ فرقوها التفرقة التي هي اليوم عليها، وهذا أيضاً من المعروف عند الجميع بحيث لا ينكره إلا مكار مجاهر، وهذه الأمور كلها مما تقدح في النقل الذي يدعونه متواتراً.

ثم نقول: هذه الأمور المذكورة أن وافقوها على وقوعها، فقد اعترفوا بعدم التواتر فنان من شرط خبر التواتر: أن ينقله العدد الكثير الذي تحيط المادة عليهم التواتر على الكذب والغلط عن عدد مثله هكذا، ولا ينقطع.

فان رجع الخبر إلى عدد لا تحيط المادة عليهم الكذب، لم يحصل بذلك الخبر: العلم، إذ لا يكون متواتراً وان لم يوافقوا على وقوع هذه الوقائع هكذا، لم يقدروا على جدد أصلها، وإذا اعترفوا بأصلها، لم يقدروا أن ينكروا أماكن وقوع ما يعترفون بأصله، وتجوز وقوع ذلك كتحقيق وقوع ذلك في عدم حصول العلم بالخبر الذي يدعون أنه متواتر.

وأما بيان التحريف فيها، فهو أن اليهود تعترف بأن السبعين كوهان، اجتمعوا على تبديل ثلاثة عشر حرفاً من التوراة، وذلك قبل المسيح(2) في زمن القياصرة، ومن اجترا على تبديل حرف من كتاب

1. طيطش بن شيشان، وواقعته كانت سنة 70 م.
2. انظر في كل ما يتعلق بالتوراة كتابنا: التوراة أسفار موسى الخمسة ومقدمتنا للторاة الساموية.
الله وتحريره، فلا يوثق بالذي في يده، مما يدعى أنه كتاب الله، لعدم الثقة به، ولقلة مبالاته بالدين.

وأيضاً، فبلغه قد حرفه كله، أو أكثر.

وكل ذلك يتقرر ولا ينكر: أن طائفة منهم يقال لهم: السامرية.

حرفوا التوراة، تحريفاً بينا كثيراً والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك.

والذين النصارى أيضاً يدعون على اليهود: أنهم حرفوا في التوراة: التاريخ ويزعمون أنهم نقصوا من تاريخ آدم صلى الله عليه وسلم: ألف سنة، ونحو المائتين.

وهذه احتمالات توجب على العاقل: التوقف، فلا يدعى حصول العلم بنقل التوراة مع إقدام هذه المكتات، إلا مجاهر متسع.

فلا يعقل: كيف يصح أن يقال هذا: وقد كان الأنبياء بعد موسى عليه السلام يحكون بالتوراة ويرجعون إليها واحداً بعد واحداً إلى زمن يحيى وعيسى.

ثم بعد ذلك تناثرها النصارى، كما تناثرها اليهود، خلفاً عن سلف إلى اليوم، وإن جاز تطرق التحريف إلى ما هذا سبيله، فليس عليه: أن يحكون الأنبياء بالباطل.

وليس عليه أيضاً: أن يقرأ على الباطل غيرهم، وهذا كله باطل على الأنبياء، وليزم عليه أيضاً: أن لا يحصل العلم بخبر متوتر، ولا يوثق بكتاب يدعى أنه جاء عن نبي؟

فنقول: وبالله التوفيق...

أما لم نمنع لوقوع التحريف فيها زماناً (1)، ولا عيناً من حرف منها شيئاً، ولا من أحق بها شيئاً، فيحتمل أن يقع التحريف فيها قبلهم أو بعدهم. وإنما أبدينا تلك الاحتمالات ليعلم أن الذي في نفوسكم من الثقة بها: إنما هو اعتقاد جزم، وليس بعلم.

ومما يدل على قبول تلك الاحتمالات وأنها قادحة في دعوى العلم.

(1) عينا زمن التحريف في بابل سنة 586 قnim والمعرفة لها: عزرائ.
مسألتهما: أنها لم تقر على ما تلقته من موسى، بل زيد فيها ما لم يتلقع عن موسى. مثل الذي حكيناهم من ذكر وفاته وحزن بنى إسرائيل، وحكؤبية قول: "كلم الله موسى" وهذا يعلم منه على القطع: أن الله لم يقله موسى، والموسي قاله عن نفسه. يعلم ذلك من وقفة عليه، وتبعته بضرورة مساق الكلام، والله.

فالذي زاد ذلك، لعله الذي وقع الخلل من جهة.

وأما ما ذكرتم من حكم الأنبياء بها، فليس فيه حجة لامكان أن تنازعوا فيه قوله: كنا يحكمون بها، بل لعلهم كانوا يحكمون بما كان الله يعلمهم بعوائق شريعة موسى، ولذا خالفتهم.

ولو سلمنا أنهم كانوا يحكمون بها فنقول: كل شيء حكم به الأنبياء من التوراة فليس بمحرر، وأما ما يحكمون به منها، فلهؤلاء الخريف، مثل الأخبار التي حكيناها، ونحكيها أن شاء الله تعالى.

فإن قيل: فيلزم منه: أن يقر الأنبياء على الخطأ، ويتحدثوا بالكذب. فأنهم كانوا يتحدثون بها. قالنا: ليس بكاذب من حكى شيئا يعتقد صحته. لا يتعلق به حكم الله تعالى. وإن كان ذلك الخبر في نفسه مخالفًا لما في الوجود. فإنا إذا ما يحكم عن اعتقاده، وهو حق. وإنما الكاذب الذي يخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه من العلم بذلك.

وأما ما يجوز في حكاية الأخبار التي لا يتعلق بها حكم.

وأما ما يتعلق به حكم منها فلا يجوز ذلك. إذ الأنبياء مصممون فيما يبلغونه من الأحكام عن الله تعالى. وانما تلقينا هذا، حذرنا من أن ننسب إلى الله تعالى ما لا يليق بجلاله أن ينزله في كتابه، ولا أن ينادى به صفوة أحسبه من الفواحش والفجور التي حكواها في التوراة، وادعوا أنه فيها مسطور، مع أنه ليس في ذكرها فائدة، بل هي بكل ضلالة، عائدة.

وذلك تنزه موسى والأنبياء بعدم صفات الله عليهم عن ذلك الكلام الغث الركيد الذي لو حكي مثله عن بعض السفيلة لأنف منه، واستحى منه، ولا كان ينفي لعائل أن يلتقات يصفى اليه، ولكن يجب عليه أن يعرض عنه وينكره إذا سمعه. هذا إذا كانت محكية عن
السفة فكيف إذا حكاه الله عن نفسه أو عن خيرته من خلقه الذين بأهم الله عن الكبائر والنفقات التي تناقض نبوتهم، فهم أكرم الخلق عليه، وأحاظهم لديه.

وأيضاً فإن الله تعالى حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والغمبة والبهتان والاهن ثم يتعامل بها مع أكرم الخلق عليه: في نفسهم وذرارهم، وبناتهم، وبنسهم اليهود، ويشيعها أبد الآبدين عليهم.

هذا مما لا يليق بجلال الله تعالى، والقائل بوقع هذا مستهزئ.

مفتخر على الله.

وسننقل عن بعض ما حكوا في التوراة من هذه القبائح أثر هذا.

ثم نقول: لو سلمنا أنها لم تحرف في زمان الأنبياء، لامكن أن نقول: فلعله حرف بعدهم وذلك بعد وقعة (طيطش) حيث أفانهم، والذين تنصروا منهم عدد يسير لا تقوم الحجة بقولهم.

وان قلنا: أنهم كانوا عدا كثيرا فلم يكن كل واحد منهم ممن يحفظها ولا يضبطها.

ثم نقول للنصارى: أن أنكتم أن يكون شيء من التوراة حرف.

فلأي شيء تقولون: أن اليهود حرفوا في التوراة في نسب آدم، ونقصوا منه، وإذا جاز ذلك في نسب آدم، جاز في غيره، وهذا بين.

وأما قولهم: يلزم أن لا نقبل خبر متوارث، ولا يوثق بكتاب نبي، فلا يلزم شيء من ذلك. فان الخبر إذا تطيرت إليه أمثال تلك الاحتمالات فلا يوثق بنقله، ولا ييعول عليه، لأمكن تلك الآفات.

أو لعل أشرافكم تتخلب نحو كتابنا وقولون: كتبكم لا يلتفت لليه، ولا ييعول عليه. فنقول: هيهات اننا قلنا: كل كتاب تطرق اليه شيء من تلك الاحتمالات. وكتبنا منه عن أمثال تلك الآفات، فإن الله تعالى تولى حفظه، وأجزي من كل صياعة حظه، فصانه بنظمه الذي لا يقدر الجن والإنس على آية منه، فلا يختلط به كلام متكلم، ولا يقبل وهم متوهم، إذ ليس من جنس كلام البشر، وهو محدود الآي والسور، ثم صانه بأن يسره للحفظ والاستظهار، فيستوي في نقله.
الكبر والصغر، لا يختص بحفظه أحد، والولد فنقض منه حرفًا واحدًا، أو غير حركة منه، رده وأصلحها عليه الولد.

ومن هذا فحروفه وكلماته وآياته وسورة في الدواوين معددة، وأشكال كتابه، حروفه فيها مقيدة، ومع هذا: نقل الأمهم التي لا تحصى عن الأمهم التي لا تحصى، حتى يصل ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم المصطفى بقرب العهد والتمير في صيانته وجد، واستعمال القانون النحوى، وتشديد اللفظ العربي، فيما كمل الله له الصون. وحصل له بهما على فهمه أكبر العون، فله الحمد على ما أولى، والشكر عليه نعمه التي لا تحصى، فأتين اللؤلؤ من الخزف، والياقوت من الصدف.

ويبعد هذا فالآن: حان أن نذكر بعض ما وقع في التوراة مما تطرق إليها التهم.

من ذلك ما ذكرهم فيها في المصحف الأول منها:

ورأى الله أن قد كثر فساد الأدميين في الأرض، فندم على خلقهم، وقال: سأذهب الأدمي الذي خلقته على الأرض والخشاش، وطير السماء، لأن نادم على خلقته جداً »(1)«.

وذاه في حق الله تعالى محال، إذ الندم إما يلحق من لا يعلم مصير المندوم عليه، ومالله واعتقاد هذا في حق الله كثر، إذ ينبغي عن أن الله تعالى جاهل، وأنه منغمس، تعالى عن ذلك علموا كبيرا، وافظ الندم »(2)« هنا نص، لا يقبل التأويل، فهو كذب وباطل قطعا.

ومن ذلك ما ظهر في الوجود خلافه، وذلك أنهم حكوا فيها: أن بنى إسرائيل يسكنون تلك الأرض إلى الانتهاء، ثم لم يثبتوا أن رأيناه أخرجوا منها رأى العين.

فقد ظهر أن ذلك بطل وكذب.

ومن ذلك أيضاً أنه حكى فيها: أن الله تعالى كالإنسان، شخص.

---

(1) التكوين 6: 6 - 7
(3) يشير إلى وعد الله لابراهم عن فلسطين: «إن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد» (تكوين 13: 15) واليهود خرجوا من فلسطين.
ذو جوارح(1) ، وهذا على الله بالضرورة حاله ، ولا للتأويل في هذا.

اللَّهُ فَذِيَّتِينَ اللَّهُ لَهُمْ وَلَوْ كَثِيرًا . (2)

ومن ذلك أيضاً أن الله تعالى حين أمر بنى إسرائيل إلى التوجه إلى الشام ، وعدهم أن يتوجه معهم وأمرهم أن يعملوا قبة على صفة:

كذا ينزل فيها في سيرهم معهم .

ثم إن موسى قال له : يارب ، إن هذه الأمة القاسية رقبها ،

لا تمضى اللك إلى الشام ، حتى تمضى معها كما وعدتها ، فقال الله :

نعم ، اعملوا لي القبعة ، فجعل موسى القبعة ، وسماها : قبة العهد .

ونزل الله من عرضه ، وسماهم في داخل القبعة ينزل بنزولهم ، ويرحل ،

برحيلهم . هذا نص التوراة . (3)

ومما يذكرهم من بقية هذا ، وليس في التوراة : أنهم حين جمعوا:

اللَّهُ لَهُمُ جَمِيعًا . فلما كمل عملها ، ادعوا عليه : أنه قد نقصهم من اللَّهُ ألف رطل ،

وسبع مائة رطل وخمسة وسبعون رطل واللَّهُ نبلي تهكما به : أين نفس هذا اللَّهُ وانسا جرى الانتفاق على يديك ، فسمعوا صوتاً من السماء يقول لهم : أن هذا العدد دخل في رؤوس الأعمدة ، وفي التشيشية ،

فحينتدت كفوا عنه(4) ، فهؤلاء لم يعرفوا الله حق معرفته ، ولا تدروه حق

قدره : (5) فويل لهم مما كتب أنديهم ، وويل لهم مما يكسبون . (6)

ومن ذلك أيضاً أنهم ذكروا فيها : أن الله قال لهم : أن يضربوا:

القرن في عسكرهم قليلة قليلة ، حتى يلقوا عدوهم ، فحينئذ يضربونه ،

بأشد ما يقرون عليه ليسوهم الله فيؤدهم على عدوهم(7) ، فكأنه

سبحانه وتعالى لا يسمع إلا الأصوات العالية . فأين هذا من وصف الله

 تعالى نفسه في كتابه على لسان نبيه ورسوله ، حيث قال : (8) وان تجهر

لأمثلة هذا في التوراة كثير وليهود تأويل في تلك الأمثلة نقلناه .

(1) أمثلة هذا في التوراة كثير وليهود تأويل في تلك الأمثلة نقلناه .

(2) الشورى : 11 خروج 25 إلى الآخر .

(3) هذا الخبر ليس في التوراة .

(4) الاصحاح العاشر من سفر العدد .

(5) البقرة : 97
بالقول: فأنه يعلم السر وأخفى الله لا الله إلا هو، له الأسماء الحسنى(1)
وتفاهم من هذا النوع كثير، لو ذهبت أنقله لطال الكتاب، ولخرجناً من مقصود الباب.
وينبغي أن نذكر الآن ما جاء فيها مما ينزع عنه الأنبياء عليهم السلام:
من ذلك هو حكاوا في السفر الأول عن لوط أنه طلع من صاغر، فسكن الجبل هو وابنته معه، فجلس في مغار هو وابنتاه، فقالت:
الكبرى للصغرى: قد شاهد أبونا، وليس على الأرض رجل يدخل علينا، نستقي أبانا الخمر، ونضطجع معه في مضطجعه، ففعلته وحبلت منه.
بولدتين: معاَب، عموُن(2).
هذا لوط من سلسل الله الأكريمين، أوقعه الله في فاحشة، كما يوقع الأرذلين، ثم خلد ذكرها في الآخرين، خهل هذا الأعين الاهمته.
وأي نسبة بين هذا وبين النبوة والكرامة?
وكذلك أيضاً حكاوا فيها: أن استحق لما شاء، وعمى بصريه. دعا بعيسو ابنه الأكبر ليبارك عليه، وليدعو له باللهمه، فتحصل يعقوب عليه، فقال له: استحق أبوه: من أنت؟ فقال له بكر عيسو، فقال له: أدن مني حتى أجزك، وفدنا منه، وقد كان وضع على رأسه شعرًا بمكيدة أمه، فقال له: الصوت صوت يعقوب، ولكن اليمين يدا خوسو، فيبارك عليه، ودعا له باللهمه، وبشره بها، وهو على غفلته، ثم بعد ذلك جاء عيسو وقال له: باركني أيضاً يا أبي، فقال له: دخل أخوك بعكر، فقبل بركاته، فقال عيسو، بعد بكاء وحزن: أما تركت من البركات شيئاً؟ أبرزها واحدة لك يا أبيتي(3).
فما أعظم هذه الآية، التي تشبه حدث خرافة.
ومن ذلك ما ذكروه فيها أيضاً: أن يعقوب بينما هو يصلح خيمته.

(1) طه: 78
(2) التكوين 19: 30-38
(3) التكوين الأصحاب السابع والعشرون
ويضبطها، مشى ابنه رأوبين وهو أكبر أولاده فضاحج سرية أبيه(1) ؛
بلعه• ولما علم بذلك يعقوب قال لابنه رأوبين: «فضل الشر
فزأ كلامك• فكلم لأخيك بالسهم الزائد حيث انتهت فرثاً»(2)

وتفسير هذا: أن سنة الميراث كانت عندهم: أن يرث الولد الأكبر
سهمين(3) • وسائر الولد سهماً واحداً، فتعجب يعقوب ابنه رأوبين
على فعله بسريته بأن لم يفضله بالميراث على أنه كان أكبر ولده.
وفي بعض الترجمات: أن يعقوب قال: «يا رأوبين • أنت بكري
وقوتي • ورأس حراني • وعوني • طائفة الحمولة • وطائفة العز والمنعة
عديت مثل الماء • فلا تكثُّ • إذ صعدت إلى ضطجع أبيك • حقًا
لقد نجست مضطجعى • وتناولته».

ومن ذلك • ما ذكرته فيها أيضًا: أن يهودا بن يعقوب زني بكنته
ثمار أمّة ولديه ولد كان هناك عنها واحداً واحد فردوه يهودا
الي بيت أبيها ووعده بتزوّج ولده الثلاث السمى بشيلًا إذا كبر • ثم
أنها قعدت في طريق غمه • وتسنرت جدها فظنها بغيًا •
فعدل إليها • ودعها إلى نفسه • فسألته أجرًا • فوعدها بجديد من
غمه • فطلبت منه رهنا • فأعطاه خاتمه ومنديله وعساها وواقعاً بزعمهم
فحملت منه • ثم أن يهودا أرسل بالجدي ليطلب رهنه • فلم توجد
المرأة جفاء بنفسه إلى أهل القرية • وقال لهم: آين قلحاكم المتبلطة
على الطريق ؟ فقالوا: ما كان هنا على الطريق تقبًا • ثم قبل له بعد
حين: أن كنت ثامراً حلي • فقال: تحق بالنانار(4) • فأخرجت لتحرك
بالنانار • فقالت: أنا أنا حامل منه • وهذه رشة بديًا • حين زني بي •
ليفها بجديد من غمه • فعرف ذلك يهودا • وقال: هي أصدق مني •
وفي بقية هذا الخبر خلافة: وذلك أن ثامراً لـ ما جاؤها المادٍ
كان في بطنها توأمان • فتناولت القابلية خيط عين • فربطته على يده •
وقالت: هذا يخرج بديا • فلم بما ليده خرج أخوه • فقالت: لقد
انحرمت فيه ثلاجة عظيمة(5)

(1) تكوين 35: 21 - 49
(2) تكوين 49: 32 - 4
(3) تنمية 21: 69 - 9
(4) نصية زني يهوداً بثمار في الأصحاح الثامن والثلاثين من سفر
التكوين.
وحكي فيها أيضاً: أن دينة بنت يعقوب خرجت لبعض شؤونها فنظر إلى هما شيخين بن حمورا قذلت(1) فشعقتها واحتلها فوقعها، واقتضها. ثم إن شيخ قال لأبيه حمورا: احتمل إلى هذه الجارية لتكون لى امرأة. فبلغ ذلك يعقوب، وأنه تم نجسوا دينة ابنه. فصمته يعقوب، وأطرق حتى أتاه بنوه. فلما بلغهم ذلك اغتموا وساءهم ذلك واشتد عليهم ذلك جدًا، لأنهم ارتكبوا النجاسة في إسرائيل. ثم إن بنى يعقوب عادوا شيخين، وحمورا أباه، وقومه: أنهم إذا اختلفوا أنكوه أختهم دينة. فأقاموا شيخين: لا نقدر أن نزوج أختنا من رجل له غرلة. ولكن إذا اختلفنا زوجناكم أختنا وباتنا، ونترجو بناتكم.

ففعل القوم ذلك. فلما أشتدت بهم أوجاعهم تناول شعرون ولاوى. كل واحد منها حربة، ودخلا على القرية بغتة، فقتل كل ذكر فيها.(2)

ومثل هذا كثير مما يخرج استقصاؤاؤه الى التطرف.

وكذلك حكاوا فيها أيضاً من وعید الله لبني إسرائيل بالفاحشة والقبيح، ما لا يقبله ذو عقل صحيح.

مثل ما حكاوا أن موسى قال لبني إسرائيل في الوصية التي وصاهم بها حيث قال لهم: "أن كفرت برك، وحدثت عن سبيله، وعبدت الآلهة الأجنبية يضرب الررب بقرحة مصر، وبالواسير والحرام والحكمة، حتى لا تستطيع الشفاء. تخطب امرأة ورجل آخر يضطجع معها."(3)

وهذا الكلام تضمن: أن الله تعالى توعد بني إسرائيل، من عبد غير الله منهم بثلاثة أنواع من الفاحشة، لا ينبغي لأذى المروءات أن يتلفظوا بها، ولو أسفخوا مروءاتهم فتلفظوا بها، لما كان ينبغي لهم أن يتعدوا بها، ولا أن ينفذوا ذلك الوعيد لفسخه، ثم أنهم يضطجعون على هذا أحد ثلاث أمور: أحدها: أن يكون هذا الكلام بإملا أو كذبا على الله تعالى عن ذلك - أو يكون بني إسرائيل كل من أشرک منهم.

(1) في ترجمة 1970 "شکیم بن حمور الجوى".
(2) هذه القصة في الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التكوين.
(3) النص في الأصحاح الثامن والعشرين من التننية.
وبعد غير الله أن يبتلي بهذه الأدوار الثلاثة، وأن يكونوا بنى زنى.
ولا يقتدون على أن ينكروا: أنهم قد أشروا بالله، وأنهم عبدوا
الأوثان بعد موسى. فلئذم من ذلك — أن لم يكن ذلك الكلام محراً —
أن يكونوا كلهم بنى زنى، وقرحانين، وموصوفين بالفاشحة الكبرى.
وحكوا في سفر(1) صموئيل الثاني: أن داود عليه السلام اطلع
من قصره، فرأى امرأة من نساء المؤمنين تغفل في دارها فعضتها،
وبعث فيها، فحبسها أيامًا حتى حبلت تعلال الله أن يجري ذلك
على رسله — ثم ردها، وكان زوجها يسمى أوريا، غالبًا في العسكر،
ولا علمت المرأة بالحمل أرسلته به إلى داود فبعث داود إلى
يوآب بن صوريا، فآله على العسكر يأمره أن يبعث إليه بأوريا زوج
المرأة فجاء فصنع له طعاماً وخبزاً حتى سكر، وأمره بالانصراف إلى
أهله ليوقعها فينشب الحمل إليه، ففهم الأمر أوريا وتخابث، فلم يعكر
إلى أهله. وقال: حاثي الله أن يكون الملك هنا دون أهله، وأmites أنا
إلى أهلته. فلما يرسل داود منه، رده إلى العسكر، وكتب إلى القائد أن
يصدر به في القتال مستقلاً له، فقتل أوريا، وقتل معه من المؤمنين:
سبعة آلاف، وفزاع القائد من داود لقتله العدد العظيم من المؤمنين.
وقال للرسول: إذا أنت أخبرت الملك داود بقتل الناس ورأيته قد
غضب، فقل له سريعاً: أن أوريا قتل فيهم، ففعل الرجل، وسكن
داود من بعد الغضب، وسر بموت أوريا، وهانت عليه من أجل موتة
دماء المؤمنين.
فأعتبر هذه الفواحش المنكرة، وهذه الصفات المذمومة
المستقدرة: هل تلقي بأولى اللؤلؤة؟ كيف بمعدن النباتات؟ وهل
يمهد ذكرها عند ذوى المرءات؟ كيفك عند الحي الكريم الله المخلوقات؟
tبا لهم، ولمصدتهم، وخسرنا براحتنا وجذعنا وعترا. ففواتنة قد انتروا
على رسل الله، وكذبوا على كتب الله (انفراء على الله، قد ضلوا
وما كانوا مندين؟(2)).

(1) عبارة المخطوطة: سفر ملاخيم. وفي ترجمة الكاتب نبه به سفر
الملاخيم الثاني وقصة زنى داود التي ذكرها المؤلف في الأصحاح الحادي
(2) الأذان: 140
وكتبوا في هذا المصحف (1): أن أمون بن داود عشق أخته تامار بنت داود، وتعرض فعاهد أبوه، فغضب عليه، وأهله وعده تطعمه تامار أخته، فبعث بها داود إليه، فلم فريق إليها الطعام ورام يده فيها، وافتيضها خرجت باكية فلاحيها أخوها الآخر، شقيقها أشبالوم، فأخذته، فهرب عليها ثم بعد أيام وثبت على أمون فقتله من أجل ذلك.

وكتبوا في هذا المصحف (2): أن أشبالوم بن داود نافق على أبيه، وأخرج له عن قصره ودخل على نسائه، فوطئه كلهم على أعين بني إسرائيل استباغا في الانتقام من أبيه.

ومن أفضح ما كتبوا في هذا المصحف (3) عن سليمان بن داود: أنه ختم عمره بعبادة الأصنام والسحر، وسكت نفساه دينه، كذبوا قالتهم الله، متأكلون (4) إذ بالأباطل والفواحش يتقولون ويتعرضون. فلقد صدق الله العظيم ورسوله الكريم، حيث قال سبحانه وتعالى في محاكم كتابه الحكيم: "وانتعوا ما تلوا الشياطين على ملك سليمان، وما كسر سليمان ولكن الشياطين كنروا (5) فغضب الله عليهم وعلى من يصدقهم إلى يوم الدين وعنته والملائكة والناس أجمعين.

هذه الحكايات الوخيمة، والأقوال غير المستقيلة: تضمنت الأخبار عن لوط بأنه زنى بابنته، وأنهما حملت منه من الزيتي وأن نبوة يعقوب انتها حصلت له بأن خدع السحق ومكره، وانتها، وأنها كانت لعيسو، وأن داود زنى بامرأة مؤمنة، زوجة مؤمن، وأن داود تجري على زوجها حتى قتل وقتل لقتله جماعة من المؤمنين، فسر بذلك، وأن رأبين زنى بسيرة أبيه يعقوب، وكذلك يهدى زنى بكته ثامار، وولدته له من الزيتي توأمين، وأن ابنة يعقوب زنى به شخيم بن حمورا، وأن

الصحيح الثالث عشر من سفر صموئيل الثاني.
الصحيح السادس عشر من سفر صموئيل الثاني.
سفر الملوك الأول الإصحاح الحادي عشر - واسمه سفر الملوك.
الثالث في ترجمة الكاثوليك (الآباء اليهوديين).
التبعة: 102.
القروية: 30.
أولاد يعقوب بعد أن أمهو وعقدوا معه، غذروا به. وقتلوه وأباه، وأهل القرية. وأن أمنون بن داود زنى بأخته تامار بنت داود، وأن أخاه أبيضلام قتله غيرة غمرا، وأن أبيضلام زنى بنساء داود أبيه، وأن سليمان ارتد عن نبوته، وعبد الأنصار.

فان ثبت هذا الذي ذكروا في كتبهم - تعالى الله والأنبياء عن قولهم - فهذا الشعوب الذي ذكروا فيه هذه الفواعش، ليس هو شعب النبي إسحق بل هو شعب غدير ونفاق وزني وكفر، وكيف يصح أن تكون هذه الأفعال القبيحة أفعال أهل نبوة صحاح؟ بل كل ذلك ناقض للنبوات، لا سيما مع دعاء إبراهيم واسمح لذريتها بالبر والبركات. فان كان هذا شعبهما الذي دعوا له بالبر والبركة، فدعاوهم غير مسموع، وقولهما مرود مدفع.

ثم هذه الحكايات الوجيمة، الفاحشة غير المستقيمة في التوراة، لما أمور آخر تعارضا. بل وأدلة العقل تنقضها.

من ذلك: ما حكي فيها من مدع لوط على لسان إبراهيم، وشهادته باللبر. وذلك أن الله تعالى لما أعلم إبراهيم بأنه يريد أن يهلك سدوم وعمورا. وهم منكم قوم لوط. قال: «يا ربك أتاهك الإبرار مع الفجار!» ؟(1) يعني بالإبرار: لوط وبيته. فسماهم بإبراراً. وشهد له بذلك بين يدي الله تعالى. وكيف يصح أن يكون أبنتا لوط من الإبرار؟ ويوعل من أنفسهم في أن يزنى بهما أبوهما نبي الله؟ ثم لم يعطيه الله تعالى من مثل هذه الزيادة. ثم أن الله شهد عنه هذه النضجية التي يحدث بها على مد الدهر، مع أنه لم يسمع قط من المشرعين من أجاز نكاح البنات، وعمل هذا من ناقلته وأناسبه إلى الله، إلا جرأة وتوافق على الله.

وكذلك ما كتبوه فيها من الحكايات التي ذكرناها في ذرية اسحق، يعارضوا ما حكوا فيها عن الله أنه قال لإبراهيم، في غير موضع ما منها: لأبتك بركة سامية، ولا تشرك بنسلك جميع الشعوب، لأنك أعلم.»(2)

(1) تكوين الأصحاح الثامن عشر : ۲۳
(2) تكوين ۲۲ : ۱۷ - ۱۸
وكذلك قال الله لاسحق بعد موت ابراهيم: "أنا معك أكون وأبارك لأنتى أعطيك ونسلك جميع هذه الممتلكات، ويبتبارك بنسلك جميع الشعوب" (1)

وكذلك قال اسحق ليعقوب حيث مكر به يعقوب بزعمه قاتلهم الله قال: "به يؤتّيك الله من ظل السماء، وخصب الأرض، تعبد الأمم، وتسجد لك الشعوب، كن ربيسا لأخوتك، تسجد لك بنو أمك، مباركوك مباركون، ولاعنوك ملعونون" (2)

تأمل بعقلك هذه الخزائى البادية، وما نسبوا في كتبهم الى أكرم الخلق من المنكر الفاشية.

فادا أنت أمعنت النظر، واشتدت منك العبر، علما أن هذه الحكايات بواعظ، وأنا ملحقها في التوراة وناسبها إلى الله متزندق جاهل.

وإنا ألحقة عدو للديانات، أراد أن يقول في صفوة الله: البهتان، فحصل له مراده، حيث أ/ns على المشيرعين الأبين.

ثم نقول للنصائر بعد ذلك: العجب منكم، ومن جهلكم حيث صدقتم بتوقيع هذه الفواحش من الأنبياء، واعترفتم مع ذلك بنبوتهم، ثم لم تجزوا على الحواريين وقوع الغفل منهم فيما حكاوا لكم أن صحت الحكايات عنهم من اتحاد العلم باللحمية، فإن العقل يدل بضرورة على أن ظاهر ذلك فاسد محال، فهل عليكم تأملت ذلك، أو تلزم: أنه يجوز عليهم الغفل ونيدل ذلك على نقضهم كما قلتم في الأنبياء الذين حكيت عنهم تلك الفواحش، ولو فعلتم ذلك لكان الأولى عند العقلاء.

* * *

(1) تكوين 27 : 28 - 29
(2) تكوين 36 : 3 - 4
فصل في بيان أن الانتخاب ليس بمختار
وبيان بعض ما وقع فيه من الخلل

فنقل وياح الله التوفيق:

أن هذا الكتاب الذي يبدأ النصارى اليوم الذي يسمونه بالإنجيل
ليس هو الانتخاب الذي قال الله فيه على لسان رسوله صلى الله عليه
 وسلم: "أنا النزول والإنجيل، من قبلي هدى للناس" (1)

وإنما هنا هذا في الانتخاب، دون النزول، لأن النزول قد ثبت
عندنا، وعندهم أن الله تعالى كتبها في الألوه لوسي عليه السلام، وتدعى
اليهود أن موسى عليه السلام نسخ لهم النزول من تلك الألوه.
فحمل من هذا: أن النزول بلغت بجفتها عن موسى عليه السلام.
ثم أنه حدث فيها من التغيير بعده ما قدمنا ذكره.

وأما هذا الكتاب الذي يدعي النصارى أنه الانتخاب: فقد توافق
هؤلاء النصارى على أنه اسم تلقى عن اثنين من الحواريين، وهو:
"مناوظ" (2) ويوحنا. وعلى اثنين من تلاميذ الحواريين، وهو: مارك.
ولوقا. وان عهد الوسي عليه السلام لم يشافهم بكتاب مكتوب عن الله كما
فعل موسى، ولكن لا رفع الله عليه السلام إليه. تفرق
الحواريون في البلاد والأقاليم، كما أمرهم الوسي فكان منهم من كتب
بعض سيرة ويد، وبعض معجزاته، وبعض أحواله. حسب ما تذكر.
وما يسر الله عليه فيه. فربما توارد الأربعة على شيء واحد فحدثوا به،
وربما انفرد بعضهم بزيادة معنى. وكذلك كثيرا ما يوجد بينهم من
اختلاف مساق وتناقض بين قولين وزيادة ونقصان، وسترى بعض
هذين أن شاء الله تعالى، فعلى هذا لا يسمى الانتخاب كتاب الله المنزل
حقيقا. فنان حقيقة الكتاب المنزل بحكم العرف من هو: عبارة عن
جميلة من كلام الله البلغة على لسان رسوله يجيها ذلك الرسول
عن الله تعالى.

(1) آل عمران: 43
(2) مناوش: مني في الترجم الحديثة. ومارك: مرقس.
وليس شيء من هذا موجودا في الأنجيل فإن سماء مسم كتابا منزل،
ولم يرد هذا المعنى فلا بد من أن نسأل عن المعنى الذي يرد به ذلك
الاطلاق، فلا شك أنه يقول: إنما سمعته كتابا منزلا، لأن عيسى جاء
من عند الله، وبلغنا شرع الله، وفي ذلك الكتاب وصف سيرته، وحكيات
وأخبار عن الله، فكيف لا يقال عليه: هو كتاب الله، ومنزل من الله.
فنقول له: اسميه هذا كتاب الله بالمجاز، أو بالحقيقة، فإن قال:
بالحقيقة، فكلامه باطل، فإن حقائق كتاب الله المنزل هو من إفصاح
وإن قال: بالمجاز، فقينا بهذا، ثم الزمان عليه: أن يكون كل كتاب
يفحى عن نبي من نبيه آله، فإن الله هو مؤلف كان كتاب الله
ولافرق.

واذ انتهينا إلى هذا، فقد حصل غضبانا، وهو أن هذا الانجيل
الذي بأيديهم ليس منزلًا، ولا يقال عليه: كتاب الله المنزل، كما يقال
على التوراة والإنجيل، والقرآن، وذلك ما كنا نبغى

فقد حصل من هذا الكلام: أنه ليس منزلًا من الله حقيقة، وأن
نطقه ليس متواترا فأنه راجع إلى الأربعة الذين ذكراهم، والعادة
تجوز عليهم الفعل، والسرد، والكتب، فان قالوا: هم مصوصون
فيما نقولو عن عيسى عليه السلام، قالوا: ما دليل عصمتهم؟ فإن قالوا:
دليل عصمتهم أنهم كانوا أنيباء، ودليل نبوتهم: ما ظهر على أديهم
من خوارق العادات، وشهادة عيسى عليه السلام لهم حيث قال لهم:
كل ما سألتمو، إذا حسن إيمانكم ستجابون، (1) وقال لهم:
ستوقفون على الملوك، ويسألونكم، فلا تفروا، فيما تقولون. فانكم
ستهدون ذلك الوقت، لما تقولون، ولستم تتعلقون أنتم، لكن
روح القدس ينطق على ألسنتكم، (2) وقد جاء عن عيسى عليه السلام
أنه دعا الاثنين عشر حاوريا، وأعطاهم من القدرة والسلطان، ما ينطوي
به جميع الجن والبر وبرور به الأسقاق، (3) وكذلك قال لبطرس:
ما عقدته أنت في الأرض، فمعقود في السماء، وما حلته في الأرض.

(1) منى الإصحاح السابع عشر والحادي والعشرين.
(2) الإصحاح العاشر من أنجيل متي.
(3) الإصحاح العاشر من أنجيل متي.
فمطلع في السماء (1) وأما خوارق العادات، فقد كانوا يحيون الموتى، ويبيرعون المرضى، كما كان يفعله عيسى عليه السلام وذلك معروف من حالهم (2).

قلنا: ما ذكرتمنه عن عيسى عليه السلام من الشهادة فلا يصح لكم الاستدلال بشيء مما ذكرتموه. لوجوه:

أحدها: أنكما أنسدتم ذلك إلى الانجيل، واستدللمتم على صدقهم بما جاء عنهم فيه، وما جاء عنهم فيه، لا يثبت حتى تثبت عصمتهم، فلا يثبت بما ذكرتموه لا الانجيل، ولا عصمتهم.

الوجه الثاني: أنا لو سلمنا ذلك لكم لما كان فيما ذكرتموه. حجة، لأنه ليس شيء منها ينص على أنهم معصومون فيما أخبروا به على الإطلاق، وعامة ما ذكرتموه أن يدل على أنهم يعانون ويؤيدون مما يبلغون عن عيسى في بعض الأوقات، أو في بعض الأخبار والأحوال.

والوجه الثالث: أن ما ذكرتموه معارض بما تقوله أيضاً، وذلك أنهم نقلوا في الانجيل أنه قال للحواريين: "يا نسل التشكيك والكفر إلى متي أكون معمم؟ وإلا متي أحتكم؟" (3) أيا ما قال لبطرس فهو أيضاً معارض بما حكيت عن أنه قال له: "تأخر يا شيطان، فانك جاهل بمرضات الله" (4).

وأما ما أدعوه من مجزاهاتهم فلم ينقل منها شيء على التواتر.

وإنا هي أخبار آحاد غير صحيحة، ولو سلمنا أنها صحت لما دلت على صدقهم في كل الأحوال، وعلى أنهم أنياب، فإن القوم لم يدعوا النبوة لأنفسهم، وأنا أدعوا التبليغ عن عيسى عليه السلام، فظهر من هذا البحث، أن الانجيل المدعى لم ينقل تواترا، ولم يتم دليل على عصمة ناقليه، فذن يجوز النفل والسهو على ناقليه، فلا يحصل العلم بشيء منه بل ولا غلبة الظن، فلا يلتقى اليه ولا يعول في الاحتجاج عليهم.

التصحيح السادس عشر من انجيل متي.

(1) تصحيح التاسع، لوقياً: تصحيح التاسع.

(3) تصحيح التاسع من انجيل لوقياً.

(4) تصحيح السادس عشر من انجيل متي.
وهذا كاف في رده، وبيان قبول تحريره، وعدم القنطة بمضمنه
ولكننا مع ذلك نعمد منه إلى مواضع يتبين فيها تهافت نقلته ووقعه
الغلط في نقله بحول الله تعالى.

فأول ذلك: أنهم ذكروا في أول ورقة من أنجيل يوحنا حيث ذكر
المسيح، فقال: "ولد (أ) المسيح الذي هو بادئ الأشياء وعلوتها الأولى
عيلة جميع الأشياء، وكل زمان ورأس كل نظام، وأولية جميع المراتب".
ثم قال بعد ذلك في معرض مدحه: "المكلوم في لحمه، المعقل في
الخشبة".

كيف يجري عاقل: أن يتحدث مثل هذا العار؟ أو كيف تصح
نسبه هذا التناقض البين إلى أحد من الأخيار؟

وذكروا فيه أيضا: أن عيسى عليه السلام قال: "أنا الباب
فمن دخل على يسوع، ويجد مرعي أبدا" ثم عرض بمن قبله من الأثنياء
فجعلهم لصوصا وسرقا. فقال "آمن، آمن، أقول لكم: أني باب
الضنان، والقادمون عليهم كانوا لصوصا وسرقا، ولا يقبل اللص
لا ليسرق شيئا ويقتل، وأنا قدمت للحيوه، وتردادوا خيرا".

وفي الالنجيل أيضا لأنه قال: "أن كنت أشهد لنفسى فشهادتي غير
مقبولة، ولكن غيري يشهد"(2) ثم في موضع آخر من الأنجيل أنه
قال: "أن كنت أشهد لنفسى فشهادتي حق لأنى أعلم من حيث جئت
والى أين أذهب"(3).

كيف تكون شهادته حقا وباطلا، ومقبولة وغير مقبولة؟ وكيف
يجمع بين هذين في كتاب ينسب إلى الله؟

وفي الالنجيل أيضا: أنه حين استشعر بوتوب يهوذا عليه، قال:
قد جزئت نفسى الآن. قمدا أقول يا أبنتاه؟ فسلمني في هذا
الوقت"(4) وأنه حين رفع في الخشبة صاح صياحا عظيما وقال:

(1) يشير إلى بد، أنجيل يوحنا: "في البدء، كان الكلمة والكلمة كان
عند الله وكان الكلمة الله 1111.
(2) الأصحاح العاشر من يوحنا 31: بحثنا 5: (3) بحثنا 14:
(4) بحثنا 23: 38.
(5) بحثنا 5: 14.
نعم، على الشكل الذي تظهر به قدرته وقوه، وهل سمع قط أطراف هذا القول؟ أو أظهر تتناقضاً منه؟

ثم في موضع آخر منه: أنه قال قبل ذلك: "من أحب أن يقفوا أثراً، فليذهب نفسه" (1) فمحرر على نفوس النفس، كيف يجزع ما يحرر عليه قبل؟ أم كيف يكون النبلة ويجزع نفسه؟ أم كيف يكون ابن الله؟ ثم يدعو أن يخلصه في ذلك الوقت فلم يستجب له؟

ومن أظهر دليل على وقوع الجلف فيه: أن في انجيل متاؤوش الحوارى حين ذكر نسب عيسى عليه السلام حيث نزل خطب مريم أبا ليعمي، فقال: "ابن يوسف بن يعقوب بن مدان بن أليعازر بن اليود ابن أحمد" (2) وقد ذكر في انجيل الخليل تسعة وثلاثين أبا، ثم في انجيل لوقا يقول: "يوسف بن هالي بن ميثات بن لاوي بن هلكي بن ينا" (3) وقد ذكر في انجيل نيفا وخمسين أبا.

فإليت شعري، كيف يجوز مثل هذا على الله؟ أو كيف ينقل هذا في كتاب معلوم عن الله؟ وقد أراد بعض أساقفته أن يرجع هذا الخرق المتسع بأن قال: أحد النسبين طبيعي نسب التوليد، والآخر نسب شرعى، نسب الولاء والكافلة، والتناقض باع عليه بعد اختراع هذا الهذيان.

(1) في أليل، إيلي: لما شفختني أي الهى اللى لما تركتنى؟
(2) الآية بالمعنى في الاصحاب الأول من انجيل يوحنا والاصحاب الثاني من
(3) سفر أعمال الرسل
(4) الأصحاب العاشر من انجيل متي
(5) الأصحاب الأول من انجيل متي
(6) الأصحاب الثالث من انجيل لوقا.
ثم انظر هذه الشناعة التي ارتكبوها • حيث نسبوا عيسى عليه السلام إلى رجل زعموا أنه خطب أمه مريم وأي نسبة تثبت بينهما •

ما أن أراد أن يتزوج انسان أمه • ثم انهم يبلغون نسب يوسف إلى آدم •

ثم يقولون : إلى الله •

فهلا عليهم يستغفرون عن ذكر نسب من لا ينسب في عيسى •

ويقولون في عيسى : ما يقولون في آدم ؟ لولا الجيل والحكم •

وفي الإنجيل عنه : أنه كان يوما قد نهتم عن التجارة في بيت المقدس • وأن اليهود قالت له حديث : « أي علامة تظهر لنا ؟ قال :

تهدمن هذا البيت وأبنيه لكم في ثلاثة أيام ، فقاتل اليهود : بيت بني في ستة وأربعين سنة تبنيه أنت في ثلاثة أيام »(1)؟

ثم في موضع آخر منه : أنه لما ظفرت به اليهود • أذنكم -

وحمل إلى بلاد قيصر ، واستوعت عليه بيئة • أن شاهدي زور ،

جاء اليه • وقالا : سمعنا هذا يقول : أنا قادر على بنيان البيت في

ثلاثة(2) •

وهذه شهادة موافقة لما قال عيسى لليهود • هذا الشهاد قال عليه الحق لا يقتضيه كلامه • ومن شهد بما سمع • كيف يقال عليه :

شاهد الزور ؟ أو كيف يسميه الله شاهد زور ؟ ومن أصب الأشياء :

أن اليهود لا تعرض شيئا من هذا • ولا سمعت أن أسلافهم جرى بينهم

وبين عيسى هذا المجلس ولا سوى ذلك مما تصفون من خرافات كتبكم •

وفي الإنجيل أيضاً للوقاة : أن عيسى قال لرجلين من تلاميذه •

« أذهبا إلى الحصن الذي يقال لكم ، فإذا دخلتموه فستجدان فلوا مربوطاً •

لم يركبه أحد • فحلوا وأقبلوا به إلى »(3) وفي الإنجيل للتأووش(4) يصف هذا الخبر بعينه • ويدكر أنها كانت « حمارة » فحسب بهذا

خلال وتناقصاً •

(1) الإصلاح الثاني من الإنجيل بوحنا •
(2) الإصلاح السادس والعشرون من الإنجيل متي •
(3) الإصلاح التاسع عشر من الإنجيل لوقا •
(4) الإصلاح الحادي والعشرون من الإنجيل متي •
وفي الإنجيل أيضاً للوقا (1)؛ يخبر عن المرأة التي صبت الطيب على رجلٍ المسيح، وشّق ذلك على التلاميذ، وقالوا لها: هل تصدقتم كيف في الإنجيل لفونسيس (2)؛ أنها أنها صبت الطيب على رأس المسيح فما أبعد اليتيم عن خبر فيه مثل هذا الاختلاف؟


فقد أخبر هنا: أنه لا يقدر على تجليسمها عن يمينه، ولا عن شمالي.

وفي أول ورق (3)؛ أنه باديء الأشياء، وعلتها، وعلة كل زمان، فكيف يصح أن يكون باديء الأشياء كلها وعلتها؟، ولا يقدر أن يجلسهم عن يمينه، ولا عن يساره، ثم يبنروا عن ذلك بقوله: «لا لن وهب ذلك لى» ولا مزيد في النقاوض والفساد على هذا.

وفي الإنجيل أيضاً أنه قال: «لا تحسبوا أنتم قدتم لأصلح بين أهل الأرض، لم آتكم لصالحهم، لكن لألقى المحاربة بينهم. أنا قدتم لأفرق بين المرء وابنته والمرأة وابنتها، حتى يصيروا أعداء المرء أهل بيته» (4).

وفيه أيضاً عنه: «انما قدتم لتحموا وتزدادوا خيراً وأصلح بين الناس» (5) وأنه قال: «من لم يحمذ اليمين، فانصب اليسرى» (6)

ولا مزيد في النقاوض والفساد على هذا.

(1) الإصحاح السابع من إنجيل لوقا.
(2) الإصحاح السادس والعشرون من إنجيل متى.
(3) الإصحاح الحادي والعشرون من إنجيل متى.
(4) يشير إلى إنجيل يوحنا الإصحاح الأول.
(5) متى 10: 24 - 26
(6) متى 20: 28
(7) متى 5: 36
(8)一共 14 - الإعلام)
وفي الأنجيل أيضاً أنه قال: «لم آت لأنقض شريعة من قبلي
إنيما جاءت لتتم» (1) وكلاًما من معناه: ثم فيهم بعد أن تقلل
كلام آخر ينقض فيه شريعة من قبله وذلك أنه قال: «إنا علمتم أنه
قبل للقدماء: لا تقنعوا: ومن قتل فقد استوجب النفسي من الجماعة»
ثم قال بعد ذلك: «إنا علمتم أنه قبل للقدماء: من فارق إمرأته فليكتب
لها كتاب طلاق: وأنا أقول لكم: من فارق إمرأته منكم: فقد جعل له
سيبلاً إلى الزنى: ومن زوج مطلقة فهو فاسق» ثم قال: «أنا بعثم
أنا قبل للقدماء: العين بالنعين: والسند بالسند: وأنا أقول لكم:
لا تكافئوا أحداً بسيئة ولكن من لم يخلق اليمنى: فانصبه له البحر»
ومن أراد مغالبك وانتزاعك ثم يصبعك فرده أيضاً رداؤك» (2)
كيف يصبح أن يقول: «لم آت لأنقض شريعة من قبلي» ثم
ينقضها حكماً حكماً؟ ثم قوله: «جئت متمماً» لا يصبح أيضاً: فأن شريعة
موسي كانت تماماً كاملة: والتام لا يتمم: والكامل لا يكمل: فقد ها
تناقض وفساد.
وعيسى عليه السلام منزه مبرأ عن كل تناقض وفساد: وليس
هذا ولا شيء منه من قبلي: بل هو منزه عن ذلك كله.
وفي الأنجيل أيضاً من تأوًو: أن المسيح قال لبرطس: «طلوب
لك يا شمعون بن الحمامة: وأنا أقول أنك الحجر: وعلى هذا الحجر
أبتغي بئتي: فكلما حلته على الأرض يكون مخلولاً في السماء: 
وما عقدته على الأرض يكون معقوداً في السماء» (3) ثم بعد أن ينفر
بسرية قال بعينه: «اذهب يا شيطان: ولا تعارض: فانك جاهل
بكونى» (4)
كيف يكون شيطان جاهل يطيعه صاحب السماء؟ وهذا غاية
التناقض.
وفي الأنجيل أيضاً من تأوًو: أن عيسى قال: «لم تلد النساء

(1) متي 5 : 17
(2) متي 16 : 18 – 19
(3) متي 17 : 41
(4) متي 16 : 23
مثل يحيى` (1) ثم في انجيل يوحنا أن يحيى بعثت إليه اليهود من
يكتشف لهم أخباره فإن: `من هو؟ أي هوي المسيح؟ قال: لا • قالوا:
اتراك الياس (2) • قال: لا • قالوا: أنت النبي؟ (3) • قال: لا • قالوا:
أخبرنا من أنت؟ قال: أنا صوت مناد في الميزان.

فكيف عني نفسه كونه `نبيا` ولا يجوز لنبي أن ينكر نبوته،
فهأن يكون كاذبا والنبي الصادق لا يكذب.

فليزمهم أحد أمرين: إما أن يكون يحيى ليس بنبي، وهو باطل.
أو يكون انجيلهم محرضا وهو حق.

ولو تتبعت ما فيه من هذا الكهف لاحتج ذلك إلى التكثير والتطوير.
وبوضع واحد من هذه المواضع يحصل: أن كتابهم قابل للتحرير.
والتحرير، فكيف بالزيادة والتكرير؟

فقد حصل من هذا البحث الصحيح:
أن التوراة والانجيل لا تحصل اثارة بها، فلا يصح الاستدلال.
بهم لا تكون غير متوارثين وقابلين للتغيير.

وقد دللنا على بعض ما وقع فيما من ذلك. وأذنا جاز مثل ذلك
في هنين الكتابين مع كونهما أشهر ما عنهم، وأعظم عمدهم ومستند
ديانتهم، فما ذلك يثير ذهنك من سأر كتبهم التي يستدلون بها،
عما ليس مشهورا مثلهما، ولا منسوبا إلى الله نسبتهم؟

(1) متي 11: 11.
(2) الباس في التراحج الحديثة: ايلياس.
(3) المؤلف قرأ النص: `أنت النبي؟` والصحيح كما في جميع التراحج
`أنت النبي؟` لأنهم يسألون عن النبي معهود تحدث عنه موسى في الإصحاح
الثامن عشر من سفر التثنية. فنفى يحيى أنه النبي المسؤول عنه، لا أنه ينفي
نبوته كما في المؤلف. وهذا النبي المسؤول عنه هو محمد صلى الله عليه
 وسلم وهذا النص في الإصحاب الأول من انجيل يوحنا.
فعلى هذا أنما أولى بعدم التواتر، وبقبول التحريف فيهما.
فإذا ادعوا تواتر شيء من ذلك فلينظر هل كملت فيه شروط التواتر.
أم لا؟ فان كملت قبلنا وآمنا، وان لم تكمل توقيتنا وطالبناه بالطريق
الموصى إلى العلم.
فإذا ثبتت هذه المقدمة متنبأ بعدها للمستدل على أثبات نبوة
عيسى بالأدلة المتقدمة: لا تظن أننا نرد نبوة عيسى، أو أنا نشك فيها.
حاشى الله، بل نحن أحق وأولى بعيسى ابن مريم منكم. فأنتم تلمتم
فيه ما لا ينبغي له، ونسبتموه إلى ما يبترا به هو من بل أنتم لعمري
والله أبعد منه، وأبغض إليه ممن كأثرت نبوته، وكفر به. فإن من
أنكر نبوته، وكفر به. لم يتزك فاحدها، كما فعلتم أنتم حيث جعلتموه
اليها آخر، ولم يعرض بعيسى عليه السلام للموقف المخجل الذي
يسأله الله فيه عن غلوكم فيه وعبادتكم له، حيث يقول الله:
«يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس: اتخذوني وأمي: الهين من
الله»؟ فيقول خجلاً فزعاً مترأ من فتيب ما نسبتموه إليه.
سبحانه، ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، أنا كنت قلتنه فقد
علمته»؟
ولما نحن، فاننا نقول فيه ما قاله الله على لسان رسوله
المصفى: ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسول،
واهبه صديقته، كانا يأكلان الطعام»؟ وما قاله الله أيضاً فيه على
لسان أشعياء، حيث بشر به، وأخبر بقدومه: «هذا غلامي المصفى،
وحيبي الذي ارتضت به نفس»؟
وما قاله هو عن نفسه حين تكلم في مهده: «أني عبد الله آتياني
الكتاب، وبطلني نبياً، وجئني مباركاً ابن ما كنت، وأوصاني بالصلاة
والزكاة وما دمت حيا»؟
فنحن نعرف حق معرفته، ونؤمن بنبوته وشييعته، ونحب عليه
الله، إذ ليست من صفته: «ما كان لبشر أن يؤمن به الكتاب والحكام

(1) المائدة: 116
(2) المائدة: 75
(3) الإصلاح الثاني والأربعين من سفر أشعياء
(4) مريم: 31، 30
والنبي ، ثم يقول للناس : كونوا عباداً لى من دون الله ، ولكن كونوا
ربانيين ، بما كنت تعلمون الكتاب وبيما كنت تدرسون (1).
ثم أنا نعرف ما ذكرناه من وصفه بأدلة كثيرة قاطعة ، وبراهين
صادقة تخضع لها رقاب الجاهدين ، وتستفيض بنورها بصائر المبصرين.
وأذا كان كذلك ، فما استدلالت به أنت على نبوة عيسى من كلام
النبيين أن صن فهو زيادة في أنواع الأدلة ، لا في نفس اليقين . فلذلك
لا نباحثك فيها ، ولا نبالي بك . أتجهها أم تجريها ؟ على أنت لو ناقشناك
في تلك الأدلة لأظهرنا لك فيها الفساد والعلة . ولكن ما لا يخالف غرضنا
ولا يقتضيه . فما بالنا نطول أنفسنا فيه .

* * *

(1) آل عمران : 79
الفصل السابع

هاجر أم سمايعسل النبي

من حكاية كلامه أيضا

قال: "وأنت أيها الإنسان، تجدوا في كتابكم، في آل عمران:

وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس" (1)

فانت هجر بالتوراة والإنجيل، فاستروا ديوككم من التوراة، كما

انتباكنا نحن ديننا من كتاب الأنبياء، وأعلم أنه لا نقبل لكم من كتبكم

شيئاً، فان قلت: من كتابك شيئاً، قلت لك: كما قال رسولك: (الbinea

البينة من سعي، وليست على من أشكر)، فوجب عليك أن تثبت

دينك من التوراة والإنجيل التي أنت مقر بهم، وانت مدعى: أن

كتابكم من الله فانتبهوه من التوراة بالعبراني، ومن الانجيل بالعجمي،

كما أنت مقرون.

وقولكم "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل" (2)

فاني أطلبك من الكتب التي جاءت به الرسل، كما قلت، فإنت بما

ادعيت، والى "يحيى" فأنت أنكر لك، ولا نقبل لكم من النيونات والروايات

المرويات عن مسلم، في كتابه الذي قال: "حديثنا سفيان عن الزهري،

عن قنادة، عن عائشة، قالت: جاءت امرأة رفاعة إلى الرسول، فقالت

له: كنت لرفاعة، فطلقتني، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير، فتبسم

الرسول ضاحكاً، وقال: (أتردين أن ترجع إلى رفاعة؟ لا حتى

تزوجي عسيتاه، ويدوى عبد الرحمن بن الزبير عسيتاه)، وفي رواية

أخرى عن عائشة، قالت: "طلق رجل امرأة ثلاثة، فتزوجها رجل، ثم

طالما قبل أن يدخل بها، وأراد زوجها الأول أن يتزوجها، فسئل

الرسول عن ذلك، قال: (لا، حتى يذوق الآخر من عسيتاه ما ذاق

الأول).

(1) آل عمران: 144
(2) آل عمران: 304
فافهم. فمثل هذه النبوات لا نقبلها منكم، لأن المسيح يقول:

لا ينبغي لرجل طلاق زوجته إلا أن تزني. وأن زنت فلا يحل له مراجعتها، ومن طلق امرأته فقد جعل لها سبيلًا إلى الزنى، أعني من طلقها دون سبب، ومن زوج مطلقة فهو فاسق بها» (القصص 5:4)

وأنتم تقولون: لا يحل لزوجها مراجعتها إلا أن تزني، بل أن تنهوا عن الزنى تأمروا بالزنى. وهو عندكم فضيحة النياس.

وأنا أريد قطع ذنب النبيس، وأن نجعله في ذقته، ليلوح استه لمعرة صرصر الشمال، وحمارة تفيض جهير الجنوب.

وهذا جواب كلامك، انصافاً منك، كما يقول قرآنك، ومن انتصف من بعد ظله فلا جناح عليه(2). فافهم.

ثم قلت في شعرك:

أراد النصارى ينصرن محالهم

فانصر أنتم محالك، لأنك قلت بالسفسة، والطعن في ديننا.

وقلت الكذب على سيحنا، كيف قلت ما لم تعلم؟ وكيف تجرأت أن تتكلم؟ وأعلم أنك أرسلت بعد هذا بالشتم. فانى أبعث إلى كل بلد كتاباً بين شريعتكم، وبكل ما نعرف فيها من الأفواه التي لا تقدرون على أنكارها.

فافهم. لأنك قلت في المسيح: غت وأوطار، وأنك سببت الحاكم عليه وعلى جميع الأمة يوم القيامة. لكن سوف تلقاه حاكم ليس يطلب عليك بيئة. فإنك أرسلت بعد هذا بالشتم. فاني أعرفك بشجرتك ما هي؟ حتى تعلموا من أنتم؟ وأعلم أنى لم أريد في الأول شتم أحد. لكن لا بعث إلى أول كتاب بالسفسة والسبي. ردت له الجواب بأنه هاجر، ولم ننقل فيها عشر ما قال الله فيها في التوراة. وعن ابنها فاسمع قول الله عنها. وعن ابنها:

(1) أنجل متي الإصلاح الخامس والإصلاح التاسع عشر.
(2) يشير إلى قوله تعالى: "ولأن انتصر بعد ظله فلا تكلم ما عليه من سبيل" (الشورى: 41).
رأيت سارة ابن هاجر الصريحة الذي ولدت لابراهيم، وهو
يلعب. فقالت لابراهيم: أردى هذه الأمى، وابنها، إذا ليس يرث
هذى الأمى وابنها، مع أبى أسد. فنصب على إبراهيم ما قالت له
عن أبىه. فقال الله لابراهيم: لا يصبر عليك بكلام سارة عن الصبي،
وعن أمتك. وجميع ما تقول لك سارة اسمع من قولها. فقال إبراهيم:
هذا كلام الله إلى قاتلًا: لا يرثك هذا.

أن الذي يخرج من صلب هو يرثك.

ثم قال الله لابراهيم: باسحق ينتمي نسلك(1).

فأقفهم ترشد وعلم. كيف تقطع الله ورث إسماعيل وأمه في
قوله: لا يرثك هذا. ثم قال عن إسماعيل: الذي يخرج من صلب
وكيف قال الله لابراهيم: باسحق ينتمي نسلك ولم يقل:
باسماعيل ينتمي نسلك.

فأخذ إبراهيم خبرا، وجرة ماء، وجعل على أكتاف الأمى، وجعل
اسماعيل على عنقها بالليل، وأخرجها ببولة عن العمران. فتناسلت
مهما المأة الذي قال فيها قرآنكم: أشد كفرًا ونفاذًا(2).

فافهم، والسلاط على من أتبع الهدى، وألم بشريعة المسيح
حقيقة الإسلام، ورحبة الله وبركاته. كمل كلمة.

الجواب عما ذكر: أعلم يا هذا المخادع، المصروف عن المعافر،
المنوع. الشاهد عليه جهله. بأنه ليس ببائع، ولا متبع: أنا تؤمن
باليه وكتبناه. لا نفرق بين أحد من رسالت فيؤمن بالنتورة والأنجيل،
المجيد الذين أنزلهم على رسوله، الملك الجليل. ولكن قبل أن يعتبرهم
التغيير والتبديل. وقد نبهنا على أن الكتاب الذي يأديكم المسمى:
بالانجيل عندكم، لا يقال عليه: منزل بالحقيقة، كما تقدم من تلك
الطريقة. ثم أنا نسلم جدلا صحة ما تدعونه من تلك النبوة، وندين
صحة نبينا منها عن كتب.

(1) تكربن الأصحاب الحادي والعشرون. والشيخ ذكر النص إلى
اسحق ولم يذكر بقية النص عن إسماعيل وهو "وادي الجارية أيضا ساجله
أمه لأنه نسلك" (تك 21: 17).

(2) الأشد كفرًا ونفاذًا عن الأعراب (التوبة 97).
فأنا قولك "واعمل أنا لا نقبل من كتبكم شيءًا" فليس ذلك بأول
عنادكم، فكم لكم منها وكم "شنيناء أعرفها في أخزهم".
لكنكم • لستم عند العقلاة أهلا لقبول حق ، ولا لرد باطل.
فليس ردكم بأولى من قبولكم • وهكذا فعل الرعاء الغثر ، الغثناء.
الغبر • يقبلون بغير دليل ، ويردون بغير حجة ، ولا سبيل.
والا فلا الدليل الذي أوجب عندكم • ألا تتبلوا نبوة نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم مع وضوح مجيزاته ، وعدالة بيناته • على ما نبينه
ان شاء الله تعالى؟
فظهر من هذا أن ردكم لدينا ليس بدليل • وانما هو لأجل اتباع
قول كل جهول دخيل • يحكم على عقله هواء ، ويطبع معه حيثما رمته.
ولأجل ذلك صار دينكم ضحكة العقلاة ، مشتالية على كل مثالة.
شجاعة • ومن كان هذا منهج سبيله • فرده لغير معنى ، بمثابة تقوله.
ولقد كان ينبغي لك • لو كنت على سنن النظر • أهل البحث عن
الحق والاعتبار أن تحكي ديننا • وتستدل بزعمك على فساده • كما قد
فعلنا نحن بدينك • إذ بينا تناقضه • وعدم سداده • على أنه قد تبين
الصبر لذى عينين • ووضحت الشمس لسليم الحاستين.
ما ضر شمس الضحى في الجو مشرقة
ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر.
ثم قلت متواجحا في قولك • مستهزئا برسول ربك • فان قلت من
كتابك شيتان قلت لك كما قال رسولك : "البيئة على من ادعى ، والبيّن
على من أنكر ؛" أما قولك "رسولك " فنعم هو رسول الإنا واليك ،
فآمنا وكررت ، وصدقتنا وكذبت " وسبط الذين ظلوا أي منقلب
ينقلون"(1) • فنحن نقول : "رضي الله به ربا • وبمحمد رسول مرفناء.
رسولا • وبالسلام دينا • وأما أنت • فان مت مصرا على فتحيك
في خلق الله النار • وليدخلك في دار البار • فلا تتمتع بشفاعة ملك
مقرب • ولا بنبي مختار • وأما طلب البيئة على صدقه • فكانك شهادة

(1) الشعراء : 227
الأنبياء العارفين بحثه ، الأخبر عنه بلزوم تصديقه وصدقه ، وسبيّن
ذلك بأبلغ بيان ، وأوضحه بأوضح برهان .
وعلى سبيل الاستعجال يكفيك بيئة عدله وما وقع في صحف النبي
دانيال حيث وصف الكذابين ، وقال : "لا تتمد دعوتهم ، ولا يتم
قربانهم ، وأقسم الرجل بساعده أن لا يظهر الباطل ، ولا تقوم لدعم
كذب دعاة أكثر من ثلاثين سنة" (1).
وقد هذا دين محمد رسولنا صلى الله عليه وسلم قائم منذ ستمناء
سنة ونفي ، فكيف ترى هذه البيئة المصححة ؟ أم معدولة عندك أم مجزرة ؟
وكذلك في صحف النبي حبوق ، وهو الشاهد المعظم الوثوق.
قال : "جاء الله من الطين ، وتقدس من جبال فاران ، وامتلأت الأرض
من تحميد أحمد (2) ، وتقدسيه ، وملك الأرض بهبهته " (3) وقائل أيضاً:
"تشيء له الأرض ، وستنزع في قسيم أغرافا ، وترتوى السهام
بأمرك يا محمد" (4).
فهذا النبي الصادق المصدق قد أصحف بنعته ، وصرف باسم بلده ،
وشهد بصدقه ومن كان الأنبياء شهوده ، فقد استحق مكذبه عذاب
 النار وخلوده . فخلعت الله والملائكة والناس أجمعين على من تبين له
 الحق ، ثم صار عنه من المعرضين ، وسعقده في النبوات فصلا فرعاً
وتأتي فيه بالعجائب حتى يتبين فيه تواضع كل طاعن عائب.
وأما تولك "وانت تدعى أن كتابكم من الله " فان كنت تنكر ذلك
فادع عصابتك البلاء من نصارى نجران ، المتكلمين بلغة القرآن ،
لعرض بسورة من مثله . فان فعلوا ذلك دحضت حجته ، وانقطع
عظيم قوله . لكي لم يسمعوا منه القرآن تحققوا على القاطع : أنه
ليس يقدر عليه أحد من السات والجان ، وعلموا أنه كلام الملك الديان .
فأذموا وصدقوا لما عرفوا وحققوا ، فحصلوا على فضل الملتين ، وآتاهم
الله أجهرهم مرتين .

(1) ليس في سفر دانيال بل في الزبور بما معناه .
(2) " وامتلأت الأرض من تسبيحه " في ترجمة 1970
(3) بدلاً يا محمد : مسيّحك في ترجمة 1970 ( انظر تقديمنا لهذا الكتاب )
وأما قولك: "فاثبتت عن التوراة بالعبراني، ومن الأنجيل بالعجمي"، فلتعلم أنا لولا كره منا أن نتكلم برضاعة العجم لكن ذلك علينا أيسر شيء يلتمز. ولكننا أن شاء الله تعالى نذكر كلام الأنبياء من كتبهم كما قد ترجمها الترجمون من أهل ملكتهم مثل: "يرومنت" و "حفر الصباع" وغيرهما من الترجمون الذين تثوبون بقولهم، وتعولون على نظمهم، ولست أقلع مثل ما أنت فعلت، ولا أصنع شيء مما صنعت حيث نقلت كلام الأنبياء بالعجمي والعجمي، تبناه شرعت في ترجمته، وفي تفسيره من غير أن تنسب التفسير إلى أحد الترجمين العالمين بالعجمي، وباللغات، ومواقع الألفاظ. وأما أنت فلمست بموثوق بنظرك، ولا مصدر في قولك لجهلك بالشروحات التي يحتاج إليها الترجمون. وإذا أدعيت أنك مست جاهلًا. فلا، حد الترجمة؟ وحقيقة؟ وما شروطها؟ وكيف أقسامها؟ وما الملاح الذي تجوز فيه من ذلك لا تجوز؟ ولهذا السؤال يظهر جهلك وتبانك وحرصك وتودتك.

ثم قلت: "فأنت بما أدعتك، ولا يعنى لأنني أنك". ها أنا قد أقتلم الالتباس العقول الذين ليس لقائلا في عدالتهم ما يقول. ولقد أعلم مع ذلك أنك تبادر بالسهمين، وتباهت المسلمين، إذ تقولون بالكتب والزور، على رب العالمين. ثم ذكرت على جهة الاستهزا والالتقية والإزدراء والتخيض، حيث أمرة رفاعة لنقيض بذلك ديننا، وتنسب إليه شناعة، وأنت مع ذلك لم تعرف معناه، ولا فهمت فحواه.

ثم قلت بعد أن أخلت بمساقه، ولم تقم على سأله: "فمثل هذه النبوة لا تقبلها منكم، لأن المسيح يقول: "لا ينبغي لرجل طلاق زوجته إلا أن تزني"، فلتعلم أن هذا كلام جاهل بأحكام الأنباء، فلا أن أحكام الشرع صفات لأعيان الأنباء، ثم تُستمد من إنكار الناسخ والمنسوخ، وكلام كل جاهل مردود مفسوخ.

فنقلى لهذا المنكر الجاهل، الذي ليس بمشترع ولا عاقل: منعك طلاق الرجل زوجته ورده أياها بعد طلاقها. لا يخلو من أن يكون منعًا من جهة العقل أو من جهة الشرع. فإذا أدعية أنه من جهة العقل كانت دعوي باطلة بالضرورة، فإن شور هذه المسائل ووجودها معلوم بالضرورة، فإذا بطل أن يكون امتتناها من جهة العقل فيجوز أن توجد. وإذا جاز أن توجد فكيف ينبغي أن ينتسب إلى العقل أن ينكر.
خيبة من قامت الأدلة القاطعة على صدقه من حيث أنه حكم بشيء يصح في العقل أن يوجد.

ثم من العجب العجاب الذي يستعمه أولو الألباب: أنكم التزتمتم في شعركم بما يشهد العقل الأول بفساده مثل قولكم في الآثابينم: "أنها آلهة ثلاثة • الله واحد" وقلتم في الانتحاد والحلول ما يعلم فساده بضرورة العقول، ثم لم ينفركم ذلك عن اتباع شعركم. بل يقول من يميز استحالة ذلك القول منكم: هذا مما ليس يدرك بالعقل.

بل يتبع فيه الكتاب النقل • ثم بعد التزام هذه الحالات والمافعة عنها بالترهات والخرافات تنكر رعايا فعل شيء تجوزه العقول، ولم تصر عليه إلا بعد ثبوت الشرع النقل الذي دل على صحته البرهان العقول • فأنتم من الجهل والزلل، كما جرى من كلام النبوة مجرد المثل: "يقصر أحكم القذاة في عين أ خيه، ولا يقصر الجذع في عينه" (1)

وعن رضي، عن كل عيب كليلة.

ولكن عين السخط تبدي المساواة

فلم وفقتم لطريق الانتقال، لتركتم طريق التعصب والإعجاب.

ولو كنت تطليون الحق بدليله، لأوشك أن يرشدكم إلى سبيله، ولكن من حرم التوفيق استدير الطريق، ونكول عن التحقق.

وان ادعيت أن ذلك من نوع من جهة الشرع • فنقول لك: أ ما أن يكون ممنوعا من جهة الشراع كلهما، أو من بعضها • فإن قلت: أنه ممنوع من جهة الشراع كلهما • كان ذلك باطلًا • إذ الشراع في ذلك مختلفة • فأن العلم عن شرع التوراة في ذلك خلاف شرعكم • وكفى مثلي على أن التوراة تخلفكم في ذلك أول الكلام الذي حكيته عن المسح أنه قال: "أما علمتم أنه قيل للقاء ما من طلق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق • وأنا أقول من طلق امرأته • فقد جعل لها سبيلًا إلى الزنا" فهذا تصريح بين ما أذكرت على، وتنقصت به شرعا • وكما جاء أن يخالف عيبى عليه السلام بعض أحكام التوراة • ولا يدل ذلك على كذبه، ولا على فساد شرعه كذلك يجوز أن يخالف شرعا

(1) متي الإصحاح السابع
شرع عيسى وموسي في بعض الأحكام، ولا يدل ذلك على فساده، إذ كل واحد منهم انا يبلغ حكم الله، وليس مختصرًا حكم من قبله. ثم قد تختلف الأحكام والأوضاع بحسب ما يريده الله تعالى، وحسبه ما يعلمه من اختلاف الأحوال، والصلح والأصل في ذلك: أن الله تعالى لا حجز عليه في أفعاله ولا راد لشيء من أحكامه، فيحل لعباده ما شاء، ويحرم عليهم ما شاء، «لا يشئ عما يفعل، وهم يسلون» (1). وهذا بين نفسه، لا يجهله إلا كان عديم حسه(2).

ثم قلت: وأنتم تقولون لا يحل لزوجتكم مراحتها إلا أن تزنى بدل أن تنهوا عن الزنى تآمراً بالزنا. أسكنت، فغضب الله فاك، فما أكذبك وما أخفاك، تنقل علينا بما لا نقول، وتنصرف في شرائع الأئمة تصرف متوافق جهول، كما فعل أشياكم من قبل.

اسمحوا يا لك، على أنك لا تحسن أن تتسمع، أعلم أن هذا الذي ظننته بجهدكم زنا ليس بزنا، لأن الزنا حقيقته: إイヤج فرج في فرج محرم شرعاً، مشتى طباً، وهذه الحقيقة معدومة في الذي توهمن أنه زنا، فإن قلت: إن كانت هذه الحقيقة معدومة عندكم، فلبست معدومة عندنا، فإن هذا الإイヤج محرم عندنا، فهو زنا، فإننا لك: إن كان قد ثبت تحريم ذلك عندكم فقد ثبت تحليل عندنا، فإن الله تعالى يحل لعباده ما يشاء ويحرم عليهم ما يشاء.

ووهذا كما أهل الله لوسي من الطلاق ما حرمه على عيسى(3).

ثم كيف يمكن لعقل أن ينكر مثل ذلك وقد ثبت أنه أحلت في بعض الشرائع فرجاً، وحرمته في شرع آخر، فقد ثبت: أن البطن الأول من أولاد آدم أحل لهم نكاح الأخوات، ثم حرمته على من بعدهم من الشرائع، وقد جاء في التوراة أن يعوب نكح أختين: «راحل وليعه» وجمع بينهما، وحرمهما على غيره، والجمع بينهما في

---

(1) الأنبئاء: 32
(2) لم يفطن المؤلف إلى أن كلام المسيح للرشاد وليس لللازم بدلة
(3) المكتب ولا فان دين عيسى هو دين موسى لأنه ما جاء للنسخ بل للاصلاح
النكافح محرم عندكم وقد فعل الله ذلك في أحكام أخر على ما يعرف من أحوال الشرائر واختلافها في بعض الأحكام وإنما يتحقق هذا النعى على اليقين من يعلم أن حقيقة الحكم الشرعي هي: خطاب الشرع يتعلق بأفعال المكلفين على جهة الانتظار أو التخليص. فعلى هذا لا معنى للحكم الإقالة الشرعية: إن فعلوا أو إن تفعلوا أو إن شكلوا. ما فعلوا أو وإن شكلوا فاتركوا - على ما يعرف من عناية. لم تفعلنا في موضعنا.

ثم هذا الذي عبنته علينا أيها الجاهل - له معنى صحيح في العقول حاول على منهج المصالح العقول وذلك أن الله تعالى أنه شرع الطلاق ليتخلص الرجل من نكد المرأة وأوسوها، وفقنا بنا، ورحمة منه علينا. فقد تكون بشكل، تضر بالرجل ضرا حقباً، لا يمكن أن يطلع عليه أحد، فلا تبجر على ازالتها، لكونه لا يتحقق من جهتها، فجعل للرجل أنه متي شاء أن يتخلص منها، ومن ضرره فعل.

وأيضًا، فلكن النساء في الغالب ناقضات عقل، فلو عمت أن الرجل لم يجعل له سبيل إلى مفارقتها، لما كانت تحتره، وبادرت إلى ضره. فأفراد الشرع ان يجعل الرجل سبباً يحرمن لاجله وهو الطلاق فإن المرأة إذا علمت أنها ان باغت في ضرر زوجها، طلقها المتنعت من ضرره في الأكثر.

فإذا عورضنا وقيل لنا: فليزم على ذلك: أن تطلق المرأة نفسها حتى شاءت، فإن الرجل قد يضر بها ضراً لا يطلع عليه أحد، فإن براعتم وجود الضرر، وتنويته في حق الزوج فلم لم تراعوه في حق الزوجة كذلك؟ فنقول: إنه لم نراعوه في حق المرأة، لأننا لو جعلنا المرأة أن تطلق نفسها حتى شاءت، لما استقرت امرأة عند زوجها في غالب الأمر، لأنها ناقضات عقل، فلا يؤمن عليها غلبة شؤونهم على عقولهن.(1)

وإن فتح هذا الباب طرأ منه من الضرر ما لا ينسد، ولا يتدارك، فهسد هذا الباب في حق النساء لهذه الحكماء، وفتح في حق الرجال بلزمون عن أعناقهم، فإن الضرر والنتيجة - والله أعلم.

(1) قد جعل الله للنساء الخلخ. وبعض الفقهاء يرى أن المرأة تطلق الرجل إذا اشترطت العصمة بأيدها وقت العقد عليها.
وأما ما عابه أيضاً: من أن المطلقه ثلاثان لا تحل الا بعد زوج
فذاك أيضاً له معنى مقبول مناسب، وذلك أن الطلاق - وأن كان الله 
قد أباحه لنا - فهو من قبل المكروه من غير سبب، من حيث النقاط 
والتدبر المنهي عنها. ولأجل هذا قال النبي عليه السلام: (أغض 
الحلال إلى الله الطلاق) فاطلق عليه لفظ (البغض) مشاعراً بالكراهه،
وأطلق لفظ (الحلال) مشاعراً بجوازه. فحصل لنا من مفهومه: أنه
يجوز على كراهة.

فذا تقرر أنه مكروه من الوجه الذي ذكرننا فيه، فبينيغى ألا يفعل.
ثم إن فعل - ولا بد منه - فلا يكثره منه: ثم إن أكثر منه فلا يزاح
على الرتين. فان تعاذاه، عوقب بأنه لا تحجز له إلا بعد زوج فكانت 
الحکمة في ذلك: أن الزوج إذا علم أنه إذا أكثر من هذا المكروه الذي
هو الطلاق عوقب بتنفيذ زوجته عليه؛ وتتلقى خبره، امتن من تكثير
المكروه الذي هو الطلاق، ثم لا يظن الجاهل بها: إذا نجبر الزوج
الثاني على طلاقها، حتى يرجع إليها الأول، حاشي الله. وإنما الزوج
الثاني يملك منا ما يملكه الأول، فإن شاء طلقتها، وإن شاء أسكاها.

ثم إن طلقتها اعتدت منه، وجاز للأول أن يتزوجها تزوجها مستأنفاً
أن شاء، ولا يجوز عندما أن يتزوجها الثاني ليحل لها الزوج الأول.
فإن فعل كان نكاحه فاسداً، وهو الذي نسميه الحلال، وهو الذي قال
فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (لعن الله الحلال، والحلال له).

فإن سماه مسم "تيسا" فعلى جهة الدنم لفعله.

فذا تقرر هذا المعنى، الذي لا يمنعه العقل، ولا تتفاهم مكارم
الأخلاق، بل هو على منهجها وعلى سنتها، فكيف ينبغي لعقل منصف
غير متواضع، ولا متعسف أن يبصق علينا: أنا نقول: لا يحل لزوجها
مراجعتها إلا أن تزني، ولو كنت يا هذا من أهل العقل الذين تبرأوا
عن السفه والجهل، لما كنت تشبه نكاحا على وفق شريعة صحيحة،
بحسب دلالة أدلة القاطعة مع أن هذا النكاح، وقع بولي ومهر
وشهود وأعلن: بنكاح الزنا الذي ليس فيه ولي، ولا مهر، ولا
شهود، ولا أعلان. وإنما يقع الزنا مطالع للشرائع، عريبا عن الشهود
والولي، مستوراً، فهذا تشبهه يدل على عناد وتمويه.
لا يدري ما يتبين لهم أن ينها عن الزنا تآمروا به، وهو عندكم فريضة
التياس، هذا التشنج باطل، وقول غبي جاهل، وتهويل ليس وراءه،
حاصلاً، وقول الزور والأباطل، تصدق به قائله، استزالت العوام،
وليكه لهم دين الإسلام، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواهم، والله
همم نوره وموه كفرهم (أ) ولقد صدق الله عبده، وأجز وعده،
ومن أوفي بهده من الله: (أ) أعلم يا هذا المفترى الكذاب، والمشنع المرتاب: أن العقلاء، لا
يرضون بما فعلت، ولا يأتيون بمثل ما به أثبت، وذلك أنك جهلت
شرعاً، وكذبت عليه، وعمت عليك مقاصده فنسبت الزور والفحش
اليه، وانما كان ينبغي لك - لو كنت على سن العقلاء - أهل
السياسة الفضلاء، أن تبحث عن أدلَّة صحة هذه الشريعة، وعن صدق
الذي جاء به، فإن كانت أدلاتها صحيحة وجب عليك أن تقبلها جملة
ولا ترد منها شيء، وتكون واعداً، ومن التزمها، وإن لم تظهر لك
صحة أدلاتها مناظر أهلها في تلك الأدلة، فإن تعودوا إلى غيرها وباحثهم
فيها مشافهة، فإن الخبير ليس كالمبتدئين، فلو لم يقدروا على أن يحتجوا
لديهم ولا أن يقيموا دليلاً على صحة شرعهم، وجب عليك رد تلك
الشريعة من أولها، وهذا دأب الموقنون، لا الكاذبين المشنعين.
ثم قلت: «وأنا أريد قطع ذنب النائس، وأن نجعله في ذقنه ليلوح
استه، لمرة صرتر الشمال، وحماية كيظ هجير الجنوب».}
يا هذا النبي، وأي ذنب سائر للنبي؟ أظن أنك تتفرص
وتسترعي، وأنت لا في العير، ولا في النفير، وكيف تظن السلامه
من الحق والبؤس، فمن يجهل كيفية أذناب النبي؟ ألم كيف يبالي.
بتنصبه وجماجمه؟ وهل هو في ذلك إلا بمعلقة من جهل عد أصابه؟
ولولا أن شعرنا من السباب، ولا يليق ذلك بأولى الروؤات والأداب،
لأقنعتك سباً، ولا أوجعتك عتباً، ومع هذا:
ننا بك لومك منجي الذباب
حتمه مقاديره أن ينالا

{1) الصف: 8
(2) التوبة: 111
(15- الأعلام)
لا أسبينكم • فلستم بسبٍ

ان سبٍ من الرجال : الكريم

ثم قلت : "وهذا جواب كلماك ، انتصافا منك ، كم يقول ترآنك •

ومن انتصف من بعد ظلمه ، فلا جناح عليه •

يا هذا شأنك يجاز فيه النحير • وجهلك يتعجب منك الصغير •

والكبير • كيف لا • وكلامك هذا يشهد عليك بجهلتك بانجيلك • ومخالفتك •

حكمه • وشرع رسولك • كيف يحل لك في شرعك • أن انتصف من ظلمك •

وتشتت من شتتكم • وانجيلك يقول لك : "لا تكافئوا أحدا سبيقة • ولكن •

من لطئ خذك اليمنى • فانصب له اليسرى • ومن أراد مغالبتك •

وايتراك قميصك فزده أيضا رداك •؟ (1) فهذا انجيلك يشهد عليك •

بائك است على شرعه • بل ردده حكمه • وعملت على رفضه •

واذا كان شأنك هذا مع كتابك • فكيف يرتقي فلاحتك • من ليس •

من أحببك •؟ ثم العجب العجاب • تركت كتابك • والعمل به • ثم أخذت •

عمل كتاب لا تصدق بأصله • فهذا يعلم من حالك أنك لست تريد •

أن تتبع الحق • ولا أن تبحث عنه • ولكنك ابتغت هوان فأضلتك • وأطعت •

الشيطان فازرك • ثم من أدل على جهلك ومعطلتك • أنك أوهمت •

أنك تعرف القرآن • وأنك تحتج علينا به • ثم ذكرت ما ليس بقرآن •

حيث قلت : "ومن انتصف من بعد ظلمه فلا جناح عليه • وهذا ليس •

بقرآن • وإن كان يشهد بمعناء القرآن •

 وليس القرآن عندنا بمجرد معناء فقط • بل بلطفه الخصوص •

ومعناه وأسلوبه الذي أعجز الأولين والآخرين • فعلي هذا المعنى أن •

يتروج بلسان آخر • أو عبر عن معناء بغير لفظه وأسلوبه خرج عن •

كونه قرآنا • فافهم • وما أدراك تحسن •

ثم قلت : "فانصر أنت محالك • لأنك قلت بالسفه والطعن في •

ديننا • وقلت الكذب على مسيحنا •

انظر هذا الكلام الفصيح • الجهالة على قائله تلوح • ففقد عدم •

هذا الكلام • الانتظام والارتباط فوجب له لأجل ذلك الإلهام والاستقاط •

(1) الأصحاح الخامس من انجيل متي •
وأما ما ذكرت من تسفيه دينك، والطعن عليه، فذاك واجب على العقلاة، إذ قد يبين بدليل العقل الذي لا شك فيه: أنكم قد تمهدتم بكل مقالة شنعاء، وقد بينا ذلك فيما تقدم.

ثم أن الطعن على دينكم ليس طعناً على دين المسيح، فانكم لم تتدينوا بهدین، ولا عرفتم حقائق يقينية بل تخرصتم عليه بالأباطيل، وقبلتم عليه قول كل متواقم جاهل، فما لكم ولالاتساب للمسيح، وهو مبرأ عن كل قبيح، بل هو ساحق علىكم، وبراء إلى الله منكم. وقد بينا ذلك فيما تقدم، ونأتي أن شاء الله تعالى بمزيد يبطل قولكم فيه ويعدم.

وأما ما نسبت اليّ من الكذب على المسيح، والسبع له، فذلك والله شيء لا نفعله، ولا يرضى بذلك متنين ولا عاقل. وكيف يجوز هذا علينا وحنن نكر من سببح، أو سببح عليه الصلاة والسلام؟ وهذا عندما أصل من أصول عفاكتنا? وذلك أن الله تعالى أخذ عنيا من اليتاق: أن نؤمن بجميع الأنبياء والرسول، ولا نفرق بين أحد منهم، وهو عندما انكر الرسول، فكيف نسباً أو نكذب عليه؟ وفي فعل ذلك، خروج عن دين الإسلام، وتمسك بفعل الوسائل، بل أنتم الذين كذبتتم عليه، وتمسكتم ما تحيله العقول إليه، وهو يتبرأ من ذلك، ويتصل مما افترضتم عليه هالك. ثم أسفتم مع ذلك من العيب، والتنقيص على الله تعالى ما يعلم على الضرورة والقطع أنه محال.

فنحن واياك على مثل السائر: "رمستي بدائها، وأسعت.

ثم قلت: "واعلم أنك أن أرسلت بعد هذا بالرشد، فانى أبعث إلى كل بلد كتاب بنص شرعيكم، بكل ما يعرف من الأفكار التي لا تنتدون على انكارها".

ولو أن السبب منى عنه على الاطلاق. وليس من مكارم الأخلاق، لكثرت من سبك، وأوجعلت في أثوبك وعبثك، ولو كان ذلك لما كذبت، ولا افترضت، وإنما كنت أفعل ذلك لأظهر بذلك بائلاً تمويلك، وغالطة تهيكل، ومن أين لك أن تعرف ديننا، وأي طريق يوصلك إليه؟

وبأى لسان تتمك منه؟ وبأى فهم تتوصل إلى معناه؟

واكنت لا تعرف دينك الذي نشأت عليه، فكيف بك أن تعرفه، ما لم تفهم منه حرفًا، ولا سمعته على وجهه، ولمهم إلا أن تقوله؟
لا تقبل اللغز لم يعلم، كما قالت في فرحة "التياس" فلا يعلم
أحمق مخرب ما يقول.

وأما أن ذكر شرعتنا من يعرفها، فالقول السلامة تقبلها بنفس
ما تسعها، لشدة ارتباطها وحسن نظامها، ولم يست كسرية من يعتقد
إلا آخر مع الله، ويتعبد في الله ما يستحب عليه وينسب إلى الآثاب
ما يتبرأون منه، ويحكمون بأهواء جهالهم في دين الله، وسنعقد أثر
هذا أن شاء الله بابا نبين فيه: جمال من أحكامهم، وفيها يتبين أنكم
لا تستندون فيها إلى مستند، وأنكم اخترعتم فيها من الجهلاء ما لم
يقل به أحد.

ثم قلت: لأجل قتلت في المسيح، غث وأوطار، وأنك سبنت الحاكم
عليك، وعلى جميع الأمم يوم القيامة، لكن سوف تلقى حاكما، ليس
يطلب عليك بيئة.

وكمن عنف قولا صحيحا.

وأنت في الفهم السقيم

لتعلم يا هذا: أن وقفت على الكتاب، الذي جاءك بعض
bservا، وتأملت هذا الموضع الذي لم تفهمه، فعلمت أن الخطأ من
قبل فهمك، لا من قبل الكتاب، وذلك أن نفظ ما كتب به الابن في هذا
الموضع: "شجعتها نبوية، فروعها قرشية، شرته هاشمية، شجراك
اغتاء، وأوضار "اجتاحت من فوق الأرض، ما لها من قرار"(1).

لاقته: من النص.

وكان ينبغي لك أن تفهم لو كنت منصفا، فإن هذا الكلام لنا
جري مجرى الملء، وإنما أراد بشجعتنا نبوية: أن أصل اعتقادنا:
أن محمد نبي ورسول، ليس بالله، وأصل اعتقادكم أنتم: أن عيسى
الله، وليس نبي: وهذا قول باطل، واعتقاد فاسد: ولذلك عبر عن
أصل هذا الاعتقاد بالشجرة: ثم قال: إنها غناء وأوضار، فالسروب
الألزم، إنما هو اعتقادكم في عيسى، لا عيسى حاسي وكلا: فهذا
 ينبغي أن تفهم الكلام، ولا تبادر لأجل الجهل باللالم، فاللائم على
كل حال هو الجاهل، الذي ليس يفهم، ولا عاقل، وفيهن وقفت على

(1) إبراهيم: 37
كلاكم هذا. هممت أن لا أكتابك، لكونك قليل الانصف كثير الجهل والإحراف.

ولقد أعرف أنك إذا وقفت على كتابي هذا: لا تستنه.. ومع ذلك فتبتادر إلى رد، مكابرة ومجاهرة وتتناله بالرد والقبيح، وبكل قول ليس بصحيح. وقد حكمت بيني وبينك العقلاء المتدنيين للفضلاء الذين يعتربون بالحق حيث كان، ولا يعرفون في قبوله على أنسان.

وأما قولك: "الحاكم عليك، وعلى جميع الأمم" فقول ليس بصحيح، ولا أمم. وإنما الحاكم على كل الأمم، وكل الخلقات الذي أوجدها بعد أن لم تكن، ثم يدعوها، كان لم تكن ثم يعيدها. كأنهما برحت "قل فمن يملك من الله شيئاً، ان أراد أن يملك المسيح ابن مريم وأمه، ومن في الأرض جميعاً، والله السموات والأرض وما بينهما" (١:١٠).

وأما قولك: "ستلقاه حاكماً، ليس يطلب عليك بينة" فقد نسبتته إلى الجور. فأنه إذا لم تقم بينة على الحاكم عليه عندنا وعندكم، ونفذ الحاكم الحكم نسب إلى الجور. فإذا قامت البيئة زال عنه توهيم الوجوه. وظهر معيار العدل. وعند سماع هذا يحقق معنى المثل المعروف "عدو عاقل، خير من صديق جاهل".

فإن العدو العاقل يدفع عنه عقله، والصديق الجاهل يريد نفعه فيضرك. وأنت بجهلك أردت أن تعظم المسيح، فنقضته، وأنت تمده. غزمتته، فعل السفه الأحمق الجاهل.

وأما قولك: "ستلقونه بين يدي الله تعالى" فان اعترفتم بقولكم فيه. جوزيتهم على ذلك بجزاء سترونه عياناً. وان أنكرتم قولكم فيه. يقول الله لجبارحكم: ا لنقم. فتشهد عليكم بآتينكم وأفعالكم. فهذا يظهر العدل، ويعلم كل مكلف أنه محاسب بما عمل من خير أو شر وجزي عنه.

ومما يدل على أن الله تعالى إما يأخذ بالبيئات يوم القيامة: أنه قد ثبت على لسان من دلت المجزآة على صدقة: أن الله وكل بنا

(١) المائدة: ١٧
كراما كتابين، يكتبون ما نفعل، فهم الشهود العدول الذين ليس لطاعين عليهم ما يقولون، وستقدمون، فتعلمون.

ثمعجب من جرائه أنك سبب كل رك ذلك رسم الجلد المذبوغ في قصرية هاجر (1) هذا لابراهيم ذم صريح، صدر من جاهل وقبيل، هنا يرد عليك قولك: كيف قلت ما لا تعلم، وكيف تجرمت في خليل الرحمن أن تتكلم، وستلقاه، ينافذ عنه الله، ثم من ركيز الاستعارة، أن الذي ذمته به اسماعيل، يلزم منه ذم

اسحق، والذي ذمته به هاجر، يلزم منه ذم سارة. فان الجلد الذي رسم في قصرية هاجر، هو الذي رسم في قصرية سارة، وأصل النقطة التي كان منها اسماعيل، هو بعينه الذي كانت منه نقطة

اسحق، وهذا كلذ ذم لابراهيم وعلي، فقد حاول بك، وفمن قال

بقولك: لعنة الله، التي قالت فيها لابراهيم في التوراة، والعن لاعنيك (2) ثم أعجب من ذلك كله اعتذارك عن قبيح ما أتيت، حيث قلت: لما بعث إلى أولا كتاب بالسفة، والسبب ردته له الجواب بأمه

هاجر.

فكانت قلت: لما سببتني أنت، أسب أنا هاجر، التي إذا سببتني

تعدي سبها إلى سيدها لابراهيم. ثم انك صرحت بسب لابراهيم، فلمك على ذلك: سب اسمع، وأمه سارة قالت في هذه الفعلة بعنزة من سبها، رجل في وجهه، فأخذ المسبب ينكل ساب، بأن سب أبا نفسه، أعني نفس المسبب، وهذا ما لا يرضى به عاقل، ولا متدين، جاهل.

ثم قلت بعد ذلك عهدًا للفكر القبيح ما قلت هاكل: ولم تقل

فيها عشر ما قال الله في التوراة، وعن ابنها، وهذا القول منك يوهم أن الله تعالى ذمه وابنها في التوراة، وهذا على الله، وعلى كتابه: كتب صراح وكفر براح، ثم ذكرت بعض قصه هاجر مع إبراهيم، ولم تستهابكم لها لغلاء تفتضح وتظهر كذبه وخشيك.

3: (1) قوله هذا: لم يذكر في صدر الفصل.
   (2) التكوين 12.
وها أنت أذكر قصة هاجر مع سارة كما حكاها كتاب التوراة حتى يتبين للوافق على هذا الكتاب: أن الله تعالى أثني على هاجر وابنها، ومدحها وما ذمها، بل أخبر ببنوتها أو صديقتها ونبوة ابنها اسماعيل

حول الله.


فأنهنتها سارة سيدةها، فهربت منها، فلقيها ملاك الرّب على عين هام، في البرية، في طريق جرار، فقال لها يا هاجر أمة سارة: من أين أتيت؟ ولكن تريدين؟ فقالت: أنا هاربة من سارة سيدةها. فقال لها ملاك الرّب: انطلقني إلى سيدةك، وتعدي لها. ثم قال لها ملاك الرّب: عن قول الرّب: أنا مكثر زرعك ونعمه حتى لا يخصصوا من كثرتهم. ثُم قال للك الرّب: إنك خليلي، وستلدين ابنًا، وتدعى اسمه اسماعيل. لأن الرّب قد عرف ذلك وضرورة على أن يكون ابنك هذا وحشيا من الناس يهده على كل ويد كل به. فسأله على جميع حدود أخرى. فدعت اسم الرّب الذي كلمها فقالت: أنت الله ذو الوحي والرؤيا».

هذا ذكر الله هاجر وابنها في السفر الأول في التوراة في الأصحاب السادس عشر(2) منها وذكرها أيضا في الأصحاب الحادي والعشرين(3).

(1) أول الأصحاب السادس عشر من سفر التكوين.
(2) المخطوطة: التاسع.
(3) في المخطوطة: الثالث عشر.
وقالت التوراة: «أبصرت سارة ابن هاجر المصرية المولود لإبراهيم»

يستهرى، فقالت لإبراهيم: أخرج هذه الأمه وابنها. لأن هذا ابن الأمه لا يرش مع ابنى أسحق فبقى هذا الأمر على إبراهيم لكان ابنه. فقال الله لإبراهيم: لا تشرف محلا الصبي وأمتلك. فلم سارة في جمع ما تقول كلك. لأن نسلك إنا ذكرت بأسحق. وابن الأمه أجنبه. أبا لشعب كثير. لأنه ذريتك. فقدا إبراهيم باكر. فأخذ خبزا واداوة. فأعطيه هاجر وحملها الصبي والطعم. وآرسلها فانطلقت وتاهت.

في بيرية بير شبع. ونفد الماء من الأداوة. فألقت الصبي تحت شجرة. من شجر الشيخ. وانطلقت فجلست قبالتها. تباعدت عن كرية سهم. لأنها قالت: لا أاعين موت الصبي. فجلس إله أمه ورفعت صوتها وكتبت.

فسمع الرب صوت الصبي. فعدا ملك الرب من السماء هاجر. وقال لها: ملك يا هاجر. لا تخاف. لأن الرب قد سمع صوت الصبي حيث هو. فحمل الصبي وشد به يدبك. لإلى أجعله رئيسا لشعب عظيم. فأجلاء الله عن بصرها. فرأت بير ماء. فانطلقت فملات الاداوة. وأسقت العلام. فكان الله مع العلام. نشب العلام. وسكن برية دارا. أه. ً

فأخبرنا يا أيها الكاذب على كتاب الله. المفترى على رسول الله: من أين استدعت سب الأنبياء. والكذب على الله. ذي الآراء؟

أفي أن ينجيك قرأت؟ أم عن الحواريين بلغته؟ حاشا. وكلا.

بل بتوافقها اختفتها. شيم من أنعم بابتك. وأنفس جرأتك.

ومكافحتك أتى أوعيت بقولك. ولم تنقل فيها. تعني في هاجر عشر.

ما قال الله فيها في التوراة. وفي ابنها. تشعر بأن الله ذمه وابنها في التوراة. في عدة مواضع.

وهذه التوراة قد تلوتها عليك، وأنهيها اللك. فذا بالتوراة.

تخبر بأن هاجر نبية(1). أو صديقة مبارك. أوى الله إليها. وكلها وبشرها بنبوة ولدها اسماعيل. بل قد مدد الله اسماعيل وأخبر عنه. بما لم يخبر به عن أسحق. حيث قال فيه: «يده على كل. ويد كل به».

وسيح على جميع حدود اخوته.}

(1) لانبوة في النساء. والأصح: أنها صيغة.
وهذا الكلام يبشر، بل ينصح ويخبر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فإن إسماعيل لم يقل لله تعالى فيه: "يده على كل يد ويد كلبه، وسيجل على جميع حدود أخوته" إلا لأجل حفيدة محمد صلى الله عليه وسلم. فإن الله تعالى قد بعثه بدعوة جميع الخلق إلى الله: بني إسرائيل، ومن دونهم، ومن فوقهم، فيكل من بلغته دعوته.

ويجب عليه الدخول في دينه.

ثم أن الله تعالى قد أظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

وهذا كله وفاء بوعد الله تعالى: لنبيه إبراهيم حيث قال في النبتة: "وقد استجابت لك في إسماعيل، وباركته، ركعته، وأذنتمه جدا جدا، بولد له اثني عشر عظيما، وأجعله رئيسي عظيما، بشعب عظيم".

فانظر أيها العاقل، كيف قال الله في إسماعيل: "يده على كل ويد كلبه، وسيجل على جميع حدود أخوته". ولم يقل مثل هذا في إسحاق. وانما قال فيه: "يكون رئيسي على شعوب كثيرة، ولولك الشعوب من نسله" وبين الكلاثم فرق ظاهر عند العاقل، الفهم النصف، وكذلك قال في إسماعيل: "باركته، وكركته، وأذنتمه جدا جدا، ولم يقل مثل هذا القول في إسحاق. وإن كان قد قال فيه: "أباركه، وأثبت عهدي له". وهذا الذي وعد الله به إسحاق، وعد به إسماعيل، وزاد زيادة عظيمة، يعرفها من مساق كلام التوراة: من كان عارفا بمجاري كلام الله تعالى فيما، وكان مع ذلك عاقلًا منصفًا.

وستنبه على سر: تحت قوله " جدا جدا" في القسم الثاني من هذا الباب.

فالأمر هنا، فقد جاء في التوراة في حقها، ما لم يجيء في حق سارة. وذلك أن منك الرب كلمها عن الله، وأبلغها أمره: مرتين أو أكثر، فأنها هي نبيها، أو صديقتها، وفي أي موضوع من التوراة جاء أن سارة نبيها، وأن الله أرسل إليها ملكها ليبلغها أمره ونهاه، كما فعل بهاجر؟

ولا شك أن من آتاه الله النبوة هو أفضل من لم يئتهها.
ولا يظن الناهل: أن هذا الكلام غض من منصب سارة رضي الله عنها، بل هي صديقة مباركة، وكل له مقام معلوم، والحق أحق أن يربع.
ثم الذي يفضي منه العجب: أنكم تعتنون النبوة لمريم عليها السلام، وليس لنبوتها في التوراة، ولا في الإنجيل ذكر، يدل على نبوتها، ولا في كتب الأنبياء المتقدمين على زمان المسيح. ثم تتكلون نبوة هاجر وتنموها، مع أنه قد جاءت نبوتها ومدحها في التوراة صريحا، وهذا كلها مما يدل على نبوتها، وتلقة توفيكمها، وأنكم تتحكمون في الشراكات الألهية بأهوامكم.

وأما قولك: «واعلم كيف قطع الله ورث اسماعيل وأمه في قوله: لا برتك هذا! اسكت يا جهل. فلست تعرف ما تقول. فما كان أجمل بك أن لو سترت عارك، ولم تبد عوارك! كيف تتحكم بما لا تعرف، ولا تنفهم؟ ها أنت قد حرفت لفظ التوراة وغيرته. وليس كما ذكرته. "كذبتك من أم الحوراث قبلها".»

وإذا، لفظ التوراة: أن سارة تالت لابراهيم. "أخرج هذه الأمة وابنها، لأن هذا ابن الأمة، لا يرث مع ابنى اسحق، فثق هذا الأمر إلى إبراهيم لمن كان ابنه" فأين هذا من النص الذي ذكرت؟ فيظهر لي أنك له اختلافات.

وهذا الذي ذكره الله في التوراة بزعمكم إنما هو حكایة عن قول سارة، وليس حكایة عن الله؛ ولو سلمنا أن حكایة عن الله، لما كان فيه دليل على ما زعمت، وهو: أن الله تعالى لم يجعل النبوة في نسل اسماعيل. وأن الله تعالى، بل مفهومه وظاهره: أن الذي منعم الله لاسماعيل إنما هو ميراث في إبراهيم، وهو حظه في ماله، وأعطاه اسحق. وهذا السر نجيب، يعز من يتبنه لأمثاله، ولو كنت له محاولة، وأهلا، فذكرنا ذلك، فلستا ممن يعلق القدر في أعنان الخنازير(1). وكذلك في كون اسماعيل مخلوقا من نطفة إبراهيم في رحم هاجر مع كونها أمها. وقد كان الله تعالى قدادرا على أن يخلقه في رحم حرة. وكذلك لأي معنى أخرجت هاجر على تلك الحال حتى استقرت هاجر مع اسماعيل بمكة؟ وهذه كلها أسئرات معلومة عند من نور الله بصيرته، وحسن سيرته، وأصلح عقيدته ونيته. فان كنت تريد

(1) يقول عيسى عليه السلام: "لا تطرواوا درك قدم الخنازير، إبتلا تدوهما بآرجلها وتلتنت نتمتنكم" (متى 7: 6)
أن تنتظر بأمثال هذه الأسرار، فجعل إلى الله الفرار، ولا تلهينك الدعة والقرآن، والأناة أسوأ حالاً من الثور والحمار. ومع ذلك فأجل الله آت، وكل ما هو آت قريب. «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» (1).


ثم لو سلمنا أنه جاء في النسخة: بسم الله، كما ذكرت. لكان معني ذلك: أن الله يسمى ذريه أصح اسم ابنه حقوه، الذي سماه الله إسرائيل. ثم غلب عرف الاستعمال على ذريه أصح، فقيل عليهم: «بني إسرائيل» وغاية ما في هذا: إعلام الله تعالى بأنهم يسمون بسمه، أو باسم ولده، وهذا أمر قريب، وخطب في، وانما كان يكون الله في هذا متسكع، لغرض الفاسد، لو قال: النبي في ولد أصح، وليس في ولد اسماعيل. ولم يقل هكذا، وإنما قال: ما قد أسمعته، ولا الذي به أخبرتك.

لقد أسمعته لو ناديت حياً، ولكن لا حياة أن تنادي: 
وأما قوله: «فتسالت منه الأمة، الذي قال فيها قرآناً؟» (3).

يا هذا! لقد أغيثت في جهلك، وسخفت في قولك، حيث تركت ما قاله النزول في نسلك، وعظيم حرمته وطوله، وذكرت ما يدل على

(1) الشمسى: 227.
(2) في ترجمة 1970 "باسحق بديع لك نسل، وابن الجارية أيضاً، مسجدهم أمة لنسلك" (تكرين 21: 12-22).
(3) التويه: 97.
جِهَالٍ، وَكُثِيرَةٌ تُواطِفَكَ، وَقَلِةٌ فَضْلُكَ. وَلَوْ أَنَّ شَيْئًا لم تَذْكِرْ فِي نَسْلِهِ
ما قَالُ اَللَّهُ فِيهِ فِي كِتَابِ النُّورَا، حَيْثَ تَقَالُ فِيهِ وَفِي نَسْلِهِ: "بَارِكْهُ، وَوَكْرَتْهُ، وَأَنْمِثْهُ، جَدًا جَدًا، يُولِدُ لَهُ اِثْنَى عَشَرَ عُلُوْيَةٌ، وَأَجَلِهِ رَئِيْسًا عَظِيمًا لِثُمُبٍ عَظِيمٍ" فَأَنتَ أَيْ جَاهِلَ قَدْ صَغَّرَتْ مَا عَظَمَ اللَّهُ، وَذَمَّتْ مَا مَدَحَ اللَّهُ، فَحَافِظَ عَلَيْكَ لِلَّذِي غَضَبَ اللَّهُ فَبَادَرَ لِإِنْقَذَ نَفْسِكَ قَبْلَ حُلُولِ رَمَضَانِ وَنَدْكُ عَلَيْنَا مَا فَرَطْتُ لَكُ في أَمْسِكَ. فَهَلَّ أَنَا قَدْ نَصْحَتِكَ، وَوَرْسُوْلُنَا يَقُولُ لَكَ (فَقَدْ أَطْلَفَكُ)؟
ثُمَّ الذِينَ بَلَغَهُمْ قَرَّانُنَا: "الأَعْرَابِ أَشْدَكَفْرَا وَنَفَاقَا" (!) انَّا أَرَادْنَاهُمْ تَأْوِيلًا. فَتَوَلَّى مَعْنَيْنِ، وَطَائِقَةٌ مُخَصُوصِينّ مِنْ أَعْرَابِ الْبَادِيَةِ، أَهْلُ جِفَاةٍ وَغُلْطَةٍ، رَدُّوا الْحَقَّ بَعْدَ ظُهُورِهِ، وَعَانِدُوهُنَّ وَعَدُوهُمُ وَضُوْهُ، كَمَا فَعَلُّوا
أَشْيَاءَكُمْ مِنْ قَبْلِ.
ثُمَّ لَن تَظْنَ أَنْ قُولُ اللَّهُ عَلَى: "الأَعْرَابِ أَشْدَكَفْرَا وَنَفَاقَا" 
أَنَّهُ أَرَادَ "مَنْكِنَ" لِأَنَّكُمْ أَشَدْتُنَّ الْعَلَّاءَ عَنَانًا. وَقَدْ بَيْنَا ذَلِكَ فِي مَا تَقَدُّمَ مَنْ تَقَدَّمَ أَرَادَ اللَّهُ لَهُذَا الْمَنْتِيّ وَهُوَ أَفْقَلُ: "أَنَّ أَعْرَابَ الْبَادِيَةِ أَشْدَكَفْرَا مَنْ كَفَرَ مِنْ كُفَّرِ مِنْ عَرْبِ الْحَاضِرَةِ، فَلا تَتَخَلُّوْنَ أَنتمُ مِنْ مَعْمَى تَحْتِ "أَفْقَلِ" أَلا كَما يَقُولُ "الْعَسَلَ أَحْلَى مِنَ الْخَلِّ".
ثُمَّ أَنْ جَاَزَ ذَمِّ شَعْبٍ أَوْ قَبِيلةٍ، لَّا نَعْبُضُهُمْ كَفَرَ أَوْ فَسَقَ. فَأَشْدَدْ النَّاسَ كَفْرًا وَنَفَاقَا: بَنَوُو اسْرَاءِلٍ، لَّكُونُوهُمْ عِبَادًا، وَالْعَجْلَ، وَالْأَسْنَامَ عَلَى ما هُوَ المَعْرُوفُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، فَالكَافِرُونَ مِنْ أَجَدَدُوهُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَشْدَكَفْرَا كَفْرًا، وَأَسْوَاهُمْ طُرْقِيَّةٍ
وَأَمَّا قَوْلُكَ: "وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ اَلْبَعْدِ الْهَدِيَّةِ، وَأَمِينٌ بِشَرِيعَةِ النُّبيِّ" حَقِيقَةَ الإِيَمانِ: نَحْنَ - وَاللَّهُمَّ - أَهْلُ الْهَدِيَّةِ، وَالْهَدِيَّ، الْمُؤْمِنِينَ بِشَرِيعَةِ النُّبيِّ المُسَلِّطِيِّ، الْمُحْقِقُونَ أَنْ كَيْفَ كَإِنْ تُسَتَّمِّعُنَّهُ، بَلْ عَلَى الْصِّلَاةِ وَالرُّكَبِ. وَقَدْ بَيْنَا ذَلِكَ فِي مَا تَقَدُّمَ بِبَلَاغِهِنَّ الْقَاطِعَةِ، وَبَعْدُ هَذَا، نَعْقِبُوهُ بِالدَّلَّالَاتِ الصَّادِقَةِ، بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ، وَقَدْ نَجَزَهُ مَا أَرَدْنَاهُ تَبْعِيبُهُ عَلَى هَذَا السَّلَسَلَينَ أَجَاهِلُ بَدِينِهِ الْغَافِلِ. وَلَوْ ذَكَرْنَا كَلَّ ما فِيهِ مِنْ الْفَسَادِ لِخَرِيجِ الْكَلَامِ عَنِ الْضَّبطِ
وَبَعْدَ الْفَرْاغِ مِنْهُ، نَتَكْلِمُ على مَا وُعِدْنَا بِهِ مِنْ الْكَلَامِ فِي النَّبُوَاتِ
وَنذَكِرُ مَا فِيهِ مِنْ الْبَحُثَاتِ بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ

(1) التوبة : 97
المقدمة الأولى


فعلي أصل الاستناد، وضع العرب: كل من أخبر بشيء، أو أخبر بشيء فهو «نبي».

وعلى التعارف بين المشتركون: أننا يطلقون اسم النبي على من كان مخبراً عن الله، أما أن يكلمه الله مشافية، وأما بواسطة ملك.

وهو عرف المشتركون في النبوة، وعلي هذا يرجع معناها، فالمؤدب عند عقلاء أهل الشرواع: أنما هو «حيوان ناطق مائع»، كامل، في نوعه، مخبر عن الله تعالى بحكم أو مشافية، أما بواسطة ملك.

(1) الأولي بكسر الباء، والثانية بفتحها.
فقولنا "حيوان ناطق" أردنا به أن الإنسان بائق على أصل إنسانيته، لا يمتاز عن غيره من نوع الإنسان بوصف حقيقي. وإن استمر باعتباره عبارة عن غيره كالعلماء الخاصة بهم، وصفات الكمال التي خصصهم الله بها، فذلك لا يخرج عنه كونه إنسانا، ولأجل هذا المعنى كانت الرسول تقول لقومها "أن نحن إلا بشر ملتكم، ولكن الله يعلم على من يشاء من عباده". (1) وكذلك قال الصادق المجدد: "إنا أنا بشر ملتكم، يوحي إلى". فجعل الفصل بينه وبين نوعه، ما خص به من الوحي.

وقولنا "مثلك" تنبيه على مانه، لكان يغلوا في بعضهم جاهلون.

كما فعل النصارى فينسبونهم إلى ما لا يليق بين يديهم.

وقولنا "كامل" أعني بذلك: أن الأنباء مجيبون على أتتم صفات نوع الإنسان، وذلك معلوم من أوصافهم، وأن كانوا متناوبين في ذلك.

وقولنا "مخبر عن الله" هذا القيس، هو خاصته التي تفصله عن غيره من نوعه، فإن لم يكن كذلك لم يقل عليه: أنه النبي.

وقولنا "أما مشافقه"، وأما بواسطة ملك، تحرز ممن يبلغه خبر الله تعالى على ألسنة رسله، فإنه ليس النبي، ولا يقال عليه بحكم العرف: إنه النبي، ولو جاز ذلك، لجاز أن يقال "نبي" على كل متشرع، سمع من رسوله خبرا عن الله، وهذا لم يقته أحد.

وقولنا "أو ما تتزل منزلته" نريد به: أن الأنباء، قد يثلجون الوحي على وجوه، منها: أن يكلمه الله مشافقه، ومنها: أن يرسل إليه ملكا، يخبره عن الله، ومنها: إنه يلقى اليه الوحي في النوم، ومنها: أن الله تعالى يقذف في روعه، ويلهمه الها، حتى لا يشك أن الأمر كذلك، ويطاع به.

اذ الرسالة نبوة وزيادة • وهذا بعين نفسه • فذا تقرر ذلك •
فهذا البشرى • الذي يدعى: أن الله أرسله الينا • لا بد أن يكون
صادقا • وذلك لا يعرفه غير دليل • فلا بد من دليل •
والدليل المتحدى به: هو المعجزات • ولا بد من النظر في حقيقتها •
وفى شروطها • وفي وجه دلائلها •
فأنا المعجزة: فلفظ مأخوذ من الإعجاز • وذلك أنك تقول:
عجز فلان عن كذا • عجزا • إذا لم يقدر عليه • ولم يقم به • وأعجزته
إعجازا إذا جعلته يعجز • وتقول: أعجزني الشيء • إذا فاتك • ولم تقدر
عليه •
وكلها راجعة إلى أن العاجز عن الشيء هو الذي لا يمكن من
الشيء • ولا يقدر عليه • ثم في تسمية هذه الأدلة التي تدل على صدق
الأنبياء: معجزات • تجوز • وذلك أن المعجزة على التحقيق • أنما هو
خالق العجز • وهذه الأسباب التي يقع العجز عندها تسمى: معجزة
بالتوسع • وذلك من تسمية الشيء باسم غيره إذا جاوزه • أو كان
بسببه •
هذا شرح لفظ المعجزة •
فأنا حقيقتها: فهو أمر خارق للعادة • متكون بالتحدى مع عدم
المعارضة •
اما تلقنا • أمر • ولم نقل • فعل • لتشمل بذلك على الفعل
الخارج للعادة • والمنع من الفعل المعتاد • فلو قال • نبي •: أيتي أنه
لا يقدر أحد أن يتكلم اليوم • فكان ذلك • لكن ذلك دليل على صدقه •
ويعطى ذلك معجزة له مع أنه ليس انها فالف عرف • وأنما هو مع من
فعل معتاد • وأما تلقنا • متروك بالتحدي • لذا يتخذ الكاذب معجزة
من تقدمه • حجة لنفسه • ولتمييز عن الكرامه • وما في معناه • وأنما تلقنا • مع عدم المعارضة • لتمييز عن السحر والشعوذة •
وإذا حققت النظر فيما ذكرناه في حد المعجزة علمت شروطها •
لكن ينبغي لك أن تعرف: أن المعجزة لا تكون دليل الا في حق من علم
وجود البأري عالى • وأنه قادر عالم مريد موصوف بصفات الكمال •
حتى يتأنى منه الأرسلان • والتصديق والتكليف • وإذا لم يعرف الناظر •
هذه الأمور بأدلة عقلية لم يعرف المعجزة، ولم يفعل العلم بالتصديق.

وأما وجه دلالتها: فهو أن الشاهد للمعجزة المحدى بها إذا علمها، وعلم شروط العلم على الضرورة: أن الله تعالى قد تصدى بذلك المعجزة، وصدق المدعي، ويبين هذا بمثال، وذلك أنه: لو فرضنا (أ) ملكاً عظيماً، اجتمع له أهل مملكته في مجلسه وأهل الملكة معلن لما يأمرهم به، ذلك الملك.

فقام رجل من بين يديه، وقال: إنى رسول هذا الملك الذي.

وقد أمرنى أن أبلغكم أمره ونهيه، وأنا صادق في قولى هذا، ثم يقول: يا أيها الملك: إن كنت صادقاً فيما أقوله عنك، فًخالف عادتك، وقلل عن سيرك قيام، تخالف به المعتاد من فلك، فإذا فعل الملك ذلك عند تحدي المدعي، فإن أهل مجلس يضطرون إلى العلم بأن الملك قد صدق بذلك الفعل تصديقه، ولا يتطليهم في ذلك ريب، ولا توقف، فتنزلت، إذن تلك الأفعال بنتلك الشروط منزلة قوله: صدقت أنا أرسلتك، وهذا بين نفسه عند كل موفق منصف، علوم على القطع.

فلا تقرر ذلك، فهما ادعى شخص الرسالة، واستدل عليها، مثل ما ذكرناه، كان محقق في دعواه صادقاً في قوله: لا يجوز لعاقل أن يختلف عن متابعته سواء ادعى عموم رسالته، أو خصوصها.

ورسلنا محمد صلى الله عليه وسلم، قد أدعى عموم رسالته، واستدل على صدقته بالمعجزات على الشروط التي ذكرناها، فهو صادق، ولا يجوز لعاقل بلغه أمره، أن يتخطى عن متابعته، وتصديقه.

وستذكر أن شاء الله بعض ما أمكن ذكره من معجزاته، فأنه صلى الله عليه وسلم قد أبد بمعجزات كثيرة، حتى إذا جمعت وتبعت علم منها: أن الله تعالى قد جمع له أكثر معجزات الأنبياء قبله وخصه بمعجزات لم يشاركه فيها غيرهم، وستقف أن شاء الله.

على أكثر ذلك.

هذه المقدمة الأولى.

***

(1) هذا قد افتتبه المؤلف من كتاب "العقيبة العلمية" للجويني.

عبد الملك إمام الحرمين.
المقدمة الثانية:

وأما المقدمة الثانية:

فالغرض منها: أن تتبنينا فيها: أن عيسى عليه السلام ظهرت المعجزات على يديه، وتتبنى بالخلق ليؤمنوا أنه رسول الله، لا ليؤمنوا بأنه: أنه وان النصارى غير عادين بمعجزات عيسى عليه السلام، إذ لم تتوفى عنهم، فنقول: وبالمثل: التوفيق:

أن النصارى غايتهم أن يصدوا معجزات عيسى عليه السلام، مما في أيديهم من الأنجيل، ولو كثرت نقله، ولا ألم التحريف، والملت فيه، على ما نتبرر قبل، وإذا كان هذا، فكل ما في أيديهم من الأخبر عنهم في الأنجيل لا تفيد العلم الغطس، ولا تدل ذلك: أن تنفيذ غلبة ظن
والظن في الاعتقاد: منزلة الشكل، بل هو شك، فاذنهم من معجزات عيسى في شك، فهم لا يشعرون بذلك عند

ومن يدل على أنهم من كتابهم وشعرون على غير علم: ما استضاف في كتاب التورايخ (1): عندنا وعندهم، وذلك أن عيسى عليه السلام لما بعثه الله تعالى، دعا بنى إسرائيل للإيمان، فأجابه من شاء الله منهم، فلم يرفعه الله تعالى استطاع الناس كلامه بعد ذلك حتى بلغ عدد بنى إسرائيل: سبع مائة رجل، فكانوا يجاهدون في بنى إسرائيل ويدعون إلى الإيمان، فقالم: (بولس المهدي)، وكان هو الملك في بنى إسرائيل، فمحدد عليهم الأجداد، وخرج عليهم، وقاتلهم، فخضعهم وأخرجهم من بلاد الشام، حتى أنتموا فهم، إلى الدرب. فأعجوزوه، فقال: (بولس) الملك، لنجود: أن كلام هؤلاء لستطاع.

وقد قدموه على عدوكم، وسيرجعون في ملتهم، فيكونون علينا في خرجونا، وخرجونا من بلاد الشام، ولكن، أرى لكم رأيا. قالوا: وما هو؟ قال: تعاونوني على كل شيء، كان خيراً أو شرًا. ففعلوا: فترك ملكه، ثم ليس لابسهم، وخرجهم ليضعهم، حتى

(1) يذكر المؤلف من سفر أعمال الرسل باختصار، ويذكر عبارات ذات قبة بعض معانيها في رسائل بولس وبالبعض حكایة حال.

(16 - الأعلام)
انتهى إلى عسكرهم، فأخذوه وقالوا: الحمد لله الذي أخزاك، وأمكن
ذلك، فقال لهم: أجمعوا رؤوسكم، فأنه لم يبلغ منى حقيقة أن
أطيعكم إلا ومعي برهران فأبلغوه رؤوسهم.
قالوا: ملك، فقال: إن قلني المسيح منصرف عنكم، فأخذ
سمعى، وبرصى، وغلق، فلم أسمع، ولم أعقل، ثم
كشف عنني، فأعلت الله عهدا: أن أدخل في أمركم، فأنا لأقيم
فيكم، وأعلمكم التوراة وأحكامها، فصدهوا فأمروا أن يبنوا له
بيتا، ويفرشوه ركاما، ليعبد الله فيه بزعمه، ويعلمه التوراة.
ففعلوا، وعلمهن ما شاء الله، ثم أغلق الباب دونه، فأطافوا به.
وقالوا: نخشى أن يكون رأي شيطان يكرهه، ثم فتحت بعد يوم
قالوا: أرأيت شيئاً تكرهه؟ قال: لا، ولكنني رأيت رأياً، وأعرضه
عليكم، فإن كان ضواباً فخذوه، وإن كان خطاً فردونى عنه. قالوا:
هات. قال: هل رأيت سارة تسارة إلا من عند ربيا، وتخرج إلا من
حيث تؤمر به؟ قالوا: لا. قال: فانى رأيت الصحيل والليل والشمس
والفجر والبروج، إنما تجىء من هذا وما أوجب ذلك إلا وهو
أحق الوجود أن يصل إليه. قالوا: صدقت. فردوهم عن قبنهم.
ثم أغلق الباب بعد ذلك ببمنين. ففزعوا أكثر من الأول، وأطفووا
بها، ففتحت. فقالوا: أرأيت شيئاً تكرهه؟ قال: لا. ولكنني رأيت رأياً
cالوا: هات. قال: أسلمت الزعمون: أن الرجل إذا أهدى إلى الرجل
اللهية، وأدركه بالكرامة، فردها. شق ذلك عليه، وأن الله تعالى:
سخر لكم ما في الأرض، وجعل ما في السماء لكم كرامة، فاقتله:
أن لا ترد عليه كرامته.

فما بال بعض الأشياء حلال، وبعضها حرام. ما بين البلقاء إلى
الفيل. حال: قالوا: صدقت.
ثم أغلق بعد ذلك ثلاثاً. ففزعوا أمثل من الثانية، فلما فتح
لهم. قال لهم: أني رأيت رأيا. قالوا: هات. قال: لنخرج كل من
في البيت إلا "يعقوب" و"نسطور" و"ملكين" و"المؤمن".
ففعلوا. فقال: هل علمتم أبدا من الإنسان خلق من الضبن خلقًا
فجعله، فصار نفسه؟ قالوا: لا. قال: فهل علمتم أن أبدا من الإنسان.
أبأكم الأكيم والأبرص وأحيا الموتى؟ قالوا: لا، قال: هل علمتم أن أحداً من الناس يبني الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم؟ قالوا: لا. قال: فانى أزعم أن الله تعالى تجلى لنا، ثم أحتحب: 


 فقاتلوهم، فهزم المؤمن وأصحابه. وكان أقلمهم تبعاً. فخرج مع قومه إلى الشام، فأسرتهم اليهود فأخبرهم الخبر. وقالوا: أنما

(1) في الأصحاح الثالث عشر من رسالة بولس إلى تيموتاس.
(2) وبالإجماع عظم هو سير النضوى: الله ظهير في الجسد.
(3) رأى هذا البعض هو رأى البعض الذين قالوا: صدقت.
(4) عم في مصرنا هذا بسمون: الأرثونغ.
(5) نسطور قال: عيسى إنسان وإله.
(6) عم في مصرنا هذا بسمون: الكاثوليك.
(7) يقصد: بالمؤمن: الذين نبيثوا على الحق.
خرجنا ليكم لنؤمن في بلادكم، ومنا في الدنيا بناءً على قلوبكم وصولكم ونسجكم في الأرض، فخلوا عنهم.

ثم إن قوماً من أولئك الذين كفروا، فعليهما، مثل ما فعل قوم المؤمن، اتخذوا الصوامع، وساحوا، وأظهروا البذعة، فهو قول الله عز وجل: "وإباعها، ما كتبنا عليها إلا ابتعاد رضوان الله، فما روعا لرعيتها" (أ) يعني التوحيد (٣). اختفوا فيه، إلا فرقة المؤمن، وفيهم نزلت: "فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين" (٤) بالوجه، ظهور محمد صلى الله عليه وسلم.

واكمل هرب المؤمنين منهم إلى جزيرة العرب، فأدرك النبي صلى الله عليه وسلم منهم: ثلاثين راهباً، فأثناها به، وصدقوه، وتوافد عليه، ظهور الإسلام.

كان هذا - والله أعلم - بعد المسيح بأربعين سنة، أو نحوها، ثم لم يزل أمر المؤمن وأصحابه خفياً، وغيرهم من الفرق مختلفون، ويتارحون، ولم يستقر لهم قدم إلى مدة قسطنطين قيصر، الملك ابن هيانة، وذلك بعد رفع المسيح بثمانين وثلاثين سنة (٥).

وذلك أنه كثر عدوه، وكاد ملكه يذهب باختلاف رعاياه عليه، وضعيفهم، وكسبهم عن نصرته ففرام حلمهم على شريعة ينظم بها سلوكهم، ويؤلف بها متفرقهم، فأثارة من لديهم من أهل النظر فوقع اختيارهم على أن يتبعوا القول بطلب دم ليكون ذلك أقوى لارتباطهم معه، وأوكده ليهم في نصره، فوجدوا اليهود يزعمون أن في بعض توارثهم خيراً عن رجل منهم هم أن ينسخ حكم التوراة، وينفرد بالتأويل فيها، فعمدوا إليه وهو في نفر من أتباعه، وظفروا بواحد.

الحديد: ٤٧ (١) يعني - والله أعلم - ابتداعهم الربانية، وهي غير منتصوب عليها.

في التوراة التي جاء المسيح مصدقها لها.

(٢) الصف: ١٤ (٣) هذا يعني أن رفع المسيح كان في سنة ثمانين من الميلاد، لأن قسطنطين.

اعترف بالنصرانية سنة ثمانية وثلاثة عشر من الميلاد وكان مجمع نيقية.
منهم، وشهد لديهم رجل واحد: أن ذلك المطلوب، فصلوه، وما عندهم تحقيق، لكونه ذلك المطلوب بعينه، إلا فقدهم أيام من حينئذ.

فمنذ ذلك عهد «قسطنطين» إلى من ينسب إلى دين المسيح، فوجدهم قد اختلقت آراءهم ومزجت أديانهم، فاستخرج ما بقي من رسم الشريعة المنسوبة للمسيح وجمع عليها وزراءه، فأثبت ما شاء منها، وتحكم فيها باختياره، حسب ما رآه مواقفها بالصلوبية لتعبد قوته بطلب دم، والتولى بترك الختان، لأنه شأن قوته. ثم أكد ذلك وشده بمنامة اختلقتها وادعى أنه أوعى إليه فيها.

وذلك أول شيء أظهره من هذا الأمر، فجمع أنصاره، ورعاياه من الروم، وذلك على رأس سبع سنين من مدة ملكه. وقال لهم: إنه كان يرى في منامه آنذاك أنه. فقال له: بهذا الرسم (1) تغلب، وعرض عليه هيئة «الصليب» فأعلل ذلك العامة، وانقلت لما سمعت منه، ثم بعث إلى امرأة في ذلك الزمان يقال لها (الأنه) كاهنة، وكانت ذات جاذبة وقوة، فشهدت له أنها رأت مثل ما رأى. فقوت تصديق العامة لذلك.

وفي هذا كله، لا يعلمون لذلك الرسم تأويلًا. ولا كان "قسطنطين" هكذا لهم شيئا من أمره. فخرج بهم إلى عدوان، ووعظ قوته، وهول عليهم أمر الرسم، فحكم له كل ما أراده من جد القوام واجتهادهم معه، فلم يدعوا إلى أوطانهم بعد الفوز بعدهم. سالوه عن تأويل ذلك الرسم، وألحوا عليه فيه. فقال لهم: قد أوعى إلى في نومي. أنه كان الله تبارك وتعالى هيب من السماء إلى الأرض فصلبته اليهود، فهالهم ذلك كثيرا، مع ما حصل عندهم من تصديقهم، وعظم عليهم الخطاب فيه. فانقلدوا إلى "قسطنطين" انقيادا حسنًا، وصح له منهم ما أراده، وشرع لهم هذه الشريعة التي بأيديهم اليوم، أو أكثرها (2).

(1) في الخطوة: الرسم بالنحية المعجمة بدل السين المحلة وفي كثير
من الكتب الرسم بالسين.
(2) قد ذكرنا في تحقيق لنا كتاب «منظومة الإمام الأبوصيرى في الرد على النصارى واليهود»: السبب الحقيقي لتحريف النصراني هو: أن هؤلاء الروم كانوا يحتلون بلد اليهود. وكان اليهود يزعمون لهم أن نبيا منهم =
وقد ظهر لجماعة من أهل العلم بأحال الأمة وبنوازل الأرمان،.
أن هذا الشخص الذي تنظمه النصارى، وتصفي بالألهية، لم يكن
له وجود في العالم، ولكن قسطنطين ابتدع ذلك كلمة واتفق مع
نفر من اليهود من أخبارهم على أن يبذل لهم من منع الدينية
ما شاءوا، ويشدون له عند قومه بأن ذلك الشخص كان عند اليهود
فصلته، ففعلوا، وكتبوا من أخباره شيئاً، فعتلت ذلك النصارى
وتقبلوه وداوا به، ولعله أكثر الأنجليل الذي أبديهم اليوم.

ولتعلم أن هذه الأخبار التي ذكرناها لا يمكنهم انكار جملتها.
وان أنكرنا بعض تفاصيلها لكون هذه القصص معرفية على الجبهة
مجرد فهمهم لا يتدرون على جهد ممارسة بولش اليهودي
وأجلؤهم من الشام، ودخول بولش في دينهم، وكذلك ملك
قسطنطين مما لا يكونون أشهاره لكتبهم، ثم لو قرنا: أن هذه
الوقائع لم تعلم صحتها، ولا كذبتها، فشرعهم قابل لأمثالها فان معظم
معتمدهم في أمور ديناتهم آنها هو الأنجليل، ونفيه غير متواتر لا سيما
والإحدات عنهم في أكثر الأديان بسوا، يدعونها، يجعلونها
أصولاً يعولون عليها، وبحافل يجتمعون فيها، فيتحكون بآرائهم.

سيظهر، ومع ظهوره سيخضعون للروم ولن يمسهم بآذي إذ، ولا
ظهر عيسى عليه السلام، وضح اليهود والأهل الروم أن النبي الذي سيظهر
سيكون من العرب بنى اسماعيل، وأنه سيحارب أهل الروم وسيطرهم
من فلسطين، فاغتاظ اليهود منه لأنه تحتب على غير مرادهم في النبي المختار.
واغتاظ الروم منه لأنه أخبرهم بتبرعهم ملكهم، فذكره على اليهود
والروم على القضاة على المسيح عيسى وأتباعه، فتستبدله الروم اضطهادا
سيديدة، رنفت علما، اليهود سموهم في المسيح وأمه، وأنتموا عقائد
الروم وعاداتهم، وضلالوا بالعقائد والعامات في شأن المسيح وأمه، فجعلوا
ملك الروم أجرامًا وشيوعًا، ولا أختار نظامهم، وتعب النصارى من الاضطهاد،
وظهر في نفوس الناس ميل إلى المسلمين، ورضي النصارى بالصلاة مع
الروم، وظهر الروم في الصلاة على المسيح، اتفت الطركان على صوغ
المقاعد النصارى، على مثال عتائد الروم، وعلى أن لا ي命 النصارى أن
النبي المنتظر سوف يأتي من العرب ويفضي على مملكة الروم، ومن أجل
هذا طبق النصارى كل نبوات التوراة عن النبي المنتظر على المسيح عيسى
عليه السلام، وجعلوه خاطمة الصبيان.

(1) إقرأ كتاب: المستانسر.
ولا يستندون لشيء من كتبهم، ولا شيء من كلام أنتينهم. وأن شئت أن ترى هذا عياناً، فانظر كتب اجتماعاتهم ومحافلهم، فإنهم ينحشدون لمواضيع مخصوشع في أحيان مخصوشع، ويخترون فيها أحكاماً، ومورداً، لا مستند لهم، ولا أصل لا التحريم على المأكل، وانتحكم في العامية بفاغة الأفراح، وسنبنين ذلك إذا ذكرنا جملًا من أحكامهم.

وإذا كان هذا مبنى شريعتهم، كيف يوثق بشيء من ترهاتهم؟

فإذا تقرر ذلك فتعلم أن اتخاذهم المسيح: أنها ـ انها سبيه، ما سبق ذكره، ولا يقتربون على أن ينسوا شيئًا من ذلك إلى عيسى عليه السلام. بل قد نقلوا عنه في نجيلهم: ما يدل دلالة قاطعة من حيث اللطف على أنه انا أدعى النبوة، وعليها استدل بمعجزاته. وفي دعاء النبوة كتبته اليهود.

ونحن الآن نسرد بعض ما وقع في نجيلهم من دعاء الرسالة

بحول الله سبحانه.

من ذلك: ما جاء في النجيل عنه أنه قال حين خرج من السامرية، ولحق بجلال: (1) ]: "أنه لم يكرم أحداً من الأنبياء في وطنه" (2).

وفي نجيل لوقا: "أنه لم يقبل أحد من الأنبياء في وطنه، فكيف تقبلوني؟" (3) وهذا نص لا يقبل التأويل في أنه انا أدعى النبوة المعلومة.


(1) في الترجم الحديثة: ولحق بالجلال.
(2) الأصحاح الرابع من نجيل بونينا - الآية 44.
(3) نجيل لوقا: 24.
(4) نجيل ماركس الأصحاح العاشر - الآية السابعة عشر وما بعدها.
وفي انجيل يوحنا أن اليهود لما أرادوا القبض عليه، ولم يفعل بذلك، رفع بصبره إلى السماء وقال: "قد دنا الوقت يا إلهي، فشرعني لديك، واجعل لي سيئلا إلى أن أملك كل من هلكتي: الحياة البدنية وانها الحياة البدنية. أن يؤمنوا بك أنها واحدة. وبالمسيح الذي يبعث. فقد عظمته على أهل الأرض، واحترقت ما أرثتني به، فشرعني لديك" (1)

وفي انجيل حتى أنه قال لتلاميذه: "لا تنسبوا أباكم على الأرض. فان أباكم الذي في السماء وحده، ولا تدعوا معلمين، فإن معلمكم المسيح وحده (2)

فقوله "لا تنسبوا أباكم على الأرض" أي: لا تقولوا: أنه على الأرض، ولكنه في السماء، ثم أنزل نفسه حيث أنزله الله تعالى. فقال: "ولا تدعوا معلمين، فإن معلمكم المسيح وحده" (3) فيها هو قد سمي نفسه: معلم في الأرض وشهد أن الهم في السماء واحد.

وبهذا أن ينسبوه إلى الله. وفي انجيل لوقا أنه حين أحيا اليم باب مدينة "نابين" حين أسفق لأمه، الشدة حزنه عليه. قالوا: "أن هذا النبي لعظيمه، وان الله قد تفقد آمنه" (4) ولم يقولوا: أن هذا الله عظيم.

وفي انجيل يوحنا أن عيسى قال لليهود: "لست أقدر أن أفعل من ذاتي شيئا، لكن أحكم بما أسمع، لأنني لست أتخاذ أرادتي، بل أراد الذي يبعثني" (5)

وفي انجيل أيضا أنه "أعلن صوته في البيت، وقال لليهود: قد عرفتموني موضوعي، فلم آت من ذاتي، ولكن بعثني الحق، وأنتم تجاهلوا. فلن قلت: أي أجعله كنت كأنها ملكهم، وأنا أعلم أنني منه، وهو針عثني" (6)

(1) الإصحاح السابع عشر من انجيل يوحنا - الآية الأولى وما بعده.
(2) من 22: 9 - 10 ونص العبارة: "لا تدعوا لكم أبا على الأرض.
(3) لأن أباكم واحد الذي في السماوات 300蛊 الخ.
(4) اقرأ ت تقديمك لهذا الكتاب.
(5) انجيل لوقا الإصحاح السابع.
(6) انجيل يوحنا 5: 30.
فانظر كيف أخبر عن نفسه، أنه معلوم عند اليهود، وأخبر عن الله: أن اليهود لا يعرفه وقال: "أنه لم يأت من ذاته، ولكن الله بعثه"، وهكذا كانت دعوة من قبله من الأنبياء عليهم السلام وحائشهم أن ينتسبوا إلى ما ينفرد به ذو الجلال والكراام.

وفي الإنجيل أيضا أنه قال لليهود بعد خطاب طويل ذكر في الإنجيل، حين قالوا له: "أنا أبونا إبراهيم"، فقال: "أن كنت بنى إبراهيم فافقوا أثره، ولا تريدوا قتلى".

على أنى رجل أديت اللكم الحق، الذي سمعه من الله، غير أنكم تتفعون أثر آبائكم، فقالوا: "لسنا أولاد زنا، إننا نحن أبناء الله"، فيقال: "لقد كان الله آبائكم لحفظهموني، لأنى رسول منه خرتج مقبلا، ولم أقبل من ذاتي، وهو بعثني لكنكم لا تقبلون وصيتى وتعجزون عن سماع كلامي". إنما أنتم أبناء الشيطان، وتريدون إتمام شهوته" (1) إلى كلام كثير.

وفيه أيضا: "أن كان يمشى يوما فأخذته به اليهود، وقالوا: "للحق تخفى أمرك؟ أن كنت المسيح المنتظر فأعلمنا بذلك" (2).

ولم تقل له: "أن كنت ليها، لأنه لم تعلم من دعوات ذلك، ولا اختلاف عند اليهود: أن الذي ينتظرونه انها هو إنسان نبي، ليس بانسان الله كما تزعمون.

وفي الإنجيل أيضا عنه: أن اليهود أرادوا القبض عليه، فبعثوا لذلك الأعوان، وأن الأعوان رجعوا إلى قوادهم، فقالوا لهم: "لم لم تأخذوه؟" قالوا: "ما سمعنا آدميا نصف منه، فقالت اليهود: "وأنتم أيضا مخدمون، أترون: أنه آمن به أحد من القواد، أو من رؤساء أهل الكتاب؟ إنما آمن به من الجماعة من يجل الكتاب، فقال لهم يئفويدموس: "أترون أن كتبكم يحكم على أحد قبل أن يسمع منه؟".

قالوا له: "اكتشف الكتب ترى أنه لا يجيء نبي من جلجال" (3).

(1) الإصحاح الثامن من انجيل يوحنا 24:10، يوحنا 10:14
(2) جلجال في التراجم الحديثة: الجليل والنص في الإصحاح السابع من انجيل يوحنا
فما قالت اليهود ذلك إلا وقد انزل لهم نفسه منزلة "نبي" فقط، ولو علمت من دعوات الله إلقائته يومئذ.

ومثل هذا كثير في انجيلهم، لو ذهبت أذكروا لطال أمره.

وقد تقدم من كلام أشعيا أن الله تعالى قال في المسيح: "هذا غلامي المصطفى، وحبيبى الذي أرضاه به نفس" (أ).

 ومن كلام عاموس النبي أن الله قال على لسانه: "ثلاثة ذنوب أقبل لبني إسرائيل والرابعة لا أقبلها: بيعهم الرجل الصالح" (ب).

ولم يقل بيعهم أباه. ولا قال: بيعهم مهما سوا معي. فهذا البيع لا يخلو آما أن يكون هو المسيح كما تزعمون. فقولوا فيه: كما قال الله: "أن الرجل صالح، ولا تقولوا: إنه معبود. وأما أن يكون البيع غيره، فهو الذي شبه لله، فأبتعوه وصلبوا ويبزمكم انكار صلوبية المسيح، وهو كثر عندكم. وقد كرنا هذا المعنى في هذا الكتاب مراراً لكون النساء على اختلاف فرقهم يعتقدون له الأمانية على اختلاف في كيفية ذلك. كما تقدم.

وهنا في هذا الجزء طائفة منهم إلى مقالة لم يسمع قط في أكتاف العالم وأطرافه من اجترأ على التفوه بها. ونحن نستعرض الله قبل حكايتها، ونتبأها إلى الله من مذاهب الفاسدة، ومن القاتل بها، وذلك أن وقفت على رسالة بعض "الأقتسة" كان بطبيلة، نسبه من القوط. قال فيها: "هبط الله بذاته من السماء، والتحم بطن مررم".

ثم قال: "وهو الإله الواحد. والأنسان التام. ومن تمام رحمةه على الناس: أنه رضى بهرق دمه عليهم في خشبة الصليب. فكن اليهود أعداءه من نفسه، ليتم سخطه عليهم. فأخذوه وصلبوا وغبار دمه في أصابعه، لأنه لو وقع منه شيء في الأرض لبقيت إلا شيء وقع فيها. فبعث في موضع النوار".

(1) الأصحاح الثاني والأربعون من سفر أشعيا - الآية الأولى.
(2) هذا النص ليس نبوءة عن عيسى عليه السلام.
لأنه لم يمكن في الحكمة الأزلية أن ينتقم الله من عبده العادي: آدم، الذي ظلمه، واستهان بقدره، فلم يرد الله الانتقام منه، لعلهاء منزلة السيد وسقوط منزلة "العبد". أراد أن ينتصف من الإنسان الذي هو الله مثله، فانتصف من خطيئة آدم، بصلب عيسى المسيح الذي هو الله، مساو معه.

فانظر تواقح هذا القائل، واستخفاه بحق الله تعالى وجهه، وتناقذه وحمته: "فأنت لو حكي مثل هذا القول السخيف عن مجنون أو موسوع لم كان يغذر بقوله، ولبود بضربه، وقتله، حتى لا يجتريء على مثله". ونحن نرى بأكثر المبانين، والموسوعيين أن يقتلون بهذا المذهب فث الهجين، أو يتعلموا ركاحة هذا الدين السليم، إلا أن يكون مستغرقا في الوسوسة والجنون. فالحق أنواع، والجنون فنون.

وعند الوقت على هذه المذهب القبيحة، والأوهام. يتبن فضل دين الإسلام، ويتحقق معنى قول النبي عليه السلام: "إذا أراد الله انفاذ قضاءه، وترده: سلب ذوى العقول عقولهم، حتى ينفذه فيهم".

وفي مثل هذا الضرب: المثل: "إذا جاء اليدين، صم الأذن، وعمي العين،" والحمد لله الذي أعادنا من هذه الأذاث، وتبذل علينا بدين الطينة الذي خص بكل الفضائل، التي يقبلها بفطرته الأولى.

فقد تحصل من هاتين المقدمتين: معنى النبوة، وبين شروطها، وأن عيسى عليه السلام نبي ورسول، إذ قد كنث فيه شروط الرسالة، وأنه ليس بإله، وأن النصارى ليسوا عالين بشيء من أحوال المسيح، ولا من معجزاته على اليقين، وتفصيل.

وقد أمروا أمورا جملية لكثرة تكرار هذا المعنى عليهم.

ثم تلك الأخبار التي يتحدثون بها عن المسيح، وتنكر عليهم، لو كلفوا أن يسندوا شيئا منها لغير الإنجيل كما ينقل متوثرا لما استطاعوا شيئا من ذلك، ولا وجدوا به سبيلا.

ومما يؤيد هذا المعنى ويوضحه: أن اليهود كانوا رهطه وكفلته.
ومن ذلك: أن اليهود تزعم أنهم حين أخذوه حبسهم في السجن أربعين يوما وقالوا: ما كان ينبغي لنا أن نحبسه أكثر من ثلاثة أيام إلا أنه كان يعده أحد قواد الروم لأنه كان يدخله بصناعة الطب وتوفي أنجيلكم: أنه أخذ صبح يوم الجمعة، وصلب في الساعة التاسعة من اليوم بعينه.

وكل ذلك يزعم اليهود كلهنا: أنه لم يظهر له معجزة، ولا بدتهم من آية، غير أنه طار يوما، وقد هما بأذخهم، فطار على أثره أحد منهم فعلاه في طيرانه، وتولع، فسقط إلى الأرض بزعهم.

وصليت كثيرة من أنجيلكم تدل على ما قالته اليهود من أنه لم يأت بآية.

فمن ذلك: أن اليهود قالت له: ما آيتك التي تربتنا، ونؤمن بك. وأنت تعلم أن آبائنا قد أكلوا المن والسلوى في المذابح؟ فقال: إن كان أطعكم موسى خبزا باللفاز. فأنتم أطعكم خبزا سماويا يريد نعيم الآخرة.

فلو عرفت اليهود له: معجزة، لما كانت ذلك، ثم لم يجيبهم على قولهم بمعجزة، ولا آية.

وفي أنجيلكم: أن اليهود جاءوا يسألون آية، فذكفهم وقال: ان القبلية الفاجرة الخبيثة تطلب آية، ولا تتطيع ذلك.

وفيهم أيضا: أنهم كانوا يقولون له، وهو على الخشب بظنك: أن كنت المسيح فأنزل نفسك، نؤمن بك. يطلبون منه بذلك آية، فلم يفعل:

مرقس الأصحاح الخامس عشر، ويوم الاستعداد في الإنجيل هو يوم الجمعة، وفيه يستعدون ليوم السبت الذي لا يجتمع فيه عملا.

النص في الأصحاح السادس من أنجيل بونها. يريد الإيمان بتعاليمه ليحيا حياة طيبة.

فلم يفعل من الإصحاح الثالث والعشرين من أنجيل لوقا.
ومثل هذا كثير فيه.

ثم أن اليهود عندهم من الاختلاف في أمره ما يدل على عدم يقينهم بشيء من أخبارهم. فمنهم من يقول: أنه كان رجلاً منهم يعرفون أباه وأمه، وينسبونه لزانية، وحاشيته الله. ومنهم آخرون يدعون للغاية: "البندير"، وآخرون يدعون: "البندير"، لأنهم كذبوا. ونذكر: لا يكون الله ما رأى "البندير". أو "البندير" عندما على فراشها، وتشعر بذلك فهجها، وأنكر ابنها. ومنهم من يقول: إنه لم يولد من غير أب، وينكره، ويعتبر أنه أبوه يوسف بن يهوداً، الذي كان زوجاً له.

ثم أن اليهود - لنعم الله - أطلقوا على اطلاق الدم عليه. فمنهم من قال ما تكون، ومنهم من ذكر سبأ آخر. وهو أنهم زعموا: أنه كان يوماً مع معلمه "يهوشع" بن برخيا، وسائر التلاميذ في سفر فنزلوا ووضعا، وجاءت أمهما من أجله. وجعلت تبالت في كرامتهم، فقال "يهوشع": ما أحسن هذه المرأة. يريد فعلاً، فقال عيسى - بزعمهم - لنعم الله - لولا عشم في عينيها وصاح "يهوشع" وقال له: يا مزار - ترجمته: يا زنيم - أتزنى بالنظر، وغضب عليه غضباً شديداً. وعاد إلى بيت المقدس، وحمر باسمه، ولعنه، في أربع مائة قرن. وقالوا: فحينئذ لحق بزعمهم ببعض قواد الروم، وداخله بصناعة الطب، فعطاء لذلك بزعمهم على اليهود، وهم يومئذ في ذمة قيصر "تباريتش" وجعل يخالف حكم التوراة، ويدركرها، ويعرض عن بعضهم. إلى أن كان من أمرهم.

ومنهم من يقول: إن ذلك انت اطلق عليه لأنه كان يوماً يلاعب الصبيان في صغره بالكرة، فوقع له بين جماعة من مشايخ اليهود، فغضب الصبيان عن استخراجه من بينهم. حياء من المشايخ، فقوي عيسى، وتحط رقبتهم، وآخذها. فقالوا له: ما نظننا أن زيماً؟ فأمضيت عليه هذه الشتيمة.

كذلك يختلف في صنعة أبيه، الذي يقولون أنتم فيه، خطيب.

---

(1) بابدارا الرومي في الكتب الحديثة.
(2) بيت المقدس: أورشليم (القدس) الآن.
أمه • فمنهم من يقول: يوسف النجار، وبعضهم يقول: أنا هو الحداد.
وذلك تختلفون آمنتم في اسم أبيه، فبعضكم يقول: يوسف بن يعقوب،
وبعضكم يقول: يوسف بن هالي، وكذلك اختفتكم آمنتم في آبيه.
وفي عدهم • فمنكم من يقتل، ومنكم من يبكر • على ما تقدم • فهذا
الاختلاف الكثير والإضطراب بين الشهير يدل على: أنكم واليهود
في شكل منه، وأنه لم يثبت عندكم خبر متواتر عنه • وانما هي ظنون
كاذبة، وأوهام رائحة • وسببين مداخل الشك والأوهام عليهم في قولهم
بسلوكية • ونبي أن اليهود والنصارى في قولهم بصلبهم كاذبون,
وأهمهم (في ريبهم يترددون) • بل لا أن من الله علينا بفضله علينا
وعليك معاشر النصارى بأن بث إلى الجميع: سيد الرسلين ليقى
الجميع من أمر عيسى حيار.

فنزة الله المسيح وأمه، على لسان نبيه، مما قالته اليهود فيهما
من الأقوال الواحشية، ونسبوه لها من الهجاء والشتيمة • وكما شهد
براءة المسيح وأمه، مما نسبته اليهود فيهما • كذلك شهد ببراءتهم.
ومما نسبتهم أنتم إلينه • وقولتموه عليهم.

ولكن أن منكم طائفة يقولون: أن مريم الله • وقد أطلقتم على
أن المسيح الله • ابن الله • ونبيًا عليه السلام يقول مخبرا عن الله
سبيانه وتعالى: (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله
الرسول، وأمه صديقة؟)

فذا سمع القائل قوله فيما علم بعله: أن ذلك التول هو الحق.
وأنا كان من طالع الزبور: علم أن دعا داود مستجاب،
ومقاله صدق • وذلك أن في الزبور: أن الله تعالى قال لداود:
"سيولد لك: ولد. أدعى له: أنا • ويدعى لي: إبنا (؟) فقال:

(1) التعويده • (2) المائدة • 46
(3) البشارية لداود عليه السلام بسليمان ابنه عليه السلام وعبارة
"لهم ابعث جاهل السنة " يشير بها المؤلف إلى محمد صلى الله عليه وسلم
لعلم الناس أن عيسى بشرا وليس الله • والحقيقة أن في الزبور نبوءات
كثيرة عن محمد صلى الله عليه وسلم ولكن ليس في النبوءات: أن المسيح
سيظهر من نسل داود ويصبح النصارى باللومية • مع العلم بأن عيسى
ليس من داود بل هو من نسل مارون عليه السلام • انظر كتابنا: (اعجاز
القرآن) وكتابنا: (أنايم النصارى) •
» اللهم ابعث جاعل السنة، كي يعلم الناس أنه بشر»

فاعتبر قول داوود حين أرفعه ذلك وراءه، كيف دعا إلى الله:
أن يبعث جاعل السنة، الذي يعلم الناس: أن ذلك الولد المدعو
انجا هو بشر.

وذلك قال المسيح على ما حكاه انجيلهم: «اللهم ابعث البارقليط،
ليعلم الناس: أن ابن الإنسان بشر».

والبارقليط (1) بالرومية: هو محمد بالعربية.

فلما ضلتم ، وتلوهتم بذلك ، وراغتم آدة العقول ، وكلام
النبياء المنقول. بثت الله جاعل السنة، وكشف النعمة: محمد صلى
الله عليه وسلم، فأعلم الناس أنه بشر، ليس بالله. ولا ابن الله
فقال بنعمة الله: «وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم
بأفواهم، يشاهدون قول الذين كفروا من قبل، قاتلون الله، انى أؤمن
انخرزوا أجئهم ورهبانهم: أرحب من دون الله، والسيح ابن مريم
وما أمروا إلا ليعبوا الله واحدا، لا الله إلا هو، سبحانه عما
يشرون» (2) وقال تعالى: «ومن يبلى للرحمن أن يتخذ ولدا، ان
كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا» (3).

ونذكر الآن هنا: خبر «النجاشى» ليكون منبجا للعاقل، ومدرعة
للجاهل.

وذلك أن الله تعالى: لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اتبعه
جماعة من نور الله قلبه، وشرح للاسلام صدره، وذلك في أول الأمر
قاسته به، والتزموا شرعه، وأحكامه: فكان كفر قريش، والخلفون
هم في أديانهم يؤذونهم ويعددونهم، يرومون بذلك ردهم عن دينهم
كما قد فعل بأتباع النبياء قبلهم، فلما اشتد عليهم الأمر، شكونا ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأمهم أن يهجروه إلى أرض الحبشة.
ووعدهم بأن يجعل الله من أمهم فرجاً، وأخبرهم أن بإلهه عظيماً
لا يظلم عنه أحد، ففعلوا. فقدموا على النجاشى، وإسمه «الصحمة».
وكان على صميم دين النصرانية.

(1) البارقليط هو محمد، والبارقليط تعني النائب عن عيسى.
(2) التوبة: 30، 31
(3) مريم: 93، 94
فلمَ قُدوُوا عليه استقر بِهم المنزل، ووجدوا خير منزل، فقَاموا
هناكَ دينهم، واغتبط النجاشي بصحتهم، وهم بجوهره، فلمَ رأى
كفار قريش؛ أن قد وجدوا بأرض النجاشي أمنا وودة، وجَوبر أثين
 منهم وأصحبهم هدايا جليلة إلى النجاشي وآثسته - وطبلوا منه -
ومن أساقفته: أن يسلمهم لهما
فلمَ قدما أرض النجاشي دفعاً لاقتهم هداياهم، وطلبا منهم
أن يعينوها على ردهم معهما، واسلمهم لقومهما، ثم دفنا للنجاشي
هديته، وقَالا له: يَا الملك، قد ضوا إلى بلدك منا غلمنا سفهاء
فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه
لا نعرفه نحن ولا أنت؛ وقد بعثنا البق فيهم أشرف قومهم من آبائهم
وأعمامهم، وعشائرهم، لتردهم اليمين.
فهم أعلم بهم عيناً، وأعلم بما عُبا علىهم، فأسلمهم اليمين.
فغضب النجاشي، ثم قال: لا، والله لا أسلمهم اليمين أبداً، ولا يكاد
قوم جاورون، ونزلوا بلاده واختارون على من سوى، لا أسلمهم
حتى أدعوه، فأرسلهم بما يقول هذان في أمرهم.
ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءوا!
وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصالحهم حوله، فقال لهم:
ما هذا الدين الذي فارقتهم به تقومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا دين
أحد من هذه الملكل كافٍ؟
فكلمه كيمبر بن أبي طالب، فقال: يَا الملك، كنتَ قوماً أهل
جاهليَّة، وعبد الأصمان، والملوك، وناثئ الفوافش، ونقطع
الأرحام، ونسيء الجوار، وياكيل القوى الضعيف، فكتَّا على هذا
حتى بعث الله الينا رسوله نعه، وعرف نسبه وأسمائه، وصدقه
وعفانه، فقدعنا إلى الله، نتوحده، ونعبده، ونخلع ما كنتَ نعبد نحن
وآباؤنا من الحجارة والأوثان.
وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن
الجوار، والكف عن الدماء، ونهانة عن الفوافش، وآكل مال
البيت، وقذف المحصنت.
وأمرنا أن نعبد الله، ولا نشرك به شئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة،

والصيام.

وعدد عليه أمور الإسلام، فصدقتنا، وآمنا به، واتبعناه على
ما جاء به عن الله، فعدى علينا قومنا، وعذبنا وفتننا عن ديننا،
ليردونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث،
فلم تهروننا وظلمونا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك،
ورغبتا في جوارك ورجونا أن نظلم عنك.

 فقال النجاشي: هل ملك مما جاء به عن الله من شيء، فقال له:

جعفر: نعم، فقال: أقرأ،

فقرأ عليه جعفر صدرًا من كهبعص، فبكي، والله النجاشي،
حتى أفشل ليته، وكبت أساقفته، حتى أخفضوا لحماه، حين
سمعوا ما تل أعيهم، ثم قال النجاشي: إن هذا، والذي جاء به موسى،
ليخرج من مشاها واحدة.

إنطلقا، فلأ والله لا أسلمهم اليكما ولا أكن.

فلما خرجا من عنه، وقد يبوا من مرادهما، قال أحدهما: وهو
"عمرو بن العاص": لا أتينه عنهم عدا بما يهلكهم لاجله، ثم غدا عليه
من الغد، فقال: أيها الملك، أنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولًا
عظيمًا، فأرسل اليهم لسائهم، قالوا: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع
القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تتولون في عيسى إذا سألتم؟ قالوا:
نقول والله ما قال الله، وما جاء به نبينا، كائنًا في ذلك ما كان.

فلم دخروا عليه، قال لهم: ما تتولون في عيسى ابن مريم؟
فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه: الذي جاءنا به نبينا: هو عبد
الله ورسوله، ورواه وكلمه، ألقاه إلى مريم العذراء، البتول.

قال: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا.

ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العدو،
فبتاخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: أوان نخترم،
والله، أذهبوا، فأتتهم "شيهم" ترجمته "آمنون"(1).

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام في خبر النجاشي هذا
(17) الأعلام).
هذا قول أهل العلم من قبلكم، العارفين بشريعكم، وما عدا ذلك فشجعته غناء وأوضار «اجتجحت من فوق الأرض، ما لها من قرار» (1)

وسأأتي إن شاء الله تعالى: قول هرقل: أثر هذا الباب، إن شاء الله تعالى.

كمل الجزء الثاني، والحمد لله وحده.

(1) ابراهيم: 26
أنواع القسم الثاني

في أثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

نقول: أن محمد بن عبد الله العربي القرشي الهاشمي الاسماعيلي
رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق في كل ما أخبر به عن الله تعالى،
ولا يجوز عليه شيء من الكذب.
وستدل على ذلك: بأدلة صادعة، وبراهين قاطعة، أصولها
ارة.

أربعة:

الأول: أنواع أخبار الأنبياء قبله، ووصفهم له في كتبهم.

الثاني: النظر في قوانينه أحواله.

الثالث: الكتاب العزيز.

الرابع: ما ظهر على يديه من خوارق العادات.

فهذه أربعة أنواع.
النوع الأول
من الأدلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
أخبار الأنبياء بهـ قبله

وإذنا قدمنا هذا النوع، وأن كان غيره أولي بالتقديم، لكون
الأنبياء الخبيرين بعلاماته، متقدمين عليه في الزمان، وكله
البشائر كانت مروية قبل مجيئه، ولكون المسائل الذي كتبها هذا
الكتاب جوابه، لم يطلب منا بجيله، إلا الاستدلال بما جاء في كتب
الأنبياء، وليكون هذا الباب مؤسسا له، وباعثا على النظر فيما بعده.
ولتعلم أن الاستدلال بهذا النوع، لا ينقطع به إلا من سدح بتلك
الكتب، وتوارت عنه.

ومن خلي عن شيء من ذلك، لا ينقطع بشيء منها، ولا يستد
 بها عليه. وأما ما بعد هذا النوع، فيستدل به على كل من أنكر نبوته
من سائر الفرق، فأما هذا النوع فانما هو حجة على اليهود والنصارى
لادعائهم: أن تلك الكتب تواترت عنهم.

وهذا النوع عندنا على التحقيق: أننا هو داخل في باب الالتزامات
لهم، ليظهر عنادهم وافحاصهم، ثم نتعلم أننا نذكر أخبار الأنبياء
المبشرة بنبأ محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم التي بأيديهم.
وعلى ما ترجها مترجوهم من غير زيادة ولا نقصان.
فمن ذلك: ما جاء في النوراة: أن الله قال لموسى بن عمران:
"أنى أقيم لبني إسرائيل من أخوكم النبي، أجعل كلامي على
فه، فسم عاصه انتقمتم منه."(1)
فإن قلت: إن ذلك أنما هو "يشوع بن نون"(2) قلنا: لا.

(1) الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية، الآية الخامسة عشر.
(2) اليهود إلى اليوم يقولون: هذا النبي لم يأت إلى الآن، وإذا أتى
سيكون منهم، والنصارى يقولون: هو عيسى، والحق: أنه محمد صلى الله
عليه وسلم لان إسماعيل بركة.
فقد قال في آخر التوراة: "لا يخلف من بنى إسرائيل نبي مثل موسى" (أ) فلا محالة أن ذلك الذي بشرت به التوراة لا يكون من بنى إسرائيل. ولكن من أخوة بنى إسرائيل فلننظر من هم أخوة بنى إسرائيل؟ فلا محالة: أنهم العرب أو الروم (ب).


ومن ذلك 34. ما جاء فيها أنه قال: "وهذه هي البحيرة التي بازك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته. فقال: "جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير، واستحسن من جبل فاران، ومعه جماعة من الصالحين" (د).

(1) تنمية 34: 10.
(2) يشير بالروم إلى سكان الأردن وهم نسل عيسى بن اسحاك عليه السلام.
(3) تكوين 16: 12.
(4) ترجمتها الحالية: "وينبغي أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب" (أعمال 3: 23). وفي التوراة: "وينبغي أن الإنسان الذي لا يسمع لكلام الله يتكلم به باسمه أدا أطلبه" (ثنينية 18: 19).
(5) الرعد: 34: 1-3.
(6) تنمية 34: 10.
فمجيئه من جبل سيناء: أن الله أنزل فيه التوراة، وكلم عليه موسى، وأشراته من جبل ساكور: أن دين المسيح إنا أشترمان من جبال ساكور، وهي جبال الروم من أدم (أو: واستعانه من جبال فاران: أن الله تعالى بعث منها محمد صلى الله عليه وسلم، وأوحي إليه فيها. 
ولأختلاف: أن فاران: "مكة" وقد قال في التوراة: "أن الله أسكن هاجر وابنها اسماعيل فاران (أ)")

وفي بعض الترجمات: "أقبل السيد من سيناء، ومن شعير تراهي لنا، وأقبل من جبال فاران ومعه آلاف من الصالحين، ومعه كتاب فارى، وهو ختم الأجناس، وجميع الصالحين في قبضته، ومن تدانى من قدميه يصب من علمه".

ففكر على انصف وتثبت من الجائز المقبول من جبال فاران، مع الآلاف من الصالحين، ومن جيء بالكتاب الذي ما منه سورة إلا فيها الوعيد على المخالف بالنار وعذابها وأغلالها (ب).

ومن ذلك: ما جاء فيها أيضا: أن الله قال لابراهيم: "قد استجبنك في اسماعيل، وباركته وكثرته وأنميته، جداً جداً، يولد له اثنا عشر عظيمًا، وأجعله لشعب عظيم" ولا يشک في أن الشعب العظيم هو محمد عليه السلام وأمته، إذ لم يكن في ولد اسماعيل أعظم منهم.

وقد تفتتح بعض النبهاء، من نشأ على لسان اليهود، وقرأ بعض كتبهم: فقال: في التوراة موضوع (أ) يخرج منها اسم محمد، بالعدد على ما تستعمله اليهود فيما بينهم.

ثم ذكر ما قدمته من قول الله لابراهيم: "قد استجنبتك في اسماعيل".

(1) ادوم هو ميسي وجبيل ساكور أيضاً يجاور القدس (يشوع 15)
(2) تكوين 21: 21
(3) تشير النبوءة إلى عذاب المسلمين الذين لا يسلمون من اليهود.
(4) الأول: بمواد ( جداً جداً ) والثاني: لجوى جدول ( شعب عظيم ).


وعذا من رشيق الفهم، وحلح البحث، وغرائب العلم.

وفي التوراة أيضا: أن ملك الرب قال لهم: " ستلندين ابني، وتدعين اسمه اسماعيل، يدعى على كل، ويد كل به. وسحل على جميع حدود أخوته" (1).

ولا محلالة أن اسماعيل، ولاده لم تكن أيديهم إلا تحت يد " أسحق " لأن النبوة الملكالما كانا في ولد أسحق، فلما بعث الله تعالى محمدًا، جعل يبني اسماعيل فوق أيدي الجميع، ورد النبوة والملك فيهم، وأنهمهم، وعظمهم، ويارك عليهم جدا جدا.

ومن ذلك ما جاء في الزبور الذي يأديكم أنه قال: " سبحوا الرب تسبيحا، حديثا، سبحوا الذي هيكل الصالحون، ليفرح إسرائيل بخالقه، وبنو صهيبون، من أجل أن الله استطاع لهم آمة، وأعطاهم النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحون الله على مضايعهم، ويكرون بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيف ذو ثائرتين، لينتمي الله بهم من الأمم، الذين لا يعبدوه، يوثقون ملوكهم بالقيود، وأشرافهم.

بالإجلال" (2).

(1) تكوين 16: 11-12

(2) المزمور المرة والتاسع والأربعون، وهو مثل الأمة الإسلامية في التوراة الذي تشير إليه سورة الفتح، ومثل الأمة الإسلامية في الانجيل مذكور في الإصحاح الرابع من مرقس.
أخبرنا • يا هؤلاء الجامدين للحق، المعرضون عن أخبار الصدق:
من هذه الأمة التي سيوفها: سيف ذوات شرفتين، ينتمي الله بهم
من الأمم الذين لا يعبدوهم؟ ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء؟ ومن
الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة في الأذان؟ هذه أوصاف محمد
صلّى الله عليه وسلم ووصوفاته، بلى برب، ولا رجع غيب.
وفي الزيور أيضاً: ذكر صفة محمد صلى الله عليه وسلم مقال:
ويجوز من البحر إلى البحر، ومن منقطع الأنهار إلى منقطع
الأنهار، وأنه يختر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، ويلحق
أعداؤه بانتزاب، وتناثر طولتهم بالقرابين وتستعيد له وتثبت له الأمير
بالمحاكم والإنتقاء لأنه يخلص المنصدم البائس من الأفروه منه،
وينقذ الفضيغ الذي لا ناصر له، ويراف بالضعفاء والمساكين، وأنه
يعطي من ذهب بلاد سبا، ويصلي عليه في كل وقت، ويدوم أمره إلى
آخر الدهر(1).
تأمل أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم فهي على ما ذكر، ودائم
عندها، واحدة، ولم تجتمع هذه الصفات والعلامات لأحد قبله، إلا
ما هو معروف من أحوال الأنبياء المتقدمين، عند العلماء المتصفين
غير الجاهلين المتصفين.
وفي الزيور أيضاً: أن الله تعالى «أظهر من صهون اكليلاً
محموداً»(2).
فالكيل: ضرب مثل لرياسته، ومحمود: هو محمد صلى الله
عليه وسلم، وقد بلغ دينه صهون وغيره.
وفيه أيضاً: «تقلد أيها الجبار سيفك، فإن ناموسك، وشرعتك
مقرونة بينينك، وسهامك، سنة، والأمم يخرون تحتك»(3).
تأمل من الجبار الآتي بشرائع يظهرها بالسيف والسهام: فانه
إذا تأملت ذلك لم تجد على هذه الصفات أحداً من عهد داوود إلا

---
(1) المزمور الثاني والسبعون.
(2) بالمعنى في المزمور ١٣٢: ١٨ والمزمور ١٣٣
(3) المزمور الخامس والأربعون.
النبي محمد عليه الصلاة والسلام • فهو المبشر به • لا محالة • وقد تقدم قول داود: « اللهم ابعث جاعل السنة، كي يعلم الناس أنه بشر» (1) •
فليس محمد هناك • فانه نص على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم • فانه جاعل السنة • وهو أخبر بأن المسيح: بشر • وليس بالله •
وفي الزبور(2) ترجمة « وهب بن منبه » يقول الله تعالى للداود عليه السلام في المزمور الخامس: « اسمع ما أقول • ومر سليمان • فليقل له الناس من بعدك: ان الأرض لي أورثها محمدًا • وأمته • فهم خلافكم لم تكن صلاتهمن بالطمانير • ولا قدسونى بالأوتوار » •
وهذا تصريح باسمه • وتأييد شريعته • وبيصفات أمته • وربور « وهب بن منبه » هذا الذي نقلت منه • أصح ما يوجد من كتاب الزبور • فانه أوثق وأعلم من كل ترجمة في سالف الدهو • ولكن النصارى مع ذلك يكذبون أنهم جاهلون ومعاندون •
ومن ذلك • ما جاء في الإنجيل الذي بابيديكم: أن المسيح تائل: « أن كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياي • وسارغب إلى الاب • فأن يبعث اليمبرقليط • ليكون معكم الى الأبد • روح الحق الذي لا تقبله الدنيا • لأنها لا تراه • ولا تعرفه • وأنتم تعرفونه لأنه نازل عليكم • وعندكم لا بث • ولست أدعكم أيتاما» (3) •
وفيه أيضا عن يوحنا: أن المسيح قال: « سيتفككم ذهابي • لأنى إن لم أذهب لم يأتكم البرقليط • وإن فتح سأبعث اليمبرقليط • وأذا قدم • سيعرف الدنيا بالائم والعدل والحكم • فأما المائم فتكتم الائم • وأما العدل فذاهابي إلى الاب • ولا ترون بعدها • وأما الذي يحكم بي فيها • فانه يحكم على صاحب الدنيا • وينشر • (1) سبق الحديث • (2) بالمعنى • وهو واضح في المزمور السابع والعشرين • (3) يوحنا 14: 15 - 18 •
وقد بقيت لي أشياء كثيرة، أعلمنكم بها، إلا أنكم لا تحملونها الآن. فإذا(SQL:31) قدم الروح الصادق فهو يعرفكم بالصواب، وليس يُعرفكم من ذاته، إلا بما يسمع، وسياَكم بما يكون، وسياَكم لأنها يصيب مني ويعلمنكم (1).

وَفِيهِ أَيْضاً، أَنَّ السَّيْجَ قَالَ لِلْحَوَارِينِ: "الَّذِي يُبَيِّنُى بِيَغْضُب
أَبِي، فَلْوَمِنْ أَطْلَعَ عَنْهُمْ مِنْ الْمَجَابِيحِ مَا لَمْ يَطْلَعَ غِيْرِهِ نَمَّ. لهُمْ بِهِمْ، لَكِتَاتَهُ، حَيْثَ قَالَ اَنْهُمْ كَرْهَونُونَ بِلَا ذَنْبٍ، فَإِذَا أَتَبَنَّى الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي أَبَيَّ الْيَلِيمَ مِنْ أَنْهُمْ، الْرَّوحُ الصَّادِقُ المَنْبَثِقُ مِنْ الدَّمِّ، فَهُوَ يُؤْدِيَ الشَّهَادَةَ عَلَى هَذَا، لِثَلَاثِ الْيَوْمَاءَ الْمُشاَكِبِ (2)

(2) الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ.

(3) الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ.

(4) الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ.

(5) الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ.

(6) الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ.

(7) الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ.

(8) الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ.

(9) الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ.

(10) الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ.

(11) الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ.

(12) الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ.

(13) الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ.

(14) الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ.

(15) الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ. الْبَرَقْلِيْط، الَّذِي صَبَرَ.
سألتم علىكم بيكم، وأنا أقول لكم: لا تروني الآن، حتى يأتي من تقولون له: مبارك الآتي على اسم الله (1)。
تأمل بشارته بالنبي محمد عليه السلام، وتوعده لهم بالانتقام منهم على يديه.
فإذا تأملت هذا على جهة الإنصاف، لاح الحق لذلك، ولا فمن
(2) كان في هذه أعمى، فهو في الآخرة أعمى، وأصل سبيل.
وقوله: "سأبعث" في الموضوع: تحرير، بدليل قوله فيما تقدم:
"سارغب إلى الآب في أن يبعث الليم البرقليط" فقد صرح هنا:
"لأن الباعث له: هو الله، لا هو و هو الحق، إذ قدر بين: أن المسيح
لا يفعل شيئاً من ذاته، وإنما يفعل ما يريده الله تعالى، وقد تقدم
قوله: "لست أنفخذ أرادتى، وإنما أنفخذ أرادة الرب".
وفيه أيضاً: أن المسيح قال: "أن التوراة وكتاب الأنبياء يتو
بعضها بعضًا بالنبوة والوحي حتى جاء يحيى. وإنما الآن، فإن شتم
ماقبلوا، فإن ايل مزعم أن يأتي، فمن كانت له أذنان سامعتان،
فلبعلي" (3).
(4) هو الله تعالى وجمهيره هو: مجيء رسوله بكتابه،
وأمره، كما قال في التوراة: "يواه الله من سبئاء" وما أشبه ذلك.
فإن قلت: قوله: "فان ايل مزعم أن يأتي" وقوله: "حتى يأتي
(1) آخر الأصحاح الثالث والعشرين من انجيل متي.
(2) الإسراء: 76.
(3) الإسراء: 3.
(4) فن المؤلف - ولا شك أنه ينقل عن غيره - أن عبارة الإنجيل
"ائي"، وتفسيرها الله مثل جبرائيل أي رجل الله، وإسرائيل، أي المهاجر
مع الله، ولكن الصحيح: أن الكلمة: ايليا، ويشير بإيليا إلى محمد صلى الله
عليه وسلم بحسب الجمل: فإن ملاك في الأصحاح الأخير من سفره يقول على
الله تعالى: "ما أنا أرسل الليم ايليا النبي قبل مجيء يوم الرب.
وعلى عليه السلام ينطق اسم محمد كما نطقه ملاك، وإيليا، بحسب
الجمل: يسوى اسم أحمد فالألف بواحد واليا، بعشرة، وبواحد، واللام بثلاثين، واليا،
بيثرة، ووالف، بواحد، والهمزة، وبواحد، واللام بثلاثين، واليا،
ا hồ، بواحد واليا، بنائحة، واليم برابعين، والدا، برابعة.
(270)
فالجواب: أنه لا يصح لكم أن تعترفوا ببنية واحد من هؤلاء، بل ينبغي لكم أن تكتروا بهم لأنكم ترون: أنه لا نبي بعد المسيح، وتسندون ذلك إلى كتبكم، فلما أن تكتبوا بقولكم لا نبي بعد المسيح، أو تنترو نبوءة من ذكرتم، ثم لو سلمنا أنهم أنيابا، فليسوا المراذين بما ذكر، لأنهم لم يأتوا بكتاب من الله، ولا بأوامر آخر.

وإليهم: أن يحكموا بكتب الأنياب قبلهم واتيناه الله فيما ذكر: انها هي عبارة عن اتيان نبي من أنيابه بكلمه وكتبه، كما قال (جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران) وهذا واضح للمنصف(3).

وقد زعم بعض المعارضين الجاهلدين ممن ينتظم إلى دينكم: أن البشر به في ذينك الموضعين(4): أنما المارد به رجوع بعض ما مضى من الرسل، وعودهم إلى الأرض، وال الناس(5)، وهذا تقولبط صدر عن معايند جاهل إذ لم يثبت شيء من ذلك على لسان نبي فاضل إلا ما صح(6) على لسان نبي من رجوع عيسى ابن مريم صلوات الله.

(1) يشير بالمبارك إلى محمد صلى الله عليه وسلم كما عبر داوود في المزمار المئة والثامن عشر.
(2) شمعون = بطرس.
(3) الإصلاح الثالث عشر من سنر أعمال الرسل.
(4) لم ينظر المؤلف إلى أن من عادة اليهود والنصارى تلقيب العلماء بلقب الأنياب وال.HasValue العلماء بلقب نبي الأنياب. وقد بينا هذا في كتابنا: (أقيام النصارى) وتحقيقنا: لنظمة الآيات الأبوصري في الرد على النصارى واليهود.
(5) يشير إلى: المبارك الآتي والائي.
(6) يغولون في المبارك أنه المسيح عيسى في مجيبه الثاني ويقولون في اليهود وهو يوجينا المهدان (بحكي على السلام) جاء إلى الدنيا بروح وقوة (الياس عليه السلام).
(7) لم تصح لأنها أخبار آحاد (انظر كتاب الفتاوي للشيخ شلتوت).
عليهم وسلامه اذ أخرج »الدجال« وقتلته له وفِي إنجيلكم اشارة الى هذا وهذا عندهم مبنا على أن الله تعالى رفع المسيح عليه السلام ولم يقتل وولا مات(1) بل رفعه الله إليه (2) على ما يأتي عند ذكر الصلوبية وانها يموت إذا قتل الدجال عند باب جده »لد« وبعد أن يهلك الله »يأوجج ومآوجج« على يديه.

وفي الإنجيل أيضاً أنه ضرب مثلاً للذين كفاحوا كمثل رجل اغترس كرماً وسبح حوله وجعل فيه مصورة وشيد فيه قمراً ووكلته أهماناجا تتغبر عنه فلما دنا أوان قطافه بعث عبده إلى أعوانه الموكلين بالكرم.

فضرب المسيح عليه السلام مثلاً للأنبياء ثم لنفسه ثم قال: نسيماع عنكم ملك الله متطاوة الأمة الطيعية.

فتأمله ثم ذكر في المثل: »صخرة« وقال: »من سقط على هذه الصخرة سينكسر ومن سقطت عليه يتشهم« (4) يريد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم من ناواه وحاربه أظهره الله عليه وكذلك قد أزاح الله منكم وأزاليكم عنكم وأعطاه أمة محمد حيث افتتحوا علينا بلاد الشام وبادية الغرب وردوكم في أكثر الأرض أهل ذلقة وصدام وأخذوا منكم الجزية بعد القتال الذريع والاسترقاق الشديد بعد أن كان ملككم راضحا وجبيل شامخا فهد الله بنيه قواعده ولينذف به الله مواده وأعظم شاهد على أن الله أزاح منكم كقال المسيح: أن الله تعالى أعطانا بيت المقدس وأظهرنا عليه وان كرهتم والسجح إليه عندكم من أعظم شرائعكم وشرائع اليهود ثم الواحد منكم لا يصل إليه حتى يلتحقو من الذلة والصارف، ما لا يخفى عليكم >وأولًا هم نوره ولو كره الكافرون« (5)

(1) لم يقتل عيسى وانما مات ورفع بروحه درجة لا رفعه جسد
(2) النسخة: 158
(3) هو مثل للناس على الأرض ورسل الله الرسل للهدياً ويشير بالامة
(4) المطيعة الى أمة الإسلام
(5) هذا المثل يشير »مثل الكرامتين المذكورتين وهو في الأصحاح الحادي والعشرين من متي
 salvation and peace be upon him. He warned about the Dajjal, who will be killed. He also mentions a parable about a person who fell on a rock and broke but the rock did not break. As for the angels, they fell to the ground after the people of the city were sealed by God. God sent an angel to the allies to open the gates of Damascus and the western borders. After that, their power was broken and the Prophet is the greatest witness. God opened the gates for the allies and they were not able to reach God's house. The allies were the first ones to receive the light of God, even if some of them resisted. This parable is from the Christians and is translated from the Aramaic language. The verse in the Bible is: "No one can oppress them, except God. And if any of them should resist, God will send an angel to them, who will cut off their heads and destroy them. And God will give them a place in the Gardens of Paradise."
وفي صفح أشعيا النبي الذي بآيديكم قال: "ستملي البادية والقصور التي سكنها قيدار، يسيمون، ومن رؤوس الجبال ينادون، هم الذين يجعلون الله الكرامه، ويئلون تسبيحه في البر والبحر"(1).

وفي صفح حزقيال النبي عن الله يقول: "اني هؤلاء قيدار بالملائكة"(2).

وقال: "ولد اسماعيل، بل اشكر، فالناء أبادية هذه البادية التي انتقلت من قصور الى قيدار، والذين ينادون بالأذان والتلبية من رؤوس الجبال، وجعلون الله الكرامه بالصلاة والحج والصوم والزكاة وغير ذلك وقث ثبت أن الملائكة قاتلت مع النبي صلى الله عليه وسلم في موقاط على ما يأتي ان شاء الله تعالى".

وقال أشعيا النبي عن الله: "عبد الذي سرت به نفس، أنزل عليه وحي، فيظهر في الأمم عدل، يوعى الأمام بالوصايا لا يضحك، ولا يسمع صوته في الأسواق، يفتح العيون النعور، يسمع الآذان الصم، ويحيى القلوب الغفل، وما أعطيه لا أعطيه غيره.

أحمد يحمده حمدا كثيرا، يأتي من أقصى الأرض، تفرح البرية، وسكانها يهللون الله على كل شرف، ويكبرونه على كل راحة لا يضحك، ولا يغلب، ولا يميل إلى الهوى، ولا يسمع في الأسواق صوته، ولا يذل الصالحين، الذين هم كالصفحة المتعيدة، بل يقوى الصديقين، وهو ركن للمتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفي ولا يخاضع، حتى تثبت في الأرض حجتي، وينقطع العذر به، والموتى توراته ينقاد الحق"(3).

فعتبر هذا التصريح باسم محمد وصفاته. وان هذه العلامات المذكورات على لسان هذا النبي لا يصح باحال أن توجد لغيره، ولم يكن الا له.

فان قلت: هو المسيح.قيل لك: تفهم لفظ الكلام ومساقه. وحينئذ تحكم بأنه "محمد" قطعا. وذلك أنه قال فيه "يوعى الأمام".

(1) أشعيا 21: 11-12
(2) حزقيال 27: 21
(3) أشعيا: الإصحاح الثاني والأربعون - والترجمة مختلفة كثيرا (18-الاعلام)
وهذا التصريح ببعثه للناس كافة، وعيسى نما بعث للإجناس من بني إسرائيل خاصة بدليل قوله في الأنجيل: "إني لم ببعث إلى الأجناس، وإنما بعثت إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل" (1)

وكذلك قال للحاربين: "لا تسلكو في سبيل الأجناس، ولكن اختصروا بالضرورة إلى الغنم الرابضة من بني إسرائيل" (2)

ثم قال "أحمد محمد الله" وهذا تصريح باسمه، فان اسمائه كثيره منها: محمد وأحمد، ثم قال "يهلون الله على كل شرف، ويكروه على كل رابية" وهذا اخبار بآداناهم وتليبهم، وليس هذا لأحد غيره، ثم قال "لا يضيع ولا يلبب" وأنتم تزعمون أن المسيح غلب على نفسه، وحمل على خشبة، وسمرت يداه فيها، وقتل عليها، بعد صنع وإهانة عظيمة، ولا درجة في الغلبة والضعف، والذلة تزدٌ على هذا.

وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد فتح الله عليه فتحاً مبيناً، ونصره نصرًا، وأظهره على كل عدو معاد. حتى أفعى الله دينه، وأفسح توحيده، وعصمه من كل شرور، ووقاه كل خوف، وكل مخوف، ومن أصل ما في كلامه: أن نبينا محمد هو المراد والمبشر به قوله "لا يخصاص، حتى تثبت في الأرض حجتي". فان هذا تصريح بالقرآن الذي جاء به، إذ قد عجز عن الأتيا ببطله، أو بسورة مثله جميع البشر، وإن كان فيهم اللد الفضخاء، والمهرة الحكيمة، فثبتت في الأرض حجة الله. وعلم أنه من عند الله، وسأتبى بيان هذا المعنى، إن شاء الله عز وجل.

وفي صحف حفيق أبناتى التي بأيديكم، قال: "جاء الله من التين، والقدوس من جبل فاران، وإملات الأرض من تحديد أحمد، وتقديمه، وملا الأرض بعينه". وقال أيضاً: "تبنى نوره الأرض، وسطنزع في قسيم أغرقنا، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء" (3)

(1) متي 15: 24 وهذا في بدء دعوته في نهبتها قال: انطلقو الى.
(2) متي 16: 19 انظر أيضا سيرة ابن هشام.
(3) هذا النص باختلاف في الترجمة يسير في الأصحاب الثالث من 
سفر حفيقة.
فيا مصر العشاء • انظروا عناد هؤلاء الجاهدين • وانكار هؤلاء
المعاهدين • وتواجع هؤلاء الجاهدين • كيف عرفنا هذه النصوص
القاطعة • والبشرات الصادعة • محكمين في ذلك أهوائهم • وهم
«يعرفون كما يعرفون أبناءهم»(1)

وفي صفح آشعه النبي قال: «قيل لي: قم ناظرا • فانظر •
خما ترى • تخبر به • قلت: أرى راكبين متقلبين • أحدهم: على حمار
والآخر: على جبل • يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل • وأصابها
النخرة»(2)

فصاحب الجمل هو: محمد صلى الله عليه وسلم • وصاحب
الحمار • باتفاق منا ومنكم • هو: السحح وليس محمد بركوب الجمل
 أشهر من عيسى بركوب الحمار • وإنها سقطت عبادة الأصنام ببابل
من دون الله • وهدت أئمتها بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وأماته •
لا بعيني ولا بغيره • مما زالت ملك بابل يعبدو الأئمتين من كون إبراهيم
إلى زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأماته(3)

وفي صفحه أيضا: «أتت أرض البادية العطشى • ولتبتته
البراري والفلوات لأنها ستعطي بأمامة • محاص لبان • كمثل خسن
الدنساك والرياض»(4)

هذا ينص على اسمه ووصفه ولهذا لا ينكره الا وقاح
مجاهر بالباطل الصرح •

وفي صفح آشعه النبي: «أتت أيام الفائت • أتت أيام

(1) الأانعام: ٢٠٠
(2) الإصلاح الحادي والعشرين من سفر آشعى
(3) الإصلاحات الحادي والعشرين من سنف آشعى
(4) الإصلاحات الحادي والعشرين من سنف آشعى
الكامل »(1) ثم قال: « لتعلموا يا بنى إسرائيل الجاهلين • أن الذي تسمونه ضالاً • هو صاحب النبوة • تفترون ذلك على كثرة ذئبكم • وعظم نجوركم » •

وفي الصحف النسبية للثاني عشر نبياً(2): « أن الله سيتجلى من القبائل • وتظهر كلمة النبى من جبال فاران • ظهرنا أبديا • ويعبد الله على ذلك في السموات والأرض • وكلما أヘルز الأراضي » •

وفي صحف حزقياى النبي الذي يبيدهم يقول عن الله بعد ما ذكر معايى بنى إسرائيل • وشيهم بكرمة غذاها • وقال: « لم تثبت تلك الكرمة أن قلعت بالسخطة • ورمى بها على الأرض • وأحرقت السمائم حرها • فقد ذلك غرس غرس في البدو • وفي الأرض المهملة • العطشى • وخرجت من أغصانها الفاضدة نار أكلت تلك • حتى لم يوجد فيها غصن قوى • ولا قضيب »(3) •

اعتبر أيضاً العائل • هذا المثل على جهة الأنساب يجانب الخطا • والزول • فأن الكرمة مثل لدين المسيح(4) ورسالته • وذلك أن مقاله كان في قومه زماناً يسيروا ورفعه الله عن أتباع يسبرين • أحد عشر • على ما زعموا • ثم أتباعهم على شرعهم المستقيم يسيرون •

ثم بعد ذلك نحو الأربعين سنة اعتراهم التبديل الكبير • والتغيير العظيم • حتى أحرقت ديار الكفر تلك الكرمة • فلم يبق منهم إلا بقية قليل عددهم • وخفي موقفهم بعث الله نبوة في أرض البدو • التي هي أرض اسماعيل ومشأه • ووصفها لها بالعطشى تصريح بوصفها • فأنها صحراء • وكأنها مهملة أما هو من النبوة • فانه لم يكن بها نبى من عهد اسماعيل إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم • ثم أنه شبه ما نصه النبي عليه السلام من الحرب والرعب بالناز • إلتي تأتي على كل شيء • فكذلك دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم • أظهره الله بالحج والسيف على الدين كله • ولو كره المشركون •

(1) الإصحاح الثاني والأربعين من أشعار من آية التاسعة •
(2) النص من الإصحاح الثالث من سفر حبيت الفيلت •
(3) حزقياى الإصحاح التاسع عشر •
(4) مثل لبني إسرائيل على الأرض •
وقد قدمت أن في صحف دانيال النبي، وقد نعت الكذابين وقال:
» لا تتمد دعوتهم ولا يتم قرباناتهم، وأقسم الرّب بساعة ألا يظهر الباطل، ولا يقوم لدع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة«

وهذا دين الإسلام الذي جاء به محمد عليه السلام له: ست مائة سنة، ونيف من الأعوام، وهو باق إلى آخر الأيام، والحمد لله على ما أولى من الفضائل والإنعام.

وقال دانيال النبي: وقد سَأَلَهُ الْمَلُكُ نَبِيَّةُ نَاصِرٍ عِنِّ رُؤْيَى رَآهَا، وَلَنْبُولَ أنْ يَكُبِرَ بِهَا، ثُمَّ بِتَفْسِيرِهَا، فَقَالَ: أَيْهَا الْمَلِكُ رَأى صنَّاَر بارع الجبال، أعلاه من ذهاب، ووسطه من فضة، وأسفله من نحاس، وسماه من حديد، ورجاله من فخار، فبينما أنت تتذكر اليه، وقد أُجْبِكَ أَذْنَبَهُ اللَّهُ بِحْجَرٍ مِنَ السَّمَاءِ، فَضَرَبَ رَأْسُ الصَّنَم، فطَلَّحَهَا حَتَّى اخْتَلَطَ ذَهْبَهَا وَفَضْتَهَا وَنُحَاسِهَا وَحَدِيدَهَا وَفَخْارَهَا.

ثم ان الحجر: ربا وعظِم حتَّى مَلَأ الأرْض كلها، قال له نَبِيَّةُ نَاصِر: صدقت، فأخطَرني بتأويلها.


فلنت، ولا يصح، لك يا أيها المخدوو، أن تدعى: أنه المسيح.
فانه لم يغلب الأمَّام كلها بل غلب بزعمك، فانه استضعف فأتين، وصلب، ولم يبعث إلى الأمَّام كلها عامة، بل إلى قوم بأعيانهم خاصة، وإنها محمد الذي غلب كل الأمم العرب منها والعجم على اختلاف أصنافها، وشنت ضروبها وأوصافها، فجعل الكل جنسا واحدا.

---
(1) انظر المؤرخة والتأمل.
(2) في المخطوطة: بخت نصر.
(3) الأصحاح الثاني من سفر دانيال.
وألزمهم دينا واحدا، وصيرهم أمة واحدة وجعلهم على اختلاف لغاتهم يتكلمون بلغة واحدة، أعني إذا قرأوا القرآن، إذ لا يمكن أن ينقل عن لسان العرب إلى لسان غيرهم، فإن ترجم بلسان آخر فليس ذلك هو القرآن، وإنما هو تفسير القرآن.

يا أيها الجاهل، الناذاك عن الحق العادل، قد كنت ذكرت في كلاكم: أن المسلم إن أقام شاهدا من كتاب الأنبياء أن فيها محمدًا منتظمًا، فدينه حق، ودين النصارى باطل. وقد أقونا والحمد لله: الشواهد من كتاب الأنبياء الأوائل على الذي طلبت، على نحو ما رسمت، بل هذه الشواهد في دلالتها على نبوة محمد أوضح وأقص مما استدللت أنت بها على نبوة المسيح.

وقد وجدت العاقل المنصف للنظر في أى الدلالات أبين وأوضح. أدلتنا، أم دللتكم؟ وعند الوصول إلى هذا القدر، الوقوف على تلك الشواهد الغرر تبين أن دين النصارى واليهود باطل وأنهم اما معاند وأما جاهل.

ولقد جاء في كتاب أشعيا النبي من نعوته وأوصافه، وذكر مكة بلده، وحج الناس إليها ما لا يبقى مركب ولا شكالة.

فمن ذلك، قال حاكيا عن الله تعالى: "سأبعث قوماً فيأنون من الشرق أفواجا، كالمصيغ كثرة، ومثل الطينان الذي يدوس برجليه" (1).

ومن ذلك أنه قال: "أبشروا واهتري يا أنيتها العاقر التي لم تلد، وانطقى بالتبسيح، وأفرح أن لم تحبلي. فإن أهلك سيكونون أكثر من أهلك" (2).

هذه من الله مخاطبة لمكة، على ما يقتضيه مساق كلامه. ثم شبهها بالعاقر من النساء، التي لم تلد من حيث أن مكة لم يبعث منها نبي من بعد اسماعيل إلا محمد صلى الله عليه وسلم. ولا يجوز أن

(1) الإصحاح الحادي والأربعون من أشعيا
(2) الإصحاح الرابع والخمسون من سفر أشعيا.
يكون العاقر بيت المقدس لأنها كانت مقر الأنبياء وقولة فان أهلك سيكونون أكثر من أهلي يعني بأهله بيت المقدس.

وفي نفس النص: أنه قال حاكياً عن الله: «قد أقسمت بنفسى كسمى أيام الطوفان أن أغرق الأرض بالطوفان» كذلك أقسمت الأسد خط عليك، ولا أرفسك، فإن الجبال تزول، والقلاع تنحل، ورحنتى عليك لا تزول.»

ثم قال في النص نفسه: «يا مسكينة يا مضطهدة.» ها أناذاً بآن بانجص حجارتك، وميزنك بالجوارح، وملك باللؤلؤ سقفك. والزبرجد أبواك، وتبعدين من الظلم فلا تخاف، ومن الضعف فلا تضعى. وكل صالح يعمله صانع لا يعمل فيه، وكل لسان ذلق يقوم مملك بالخصومة تقلجين. وسميكم الله اسمًا جديدًا.

وذلك كان اسمها الكعبة فسماها الله المسجد الحرام. وكذلك قوله بالخصومة تقلجين.» أنت هو إشارة إلى كتب الله الذي جاء به محمد رسول الله الذي أفتح كل خصم وأسكت.

وفي صفح أشعيب أيضاً: «فقومي وأشرفي، فإنه قد ورى زنده، ووقار الله عليك.» 300 أنظرى بنبك حولك فانهم مجتمعون. يأتتب بنوك، وبنائك على الأيدي. فحينئذ تنظرتين وتهرتين ويخفف قلبي ويتسع. وكل غنم قيدار تجتمع عليك وسادات يا نبموت يخمونك 300 وتفتح أبوابك ليل والنها فلها تغلق. ويتخذونك تقبلا 300 وتدعين بعد ذلك مدينة الرعب» (1)

فهاو على السلام قد وصف مكة بأوصافها التي لا تصح أن توجد في غيرها.

ومن أبين ذلك وأدله قوله: «وكل غنم قيدار تجتمع عليك، وسادات يا نبموت يخمونك» وقيدار، ونبموت، وله أسماعيل. وأغنمهم هي التي تساق إلى مكة هديًا، وهم أهل مكة، وخدام البيت. وليس بعد هذا بيان، وكذلك قوله: «ويتخذونك تقبلا» وهذا بشاره بالمبنى عليه الصلاة والسلام. فإنها لم تتخذ تقبلا إلا على عهد صلى الله عليه وسلم.

(1) الإصحاح الستون من سفر أشعيب.
وقال أشعياً: هذا في بعض التراجم هكذا: «أرفعي إلى ما حولك بصرك فستبتينجين، وتفرحين من أجل أنه تمثل عليك شروة البحر، وياتي عليك غنى الأمم، حتى تعمرك، قطر الأبل المؤينة تسقيك أرضك، عن القطارات التي تجمع عليك، وتساق عليك كبابين مدين، ويسير عليك أهل سبا، وتسرير عليك أعلام قيدار، ويخدمك رجال نبايوت».

فاعتبر هذه الأوصاف البيئة، والأعلام المتعلقة الظاهرة التي لا توجد في بلد إلا في مكة، ولا يصح شيء منها أن يوجد في بيت المقدس ولا في غيرها.

وقال أيضاً عن الله: «أعطى البادية كرامات لبنان، وبهاء جبل الكرمل» فالبادية: مكة، لبنان، الشام، وبيت المقدس.

وقال على أن ذلك: «وتشق في البادية مياه، وسواق في أرض الفلاة وتكون القياقد والأماكن العطش اليمناً، وتضير هناك محلة، وطريق الحرم لا تمر به أنجاس الأمم، والجاهل لا يضيل هناك، ولا يكون به سابع، ولا أسد، ويكون هناك مهر المخلصين».

وقال أشعياً أيضاً عن الله: «هآ أنذا مؤسس بصهون، وهو بيت الله حجار مفره في زاويه مكة، فليس هو مؤمنا فلا يتجلى».

وهذا اختبار منه عن الحجر المقدس الأسود، الذي في الركن اليماني، وهو الحجر الذي أنزله الله من الجنة، وكان أبيض فاسود لأجل خطياً بنى كدم، و«صهون» الجبل بإسناه، فلهذه دلالات واضحة، وشواهد راجحة، لا يعدل عنها إلا من قوم أتوفيق، فاستدير الطريق، ولا يتدربره ويتهم معانيها إلا من رافته التوفيق، وساعده الفهم والتحقيق.

فهذا ما رأينا أن نثبتنه هنا من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم من الكتاب المقدمة وفيها من الشواهد ما هو أكثر من هذا، ومن وقف بهم على ما في تلك الكتب، قضى من عنادين الخلفين العجب.

**

(1) الإصحاح السلوين من سفر أشعيا.
(2) الإصحاح الخامس والثلاثون من سفر أشعيا.
(3) المعنى في الإصحاح الثامن من سفر أشعيا، ولاحظ أن كاتب سفر أشعيا وضع النصوص محطة لأورشليم أو لكة.
النوع الثاني

الاستدلال على نبوته بقرائن أحواله صلى الله عليه وسلم

فأول ذلك ما ظهر على أبيه عبد الله بن عبد المطلب.

وذلك أنه لما أراد الله خلقه، وترب وفته، وحل حروق نطفته
من صلب أبيه، حمل بين عيني أبيه نور، وكان يراها الرافق كفره
البرس، وقد ثبت في كتب نبوته على آل السنة النجلة الكثيرة،
لا تأخذهم في الله لومة لائم: أن عبد الله بن عبد المطلب وان رسل
الله صلى الله عليه وسلم، كانت له أمائران، احداها: آمنة
أم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأميرة أخرى، ففعل يوما في
طين لبناء بيتها، فتعلقت به آثار من الطين، ففرمت تلك المرأة فدعاها
لنفسها، فأتلما على أبوها من الطين فخرج من عدتها، فاغتسل
وغسلها بما من أثر الطين، فدعتها تلك المرأة إلى نفسها فأحب عليها،
ثم خرج عامة إلى آمنة، فدخل عليها فأصابها، فحملها بمحمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم، ثم مر بأمرته تلك، فقال لها: هل لك
تالت: لا، انك مررت بي، وبين عينيك لبيرة مثل غرة الفرس، فدعوك
رجاء أن يكون لي فأبيت، ودخلت على آمنة، فذهبت بها.

ثم لما حملت به آمنة أمها، أتبت فقيل لها: إنك قد حملت بسيدة
هذه الأمة، فاذقاء وقع على الأرض، فقولي: أعيدي بالواحد، من شر
كل حاسد، ثم سمى محمدًا.

ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصري
من أرض الشام.

ولقد قالت أم عثمان الثقافية: حضرت ولادة رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فرأيت البيت حين وضع قد امتلا نورا، ورأيت

(1) انظر سيرة ابن هشام الجزء الأول ص 145 طبعة الكليات الأزهرية

بمصر سنة 1974 م
النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع على وولد صلى الله عليه وسلم مختوناً.

وكان أمه تحدث: أنها لم تجد حين حملت به، ما تجد الحوامل من ثقل وألم، ولا غير ذلك، ولما وضعته أمه، وقع على الأرض مقبوضة أصاب بده، مخيرا بالسبابة كالسبيح بها.

وذكر ابن دريد: أنه ألقت عليه جفنة لقا يراه أحد قبل جده.

فجأة جده، والجفنة قد انفقت عنه. ثم لم يبلغ عبد الله بن عبد المطلب أبوه أن توفي، وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به، فكفلته جده عبد المطلب، وقيل لجده: لم ستمت ابنك محمدًا، وليس هذا الاسم لأحد من آبائك وقومك؟ فقال: أنا لآرجه أن تحمده أهل الأرض كلهم.

وذلك أنه كان يرى في منامه، كأن سلسلة من فضة، خرجت من ظهره، لها طرف في السماء، وطرف في الأرض، وطرف في الشرق، وطرف في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة، على كل ورقة منها نور.

وإذا أهل الشرق والمغرب كأنهم يعتلون بها، فقصصاً، فعبرت له بمولود يكون من صلبه، يتبعه أهل الشرق والمغرب، ومحده أهل السماء، وأهل الأرض - فذلك: سماه محمدًا.

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه: والله أني لعلم يفعة. ابن سبع سنين، أو ثمان سنين، أعقل كل ما سمعته - إذ سمعت بهدما على أطم يثرب، يصرخ بأعى صوته، يقول: يا معشر يهود، فلما اجتمعوا له، قالوا له: وليك، ملك. قال: «طلع الليلة نجم أحمد».

ثم التمس له المراضع، فاسترضع له امرأة من بنى سعد بن بكر، اسمها حليمة بنت أبي ذويب. قالت حليمة: خرجت من بلدي مع زوجي. وأتيني في نسوة من بنى سعد، نلتمس الرضعاء - قالت: وفي سنة سهاء، لم تبق لنا شيا - قالت: فخرجت على أثانى لى قهراء.

معنا سامرف لنا. والله ما تفضح بقطرة، وما ننام ليضنا مع صبينا من بكائه من الجوع، وما في ثديي ما يغنيه، وما في شرفنا ما يغذيه، ولكن نروج الغيث والفرج، فقد حبست(1) الركب حتى

(1) حبست: في سيرة ابن هشام: أدامت. وفي نسخة: أدمنت.

وبيري: أدمنت.
فقه ذلك عليهم ضعفًا، وعجفاً، حتى قدمنا مكة، نلتمس الرضىاء.
فما منه أمرة إلا وقد عرض عليها محمد بن عبد الله فتربنا، فأقيل لها:
أنه يتيم.
وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبا الصبي، فكنا نقول: يتيم.
فما عسي أن تصنع أمه وبده، فكنا نكره لذلك. فما بقيت أمرة قدمت معي إلا أخذت رضياء. غيرى، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: إنى والله أكره، أن أرجع مبين صاحبي، ولم أخذ رضياء. والله لأذهب من ذلك التيتيم فأخذته الفقال: أعتلى، على الله أن يجعل فيه بركة، قالت: فذهبته إليه، فأخذته، وما حملني على أخذها إلا أنى لم أجد غيره.
قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رجلى، فلما وضعته في حجرى، أقبل على ثديرأ، لما شاء من لبن، فشره، حتى روى، وشرب منه، أخوه حتى روى، ثم نما، وما كنا ننام معه قبل ذلك.
وقام رجوع إلى شارفنا ذلك، فذا أنى حافلة، فحلب منها، ما شرب وشتر، حتى انتهينا: ريا، وشبنا. فبتنا بخير ليلة.
قالت: يقول صاحبى، حين أصبحنا: تعلمي، والله يا خليفة، لقد أخذت نسمة مباركة. قلت: والله أني لأرجع ذلك. قالت: ثم خرجنا، فكركتى أتاني وحملت عليها معي، فوالله لقطعبة بالركن ما يقدر على شيء من حرمهم، حتى أن صاحبى ليطلن لي: يا أبناء أبي ذؤيب:
ويحلك أربع عين، أليست هذه أتاكى التي كنت خرجت عليها؟
فأقول له: بلى، والله، فيقلن لي: والله، أن لاشنأ. قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها. فكانت غمي نتروح عليه، حين قدمنا به معنا، شبااعة لبنا، فتحلب، وشرب، وما يحلب إنسان قطرة، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضر من قومنا يتوالون لرغتهم، وحكم، أسرحوا حيث يسرح، راعى بنت أبي ذؤيب، فتروح أغلامهم جياعاً، ما يبض بقطرة، لبن، فتروح غمي شبااعة لبنا، فلم نزال نتعرف من الله الزيادة والخير، حتى مضت ستنتاه، وفصلته، وكان يشب شباباً لا يشبه الفلن، فلم يبلغ سنتيه، حتى كان غلامًا جفراً.
قالت: فقدمنا به على أمه، ونحن أحرص شيء على مكثه فينا.

لما كنتا نرى من بركته فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركت بني عندي،
حتى يغلظه، فانني أخشى عليه وباء مكة. قالت: فلم نزل بها، حتى
رديته لنا. قالت: فرجننا به، فوالله إنه بعد مقدمنا يشهر مع الأخيه
لفى بهم لنا خلف بيوتنا. إذ أتانا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه:
ذلك أخي الفرشي، قد أخذ رجلا علىهما ثياب بيض، فأضجعاه
فنشقا بطنه، فهما يسوطانه. يعني: يخلطانه. قالت: فخرجت أنا
وأبوه نحوه، فوجدناه قائما متقعا وجهه، قالت: فالتزمته، والتزمه
أبوه. فقلنا له: مالك يا بني، قال: جايني رجلان علىهما ثياب بيض
فاضجعاني، وشنتا بطني فالتمسا شيك، لا أدرى ما هو. قالت:
فرجننا به إلى خبائنا.

قالت: وقال لى أبيه: يا حليمة، لقد خشيته أن يكون هذا الغلام
قد أصيب، فألحقيه بأهله. قبل أن يظهر ذلك به. قالت:

فاختتمنا. لقدمنا به على أمه. فقالت: ما أقدمك به يا ظفر وقد
كنت حريصة عليه، وعلى مكثه عندك؟ قالت: فقلت: قد بلغ الله بابني،
وقضيت الذي على، وتخوفت الأحاديث عليه، فأدعته اليلك كما تجنن.
قالت: ما هذا شائك؟ فأصدقني خبرك. قالت: فلم تدعني حتى
أخبرتها. قالت: أنتخفتك عليه الشيطان ؟ قالت: قلت: نعم.
قالت: كلا، والله ما للشيطان عليه من سبيل، فإن لبني لشأنا. أفلا
أخبرك خبره؟ قالت: بل. قالت: رأيت حين حملت به أنه
خرج مني نور، أضاء لي قصور «بمسرى» من أرض الشام. ثم حملت
به، فوالله ما رأيت من حلقل قال، كان أخف ولا أيسر منه، ووقع حين
ولدته، وأنه لوضع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء، دعيه

(1) انظر إلى ص 153 سيرة ابن هشام - ج 1

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بدت وهم
وجده عبد المطلب بن هاشم في كالة الله تعالى وحفظه بينه الله نبتيًا
خمسنا. لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم ست سنين توفيت أمه آمنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم
مع جده عبد المطلب، وكان يوضع في صدر المطلب فراش في ظل الكعبة. فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك، حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه، أجاب الله: قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه، فأخذه عمله ليخرج عليه. فиков عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم، دعا ابنه فواداً أن له لسانه، ثم يجلسه معه على الفراش، ويصح ظهره بهده، ويرسه ما يراه يصنع فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنين، هكذا عبد المطلب، فجده قام معه أبي طالب. فكان يحميه و kell تحميه. فينادى هو عنده يوماً أذ قدم مكة رجل عابث من أرده، شنواً وكان ذلك الرجل إذا قدم مكة أتاه رجال قريش، بغلامين ينظر إليهم، ويعتاف لهم ويتعرض، وكان ماهرًا في ذلك معروفاً به، مجرباً عليه.

اذن: فأتاه أبو طالب، وهو غلام، قال: فنظر العائض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شغله عنه شيء، فلما فرغ قال: أن الغلام؟ على به، فلما رأى أبو طالب جربه عليه، غبين عنه. فجعل يقول: ويلكم، ردوا على الغلام الذي رأيت آنفاً، فولادة ليكون له شأن.

ثم أن أبا طالب خرج في ركب تأجراً إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل، ضبتَ عليه وابن طالب رضح الله صلى الله عليه وسلم فرق له أبو طالب، وقال: والله أخرجته به معه، ولا يفاتركني، ولا أفترقه أبداً، وكان يحبه حياً شديداً. فخرج به معه، فلما نزل الركب، «بصري» من أرض الشام، ويهزه راهب، يقول له: «بصري» في صومعة له، وكان الهماض علم النصرانية، ولم ينزل في تلك الصومعة منذ قات راهب يضرب إلى النصرانية، لأجل كتاب فيها. فيما يزعمون يتوارثونه كابراً عن كابراً. فلما نزلوا ذلك العام، بصحراً، وكان كثيراً ما يعرض به قيل ذلك، فلا يعرض لهم، ولا يكلفهم حتى كان ذلك العام. فلما نزلوا قريباً من صومعته، صنع لهم طعاماً كثيراً.

(1) سيرة ابن هشام إلى ص 156 - 1
(2) في السيرة: صب، وفي غير رواية: أبي بكر: ضبت به، أي لزعة
قال الشاعر:
كان فؤاداً في يد ضبتته به، محاذرة أن يقضب الجبل قاضبه.
وذلك عن شيء رآه في صواعمه، وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من صواعمه وهو في الركب حين أكلوا، وغما بهم، تظله من بين القوم. ثم أكلوا، فنزلوا في ظل شجرة قربا منه، فنظر إلى الغماة حين أطلت الشجرة، وتهيصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صواعمه. وقد أمر بذلك الطعام، فصنع ثم أرسل اليهم فقال: اني قد صميت لكم طعاما. فقال له رجل: والله يا بحيرا، ان لك اليوم لشأنا، فما كنت تصنع هذا بندا. وقد كنا نمر بك كثيرا. فما شأنك اليوم؟

فقال له: بحيراً: صدقته. قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف. وقد أحببت أن أكركم، وأصنع لكم طعاماً. فتأكلون منه كلامكم، فاجتمعوا اليه، وتفهل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة. فلما نظر بحيرا في القوم، لم ير الصفة التي يعرف، ويوجد عنه. قال: يا مشعر قريب، لا تتخفف أحد منكم عن طعامي، فقالوا له: يا بحيرا. أما تخفف عنكم أحد، ينبغي له أن يشمله إلا غلام، وهو أحد القوم سناً، فتخفف في رحالهم. قال: لا تفعلوا. دعوه، فليحضر هذا الطعام مكم.

فجاء وقد احتضن رجل من القوم، فلما رآه بحيراٍ جعل يلحوظ لحظة شديدة وينظر إلى أشياء من جسدته قد كان يجدها عنده من صفته. حتى إذا فرغ القوم عن طعامهم وتفهروا قام إليه بحيرا وقال له: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه. وانما قال له بحيراً ذلك لأنه كان يمسق قومه يحلفون بهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسألني باللات والعزي. فوالله ما أبغضت شيئاً قط، بعضهما.

فقال له بحيراً: فباليه الا ما أخبرتني عما أسألك عنه. قال له: سل عما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حالته في نومه، وهيئته وأموره. فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيراً من صفته. ثم نظر إلى ظهره فرأى خاطم النوبة بين كفته على موضعه من صفته التي عنده. وكان مثل أثر المحمج ثم أقبل على

فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدها مكة حين فرغ من تجارته. فزعموا فيما يروى الناس أن، (زريرا) و (تيماء) و (دريسا) – وهم نفر من أهل الكتاب – قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رأى بجيرة في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب فأرادوه، فزعم عنده بحيرة وذكرهم الله، وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم أن أجمعوا لآرادوا به لم يخلصوا إليه، ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال: فتعرجو، وانصرفوا.

فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعالمه تعالى يكلؤه ويحفظه، ويحوطو من أقدار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلًا أفضل قومه مروية، وأحسنهم خلقًا وأكرهم حسبًا، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم خلما، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تنديس الرجال، تنزها وتكروا، حتى ما اسمته في قومه إلا الأمين. لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، خمساً وعشرين سنة، وعرفت أمانته، وصدق حديثه، وظهرت بركته، عرست عليه، خديجة بنت خويلد، فما يخرج به مسافرا إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار. مع غلام له، يقال له (ميصرة) فقد بلج رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، وخرج في ذلك الملل، وخرج معه ميصرة، حتى قدما الشام. فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قربا من صومعة راهب من الراهبان. فاطلع الراهب(2) يقال أن اسم هذا الراهب: نسطور(1)

(1) إلى ص 167 من السيرة
(2) يقال أن اسم هذا الراهب: نسطور.
288

إلى ميسرة وقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟
قال له ميسرة: هذا رجل من قريش، من أهل الحرم. فقال له الراهب:
ما نزل تحت هذه الشجرة قط، إلا النبي.
ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها،
واشترى ما أراد أن يشتري. ثم أقبل قافلا إلى مكة، ومعه ميسرة.
فكان ميسرة إذا كانت الهجرة، واشتد الحر، يرى ملكين يظلانه من
الشمس، وهو يسير على بعيره.
فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعته ما جاء به بأضعف
أو قرية.
وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعن ما كان يرى من أطلال
الملكين اباه، وكانت خديجة رضي الله عنها مرأة حازمة شريفة لببة،
مع ما أراد الله بها من كرامتها. فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها بعثت
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت له: يا ابن عم. أني
قد رغبت فيك لترائبك ووسعتك في تومكت وأمانتك وحسن خلقك، وصدق
حديثك، ثم عرضت عليه نفسها.
وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا، وأعظمهن شرفًا،
وأكثرهن مالًا. كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو بقدر عليه.
فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لأعماه، فخرج
معه عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على «خويلد بن أسد»
فخطبه إليه. فنتزوجها.
وقد كانت خديجة بنت خويلد، قد ذكرت لورقة بن نوفل، وكان
ابن عمها، وكان نصرانيا، قد تتبع الكتب، وعلم من علم الناس ما ذكر
لها غلامها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه. إذ كان الملكان
يظلانه. فقال ورقة: لئن كان هذا حقًا يا خديجة فإن محمدًا لنبي
هذه الأمة. وقد عرفت أنه كان لهذه الأمة نبي. ينتظر هذا زمانه —
أو كما قال —، فجعل ورقة يسبطاء الأمر، ويقول: حتى متى؟ (1)
فلما تقرب زمان مبعثه كثرت آحاديث الكهان عن نبوته، والأخبار
بذلك فبشر بقرب ظهوره جماعة من الكهان.

(1) إلى ص 175 سيرة ابن مشام - ج 1
وأما اليهود فكانت تكون بينها وبين العرب شور وحروب. قريبًا أصابت العرب منهم. فكانت اليهود تقول: قد تقرب زمان النبي، سيسبع الآمن، نناقشوته منهم قتل عاد وارم، ثم لم يلبثوا حتى ظهر. وعرفوه بما يعرفون أبناءهم.

فلما بعث فت مهم من آمن بهم ومنهم من كفر به حسدا وعنادا، كما فعلتم أنتم.

ولقد قدم المدينة نفر من اليهود يتهمون هجرته اليها، وكانه فيهما من ذلك ما يحكى عن ابن الهيثم، حبر من أخبار يهود. ومن كان ينتهي اليه علمهم وكان فاضلا في دينه، جماب الدعوة.

من علم ذلك منه بكترة تجربة ذلك. فقال ليهود يوما: ما ترونوا أخرى من الشام، أرض الحمر والخمير إلى أرض اليهود والجروح؟ قالوا له: أنت أعلم، قال: فاني قدمت هذه البلدة أتوتفر خروج نبي قد أظل زمانه. وهذه البلدة مهارجة. فذكرت أرجو أن يبعث، فأرجع، وقد أظل زمانه. فلا تسقين اليه يا مبعثر يهود، فانه يبعث، بسفك الدماء، وسبب الذلارى والنساء، ومن خالفه، فلا يمنعكم ذلك.

فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحاصر بنى قريطة.

قال نفر من اليهود: يا بنى قريطة، والله أنه للنبي الذي كان عليه الليم في ابن الهيثم. قالوا: ليس به. قالوا: بل، والله أنه له، بصفته، فنزلوا وأسلموا، ومنه هذا كثير.

ومن أوضح ذلك وأبيته: قصة سلمان الفارسي، وذلك أنه كان تنصر، وقرأ كتبكم، وببحث عن جماعة من أهل دينكم، أعني الذين كانوا متسكين بدين المسيح، فلم يزل ببحث عنهم واحدا بعد واحد.

وخدمهم حتى يحضرون الوفاة. فكان الواحد منهم إذا حضرتهم الوفاة، وواد ماب يمكن، به على مثل دينه، وحاله، ويبعه عليه، إلى أن وصل إلى عمورية إلى أرض الروم إلى راهب نصراني كان.

قال سلمان: فآمنت عند خير رجل، على هدى أصحابه وأمرهم. يعني الذين، كانوا دلوا عليه، إلى أن حضرتهم الوفاة.

(19 - الإعلام).
قال: أم بني، والله ما أعلمه، أصبه اليوم أحد على مثل ما كنت عليه من الناس آمرك به أن تأتيه. ولكنه قد أظهر زمان نبي وهو مبعوث بين بني إبراهيم يخرج بأرض العرب، مهاجره الي أرض بين حرتين، بينهما نخل، به علامات، لا تخفى على اليدين، ولا يأكل الصدقة، وبين كتبه خاتم النبوة، فأن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فأفعل.

ولو ذهبتي إلى استقصاء مثل هذا، لطال الكتاب.

فلما بلغ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه

الله تعالى رحمة للعالمين، وكافئة للناس بشيرا ونذيرا،

فكان أول ما استدعى به من الوحي: الرؤيا الصالحة في النوم،

وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حسب الله الخلوة،

فكان ينطق إلى الكهوف والجبال ويدأوي إليها.

فكان يخло بغير حراء، وكان في ذلك لا يمر بحجر ولا شجرة إلا.

قال: السلام عليك يا رسول الله، فيلةعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله عن يمينه وشماله وخلفه، فلا يرى إلا الشجرة والحجار.

فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ما شاء

الله أن يمكث، ثم جاء جبريل صلى الله عليه وسلم بما جاءه من كرامته

الله، وهو بحراء في رمضان، ومن ذلك الوقت ظهرت آياته، وعصمت

(1) إلى ص ٢٠٠ من السيرة النبوية لابن هشام. - ج
بركاته، وتتوالى رسالته ومعجزاته، واذ ذاك جمع الله له كل خصال الكمال، وخصه بصفات الشرف والجلال. فلقد جمع الله له الكمال.

الظاهر والباطن بما جعل فيه من الفضائل والمحاسن.

وينبغي الآن أن يعرف الجاد والجاهل بعض ما خص به من صفات الكمال والفضائل.

اعلم أن الكمال البشري ضربان: ظاهر وباطن. وكل واحد من هذين الضربين ضربان: ضرب يكون الإنسان مجبولا عليه، ولا اكتساب له فيه، وضرب يكون مكتسبا للإنسان يحصل له بسعيه، وتكسبه. فقد انحصرت صفات الكمال في أربعة أقسام: كمال ظاهر ضروري، وكمال ظاهر مكتسب، وكمال باطن ضروري، وكمال باطن.

وقد جمع الله هذه الأربعة الأصناف للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ونحن نذكرها جملة ثم نشرح بعد في التفصيل أن شاء الله تعالى.

أعلم أننا نذكر من صفات كماله وجلاله، الشهر بشرط الاختصار، خوفاً من التدويل والاختيار، ولو ذهنا إلى الاستقصاء لعجزنا عن ذلك.

فمن ذلك: كمال خلقته، وجمال صورته، وفصاحته لسانه، وشرف نسبه، وعزة قوته، وكرم أرضه، وقوة عقله، وصحة فهمه، ومتين علمه، وجميل صبره، وعظيم حلمه، وحسن تواضعه وعدله، وزجيل زهده، وفضله، وعميم جوده وكريمه، وثيق عهوده وذمه، ورائق سمته وأدبه، وظهارة ذاته ونسبه، وعظيم شجاعته ونجدته، وكيهان حيائه وعودته.

وجملة أمره صلى الله عليه وسلم: أنه كمال الناس، خالصاً، وأفضلهم حالاً، وأعلمهم بحدود الله أخوهم من الله.

فأنا كمال خلقته، وجمال صورته، فشيء معلوم، لم يذهب.

1 السيرة النبوية لابن هشام ص 167 - ج 1
2 انظر في الأوصاف الجسدية للنبي صلى الله عليه وسلم كتاب
3 (العوافي نباح السمعي) لابن الجوزي، تحقيق مصطفى عبد الواحد، طيبة
4 (دارالفكر الحديثة بصرى 100 الجزء الثاني) فلقد ذكر أحاديث نبوية كثيرة في
5 صفات الخلية
أحد من أعدائه إلى خلاف ذلك، ولا استطاع أن ينسب إليه نقصاً، ولا شيناً في شيء من ذلك. لقد أعرف الفلك: أنه كان أزرار اللون، أدع العينين، أشك، أهداب الأشجار، أخف، أعز، أني، حدود الوجه، واسع الجبين، كثيرة اللحية، تملأ صدره، موصولاً ما بين اللبية والسراشة بشعر، واسع الصدر، عظيم الفئران، ضخم العظام والعضلات، والذراعين، والأصفياف، رحب الكفين، والثديين، سائل الأطراف، من التجرد، دقيق المسيرة، مرئية القد، ليس بالطول البائكن، ولا بالقصير المتردد ومن ذلك فلم يكن يمشي أحد ينضى إلى الطول الطاله، رجل الشعر، إذا افترض ضاحكاً عن جمان، افترض عن مثل سنا البرق، وعن مثل حب الغمام، إذا تكلم رؤى كالنور يخرج من تفتيه، أحسن الناس عنقاً، ليس بمظلم، وصاف، متسامس اللحم.

قال ناعته: ما رأيت أحداً في حلة حمراء - مرجلاً - أحسن منه صلى الله عليه وسلم. كان الشماع تجري في وجهه، وإذا ضحك يتلالاً في الجد، واجبل الناس من بعيد، وأحسنهم من قريب، من آراء بديئة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه.

يقول ناعته: لا أرى قبله، ولا بعده مثله - طيب الرائكة والعرف.

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يعرف برائحته، وأن لم ير، ولقد كان يطيب برائحته، ويوضع في الطيب، فين شأ أكثر منه (1).

ولقد كان يضع يده على رأس الطفل رحمة له. فكانت تنتم عليه رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم، ولقد استمر وصيح أنه صلى الله عليه وسلم بعد موته، طال مكثه في البيت قبل أن يدرخ يومين، وليلة في الشهر، وكان موته في شهر (أيلول) ومع ذلك فلم يتغير لها ريح.

(1) "كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لم يكن بالطول المغط، ولا القصير المتردد، وكان رصياً من القدو، ولم يكن بالقد المغر، ولا الساط: كان جيداً رجلاً، ولم يكن بالذيل، وكان أبيض شريباً أدع العينين، أهداب الأشجار، جليل المشاش ولكلد، دقيق المسيرة، أجرد، شنن الكفين والثديين، إذا مشي تلمع. كان يمشى في ماب، وإذا التفت النت، بج كنفيه خاتم الدناب، وهو خاتم النبيين، أجزا الناس كنا، وأجرا الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفي الناس ذمة، وألينهم عريقة، وأكرهم عشرة، من رأه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه، يقول ناعه: لم أرى قبله ولا بعده، مثله صلى الله عليه وسلم" (سيرة ابن مشام 2 ص 35).
ولا ظهر عليه شيء مما يظهر على الموتى حتى كانت الصحابة رضي الله عنهم. تقول له: طبت حيا وميتا.

ولقد روى أن آمن سلمة قال: وضعت يدي على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ميت، فمرت على جمع، لا أكل ولا أنتوضاً. لا وجدت ريح المسك من يدي.

فإن قيل: نسلم أنه كما وصفت. لكن أي فضيلة لحسن الصورة الظاهرة؟ وأي مزية لها على غيرها؟ إذ ريب قبيح المنظر، حسن الفعل والخبر، ورب حسن الظاهرة، والنظر. قبيح الفعل والخبر.

فنقل: هذا الذي ذكرت يندر، ويقل بل لا يبعد أن يقول قائل: لا يوجد كامل الصورة الظاهرة إلا وهو كامل الصورة الباطنة. إذ كلاهما انما سببه بحسب ما أجرى الله العادة مزاج معقل، فهما شرمتا مشرار واحد، ولأسى هذا - والله أعلم، لم نسمع قط عن نبي من أنيبياء الله تعالى، أن الله تعالى خلقه ناقض الخلقه، أو مشوهة، نلهم إلا قد طرأت على بعضهم آيات لأسباب شاءها الله تعالى. مثل أيوب وغيره. وليس الكلام في الطارئ. وإنما الكلام في أصل الخلقه. ثم أن الحكمة والعلاءمة قد استدلوا بحسن الخلق على حسن الخلق. حتى أن الحكمة قالوا: اتصوا بحوائجكم سماح الوجه.

فانه أنجز لها أو فانه أحرى أن تقصي.

وأيضاً: فأن الجمال والحسن محصول بالطبع، ومرغوب فيه.

والقصب منثور عنه، ومتصدح الله تعالى: أن يحب الأنيبياء، وأن لا ينفر منهم. والحسن موجب لذلك. وأيضاً: فان صفة النبي هذه هي صفاء جده إبراهيم خليل الرحمن، حتى كأنه هو على ما ثبت من صفة إبراهيم في كتب الأنيبياء عليهم السلام.

وأما فصاحة نسائه، فقد أطل من الفصاحه، على كل نهاية.

بلغ من البلاغة كله غاية، فلقد اعتنين صلى الله عليه وسلم سلامة الطبع، وبراعة المنزع، وعدوية النظرة، وحسن الإ yardım، وجزاء القول، وصحة المعلنة، مع إيجاز النظرة، وقلة التكلف.

فإن أوير على الله صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، وبدائع الحكم، فلقد كان يخالب، كل حي من أحياء العرب بلغتهم، ولم يكن يقتصر على لغة واحدة، مع أنه انشأ على لغة بنى سعد وقريش، وكان يعرف لغات.
غيرهم • حتى كانوا يتعجبون منه ويتولون • ما رأينا بالذي هو
أفسح منه • وهذا معلوم عند الفصحاء العرب العرباء •
ويقف على معرفة ذلك بالذوق والشاهدية من كان عارفا بلسان
العرب ولغتهم ووقف على شيء من كلامه معهم • وأمامهم أن
وأما نسبه • فمعلوم لا يجهل • ومشهد لا ينكر • جده الأعلى
إبراهيم • والأقرب عبد المطلب • كانا عن كابر • وشريفا عن شريف •
فهم بين أنبيائهم فضلاء • وبين شرفاء حكام • وهذا كله مسلم لا يمنع •
ومقبول لا يدفع • فهو صلى الله عليه وسلم من خير قرون بنى آدم
قرنا • فترنا • وذلك أن الله علمنا من ولد آدم إبراهيم • وأصفه
من ولد إبراهيم إسماعيل • كما قد شهدت التورة وغيرها بذلك • وأصفه
من ولد إسماعيل بنى كنانة • وأصفه صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم •
فهو خيار • من خيار • من خيار • وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم
تبعث في أشرف أنساب قومها صلى الله عليهم • ذلك ليكون أميلا لقلوب
الخلق فيهم • والله أعلم •
وأما عزة قومه • فقد كانوا في جاهلية لم ين لهم سباء • ولا ظفرت
بهم أعداء ولا دخلوا في أغلب آزمانهم تحت قهر غيرهم • بل كانوا
قد حازوا الشرف الباهر • والمفاخر والᒪائر • هم أوفر الناس غثولا
وجلهم فضولا • وأفضح الناس مقالا • وأكرمهم فعالا • الشجعان
الكراء • والحكام الأدباء •
أما سفاس الأخلاق ودنيا • فهم مثيرون عنها • وأما حسنها
وعلوا فهم أحرص الناس عليها • والموصوفون بها • وكفى دليلا على
ذلك ما علم من حسن جوابهم • وكريم عمودهم • وعميم بذلهم وجودهم
وكل هذا من أوصافهم معروف • والغالب منهم بذلك موصوف • وحق
لقاتهم أن يقول •
لكن الشرف الذي يطأ الثريا
مع اللجز الذي بذر العبادة
وأما أرضه • فنافية من أرض أسس بقيتها إبراهيم الخليل •
وأمره بأن يدعو الناس إليها الملك الجليل • وتولى عمارتها • والقام
بها • النبي اسماعيل • وتوارثها الأشراف جيلا بعد جيل • وكفى بلدهه
شرفا ما فعل الله بملك الحبشة الذي جاء لهدمها • فلما تقرب منها • وعزم
على هدمها، ووجه فيله عليها أرسل الله عليهم طيرا أشياء الخطاطيف،
مع كل واحد منهم ثلاثة أحجار: حجر في مقرره، وحجران في رجليه.
فرمت الطير ذلك الجنين بتلك الجهات، فكل من أصابه من تلك الحجارة
شيء هلك مكانه. وأصاب ملكهم منها حجر فهلك بعد أن تتأثر لحمه.
وتساقط أنثمة آملة.

ففترقوا في كل وجه، وأكلهم الله كل هلاك، وبدد شملهم أي
تبدد، وكل هذا معروف لا ينكر، ومشهور لا يجهل. فهذه الأرض
على محلها وجدبها، وشفت عيش أهلها: خير البلاد عند ربيا،
دل على ذلك كلام الأنبياء والرسل، وما جاء من ذلك في متقدم الكتب.
ولا يظن الجاهل: أن خير بلاد الدنيا عند الله أكثرها خصبا،
وأعظمها فاكهة وأبا. فان هذا ظن من ليس له نطق ولا فهم، وهمته
ما يجعل في بطن كابله. بل خير البلاد عند الله ما كبدته فيه المفاجئات
التي توصل إلى ما عند الله من الدرجات، وكانت مع ذلك مما قدس،
وانتشرت منه الديانات.

وكل ذلك في حق أرضه معلوم من جهة النزوات، وسيأتي ما ذكر
الله تعالى في مكة بلده عليه السلام على لسان أشمياء عليه السلام.
وأما قوة عقله وعلمه، فلقد أوعزتنا ما لم يؤته أحد، وأعطى
منها ما لم يعطه والد ولا ولد. وكفى دليلًا على ذلك: ما ظهر عليه
من حسن السياسة، وأحكام أمور الرياسة، والأخز في العلوم العقلية
من غير اكتساب شيء مما يحتاج إليه من المقدمات حتى اتخاذ أرباب
كل علم. كلامه في ذلك العلم أصلا. يرجع إليه ويقول في صناعته
عليه. فناترا يكون كلامه في بعض العلوم مشتتا مهما، وأخرى متما.
ومؤيدا. وان أردت أن تعليم ذلك علم البيئين، فتتأمل تأليل اليقظين
وإستمتع من ذلك: الكتاب والسنة، ففيهما كثرة الخبرات، وعظمة
المنه، فانك تجدونما قد جمع له منهما: علوم الأولين والأخرين، على
اختلاف أصول العلمين من الرياضات على اختلاف أصولها، والآلهيات
مع تعذرها على أكثر الأفهام واكتسابها، والسياسات على تشترط
أوصافا.

أما الأمور الصلحية التي يعبر عنها بالقوانين الشرعية، فيقضي
العقلاء منها العجب: فإنه أطل منها على أعلى المراتب والرتب، وكذلك
أن أعمال شريعته صلى الله عليه وسلم انتقسمت إلى أمور تعبدية مثل الصوم والصلاة والحج، وغير ذلك مما لا يدرك معانيها وحكمها إلا من أهله، في تصميم خاص، فأمر بالمعارف بابطنا، وزين بالأعمال ظاهره، وإلى أموال مصلحة يدرك معانيها الجفلي والجمهور من أهل الديانة الحنفية.

ثم أنه اعتبر أصول مصالح العالم فأوجبها، واعتبر أصول مفسد العالم وحرمها، وأصول المصالح إما هي خمسة: المحافظة على صيانة الدماء في أحبها، والأموال على ملكها، والأنساب على أهليها، والقول على المتصفين بها، والأديان التي بها عيش النفس وزكاتها.

فأصول الشريعة، وإن تعددت صورها، فهي راجعة إلى هذه الخمسة، ففاها بمرتبة واحدة، أو بمراجعة على ما يعرف في موضعه.

وأما الدماء فقحتها بأن شرع: أن من قتل يقتل، ومن جرح يجريح، ومن فقاً على إنسان، فقعت عليه، وهكذا.

فإذا علم القاتل: أن يفعل به مثل ما يفعل انكف عن القتيل فحصلت حياة النفس، وصيانة الدماء، ولأجل ذلك قال الله تعالى: «ولكم في القصاص حياة، يا أولى الألباب» (1).


وأما الأموال في قضائها على ملكها بأن شرع قطع أذن السارق للنصاب، وقتل المحارب، ودعم مثل اللطف، أو المقصود أن كان مما له مثل. فإذا علم السارق والمحارب أنهما يعاقبان بما يناسب جنايتهم، أرددنا وانكفا، فانحفظوا الأموال.

(1) البقرة: 179
(2) الحجرات: 13
وأما العقول، فحرم استخدام ما يؤدي إلى تلفها، وذهابها.

وذلك أن مناط التكليف: العقل، وهو الذي يعرف الله تعالى، وهو الذي ينظم صالح الدنيا والدين، فإذا أذده الإنسان بالتشر، وما في مناعة. فقد تعرض لاستثناء التكليف وكفر بالله تعالى، بل لكل المسلم، ولكل هذا قال عليه السلام: (الشر، جمع الأمل؛ وأم الخبيثات والكبائر) ولأجل هذا قال الله تعالى: "أما الخمر واللسر والأنصاب والأزلام، رجس من عمل الشيطان، فاجتيبوه لحكم تقلعون. أما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر واللسر، وصدكم عن ذكر الله، وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون؟".

ثم أدرك الكف عن الخمر بأن شرع على شريء جداً هو ضرب بالسوط، ليكون ذلك أبلغ في الرعد والجزر.

وأما حفظ الأئمة وصيانة اختلاط المياح في الأحلام، فشرع النكاح، وحرم السفاح، لينتسب كل ولد لوالده، ويتبع الوالي عن مضاده، ولينضاف كل إلى شيعته، ويتحقق نسبته بقبيلته، ولأجل هذا، قال الله تعالى: "يا أباه الناس! أنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعرفوا".

ولم لم يكن ذلك لارتفع التعارف، ولم يسمع، ولاتسع خرق لا يوقع.

وأما المحافظة على الأديان وصيانتها، فهو المقصود الأعظم، والمستند الأعظم، فحرم الكر والفسوق والعصيان، وأوجب الطاعات والإيمان وأوجب قتال الكافر، وتوعده بالعذاب الدائم والهوان، ولا يخفى على من مهذ أدنى مسكة، إذا تأمل بأخذنها فكرة: إن الإيمان

(1) المائدة : 90، 91 وتحريم الخمر بآلية في الأعراف، وهي:

«قل إنما حرم ربنا بما فتحوأنا وما بهن ولأنما أقيم على ضوابطه» (الأعراف : 74) 

(2) الحج : 88، 89، 90، 91 وتحريم الخمر بآلية في البقرة، وهي:

"يسائركم عن الخمر واللسر، قل فيهما "الأئم كبير" 119 الف (البقرة : 88، 90)".

(3) الحج : 123
بِأَنَّ اللَّهُ رَأسِ المَصالِحِ والخِيَامَاتِ، وَالخَيرِ رَأسِ المَقابِلِ وَالهَلَكَاتِ، وَلَأَجْلِ
وجْبِ الإِيمَانِ، وَتَحْرِيمِ الْكَفُورَةِ. أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ
وَلَأَجْلِ ذَلِكَ قَالَ ﷺ: "وَمَا خَلَقْتُ الجَنَّ وَالْآدَمَ إِلَّا لِيَمْدُدُونَ
مَا أَرَيدُ مِنْ رَزْقٍ، وَمَا أَرَيدُ أَنْ يَعْمِمُونَ أَنَّ اللَّهَ هَوَى الْرَزَاقُ
ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّنَعِ" (١).

فَهَذِهِ الْأَوْصَالُ الخَمْسَةُ، بِهَا يُنْتَمِي نَظَامُ الْعَالَمِ، وَبِأْضَادَاهَا يُخْرِبُ
الْعَالَمِ. وَنِنْظَامُ الْعَالَمِ يُنْتَمِي نَظَامُ الْأَدِيَانِ، وَنِنْظَامُ الْأَدِيَانِ يَحْصِلُ
الْنَجْاجُ مِنْ عَذَابِ النُّبِيَّةِ، وَالْفَوْزُ بِنَعْمَةِ الجَنَّةِ، مَعَ رَضْيَ الرَّحْمَنِ.

فَهُذَا بِيَانٌ أَنْ موْعِدُ مِنْ أَوْصَالِ الْسَّيَاسَاتِ الْشَرِيعِيَّاتِ.

وَأَما الْرَيْاضَاتِ، فِي كِتَابِهَا مَثَلٌ وَاحِدٌ مِنْ الْطَبَابِيَّاتِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ
عَلَى الْسَلامِ قَالَ: "مَعَانِيَّةِ بِتَتِ الْبَدَاةِ، وَالْحَيْلَةِ أَصِلُ الدُّوَاهَا، وَأَصِلُ
كَبْرِيَّةِ الْبَدِّيِّ (وَلَقَدْ سَمَّى بَعْضُ أَطْبَاءِ الْهُنْدِ) هَذَا الْكِتَابُ. فَإِنَّ
لَا يَمْتَرُكُ نَبِيُّكُمْ مِنْ الْطَمْحِ لَأَحَدٌ شَيْئًا، أَوْ كَلَامًا هَذَا مَنْهَا.

وَتَبْتَعُ مَا مَسْتَفِقُ مِنْ جِهَتِهِ مِنْ الْعَلَمِ بِحَر، لَا سَاحِلُ لِهَا، لَا وَلِيَّ.
هَذَا مَوْضِعُ أَسْتِفْتَاهِهِ، وَمِقْصُودُ هَذَا الْكِتَابِ: أَنَّ النَّبِيَّ الْرَفِيعُ عَنْدَ اللَّهِ،
الْعَزِيزِ الْكَبِيرِ، كَانَ أَمَامُ مَنْ تَوَلَّى عَنْهُ وَأَمَامُ اْبْتِغَاءِ الْأَمَامَةِ
الْإِمَّةِ، كَانَ أَمَامُ مَنْ نَصَبَ عَلَى هَذَا الْكَلِمُ، فَكَانَ
يَقُولُ: "أَنَا أَمَامُ أَمَامَةٍ، لَا نَتْكِبُ، لَا نَحْسِبُ، لَا شَهْرِ هِدْكَا، وَهَدْكَا
يَشْرَبُ بِدِينِهَا ثَلَاثًا (وَالْشَهْرِ هِدْكَا، وَهَدْكَا) - وَيُخْسِنُ بَاحْدِيَّةٍ أَصْبَعْهُ -
يَعْتَنِي فِي الْأَثْنَائِيَّةَ، وَشِدَّةَ الْحُكْمَ، وَدِيَاءَ الْأَلَّامِ، وَعِلْمَ الْأَوَّلِينِ، وَفَاَخْرَجَ عِنْدَ الْقُروَنِ الْمَاضِيَّةِ، وَالْأَمَامَةِ بِكُلِّ بَاحْدِيَةٍ
هٰذَا حَقُّ عِنْدَ أَرْبَابِ الْعَلَمِ، لَا يَنَازِعُهَا أَحَدُ مِنْهُمْ، بَلِ اَلَّيْنَ يُسِئُهَا، وَيَتَنَبَّأُهَا بِمَعَادِلَةِ
إِذْ أَدْعُ يَأْتِيَهَا، وَلَا يَنْظُرُهَا، لَا يَمْغِقُوْهَا، لَا يَحْيِي ضَحْيًا، وَهَذَا أَخْبَرَ عِنْدَ
الْأَمَامِ الْأَلَّامِ، وَالْوَقِعَاتِ الْمَنْتَظِرَةِ، أَخْبَارًا، لَا يَتَوَلِّى اَلْيَدَ بِالْكَبْسَابِ،
وَأَنَا ذَا ذَا مَكَارِعِ الْعَلَمِ الْوَهَابِ، فَتَفَاصِلُ فِي نَجْيَةٍ مَا أَخْبَرَ، وَمَا بُعْ
بِشْرُ وَأَنْذَرُ.

وَسُيِّرْتَ مِنْ ذَلِكَ مَوْضِعَ يَتَبِينُونَ مِنْهَا ذَلِكَ شَيْءَ اللَّهِ تَعَالَى.

(١٥) الْخَارِجَاتِ: ٥٦ - ٥٨
وأمام صبره وحلمه: في كفيك من ذلك أنه كسر رباعيته يوم-ahead وشج فوجه، فشق ذلك على أصحابه، فقالوا له: لو دعاوت الله عليهم، فقال: (انني لم أبعث لعانا وانما بعثت رحمة) ثم قال:

(اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون).

فانظر ما في هذا القول من جماع الفضل، ودرجات الإحسان، وحسن الخلق، وكرم النفس، وغالية الصبر والحلم، إذ لم يقصر على السؤلات عنهم، حتى عني، ثم أشتق عليهم ورحهم، ودعا، وشفع لهم، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة، بقوله: (لقومي) ثم اعتذر عليهم لجهله، فقال: (فانهم لا يعلمون) وكذلك جاء أعرابي جلف جاف، وكان على النبي صلى الله عليه وسلم (برد) غليظ الحاشية، فجعله الإعرابي شديدا شديدا، حتى أثر حاشية البرد في صفحته عنهم، ثم قال: يا محمد، احمل على نعير من مال الله، الذي بيدك، فإنه لا تحملني من مالك، ولا من مال أبيك، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: (المال مال الله وانها عبده) ثم قال له: (لم فعلت به ما فعلت؟) فقال: كان لا تكافيء بالسيدة، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يحمل له على نعير: شعير، وعلى آخر: ثم.

وكذلك قال له آخر: أعد يا محمد! فان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (وأينك إن لم أعدل أنا؟) فمن معدل؟ أي أؤمن الله على خزائه، ولا تأمنوني؟ وكذلك سحره(1)

(1) النساء: 113

(2) هذا الخبر لم يصح، لأن القرآن لا يثبت للسحر حقية. لقد ذكر اشاعة هاروت وماروت التي افتراها شياطين (علماء) اليهود في مدينة بابل، ونهايا وبين أن الله لم ينزل شيئا على هاروت وماروت وهذا لم يلما من

113
لبيد بن الأعمام اليهودي، فأعلمه الله بشجره، وحيث هو، فاستخرجه
الله، فبراءه. فقال له: أنا أقتله؟ فقال: (أنا أنا فقد شفائي الله،
وأكره أن أثير على الناس شرا).

وكذلك قدمت إليه "يهودية" ظرعت شاة مسموحة، فأكل منه
النبي عليه السلام فعفاه الله في ذلك الوقت من ضرر ذلك السم.
فاستحضر المرأة وطال بها: (ما الذي حملك على ذلك؟) كانت
لردت: أن كنت كاذبا، أرحت منك، وإن كنت صادقا لا يدرك، ففاعلي
عنها.

وقد قال بعض أصحابه: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
منصرا من ظلمة ظلمها قط، ما لم تكن حرم من محارم الله تعالى,
وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاجد في سبيل الله، وما ضرب خادما
ولا امرأة.

وجيء إليه برجل فقال: هذا أراد أن يقتلني، فقال له صلى
الله عليه وسلم: (أنا أرمع، لن ترعني، ولو أردت ذلك لم تسلم على)

وجاءه "زيد بن سعية" يتقاضاه ديننا له عليه، فجذب ثوبه عن
منكيه، وأخذ بجامع ثيابه، وأغاظ له، فانتهره عمر، وشد له
في القول، والنبي صلى الله عليه وسلم يتسمم. فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: (أنا وهو كنا إلى غير هذا ملك أخوجه، فأتمرنى
بحسن القضاء، وتأمره بحسن التنزه). ثم قال: (لقد بقي من نجله
ثلاث، وأمر عمر يقضية ما له، وزيد عليه عشرين صاعًا، فكان سبب
إسلامه.

والآحاديث في هذا الباب أكثر من أن يأتي على حصرها، هذا
الكتاب.

وعلى الجملة: فقد تواتر صبره على أذي تريش، وسبيه، وآخراه
من بلده، ونيل الأذى، حتى بلغوا منه مبلغًا لا يصب عليه إلا من هو
مثله. فلما أظهره الله لهم قال لهما: (ما تتولون أنك فعل بكم؟)
قالوا: خيراً أخ كريم، وابن كريم. فقال: (أقول كما قال أخى
المصرية).

أحد 500 الآله (انظر الطبعة الثانية من كتابنا: إعجاز القرآن - نشر الأنجلو)
يوفس: (لا تشرب عليكم اليوم، يفرح الله لكم، وهو أرحم الرأحمين)(1) أذهبوا. فانتمت الطلقاء.

ولقد ثبت عنه أنه لا كتبه قومه، جاءه جبريل عليه السلام.

فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردو عليك. وقد أمر ملك الجبال لتآمرهما بما شنت فيهم. فناداه ملك الجبال، وسلم عليه.

وقال: مرنى بما شئت. ان شئت أطبق عليهم الأخشيدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرجو أن يخرج الله من أصابهم من يعبد الله، وحده، لا يشرك به شئًا).

ولقد هبط ثمانون رجلًا من التنسيم صلاة الصحاب ليقتلوه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا فأعتتهم.

ومثل هذا كثير.

واعد هذا يتبين أنه صلى الله عليه وسلم: أظلم الناس عند مقدرته، وأصابهم على مكرهته، وأنه امتثل أمر الله، حيث قال له: (خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين)(2) حيث قال له تعالى: (فاعف عنهم واصفح، ان الله يحب المحسنين)(2).

وأما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه، ورفعة رتبته.

فكان أشد الناس تواضعًا، وأبعدهم عن كبر، وحسبيك: أن الله خيره.

بين أن يكون نبيًا ملكًا، أو نبيًا عبدا. فاختار أن يكون نبيًا عبدا.

فقال له إسرائيل عليه السلام، عند ذلك: فان الله قد أعطاك بما توارضت له: أنه سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق الأرض عنه.

وأول شافع.

وقال أبو أمة: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكًا على عصا، فقمنا له، فقال: (لا تقوموا، كما تقوم الأعجم) بعث بعضها بعضاً. وقال: (أنا أنا عبد). كأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد) وكان يركب الحمار، ويردد خلفه. ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه، مختلطا بهم حيثما لجئه به المجلس جلس.

(1) يوفس: 92
(2) الآيت: 169
(3) الآيت: 13
وقال عليه السلام: (لا تطروني كما أطرت النصارى: ابن مريم، إلا أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله).
وجائته امرأة، فقالت: إن لي أبًا، فسأل لها: (أجل، يا أم فلان). في أي ركن المدينة شئت؟ أجلس الية، حتى أقضي حاجتك (فجلس إليها، حتى فرغت من حاجتها). كان يوم بني فريقية، وعلى حمار. ومخطوم بحل من ليف، عليه أكاف.
وكان يدعو إلى خبز الشعير، والأهالى التثنية، فيجيب.
وقد حج، وكان عليه تقيتهما مسألة أربعة دراهم. هذا كان.
وقد أثنت عليه الدنيا بحذافيرها، والثنت عليها، أباً، كبدها، قلم ينتفعت الية، ولا عب، وكان صلى الله عليه وسلم في بيتها. في مله، أمه، في له، ويلحب شائه، ويرفع ثوبه، ويخصف تعله، ويخدم نفسه، ويعلف ناصحا، ويقيم البيت، ومقل البصر، وياكل من الخدام، ويجين مهما، ويجمل بضاعته من السوق. وكانت الأمة من أهله المدينة تأخذ بيه، مقتطع باحية. شاهت من المدينة، حتى يقضي حاجتها.
ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة، فقال له: (هن، عليك، قاتي لست بملك، أنا، إلا أنني ابن أمارأة من قريش، كانت تأكل القديم).
وقال أبو هريرة: دخلت السوق، مع النبي صلى الله عليه وسلم، فاشترى سراويل، وقال للوازن: (زن، وارفعه) ثم قصته. فقال: فعوب إلى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها، فجذب يده، وقال: (هذا تفعل الأعامج بملوكها، ولست بملك إلا أننا أباً، أنا رجل منكم). ثم أخذ السراويل، فذهب لأحبه، فقال: (صاحب الشيء، أحق بهشة أن يحمله).
أما عدله، وصدقه، صلى الله عليه وسلم، وأمامته، وصدق لهجة، فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس، وأعد الناس، وأعف الناس، وأصدقهم للهجة منذ كان.
اعترف بذلك محادوه، وعدته، وكان يسمى قبل النبوة: "الأمين" وذلك لما جعل فيه من الأخلاق الصالحة. "
ومما يدل على ذلك: أن قريشا لما بنيت الكعبة، اختلفت فيها:
يضع الحجر الأسود موضعه؟ فحكموا بينهم أول داخل عليهم. فإذا
بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم داخلًا، فقالوا: هذا محمد. هذا
الأمين، قد رضيناه ب، وذلك قبل أن يبعث.

ولقد اجتمع الأخنس بن شريك مع أبي جهل يوم بدر، وكلاهما
مخالف له، وعدو له، قد أجمع على قتله، وقتله. فقال الأخنس:
لأبي جهل: يا أبا الحكم، ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا. فأخبرني عن محمد. أصدق أم كاذب؟ فقال أبو جهل: والله أن محمد
لصدق، وما كاذب محمد قط.

ولقد قال هرقل: أبا سفيان وهو على شره ومخالفته، فقال له:
هل كنت تتبعونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. قال هرقل:
قد أعلم أنه لم يكن يدع الكذب على الناس، ويكذب على الله.

وقال النضر بن الحارث لقريش، وهو عدوه ومخالفه: قد كان
محمد فيكم غنائم، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم
أمانة، حتى إذا رأيت في صدغي الشيب وجاءكم بما جاء به. قلت:
انه كاذب، والله ساحر.

لا والله. ما هو ساحر، لا يكذب.
فهذا كان حاله. فاعترف أعداؤه بمناقبه، ولا يقدرون على انكار
شيء من فضائله.

من أدل دليل على عده، وعظيم تواضعه وفضله: أنه كان قد
انتهى به الأمر إلى أن تهابه الملوك. وتفرق منه الجبارة. ومع ذلك،
فانه كان يوفى لكل ذي حق حقه، ويعرف لذى الفضل فضله. حتى:
كان يقول: (أني أريد أن ألقى الله، وليس لأحد منكم يطالبني بظلمه
في أهل ولا مال). لعل ذلك، أتفضل: «عكاشة بن محصن» من نفسه،
وذلك أنه صلى الله عليه وسلم ضربه بقضيب في ظهره، غير قادد
لضربه، فقال له عكاشة: أكيد قد أوجعتني، فأجانى - معناه: مكن
هنك حتى أضررك، فلما ضربتي -، فكشف له عن ظهره، وناله
القضيب. وقال: (ضرب) فأظهر عكاشة على ظهره يقبله، وقال:
انما أردت أن يمس جلدي جلدك.
والأخبار في هذا أكثر من أن يحيط بها هذا الكتاب.
وأما زعده صلى الله عليه وسلم فلقد كان أزدهر الناس، وأورعهم،
وبصبك شاهداً على ذلك ما علم من حسنة صلى الله عليه وسلم.
وذلك لأنه أعرب عن الدنيا وزهرتها ولم ينتهت إلى شيء منها مع
أتباعها عليه وسياستها إليه. وذلك أن الدنيا سيقته إليه بحذافيرها،
وتراجعت عليه فتوحها وهو مع ذلك لا يعطر عليها، ولا يلتنت
عليها، إلى أن مات ودرعه مرعونا عند يهودي في نفقة عياله، وهو
يدعو ويقول: (الله يجعل رزق آل محمد غوتا) ويقول: (الله)
أحبني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحترني في جملة المساكين) ولقد
صحت الأخبار عنه: أنه ما شبع ثلاثين تابعاً، حتى مضى لسيله.
ولقد روي أنه ما شبع من ذهاب الشعير يومين متولين، وما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ميناء، ولا درهما، ولا شاة ولا بيرة.
وأما تركي البُلْطَة وسلاكه وأراضي جعلا صدقة، وكان يقول:
(ما أحب أن لي مثل أحد ذهbaً يمضى ثلثاً، وعندية منه ديناراً
الشبيط أرصة لدين) ولقد قال صلى الله عليه وسلم: (عرس على
ربي أن يجعل لي بخاطر مكة مئة قلّت: لا يا رب بل أجمع
بيهما، وأشبع يوماً فإذا جمعت تضرعت اليد ودوعته فإذا شبع
شكتك وحمدتك) ولقد حكي عنه جماعة من أصحابه أنه كان يبيت
هو وعياله الليالي المتتابعة طولياً، لا يجدون وعاء، وقال (أنسب
خادمه: ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان) ولا في
سكجته ولا خزب له موقن، ولا رآي شاة عبيطاً.
ودخل عليه عمر بن الخطاب فوجدته مضطجعاً على رمل حصيرة.
قد أثر في جلبه قال عمر: فنظرت في بيتها، فلم أرى شيئاً بريكيت
بلا رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحاجة والفاقة، فقال:
(ما شاء الله يابن الخطاب) فقالت: يا رسول الله ذكرت (كسرى)
و (قصر) وما أعطاهما الله تعالى، فقال (أفي شمس أنت
يا ابن الخطاب، أما ترضي أن تكون ليس الدنيا ولنا الآخرة؟)
وقالة عائشة: (لم يمتى جوف نبي الله سبحانه وتعالى ولم يبعث شكوا إلى
أحد، وكانت الفاقة أحب إليه من الغناء، وأن كان يظل جائعًا يمتنى
طول ليله من الجوع، فلا يضعه صيام يومه، ولو شهاء سال ربه كنتوز
جميع الأرض وثمارها، ورغب عيشها.
ولقد كنت أبكى له رحمة مما أرى به، وأمسح بيدى على بطنه مما به من الجوع، وأقول نفسى: لا اله الا الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم. فنفكته. فقال: (يا عائشة: مالي وقلدكني، اخوتي من أولى العزوم من الرسل، صبروا على ما هو أشد من هذا فضوا على حالي، فقدموا على ربيم فالكلهم مآسيهم، وأجلس ثوابهم، فاجدبي أستحيي أن ترفع في معيشتي أن يقصرني غدا دونهم؟ وما شيء هو أصعب إلى من اللحوق بالأخواني وأخلاني. قالت: (فما أقام بعد ذلك، الا شهرًا حتى ترق صلوات الله عليه)."

ولقد شكى إليه بعض أصحابه الجوع، وكتبه له عن بطنه عن بحرين، فكشف له رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين، صلى الله عليه وسلم تسلما، وهذا معلوم قطعا عن أحواله، لا يقدر على جحده قيد أعدائه ولا أوليائه.

ولما كثرة جوده وكرهه، فشيع مروى من شيمه، فلقد توأت: أنه كان أكرم الناس، وأجودهم، حتى أنهما سألهما قط شيتا، فلم يفسخهما.

اذنا كان ذلك الشيء المستؤول مما لا ينفع شرعا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي صلى الله عليه وسلم: "أجد الناس بالخير، وأجود ما يكون في رمضان، وكان أجد بالخير من الريح المرسلة.

ولقد سأله رجل، فأعطاه غنم بين جبلين، فرجع ذلك الرجل إلى قومه، فقال: أسلموا، فان محمد يعطي عطاء من لا يخشى فاتته. وأعطى أنسا كثيرين: ماة، هاة من الاب، وأعطى "ضفوان" مائه، ثم هاية، وأعطى "العباس" من الذهب، ما لم يتطح حمله، وسق له صلى الله عليه وسلم، تسون ألفًا، فوضع على حصير، ثم قأم ليه يقسمها، فما رد ساكنًا، حتى فرغ منه.

هناك صلى الله عليه وسلم لا يرد ساءا جاءه. وربما كان السائل لا يجد عندن شيتا، فتأخذ له بالدين، ويعطيه السائل، حتى يقضي الينبي صلى الله عليه وسلم. ولقد جاءه رجل فقال: (ما عندي شيء، ولكن ابنعت على دين، فذا جاءني شيء تضيئته) فقال له عمر: ما كلفت الله ما لا تقدر عليه. فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٠ - الإعلام)
ما قاله عمر • فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله • انفرق، ولا تخفه
من ذي العرش أطلالا • فتبسم ومعرف بشر ذلك القول في وجهه •
وقال: ( بهذا أمرت).

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية، وإن لم يحتف اليها،
ويعيب عليها باضعاها • روي أن "معاذ بن عفان" أحدث للنبي صلى
الله عليه وسلم طبقة فيه رطب، وقذيفة، فأعطاه النبي صلى الله عليه
والرسول مئة كنف ذهبا وحليا • وكان صلى الله عليه وسلم، لا يدخل
شيئًا لغيره، لنفسه • وقد ثبت عنه أنه كان يقول: ( ما يسرني أن
عندى مثل أحد ذهبا • يمضى على ثالثة • وعندى منه دينارًا • الا شيئًا أرصد
لدين) • وما سيق له قط شيء يقسم • ذهبا كان أو غيره الا آخر بقسمه،
ولم يبت عنه.

وهكذا • كان المعروف من خلقه قبل بنعبه، وكان هذا معروفاً
عند قومه الذين نشأ فيها • حتى لقد قال له ( ورقة بن نوفل) • وكان
أمره نصره • وقرأ الكتب العبرانية • وكان قد تفطن، واستشعر بنبوته
عليه السلام • لما رأى من العلامات التي علمها من الكتب المتقدمة •
 فقال له: انك لتحمل الكل، وتقرى الصيف، وتكتب المعدوم، وتعين
على نواب الحق.

وهذا كله من أخلاقه معروف حاصل، لا يتمارى فيه منصف
عاقل.

وأما وفاؤه بالعهد • فلا يتمارى فيه الا خسبيان وقعد • فقد كان
صلى الله عليه وسلم أحفظ الناس بعده، وأووانهم بطيب وأوعد
واحسنهم جواورا، وأصدقهم قولًا وأخبارًا • روي عن "عبد الله
ابن أبي الحسناء" أنه قال: "بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع
قبل أن يبعث، وبيعت له بقية • فوعده أن آتيه بها في مكانه • فنسبت
ثم ذكرت بعد ثلاثة منجزت فاذا هو في مكانه • فقال: ( يا فتي • لقد
شقت على • أنا ها هنا • منذ ثلاث أنظرتك ) وذلك للمعيد الذي كان
بينهما • وكان المعروف من سيرته صلى الله عليه وسلم أنه كان يعقد
المعمول والواقب بينه وبين عدائه وغيرهم • ففيه بها • ويزههم
باحتضائها عند تمامها • ولم يندر قط في شيء منها • ولقد كان هذا
معروفًا عند أعدائه • كما هو معروفًا عند أوليائه.
ولقد روى أن هرقل ملك النصارى لما سأل كثيرًا عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم قال: فهل يعرف قائلًا له: لا. فقال لهم: كذلك الرسول لا تندبر وركف يغدر صلى الله عليه وسلم، وهو قال: (بينص أن غادر لواء يوم القيامة يعرف به). يقال: هذه غدرة فلان؟ وقد جاءه "المغيرة بن شعبة" مسلمًا ووجهه بمال هموم من الجاهلية كان قد صبحهم، ثم قتلهم، وأخذ أمواتهم. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا الإسلام فأقبل، وأنا المسلم فلست حنئة في شيء). وقال صلى الله عليه وسلم، وقد عرض له بعض أصحابه، يغدر المشركين: (دعني لهم، ونستعين الله عليهم).

وفي خبر "الجلندى" ملك عمان، لما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام، فقال الجلندى: والله لقد دلني على أن هذا نبي: أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذه، ولا ينفي عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يطلب فلا يبطل، ويغضب فلا يضجر، وينفي بالوعد، وينجذب العواد: أشهد أنه نبي.

يا هذا! نتاهل بتكالب أين هذا مما يحكي اليهود والنصارى عن موسى عليه السلام في كتبهم. من أن موسى عليه السلام، لما آراد الخروج من مصر، استعار حلي بنى إسرائيل، ثم فر به سلياً.

وعند الانتهاء إلى هذا المقام: يعلم العاقل ما في كتب القوم من العباث والوهم وموسى عليه السلام مهربًا عن النقائض، والآثام، ومن وفائه بالهدى، وقيمته في حفظه بالجهد: أنه قدم عليه وفق النجاح. فقام صلى الله عليه وسلم، وصلى عليه وسلم: (أهلاً، أيها أصحابنا مكرمين). وقال لكني، فقال: (أنهم كانوا لأصحابنا ماكرمين، وئيء أحب أن أكافئهم). وقال صلى الله عليه وسلم: (حسن العهد من الأيمان).

وكتيقة الوفاء بالعهد: تتلميم ما ريب من العقد، ومرااعاه ما تقدم من الوعد، ومكافأة من له بد. وقد كانت هذة الخصال اجتمعت فيه. لا يناعز في ذلك أحد، وان كان يناعزه.

وأما حسن سمته، وطيبته، وكثير حبه، وهويته، فشيء لا يجد ولا يجيل، ولا يلحث في شيء من ذلك أحد، وان بذل عليه جده، ولم يكسب، فهو بالحقيقة مما قال الشاعر الأول:

"(1) يغلب" الأولى بفتح الهاة، والثانية بضمها"
سعي بعدهم قوم لكي يدركونهم
فلم يفطوا، ولم يليموا، ولم يبالوا
كان صلى الله عليه وسلم كثير الصمت والوقار، طويل الاتراق، والاعتبار، تكروهية وقاره جلائه، حتى إذا جلسوا بين يديه كان على رؤوسهم الطير أعظاما له، وهيبة منه.
مجلسه أوفر المجال، لا يسمع فيه ضحث الأصوات، ولا اختلاط اللغات، ليس فيه مراء ولا جدل، ولا للهجر، والفحش فيه.
مجال لا تون في مجلسه الحرم، ولا يغض فيه من الأقدار والقيم.
بل كان مجلس علم.
وأصحابه يعظمون في مجلسهم منه أحكام الله، فتارة يتعلهم بأمور الآخرة كأنهم ينظرون إليها، وأخرى يعلهم أحكام شريعته، كي يعملوا بها.
قال ابن أبي هالة: كان سكوته على أربع: على الحكم والى الحذر والبحث والتفكير، يعلم الجاهل المسترشد ويدنيه، ويطرد المانع.
المفكر ويلقاه، يتوارع للقراءة، ويتواضع لديه الأمراء.
كان صلى الله عليه وسلم أشد حيا من العذراء في خدراها، الرفيعة.
الشريفة في قومها، كان إذا سمع ما يستحيي منه، ظهر نور الخفف على وجهه، ولذلك مر صلى الله عليه وسلم على رجل وهو يعتب أخاه على الحياة، فقال صلى الله عليه وسلم: (دعاء، فإن الحياة من الأيمان)
وقال: (الحياة خير كله، ولا يأتي إلا بخير)، وقال: (استحيا من الله حق الحياة)، وكان صلى الله عليه وسلم ضاحكا تبسمًا، ولم ير قط.
في ضاحكة متشقها، ولا مرتنا.
كان كلامه فصلاً، يفهمه كل من سمعه، وربما تكلم بالكلمة ثلاثاً.
حتى تفهم عنه، وكان يحدث حديثاً عد الحداد لأحصاء، وكان إذا قرر يقوم يسلم عليهم ثلاثاً، وكان صلى الله عليه وسلم يحافظ على مروحته، وعلى استقامة حاتته، وتحسين هيئة، يمشي هونا، كأنما ينحت من صيب، إذا مشى مشي مجتمعاً، وإذا جلس جلس محتباً، وقرب إليه طعام ومقات، فقال: (لا أكتيء، انما كل كذا يأكل العبد، وجلس كما يجلس العبد.)
كان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب، والطيبة الخصنة، ويستعملها، ويعض عليها. وقوله: (إن الله تعالى جميل يحب الجمال) ويأمر بالصواب، وغسل البراجم والدوابج، واستعمال خصال الفطرة، وتأخذ بذلك ويعلمه.

وكان صلى الله عليه وسلم لكثره محافظته على جلال مروته.

اذا عسل غطاء وجهه، وخفض بها صوته.

وما عسى أن يقول القاص فيمن جمعته فيه كل الفضائل والآثر، بل غاية القصيح الأثر أن ينتهي إلى ما قاله الشاعر:

ماذا أقول؟ وقولي فيك ذو حصر.

وقد كفنتي التفصيل والجميلة.

ان قلت: ما زلت مرفوعا، فآتيك كذا او قلت زانك ذي، فهو قد فعلا، وأما شجاعته، فنجدنه، فكان منها صلى الله عليه وسلم بالكلال الذي لا يجيل، وحظه منها الححظ الأوفر الأفضل. فقد كان مارس الضراب، ووقف مواقف الصعب، لا يبالى بكثره العدد، ولم يفر قط أمام أحد. وما من شجاع إلا وجد أحسنت له فرة، وإن كان له بعدها قرة. إلا هو صلى الله عليه وسلم، فلم يدر قط منهزما.

ولا فارق مكرها ملتزما.

وكان «علي بن أبي طالب» يقول: كنا إذا استند البأس، وحومت الحرب. انثنينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه. ولقد رأيتها يوم بدر نلزى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو. ولقد كانت الصحابة تقول: إن الشجاع، هنا للذى يقوم بجانبه يستتر به.

وقيل: لآنس! أفرزتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر.

ثم قال: لقد رأيته على بلغته البيضاء، و«آبي سفيان» أخذ بلمجاه، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)، قيل: فما روى يومئذ أحد كان أجرًا منه، ولا أرشد، وقد روى عنه: أنه نزل عن بلغته متوجهًا نحو العدو، وقال: «العباس».
ابن عبد المطلب: لما التقى المسلمين والكفار، يوم «حنين» على المسلمين مدينين، فطرف النبي صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار.

قال عباس، وأنا أخذ بلجامها، أكملها اراده ألا تسرع.

وأبو سفيان أخذ بركابه، ثم نادي بالمسلمين، وذكر الحديث.

وقال أنس: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس. ولقد تزعم أهل المدينة ليلة، فانطلق أناس قبل الصوت، فتقدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت. وقد استبوا الخبر على فرس عري، لأبي طلحة، وفي عنتقه السيف، وهو يقول: ( لن تراعوا بين تراعوا) وأنا وجدنا ليجراً يعني القوس لكثرة جريمة.

وقال «ابن حجين» ما لقي رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم كتبة، إلا كان أول ضارب، ولما رآه (أبو بن خلف) يوم أحد، وهو يقول: 

أين محمد؟ لا نجوت أن نجا.

وقد كان قال لنبي صلى الله عليه وسلم حين انتهى يوم بدر:

عند فرس أغلفه كل يوم فرقا من ذره، أقتلك عليها. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (بل أنا أقتلك أن شاء الله) فلما رآه أبي يوم أحد، شد (أبي) فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعترضه رجال من المسلمين. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (دعوا، خرو طريقي) وتناول النبي صلى الله عليه وسلم الحارث ابن الصمت، فانطفخ بها انتفاضة، فتطيران عنه تطير الشعراء عن ظهر البعر، إذا انطفخ، ثم استقبل النبي صلى الله عليه وسلم، ثم طعنه بها طونة، تدارا منها على فرسه، وقيل: بل كسر ضلعا من أضلاعه، خرج إلى قريش يقول: قلتني محمد، وهو يقولون: لا نأتيك كثير. فقال: لو كان ما بي بجميع الناس لقتلمهم، أليس قد قال لي: (أنا أقتلك ابن شاء الله)؟ والله لو بحق على قلتني، فمات بـ«سرف» في قفولهم إلى «مكة».

ومما يذكر على عملي شجاعته: أنه يوم (أحد) فر عنه الناس، فاستقبل العدو في نفر قليل من أصحابه، فكسر «عببة بن أبي واقع»، وبايعته اليمني، وجرح شفته السفلي، وشجع في جبهته (عبد الله)
ابن شهاب الزهري، وضرب عمرو بن قتّة وجنته، فأدخل حلقتين من حلق المعفر في وجنته، وهو في ذلك كله، لا يزال عن موضعه، ولا يولى ظره، ولم يزل كذلك حتى أنزل الله عليه نصره، حين رأى صبره.

وفي ذلك الموضوع، وفي تلك الحال، نهض نفر من أصحابه لقتال العدو، فوافقهم وقاؤوه، مع كثرة عدوهم، فانفتقد مقاتل واحد منهم، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ ذلك الرجل على قدمه، حتى مات، وهذا يدل على غاية شجاعته، وكثرة الجلد، وقفة البالا والعدو، ولدى كانت غزوة أحد هذه التي جرى فيها ما ذكر، من أول الشواهد على نبوته صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه لما انتهى هو والشركون. قال النبي صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه، وكانوا رماة: (انضموا عنا الخيل بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، واشتبوا مكانكم). كانت لنا، أو علينا.

وقد كان أمر عليهم (عبد الله بن جبير) ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى هو والشركون، فحظوا الشركون، وولوا أدبارهم، حتى سقط لواءهم صريعا، فلما رأى أصحاب (عبد الله) الهزيمة، قالوا: الهزيمة، تعالوا ناصب مما تصيب الناس.

فقال لهم عبد الله: ألم يقل لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تبرحوا من مواصكم) فقالوا له: قد هزم العدو، فلم ينتظروا كلامه، فزالوا عن مواصمه، فلما زالوا عن مواصمه غاصهم الله. فأن رجع العدو عليهم، فقُتل منهم من قتل، لم تخففهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحص الله في تلك الغزوة: المؤمنين، ومحم الكفرين والمكافرين.

وفي تلك الغزوة فقَتَئْت عين (فتة بن النعمان) حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أحسن عينيه، وسياحه ذكر هذا، وماشاكه بعد هذا، إن شاء الله تعالى.

وأما خوفه من الله تعالى واجتهد في عبادته، فقيل بل من ذلك إلى حد لم يبلغه أحد من الخليفة، وذلك أن الله تعالى كلفه من وظائف العبادات ما لم يكلف أحدا على الحقيقة، وهو مع ذلك لا يقصر في شيء منها، بل كان يبذل غاية اجتهدته، ووسعته في آدائها، فمن العبادات التي كلفها الله له: تحمل أعباء الوحي، ومشيئة تطهه، فلقد كان ينزل عليه.
الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وان حبيبه ليتفصى عرقا
ولأجل هذا قال الله تعالى: "أنا سلقي عليك قولًا لا تقيلا" (1)
وقال له: "فاذدا قرأناه فاتبع قرآنٍ" (2)

وقدمة منعها لا يعرفها على التحقيق، إلا الرسول، وأجل عامم
هذا الأمر جاءه جبريل عليه السلام، وهو يتعبد بغار حراء، وذلك
قبل أن يوحي إليه فقال له: "اقرأ" فقال: "ما آنا بقارئٍ" فأخذه
فقطه، حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله، فقال: "أقرأ" فقال:
"ما آنا بقارئين" ففعل به مثل ذلك مرتين، فقال له في الثالثة:
"اقرأ باسم زيك الذي خلق 200 (3) الآيات" فقرأها، ثم رفع إلى
خديجة برجف، فؤادها، فقال: (زكنويني) فذهوره، فأنزل الله عليه،
وهو على ذلك الحال: "يا أيها المدثر، قم فانحر، وربك أكبر" (4)

ثم بعد قبول الوحي أمر بتبلغه وتبيينه للناس، والصرح على
ما يصيبه من أذى قومه، وكان صلبي الله عليه وسلم يعرض نفسه ودينه
على قبائل العرب، وعلى وفودها، إذا ختموا مكة لمآما الحج، فعيب
آلهتهم، ويسفه أحلامهم، ويظهر خلافهم، ويوبخهم على جهلائتهم،
غيرون عليه قوله، ويكذبونه، ويسبونه، ويذدونه، بأقصى همكهم
من أنواع الأذى، فيصب على ذلك ويجهم ما يلقاه، على الله
فلسان الحال ينشد، والأنفاس خوفاً من التقصير في أمر الله
قدصاعد:

لا أبالي، إذا رضيت إليه
أي أمر من الأمور دهانة
فهم ينزل راة، صابراً على أنواع البلاء، حتى كان لسان حاله
يقول:

* عذب التعذيب عندي وحلا

فقام على ذلك برككة من عشرة سنة، يدعو الناس من غير قتل؟

(2) القيامة: 18
(1) المزمل: 5
(4) الحشر: 1
(3) الأعراف: 1
ولا قتالًا، وذلك كله ليظهر الإسلام، وتنتشر دعوته، فلألا يكون
لأحد حجة على الله ورسوله.

وبعد ذلك أمر بالهجرة من مكة إلى المدينة، ففرق أهله وعشيرته،
وحاله وماله وولده وبلده، ولم يعمر عليه مفارقة شئ، من ذلك في
ذات الله. فترك كل ذلك إلى الله فوضع أجره على الله.

فلم حل بالدمية. افترض الله عليه القتال، فقاتل في ذات الله
جميع من كفر به مقتشر في ذلك، ولا مفرط. بل جاء مدحدها
حتى أظهر الله دينه، وإن رغبت أنف الطاهرين، وفي كل ذلك الزمان
كان يقوم بوظائف الشريعة وعباداتها، عبادة عبادة، فصلى حتى تورم
تدمرا وانتفخت، وصام، حتى كان القائل يقول: لا ينظر لنكر
ما كان بری من صومه، وواصله، وكان يذكر الله ويعظمه ويمجده
ويشكره على كل أحواله من غير تنصير، ولا فتور، ولا تشبهه عبادة
عن عبادة، ولا عمل زمان عن عمل زمان آخر.

كأن عمله دائما، وكذلك كان يقول صلى الله عليه وسلم: (خير
العمل أدوه) فكان يراعي أنفسه مع الله، ولا يضع شيها مما كلهه
خوفا من الله، فكان ربما يبتكر في عظيم أمر الله وعزة سلطانه، فستعظم
ما يعرف من هول المطاع، فكان يقول: (وَاللَّهُ اَنَّى لَأُؤْمِنَ بِاللهِ وَأَنَا
كَانَ كَسَبِيْنَ) وكان يقول: (يا آمنة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم
لضحكم قليلا، وليكنكم كثيرا، ولخرجتم إلى الصعادات، تجاروان
إلى الله، بما تلاذبان بناسه على الفرس، لو ددت أن شجرة تعضد)
والذاك كان يقول: (أني أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون، أبلت
السماء، وحق لها أن تبت، ما فيها موضوع أربع أصباه، إلا وملك
واضع جبهته، ساجدا لله).

وقد هذا كله، يدل على كفارة معرفته بأهدية تعالى، وشدة خوفه منه،
ورهبه له، وكذلك كان يبكي، ويسع لخوفه صوت، كصوت المرجل
من البكاء، وكذلك صح النقل عنه، بأنه كان متواصل الأحزان، دائم
الفكرة، ليست له راحة، وكان يقول: (يا آيها الذين آمنوا أتوبا،
فاني أتوب إلى الله في اليوم والليلة مائة مرة).

وروى عن علي بن أبي طالب أنه قال: سألت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ستة؟ فقال: (المعرفة، رأس مالي، والعمل، رأس
دينى، والحب أساسي، والشوق مركب، وذكر الله مجدد، والزهد
حرفته، والقين قواتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبى، والصبر
هادي خلقى، وقرة عينى في الصلاة.

وفي حديث آخر: (وثرة فؤادي في ذكره، وعيى لأجل أمتي،
وشوتي إلى ذي الجلال).

ووصف خونه يطول، ومعرفة ذلك من حاله، لا ينكره عليم،
ولا جهول، إذا كان من أهل الإنصاف والمغول.

وعلى الجملة: فمناقبه الشريفة لا تحتى، وما خص به من
الأخلاق الكريمة عديد الحصى، كيف لا؟ وقد قال الله تعالى له:
"وانع لعلي خلق عظيم" (1) وما عظمه العظيم فهو عظيم، وكيف
لا يكون ذلك؟ وقد بعثه الله تعالى متمماً لكارم أخلاق الأولين. وقد
خصصه صفات جميع النبيين، فلو جاز أو تصور أن يعبد أحد من
البشر، لكان متكافئه، وكرم أوصافه، وطيب أعراضه، لكان هو، إذا
قد أعطى من ذلك ما لم يعطه أحد من البشر، ولا دخل لهم تحت كسب
ولا قدر.

***

(1) القلم: ٤
حث علي بعد في صفاته وصفاته عريقة وعلماً.

وهكذا أن "أبا سفيان" وكتب قريش قدموا الشام تجارًا.

فأرسل لهم «هرقل» وكان ملك النصارى وعظمهم، وألّه ينتهى علمهم فهجوه ودخلوا عليه في مجلسه، وحوله عظام الروم.

وقال لترجمانه: قال لهم: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يلزم أنه نبي؟


قال أبو سفيان: فوالله لولا الحوار من أن يؤثروا علي كذباً لكذبت عليه.


وقال: فهل يمكنني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة؟

قال: قال مثلمتهما: قلت: نعم. قال: كيف كان تتالكم إياه؟

قلت: الحرب بيننا وبينه سجال. ننال هنا، وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: (اعبدي الله ولا تشركوا به شيئاً) واتركوا ما يقول آباءكم) ويأمروننا بالصلاة، والصادق، والمغفرة، والصلاة.

قال: هل حقق نسبيه قتله له: سألته عن نسبه. فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسول تبعث في نسبقومها، وسائلته: هل قال أحد منكم هذا القول قبله؟ فذكرت: أن لا. قلت: لو كان أحد


وسألتك: بما يأمرك؟ فذكرت أنه يأمرك، أن تبعدو الله، ولا تشركوا به شيئاً، وينهكتم على عبادة الأوثان، وياأمرك بالصلاة والصدق، والمعافاة.

فإن كان ما تقول حقاً، فسيملك وضع قدماً هاتين، وقد كنت أعلم أنه يخرج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أن أعلم أنى أخلص إليه لأحبت لقاء، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

ثم دعا يكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان قد بعث به مع دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرآه، فذاك فيه:

» بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل.

عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعابة الإسلام، أسلم، تسلم، يؤمن الله أجرك مرتين. فان توليت فانما عليك إثم الأريسيين(أ) يعنى المستقنع به، ويا أهل الكتاب.

تعالوا إلى كلمة سواء بيننا، وبينكم: أنا أعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضًا أرباباً من دون الله، فان تولوا فقولوا: اشهدوا بنا مسلمون(ب).

(1) يقال ان الأريسيين هم اتباع آريوس والذي كان ينادى بتوهيد.

(2) عز وجل في مجمع ديني سنة 235 م وهو الأصح، وله نظر - والله اعلم - أنام: 14
قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر
عنده الصخب وأزلفت الأصوات وأخرا، فنقل لصاحبي، حين
أخرنا: لقد أمر ابن أبي كيشة أنه ليذهبه ملك بنى الأصغر
حذا زلت موتنا أنه سيظهر، حتى أدخل الله على الإسلام.
وكان ابن الناظور، صاحب "الياء" (1) يحدث أن هرقل،
حين قدم إليه أصبح يوما خبيث النفس، فقال له بعض بطارقته:
قد استكرنا هيئة.
قال ابن الناظور: وكان هرقل حزاء، ينظر في النجوم.
فقال لهم حين سألوه: أنى رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان،
قد ظهر، فمن يختن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختن من هذه الأمة
الأ من يهود، فلا يملك شأنهم، وكتب إلى مدناء ملكه، فلقبوا
من فيهم من اليهود، فبينا هم على ذلك أتي هرقل برجل.
أرسل به ملك غسان، يخبر عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما استخبره
هرقل، قال: أذهبوا فانظروا. أختمت هو أم لا، فنظروا إليه.
فحدثوه أنه مختن، وسأل عن العرب، أختمت، فقال: هم يختنون.
فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر.
ثم كتب هرقل إلى صاحب له البرومية، وكان نظيره في العلم.
وسار هرقل إلى "حمص"، فلم يرم حمص، حتى أتاه كتاب من صاحبه.
وافق رأى هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم. وأتى نبي
فاذن هرقل عظماء الروم في "دسكة" له حمص. ثم أمر بأبوابها
فغلقت. ثم أطلع، فقال: يا مغامآ الروم، هل لكم في الفلاح والرشد.
وان بثت ملككم، فتبالوا هذا النبي؟ فصاحت حيصة حمر الوحش
إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت. فلما رأى هرقل نفرتهم، وآيس
من إيمانهم، قال: ردوهم على. وقال: أنى قلت مقاتلاً آنفاً
اختبر بها شدتمك على دينكم، فقد رأيت، ففسجلوا له.
وبوضاعاته.
فكان هذا آخر شأن "هرقل".
فتأمل أيها "النس" أن كنت من أهل العقل والحدس، كيف
كان العلماء منكم يعرفونه بعلامات، ويستدلون على صحة نبوته بحسن

(1) هي الآن: مدينة القدس، وسمىها اليهود - لعنهم الله - أورشليم.
أوصافه وهويته وهكذا فعل جماعة من عقلاء أهل الكتاب، وغير واحد من ذوي الآلاب، مثل: عبد الله بن سلام، والفارسي سلمان، ونصاري الحبشة والأساقفة "نجران".

ولا تشك أن كنت منصفاً أنهم كانوا أعلم بالكتب منهم، وأعرف برسل الله وعلاماتهم من عثرتك، ولعلهم بكتب الله، وما جاء فيها من علامات محمد رسول الله، لما جاءهم ما عرفوا، وحققوا: آمنوا وصدقووا، فقالوا: "ربنا آتنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين" (1).

ولجهلهم بكتب الله، وبعلامات رسول الله لما جاءكم الحق: كنترتم به "فلعنة الله على الكافرين" (2).

ومن أعظم آياته وأوضح دلالاته: ما جرى له مع قومه، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما جاهم قومه يتبع ما أمره الله من الرسالة، وصدع بأمره، فسفه أفراحهم، وعاب أهلهم، وبين لهم فساد ما هم عليه، شق ذلك عليهم، وأجمعوا على خلافه، وعدواه ألا من عصم الله منهم بالإسلام، كانوا إذ ذاك قلبا مستخفين فارادت قريش قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتل من معه، والوثوب عليهم، فحدث على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتلهم عمه أبو طالب، ومنهم من ل sprzętه في قومه، وعزه فلم يقدروا أن يصلوا إليه شيئًا مما أرادوه، فلم رأوا أنهم لا يقرون أن يصلوا إلى ضره، بل منعه له منهم، اجتمعوا، وقالوا لابن طالب: ان ابن أخيك قد سب آهنته واعبدنا، وسفه أفراحنا، وضلل آباؤنا، فلما أن تمكنوا، وإما أن تخلى بيننا وبينه، وإن كان على مثل ما نحن عليه من خلافه فنثنئيه، فقال لهم أبو طالب قولاً ريفيًا: وردهم رداً جميلاً.

ثم قال له: يا ابن أخي أن تقوم قد جاجوني، فقالوا لي: كذا، وكذا - اللذي قالوا له - فاتبع يا ابن أخي على، وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيع. فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك القول منه، قال: أن سيسلمه اليهم. وأنه قد ضعف عن نصرته، والقيام معه، فقال له: (يا عم، والله لو وضعوا الشمس

(1) آل عمران: 53
(2) البقرة: 89
في يميني، والقرر في يسارى. على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهر الله
أو أهلك فيه ما تركته، في استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
طيبي، ثم قام، فلمما ولى ناداه أبو طالب عليه وسلم وقال له: أقبل
يا ابن أخي، وأذهب فقل ما أحببت، فإن الله سأسلمك لشيء أبدا.
فلم رأى تريش أن أبا طالب لا يسلمه عزتم على حرب أبا طالب
وقتاه، فتهيأ أبو طالب لقتالهم، وجمع قومه وغديره لذلك، ثم
انتم تصالحوا فيما بينهم، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
على حال ذلك من عيب دينهم وتسفيه عقولهم وذم آلهتهم لا يرده
عن ذلك راد، ولا يصده عما يريده حداد.

فاجتمع أسراف قريش يوما، فقالوا: ما رأينا مثل صبرنا على
ما نلقينه من أمر هذا الرجل. أنه قد سمه أحلامنا، وشتم أباعنا،
وغلب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلتهنا. لقد صرنا منه على أمر
عظيم. فبينما هم يقولون ذلك، إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قليل يمسى حتى استلم الركن. ثم مر بهم طفلاً بالبيت. فلما مر
هم غزوا، وبعض القول، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال لهم: إن أسمعون يا مصر قريش! أرا ما الذي نفس بيده، لقد
جئتكم بالذبح! فقال: فأخذت الطواف كلهمه وهبته حتى ما منهم
رجل إلا ناكس رأسه. كان على رأسه طأرئا وقفا. حتى أن شددهم
عليه وطة ليلين له بالقول. ويطول له أحسن ما يجده من الكلام
حتى أنه ليقول: إنصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولا. فانصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم. حتى إذا كان الغد، اجتمعوا
فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه. حتى إذا
أسمعكم ما تكثرون تركتموه. فبينما هم في ذلك، إذ طلع رسول الله
صلح الله عليه وسلم عليهم.

فوقفوا إليه وثبة رجل واحد، فقالوا له، يا أبا طالب، ودئيننا، فقول: (نعم، أنا الذي آتى ذلك، فأخرجوا بجمع
برئائه، وجذروه جيداً شديداً)، وهو في ذلك يقول لهم: (أنا الذي
عيب ما أتمنى عليه) ولم يفزعه ما رأى منهم، ولا هاله ذلك. بل صبر
على ما ناله. حتى نصره الله عليهم، وأظهر دينه على دينهم.
فتأمل أبا الاعاقل، ان كنت منصفا: فرق ما بين نبيا مهدي عليه السلام، وبين ما تحكى النصارى عن المسيح في انجيله، وذلك أنها تحكى فيه: أن المسيح لما استشعر بووثوب اليهود عليه قال: قد جزئت نفسى الآن. فماذا أقول يا أبتاه. فقلت: من هذا الوقت (1) وأنه حين رفع في الخشبة صاح صياحا عظيما وقال: إلى اليهود لما غريتانى وترجمته: اليهود لم أسلمتى. (2)

وهذا غاية الجزع والخوف ينزه عنه عيسى، بل هو من اكاذيبهم عليه.

وذلك ذكرت في انجيلها: أن عيسى لما أخذته اليهود، وحملته إلى قائد القسسين قال له: أستحلفك بالله الحا أن تصدقنا: ان كنت المسيح ابن الله؟ فقال له المسيح: أنت قلت (3). وهذا كلام يدل على أنه كتب نفسه، وسرتها ضعفا وحينما ثم أن كفار قريش لما أكرهم أمير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغاظهم شأنه، نشأوا في أمره، فقال لهم: عتبة بن زرعة. يا معشر قريش. (6) أقوم لمحمد فأكلهم، وأعرض عليه أمورا، لعله يقبل بعضها فنتطميه أيها شاء، ويكف عنا؟ وذكى مما لم يكدوا أن يصلوا إليه بمكره، فقالوا له: بلى، فقام إليه عتبة. فقال له: يا ابن أخى. انك منا حيث قد علمت من البسطة في العشيرة، والمكانة في النسب. وانك قد أتبت توجهك بأمر عظيم. فرتقت به جماعتهم، وسفنت به أحلامهم، وعبث به آلتهم، ودرينهم، وكفرت من مضى من آبائهم.

فاسمع منى، أعرض عليك أمورا لمعلك تقبل هنا بعضها. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قل على أسمع، فقال: يا ابن أخي. ان كنت انتم تزيد بما جئت به من هذا الأمر مالا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا. وان كنت تزيد شرفا، سودناك علينا، حتى لا نقطع أرنا دونك. وان كنت تزيد ماكنا ملكنا علينا. وان كان.

(1) (متى 26: 68)
(2) الترجمة الحديثة: يليلي إيليا لما سبتقنتى، أي اليهود لما إذا تركتني (متى 27: 65) وفي مرقس (الوي 500) الخ. (3) متى 27: 11 مارس 16 4 لوقة 22 77 - 50 و 23: 43.
هذا الذكر يأتتك رجاءً تراه، لا تستطيع رده على نفسك طلباً لك الطب وبذلته فيه. أما لنا، حتى ندرك منه، فلم يرفع قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أقد فرغت؟) قال: نعم، قال: (فاضمعى،) قال: أفعل، فقرأ: "بسم الله الرحمن الرحيم. حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته، قرآناً لغبنا قوم يطمون، بشيراً ونذيراً، فاعضر أكثرهم، فهم لا يسمعون." ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة، حتى إذا بلغ "السمعة"، ثم قال: (قد سمعت يا أبا الواليد ما سمعت، فأتت وذاك.)

فقال "عبتة" إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: أهْنُك بِاللَّهِ، لقد جاءكم أبو الواليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس اليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الواليد؟

قال: وراقي أمي سمعت قولًا، والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالكينائية، إلا بالسحر. يا مشرق قريش، أطيعوني، وأجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل، وبين ما هو فيه، واعتزلوا فوالله لكيكون لقوله الذي سمعت نبأ عظيم، فإن تصب العرب، فقد كفيفمو بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه فلككم، وعزة عزكم.

وكتنتم أسد الناس بما: قالوا: سحرة والله يا أبا الواليد بلسانه، فقال: هذا رأي فيه، فاصنعوا ما بدلك، فانظر أن كنت عاقلاً كيف بذلوا له أموالهم، فلم يطلبها، وعرضوا عليه ملك الدنيا، فلم يرجه عليها، بل صدع بأبتر الله.

وبلغ ما أمره به الله.

وذلك اجتمع كفار قريش إشراقيهم، وساداتهم قوسته عليهم مثل الذي عرض عليه "عبتة" وقالوا له مثل قوله، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما بي ما تقولون شيئاً وما جئتكم أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا التقليل علىكم، ولكن الله بعضئي اليسكم رسولًا، وأنزل على كتابًا، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً.

(1) فصلت: 1 - 4
(2) آية نهاية الآية 38 من سورة فصلت
(3) 31 - الإعلام)
فبلغكم رسالتهم الله، ونصحت لكم • فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حفظكم في الدنيا والآخرة، وان تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم •
والأخبار في هذا النوع كثيرة • ومن أوضح آياته • وأشهر علامات:
ما أكرمه الله به بعد وفاته • وذلك أنه قد أشتهر أنه صلى الله عليه وسلم لم تتوه الله تعالى اختلاف غاسلوه في تجريده القميص • فلما اختلوا في ذلك ألقي الله عليهم النوم • حتى ما منهم رجل إلا ذته في صدره • ثم كلههم مكلم من ناحية البيت • لا يدرون من هو • ولا يرون أحدا: أن أغسلوا النبي • وعلى ثيابه •
وكذلك روى أن «عليا» و«الفضل» حين انتعب في النسل الى أسفله • سمعوا مناديا يقول: لا تكشفوا عورة نبيكم صلى الله عليه وسلم •
وكذلك روى في طرق صحاح أن أهل بيته سمعوا وهو مستجي • بينهم قائل يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • أهل البيت • إن في الله عوضا عن كل تالف • وكليه من كل هالك • وعزاء من كل مصيبه • فأصابوا واحتسبوا • إن الله مع الصابرين • وهو حسنًا • ونعم الوكيل • قال: فكانوا يرون أنه «الخضر» •
وقد ظن أن نسك النعان • إذ قد حصل البيان • على أن قراهن لحوال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلاماته • مما لا يحصيها • الناس • ولا يحيط بأجلها انسان •
وقد نجز القول في النوع الثاني من أدلة نبوته • والحمد لله •

وشتري الآن في النوع الثالث •

---
النوع الثالث

الاستدلال على نبوته صلى الله عليه وسلم بالكتاب العزيز

الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تنزيل من حكيم حميد

ولقد كان ينبغي أن نقدم الاستدلال بهذا النوع، لكونه أعظم

المعجزات وأوضحها وأشهرها. ولكن قدمنا النوع الأول تسليتنا للنصاري

واليهود، وتأسسا.

وقدمنا النوع الثاني بناء وتأسسا.

فنقلل أيضاً: محمد بن عبد الله رسول صادق فيما يقوله عن

الله، والدليل على ذلك: أنه قد جاء بالمعجزات، وكل من جاء بها

فهو صادق. فمحمد اذن رسول من الله صادق. فان قيل: لمقلم

أنا قد جاء بالمعجزات؟ قلنا: قد نقل لنا نقلاء متوارثة، بحيث

لا يشك فيه: أنه جاء بالقرآن، ومعجزات كثيرة. فاذن هو صادق.

ونبدأ الآن بالكلام على القرآن، وبعد الفراغ منه نشرع في

الكلام عليه غيره من المعجزات، إن شاء الله تعالى.

فان أدرك نظران أن يكون جاء بالقرآن، فقد نبين عنايه، وسقط

أشرده، ويتالله: قد حصل العلم بذلك لكل الأمم، واستوى

في ذلك العرب والعجم، وسبيلاً أن كنت منصفاً: أن تعاصر السلميين

وتسائلهم عن أخبار الأشخاص، حتى يحصل لك العلم اليقين. ولن

ينازع في ذلك عاقل منصف بله ما معتوه، أو متعضف.

فان قيل: سلمنا أنه جاء بالقرآن، فلم قلتم أنه معجزة؟ ألقنا

لأنه قد تحدى به كافة الفصحاء البلغاء، ومدة مقامه بينهم، فلم

يقدروا على معارضة شيء منه. فاذن هو معجزة. بيان ذلك:

أنه صلى الله عليه وسلم بعثه الله إلى قوم كان معظم علمهم:

الكلام الفصيح البلغ المليم، فلقد خصوا من البلاغة والحكم، بدأ
لم يختص به غيرهم من الأمم، وأوتو من دراية اللسان ما لم يؤته إنسان، ومن فصل الخطاب ما يتعجب منه أولوا الألباب، جعل الله لهم ذلك طبعا، وكفته فيه غريزة ووضع، فيأتيون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون بدلها في القامات، وشديد الخطب، ويرتجون به بين الطبخ والضرب، فربما جدوا شيئا وضعا فرع، وربما دمو شرفاً فوضع، فيصيرون بمدحهم الناقص كلاماً والنبيه خاملاً، وذلك لفساحتهم الرائعة، وبلاغتهم الفائقة، فكانوا يأتون من ذلك بالسحر الحال، ويوردونه أعذب من الملء الزلال.

فيعدون بذلك الألباب، ويذلون الصعب، ويذهبون الأحمر، ويهجون الفتى ويجرون الجيران، وي飄ضون في الجدع البناين، فهم يعرفون أصناف الكلام، ما كان منه نثرا، وما كان ذا نظام، فقد عمروا بذلك آزمانهم، وجعلوا ذلك مهتمهم وشأنهم، حتى بلغوا منه أعلى الرتبة، وأطلوا منه على كل غاية وسبب، لا ينزعهم في ذلك منازع ولا يدافعون عن ذلك مدافع، فيبينا هم كذلك إذ جاءهم رسول كريم بقدر حكيم، ففرضه عليهم وأسمعهم آية، واستدل عليهم صدقه بذلك.

وقال لهم: إن كنت في شك من صدق، فاقتوا بقرآن مثله، وقد سمعهم لهم، راعهم ما سمعوا، وعلموا أنهم دون معارضة قد انتقدوا، فلم يقتروا على ذلك، ثم أنه طلبه منهم أن يأتوا بعشر سور مثلاً، ولم يقتروا، وتم طلبهم أن يأتوا بسورة مثله، خلف يستطيعوا، وعند ذلك أخبرهم، وقال لهم: "لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا مثل هذا القرآن، لا يأتون مثله، ولهم بعضهم بعضاً، (1) يعني عونا. فعند ذلك ظهر عجزهم وتبلدهم، وان كانوا هم الذين الفصاحة، للد البلاء.

وعند ظهر عجزهم تبينت حجته، ووضحت محجته، وهكذا حال غير واحد من الرسل، أما ترى أن الآله تعالى أرسل موسي بن عمران إلىقوم كان معظم علمهم وعملهم السحر، فأيده بقلب العصي حية

(1) الإسراء: 88.
تستعي، فرام السحرة معارضته ومقاومته فلم يقدروا من ذلك على شيء.

وعدد عجزهم تبين صدقه وأنه رسول من عن Dios. وكذلك عيسي عليه السلام بعثه الله في زمن كان معظم علم أهل الطب، فأيده صياحي الموتى وأبراء الأكمه والأبرص. وعدد عجزهم عن الآتي من ذلك تبين صدقه. وأنه رسول من عن Dios فعلم بهذا البرهان، الذي لا يبتكر عليه خلل. إن محمد رسول الله "قد خلت من قبله الرسل".

فإن قيل: "لا نسلم أنه لم يعارض، بل لعله عوض، ولم ينقل، أو نقل فأخفى".

والجواب من وجهين:

أحدهما: أنا نقول ليهود والنصارى: هذا السؤال ينقل.

عليكم في معجزات موسى وعيسى. إذ يمكن أن يقال: إن ساحرا من السحرة عارض موسى عليه السلام، وأنه أتى بعضا من قتلبه شبانا أعظم من شبان موسى، والتقن شبان موسى.

ويمكن أن يقال للنصارى: أن عيسي عليه السلام عوض في إحياء الموتى وأبراء الأكمه والأبرص. ولم ينقل اليهود، أو نقل فأخفى.

وذلك نقول لغير اليهود والنصارى من الأمم في معجزات أنبيائهم.

فبالذي ينفصلون عن معجزات أنبيائهم، به بعينه نفصل عن معجزات نبينا عليه السلام.

وجملة ما قيل في جواب هذا: لو عوضت لنقل أذ العادات تقتضي ذلك. فإن هذا الأمر مهم عظيم، تكثر العناية به، فكثر نقله، لا سيما في شريعةنا. فإنهم قيل لهم: إذ لم تصدقوه، ولم تعارضوا. فأذنا في حرب فلما لم يؤمنوا، ولم يعارضوا قاتلهم، فقتلتهم، وسبى أدنى منهم. وانتقم منهم غاية الانتقام. فلو قدرنا على المعارض، ولو عوضوا لنقل نقلا م Unterstützung، فإن هذا الأمر من أهم المهام عند العقلاء.

الوجه الثاني من الجواب: وهو الانفصال الحق والكلام الصدق.

آن قول: من وقف على القرآن وسمعه، وفهم ممانيه، وكان عارفا.
بالصرف كلامهم علم عجز الخلاق عن الآتيان بما تسمى عجز الأطباء عن آتى الموتى وإبراء الأكوام والأبوء بنفس العلم.

فان قال: "أشياء الموتى، وقلب العصى، وما ينزل منزلتها جليه، لا يشك فيه من شاهده، عام، بالإضافة إلى كل العقلاء، لا يبقى معه ريب لأحدهم، بل يحصل لهم العلم القطعى بذلك. وليس كذلك ما أدعاه نبيكم من أعجاز القرآن إذ لا يحصل العلم بأعجازه لكل أحد بل أنا يحصل العلم بذلك عندكم، وعلى زعمكم للفحص فممن العرب وأما من ليس فصيحا أو أعجيا، لا يفقه لسان العرب، فلا يحصل له العلم بأعجازه. فان الآتي من كتب كلمة واحدة لسان العرب لم يقدر على ذلك، فعدم قدرته على ذلك لا يقل على صدق المتحدى به، وكذلك من ليس فصيحا من العرب لو كلف أن يأتي بكلم فصيح لم يقدر عليه، فلا يكون ذلك معجزا في حقه.

الجواب: أن نقول: سبنين أن شاء الله وجوه أعجازه، وأنها متعددة. وإن منها ما يدركه الجفلا، ويشترك في معرفة أعجازه أهل الحضارة والفلا.

فيكون هذا النوع كقلب العصى، وأحياء الموتى، ولو سلمنا جدا أنه معجز من حيث بلاغته، وأسلوبه المختلف لأصلابهم فقط. نقول: أن العلم بأعجاز وإحياء الموتى، وقلب العصى لا يحصل لكل العقلاء على حد سواء، ولا في زمان واحد، بل يحصل ذلك من علم وجه أعجاز ذلك الشيء المعجز، حين يعرف أنه مما ليس يدرك بجثة بشريه، ولا يتوصل إلى ذلك بالإطلاع على خاصية.

وقد لا يعد أن تقوم شهية عند جاهل بصناعة طب والسحر تمنعه من تحصيل العلم بالإعجاز. فيقول: لعل موسى اطلع من السحر على شيء لم يعلمه السحرة، ولا اطلع عليها وكذلك عيسى. لعله وقع على خاصية بعض الأحجار، أو بعض الموجبات. فكان يفعل بما ما يظهر على يديه. وهذه الشهية إذا ما ممكن أن تظهر للجاهل بالطب.
والمAGIC السحر وأما العالم بالطب وبالمAGIC السحر فلا تكون هذه شيئا في حقه لعلماء الذي حصل له بالذوق والمارسة لأن الذي جاء به هذا مما ليس يدرك ببحيلة صناعية ولا بالوقوف على خاصية بل هو صنع خلاق البرهنة وأنه أراد به التصديق لهذا الدعوى والشهادة واليقينية فحصل من هذا أن العلم بأعجاز أحياء الموتى وقلب العصي إذا يحصل أولا للسحرة والأطباء ولا يحصل لكثر من الجهل بالطب والسحر الأجيباء فذلك أعجاز القرآن ولا فرق.

حصل العلم به أن يعلم لسان العرب بالذوق بضرورة الفرق الذي بينه وبين لسان العرب فعلم أنه ليس داخلا تحت مقدور العرب وإذا عجز عنه العرب الفصحاء واللغة البلاغة، ففيهم أعجز كما أننا نقول إذا عجز الأطباء عن أحياء الموتى وأبراه الأكمه والأبرص ففي الأطباء أولى وإذا عجز السحرة عن قلب العصي شعبانا في السحرة أعجز وأعجز.

وقولهم: "أما يعجز عن العرب لا الحجم" معارض بأن يقال لهم "أما يعجز عن أحياء الموتى الأطباء ولا غيرهم" وإذا عجز عن قلب العصي السحرة، لا غيرهم، فبهما ينفصلن بالذي ينفصلين به، بل نزيد عليهم في الانفصال، بوجه ترفع الأشكال فانا أprungبي وجوها في أعجاز القرآن يدركها كل انسان عجيبا كان أو عريبا مجوسيا كان أو كتابيا وسسببنا أن شاء الله أثر هذا.

ففقد حصل من هذا الكلام كله: العلم بأن محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالقرآن وتلحدى به، وهو مجزية، وكل من جاء بالمحجة وتحدي بها فهو صادق، فالنتيجة معلومة وهي: أن محمد صلى الله عليه وسلم صادق.

فقال قلبه "فبينا لنا وجه أعجاز القرآن وهل هو من جنس ما يقدر عليه البشر فصرفوا عنه أو ليس من جنس ما يقدرون عليه"؟

فقالجواب: أن نقول: ذهب بعض علمائنا إلى أن وجه أعجازه اسم هو من جهة أن صرفوا عن الأثبات به، وأنه من جنس مقدر للبشر. لكن لم يقدروا عليه. وهذا أن كان فهو بليغ في الأعجاز. وذلك أن المعجزات ضربان: ضرب خارج عن مقدور البشر، كانغلق.
البحر، وانشقاق القرى، ونبع الماء من بين الأصابع، وضرب يكون من جنس مقدور البشر إلا أنهم يمنعون من فعله، ولا يقرون عليه.
فأنا نبياً أدعى أنه رسول الله، واستدل على صدقه بأن قال لقومه: آيتى، آيتى، ألا تقدرنا اليوم على القيام، فكان ذلك، هذا دليل صدقه، وهو معجزة جليلة، أبلغ في الإعجاز من الأتيا آياتًا ليس بمقدور، ولا يبعد أن يكون إعجاز القرآن من هذا القبيل، فان البشر قد صرفوا عن الأتيا بمثله، بل عن الأتيا بآيات طويلة من آياته، ومن تنازع في ذلك فعله بأن يأتي بقرآن مثله، أو بسورة من مثله، وهذا من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم.
وذلك أن معجزته موجودة بعده، وحضوره مشاهد في كل وقت، لم تنتقص، وبروزها، ولا هالت بموتته، بل هي موجودة مستمرة على قيام الساعة، فكل من أبدى نكرًا في نبوته، أو قنحا في رسالته، فلنا له: أن كنت صادقاً في تكذيبك له، فعارض قراره، ومنزله، فإن لم تفعل نبين العقلاء منه أنه متواضع مبطل.
ثم نقول: والذي ذهب إليه أكثر علمائنا: أن القرآن خارج عن مقدور البشر، وليس من جنس مقدورهم، وأن القرآن كان كلاماً، وليس بينه وبين كلام العرب من المناسب والالتزام، إلا ما كان بين الحية التي انقلب على موسى عنها، وبين حياة الصحرة، التي كانت تخيل للنازرين إليها: أنها حيات تسعي.
وجوه إعجازه كثيرة، لكننا نبدي منها أربعة، وتقتصر عليها: لبيانها، وظهورها، ***
الوجه الأول

فقول: لأن لسان العرب هماين للسان غيرهم، ومتميز عنه بأمور

بيعلومها المارون باللغة واللسان، ولا يشكون فيها.

ومع غالب في ذلك وأنكره، فعليه أن يتعلم لسان العرب، واللغة

غيرهم، حتى يحصل له الفرق بينه وبينهم، وسيرة مشاهدة ضرورية.

وذلك الأمر الذي يباين بها غيره من الآلسة: خفة اللسان في الفهم.

وعدوته، وسعة المخارج والتعبير عن المعنى الدائر في الضمير بأبلغ

عبارة، وأوضح تفسير. وكما تتميز لسان العرب عن لسان غيرهم.

كذلك غير لسان العرب، فذلك تميز لسان محمد رسول الله صلى

الله عليه وسلم بأسلوب آخر. ومناهج لم تكن العرب قبله تستعملها على

نحو ما استعملها هو، حتى أن من لم يعرف كلام رسول الله صلى الله

عليه وسلم وسمعه، وكان عرباً يفرق بينه وبين كلام غيره من

الفصحياء، ففاته يرث على بلاغة البلقاء، وينفي في حكمته على جميع

الحكام.

وذلك كانت العرب تقول له: ما رأينا بالذي هو أقصى منك.

وهذه المناهج المعروفة في كلامه، لانا يعرفها على التحقيق من باشر

كلامه، وتبتعد وتتهمه، وكان عارفاً بلسان العرب، وكما تميز كلامه

عن كلام العرب وزاد عليهم. فذلك تميز كلام الله عن كلامه بأنسابه

آخر. حتى أنه كان إذا تكلم بكلامه أدرك الفرق بينه وبين كلام الله

حين يتكلم، ويتكلم به. حتى كان العائل الفصيح إذا سمعه قال:

ليس هذا من كلام البشر، ولا مما تقدرون عليه. وسندكر ما نقل

لينا عن فصاحهم لم سنعوا القرآن.

فمن الوجه الذي به مايز القرآن كلام النبي صلى الله عليه

وسلم، وكلام العرب: فصاحته الرائقة، وبلاغته الوافية، وجزاته

الفائقة، حتى تسمع الكلمة الواحدة منه تجمع معاني كثيرة، مع عدوبة

أبرادها، وجزالة مساقها، وصحة ممانيها، مثل قوله: "خذ العفو،

وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين"(1).

(1) الأعراف: 199
ولما نزلت هذه الآية قال «أبو جهل» وكان من أشد الأعداء على محمد خير الإثنياء: أن رب محمد لفصحه. وهذه الآية بما تضمنت من الأحكام، وتفسير الحلال والحرام، والأعراض عن أهل الجهل والاجترام، والأمر بالتزام أخلاق الكرام. تدل دلالة قاطعة على أنها كلام العزيز العلام. مع ما هي عليه من النفيBERS الوصلى الرضى، الذي يروع قلوب العارفين، ويزغ قلوب القارئين والسادعين.

وذلك قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُؤْمِرُ بِإِلْبَاسِ النَّافِعِ وَإِبْتِبَاعِ الْقَرْبِيِّ وَيِبْنِيَّ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُكْرَرِ وَالْبُغْيِّ يَمْعَلُ كَمِلْكٍ تَذَكُّرُونَ» ١

ولا سمع «المغيرة» هذه الآية. وكان من أعدائه، الذين يريدون إطفاء نوره، وإذابته بهائه. قال: «والله أن له لحلاوة، وأن عليه لطلاوة»، وأن أسفله لمغدق، وأن أعلاه لمحور مورق، وما يقول هذا بشر. وهذه الآية قد تضمنت بحكم عمومها، وصحة مفهمها معاني كتاب المتقدمين، وشرعاء الماضين، وتذكرة الحاضرين، وتخويف المقررين، وترغيب المجتهدين، مع ما هي عليه من قلة الكلمات.

ومع عذوبة المساق والجزاءات.

وذلك قوله تعالى: «وَمِنْ يَطْعِمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِى اللَّهَ وَيَتَّقِهْ » ٢

فأولئك هم الفائزين. ١ حكى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بينما هو يومًا نائم في المسجد. إذ وقف على رأسه رجل يشهد بشاهدة الحق، فاستخرجه فقال: «أني كنت من بطاركة الروم. وكنت من يحسن كلام العرب وغيرهم. فسمعت أسيرا من المسلمين يقرأ آية من القرآن فتاكلتها، فإذا هي قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة. ثم قرأ عليه: "وَمِنْ يَطْعِمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِى اللَّهَ وَيَتَّقِهْ » الآية المتقدمة، وكذلك قوله تعالى: "وَأُوحِيَ إِلَى أَمِّ مُوسى: أَنْ أَرْضِعِهِ، فَإِذَا خَفَتَ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْبِيْمِ، وَلَا تَخْفَى، وَلَا تَحْزَنِي، أَنَا رَادُّوهُ الَّذِي، وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» ٢

___________________________
(١) النحل : ٩٠ (٢) الدور : ٥٢ (٢) القصص : ٧
حكي أن «الأسمى» سمع جارية من العرب(1) فتعجب من فصاحتها. فقالت: واهل بعد قول الله تعالى فصاحة، فحيث قال:
«وأوهيننا إلى أم موسى: أن أرضيهم، فذا خفت عليه فالتية في اليم، ولا تخاف ولا تحزن، أنا راده اليلك، وجاعلوه من المرسلين.» فأنه جمع في آية واحدة بين أمرين، ونهبين، وخبرين، وشوارتين؟

وذلك قوله تعالى: «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين» (2)

وكي أن أعرابياً لا سمعها سجد. فقال له: لم سجدت؟ قال: سجدت لفصاحتها، ولا يظن الجاهل. أنا نستدل على فصاحتها بكلام هؤلاء الأعراب. كلا. لو كان ذلك لكاتب المادة أضعف من السراب. بل نعلم أنه مرجع فصاحتها علم ضرورة تحقق لنا عند سماه وقراءته. والبلغاء إذا وفقوا عليه وسمعوا، لذلك العلم مضطررون، بحيث لا يرتابون ولا يشكلون.

كيف؟ والعربي الفصيح إذا سمع قوله تعالى: «ولكم في الذين ينصون» (3) وقوله تعالى: «ولو تري أن فزوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب» (4) وقوله تعالى: «ولا تستوى الحسنة ولا السيئة»، ادع بالتي هي أحسن. فإذا ألم بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم» (5) وقوله تعالى: «وقبل يا أرض ابن هامك»، ويا سماه أتلمي، وفِّيض الماء، وقضي الأمر، واستوت على الجودة، وقيل بعدا للقوم الظالمين» (6) وقوله تعالى: «فكل أخذنا بذنبه، فمنهم من رسلنا عليه حامبا، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفنا به الأرض، ومنهم من أفقرنا، وما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» (7) ومتلك هذا كثير، قضى من هذه البلاغة والجزالة وثبات هذه المعاني: العجب. وعلم أن مثل هذا لا يقدر عليه أحد من العجم، ولا من العرب.

(1) يقال: إنه سمع الجارية تنشد:

أمستغر إلى لن نبني كله قرينا بغير حبة
مثل غازل ناعم في له، وانتصف الليل، ولم أصله
(2) البقرة: 179
(3) الحجر: 94
(4) سبأ: 51
(5) فصلت: 34
(6) العنكبوت: 40
(7) هود: 44
وما عسي أن يقال في كلام ذي الجلال ء اذ هو أصدق الكتب emoc
ومصدق خير الرسل ء ولو كانت البحار مدادا ء وأجمع الجن والانس.
كتابا ء ما بلغوا مشاره ء ولا قدروا مقداره.
قال الله تعالى العظيم في كتابه الكريم: "قل لو كان البحر مدادا
كلمات ربى لنفد البحر ء قبل أن تنفد كلمات ربى ء ولو جئنا بمثله
مدادا"(1).

فهذا هو الوجه الأول.

***
الوجه الثاني

من وجوه إعجاز القرآن: نظمه العجيب وأسلوبه الغريب، الذي
خلافه به جميع أساليب كلام العرب، حتى كأنه ليس بينه، وبينه
نسب، ولا سبب. فلا هو كمنظوم كلامها، فيكون شعراً موزوناً،
ولا كمنثورها، فيكون نثرنا عريعاً عن الفواصل، محرولاً، بل تشبه
رؤوس آيه، وفواصلها، تواف النظم، ولا تدانها، وتتفاوت آيه،
منفرقات النثر، وتناوبها. فصار لذلك أساليب خارجاً عن كلامهم.
ومنهاجاً خارقاً لعادة خطابهم. وذلك أن كلام بلغاء العرب لا يخلو:

أما أن يكون موزوناً منظوماً، أو غير موزون ولا منظوم؛ فالأول:
هو الشعر وهو أصناف وأنواع بحسب اختلاف أعاريضه، والثاني:
هو النثر، والقرآن العزيز خارج عن الصنفين، مختلف بالنوعين.
فارق الشعر بأنه ليس موزونا وزننا، فتكسره لفظة زائدة، ولا مرتبطاً
ربطه حتى تفسده مخالفته تافهة واحدة، في الوقوف عليه. وأوضح شاهد،
и أقطع لشبهة كل مانعد.

وهي أنت أنتوا عليه معتبر النصارى بعض آياته ليتحقق المنصف
صدق شهاداته.

قال الله العظيم، في محكم كتابه الكريم: "اذا انتبذت من أجلها مكاناً شرقياً، فاتخذت من دونهم حجاباً فارسلنا
عليها روحنا فتمت لها بشراً سويًا. قالت: اني أعوذ بالرحمن منك
أن كنت تتمى. قال: إنما أنا رسول ربك، لاهب.(1) لك غلاباماً
زكياً. قالت: اني يكون لي غلام ولم يمضى نبشر ولم لك بفيها.
قال: كذلك قال ربك هو على هين، ولنجعله آية للناس ورحمة
وجبت أنت مضايا. فحملته فانتبذت به مكاناً فضياً، فأجاءها الخاتم
إلى جذع النخلة قالت: يا ليتني متي قبل هذا. وكنت نسيماً،

(1) في الأصل (ليهيب) وقراءة خفص (لاهب).
فقد نادى أبا ليك، فلما بلغه الخبر دعا إلى سلامه، وقرر بذلك. ولهذا، لما تأخر عليه في هذا النص، فقد تأخر فيه، وتدخله، فانما تولثت هذه الآيات على الخصوص في هذا المقام لما تضمنه من الأفكار عن عيسى ومريم عليه السلام حتى يعلم النصارى بطلان ما يقولوه عليها من الكذب، والأوهام.

فانظر، إن كنت عاقلاً منصفاً، كيف هذا النظام الشريف، البديع المنيف، كيف عادل بين رؤوس الآي، بحروف تشبه القوافي، وليس بها، والتزمنهم ثم عدل عنها، إلى غيرها، مع أن السورة واحدة بخلاف ما يفعل النافر، فأنه لا يتزمن القوافي، ولا فواصل.

وقد أعرض القريب ذو الأيات لها، فواصل ومقاطف، ورؤوس تشبه القوافي، فقد عرفت أنه خالف نظام كلام العرب، ونثرها فهو منهج آخر، وأسلوب لم تكن العرب تعرفه، ولا سمعتها العرب ووعته، لم يتحدث قط واحد منهم بأن اله شيعت على معارضة آية منه، بل حارس.

فانظر كيف عرفوا أنه ليس من جنس كلامهم، ولا من جنس كلام الكهنة، ولا السحرة، ولم يمنعهم من الإيمان به، الا ما سبق لهم من الشقاوة والعناد والحسد والجفاء.

وكان بنك قال لهم «عنبة بن ربيعة» لما سمع «حمان تنزل من الرحمن الرحيم» (2) قال: والله ما سمعت مثله كثير، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهنة. فقد تقدم بكماله، فلينظر هناك.

وكان قال «أبيذر الصفار»: وأي ذر الصفار، وكان شاعراً ملتزاً، ينافذ الشعراء ويعارضهم، فلما سمع القرآن قال لأخيه: أبي ذر، لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعته على أقراء.
الشعر، فلم يلتفت وما يلتفت على لسان أحد يدعى أنه شعر.
وأمه أنه لصادق وأنهم لكاذبون.
والأخبار الصحاح في هذا المعنى أكثر من أن يحيط بها هذا الكتاب.
فقد اتضح من هذا الوجه، ومن الذي تقبله: أن القرآن العزيز
معجز بمجموع فصاهته ونظمه. وقد تبين أنهما وجهان متغايران.
ثم هل كل واحد من هذين الوجهين معجز بانفراده أو أنما يكون
معجزاً باجتماعهما؟ هذا فيه نظر.
ولعلمائنا فيه قولان: ليس هذا موضوع استيعابهما، ولا حاجة
بنا، في هذا الكتاب إلى بيانهما. إذ قد عرف وتحقق: أنه بفصاهته
ونظمه معجز، ومن تشكيك في ذلك أو أبدى فيه أمرًا، بعد الوقوف
على القرآن، فهو منكر لما هو ضروري، والذي يبطل عناده، ويظهر
صميم جهله أن يقال له: أتت بسورة من مثله.
الله ولي التوفيق، وهو بتنويق قلوب أوليائه حقق.

***
الوجه الثالث

من وجوه إعجاز القرآن ما تضمنه من الأخبار بالغيفات قبلاً أن ميحيط أحد من البشر بعلمه، وبوتور كائنات قبل وجودها، وذلك أمر لا يتوصى إلى العلم به، إلا من جهة الصادقين الذين يخبرون عن الله تعالى.

ونحن نذكر منها مواضيع على شرط التقرب والاختصار، تعفى عن التدوين والاكتشاف.

فمن ذلك قوله تعالى: "لتدخلن المسجد الحرام، ان شاء الله أهتنين، محلتنين رؤوسكم، ومقصرين، لا تخفون"(1).

فهذه الآية من أوضح معجزاته صلى الله عليه وسلم، وذلك أن الله تعالى وعده بأن يدخله المسجد الحرام هو وقومه في حالة أمن، ويفتح عليهم مكة على أحسن حال، فلما زالوا ينتظرون ذلك حتى بلغ وقته، وصدق وعده، فدخلوا كما وعدهم، وفتحوه على ما أخبرهم.

ومن ذلك قوله تعالى: "ألما غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيفبرون، في بضع سنين، الله الأمر من قبل، ومن بعد، وبهذ البفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء، وهو العزيز الرحيم، وعند الله، لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يطمئن"(2).

وهذه الآية أيضا من أعظم معجزاته، وذلك أن هذه الآية لما خزلت كانت "فارس" غالبي "الروم" وكان المسلمون يحبون ظهور الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، وكانت قريش يحبون ظهور فارس على الروم، لأنهم واباهم ليسوا أهل كتاب، ولا إيمان.

فلا أنزل الله تعالى هذه الآية خرج "أبو بكر الصديق" رضي الله عنه. يصبح في الناس، وفي نواحي مكة بهذه الآية، ويقرأها على مشركي

(1) الفتح: 37
(2) الروم: 1-6
(32-الإعلام)
قريش • فقال الناس من قريش: زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارس
في بضع سنين • أفلا نراهك على ذلك؟ فقال: بلني - وذلك قبل
تحريم الرهان - فارتمنى «أبو بكر» والشركون، وتواضعوا الرهان
وقالوا لأبي بكر: كم نجعل البضع - البضع ثلاث سنين إلى تسع
سنين - فسم بيننا ويبدوك وسطا ننتهي إليه؟ قال: فسموا بينهم: ست
سنين • فمضت السنين قبل أن يظهروا • فأخذ الشركون رهن
أبي بكر • فلمما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس • فعاب
المسلمين على أبي بكر تسميته: ست سنين • لأن الله تعالى قال:
«في بضع سنين».

قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير(1).

ومن ذلك قوله تعالى: «وعد الله الذين آتنوا منك وعطوا
الصالحات ، ليستخلفهم في الأرض ، مما استخلف الذين من قبلهم
ولمكن لهم دينهم الذي أرثى لهم • وليدلتهم من بعد خوفهم أمنًا
يعدونا ، لا يشركون بي شيئا»(2).

وقد فعل الله ذلك بمحمد وأمه • ملكهم الأرض • واستخلفهم فيها,
وأذل لهم ملكها • تحت سيف النصر • بعد أن كانوا أهله عز وكبر,
وأورثهم أرضهم وديارهم وأمواتهم ومنحهم رتبهم «وعد الله
أن الله لا يخلف الميعاد»(3).

ومن ذلك قوله تعالى: «يريدون ليطفّوا نور الله بأفواهم
والله هم نوره ، ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهرون على الدين كله • ولو كره الشركون»(4).

فان قيل: «كيف يصح لكم قوله : «ليظهرون على الدين كله»
ومعلوم أن ملك النصارى لم ينقطع في حيائه ، ولا بعد موته • وهذا
ملحم قائم • فلم يظهرون دينكم على دينهم • فلا معنى لقوله: «ليظهرون
على الدين كله»؟

(1) وفي الآية إعجاز آخر وهو فرح المؤمنين فيما بعد بنصر الله • وقد
انتصروا على نارس والروم.
(2) الرعد: 31.
(3) النور: 55.
(4) الصف: 8، 9 ، والمعنى لآيات النبي صلى الله عليه وسلم والمستقبل
من الأيام إلى يوم القيامة.
الجواب: أن الله تعالى بث محمدًا صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، وأيًا جميع أهل اللمل عامة، نصرانهم، ويهودهم، وغير ذلك، فبلغهم بما أمر الله به، فقالهم، فنصحوا العدواء، وأبدوا له صفحة الخالد، فهموا ببديل دعته، وأطفاء كلمته، وذلوا في ذلك غابة جدهم، واستفروا أقصى جهدهم، فنصبوا لحربه، وعزموا على قتنته، ونهبهم، ورسله يقول له: "بلغ ما أنزل الله من رك".

وإن لم تفعل فما بلغت رسالة، والله يعصمه من الناس".

فأول من حاربه: كفر قريش، فأظهر الله بهم، وأظهر عليهن، ثم حاربته: يهود، فأمكنه الله منهم، وملكه أرضهم وديارهم، فقتل وسيا، وأسر، فعلا عليهم وظهر، ثم حاربته النصارى، فغزاه مبتوب، ودخلا عليهم بلادهم، واتفتح في طريقتهم حضوانا لهم، وغبرهم، وأظهره الله عليهم، وضرب على كثير من ملوك الجزيرة.

ثم أن أصحابه بعدهم، لم يزالوا على مثل حاله، يقاتلون كل من كفر به، ولا يخافون لومة لأمهم في الله. فلقد صبروا ملوك الروم وغيرهم: أذلة أهل صغار، وجزية، وذلة، ثم لم يزل دين الإسلام، مع مرور الأيام ينتشر بكل مكان، ويظهر، وغيره من الأديان يقل.

وبصف.

وحسب شاهدا على ذلك فتح هذه "الجزيرة الأندلسية".

(1) المائدة: 17
(2) يطلق المؤرخون والجغرافيون العرب كلمة "الأندلس" على شبه الجزيرة "إيبيريا" الكونية من أسبانيا والبرتغال ( يانوت في مجم البلدان تحت كلمة الأندلس. والروض المطرس ص 1) وتطبق في الرواية العربية أيضا أسبانيا السلمية، التي كانت عقب النجاح تشمل كل أسبانيا ما عدا "جليفة"، وولايات جبال "البرنية". ولكن "الأندلس" تطلق في العصور المتأخرة، وفي الجغرافيا الحديثة على ولايات الأندلس الموجودة في جنوب أسبانيا، بين نهر الوادي الكبير والبحر، وبين ولاية مرسي "Andalucia"، وما زالت "الأندلس" تحمل في تقسيم أسبانيا الإداري الحاضر نفس هذه المنطقة. والرواية العربية تعلل هذه التسمية بصور مختلفة، فتقول مثلاً أنها سميت أندلس باسم أول بن سكنتها من قديم الزمان، وهم وقعون من الأعاجم يقال لهم أندلوس (فتح الطيب ج 1 ص 67) ويقول ابن الأثير: إن النصارى يسمون الأندلس "إسبانيا" باسم "إسبانس" أحد ملوكها، وهذا هو اسمها عند "بطليموس" (ج 4 ص 131) ولكن ابن خلدون يقدم لنا تعليقًا أدق فأقول إنها سميت
على بدي جماعة من العرب قليل عددهم، وعددهم (1) كثير دينهم ومدتهم
على أعداد من النصارى لا تحصى، وجنود لا تستقصى. ولكن صدق
الله عهده، وأنجز وعده، وهزهم الأحزاب وحده. فأمكتمهم الله منكم،
وأظهرهم عليكم، فأجادكم عندهم بين أسر نصيرة، وتحت صغار
الجزيرة ذليل، وأصدق شاهد على ظهور دين الإسلام على دينكم.
وجميع الأديان غلبتهم على بيت حكمهم، وموضع قرابينكم العظم.
والمسجد الكرم، بيت المقدس حيث آراؤ الله أن يظهره من رذائه،
وينزه عن جهالكم، وخبائثكم. فافتحه المسلمون، وظهر دين
ابنه على الدين كله، ولو كره الكافرون.

ومن ذلك قوله تعالى «سنريهم آياتنا في الآفاف، وفي
أنفسهم» (2).

وقوله: «في الآفاف» يريد بذلك فتح الأمسار، وقوله:
«وفي أنفسهم» يعني به فتح مكة. وقوله: «سنريهم» يرجع إلى
কنار قريش. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ان الله زوی)

(1) الأندلس، باسم «قندلس» ولعلها «قندلاس» ومن الواضح أنه يقصد
النفاذ. أي «الوندال» (3) 235 في تاريخ القوط. وينقسم لنا
البكرى خلاصة دينه لهذه السمات الجغرافية التاريخية فيقول في وصفه
لجزيرة الأندلس: إن اسمها القديم «أبريه» «Iberia» من وادي «ابره».
ثم سمي بعد ذلك «بباطة» «Baetica» من وادي بيطسي وهو نهر قرطبة.
ثم سمي «إسبانية» من اسم رجل ملكها في القرن ألف اسمه «إسبان».
وقبل اسمه باسم «الإسبان» الذين سكنوها في أول الزمان على جزيرة
Hisperia»، وقيل سمي باسم «إسبان» الذين سكنوها في أول الزمان على جزيرة
النهر وما وراءه. وتأتي توم: ان اسمها في الحقيقة «إسبانية»
من اسمهم، وهو الكوكب المعلوم بالأحر. وسميت بالأندلس
من اسمهم. «الأندلسي» من الذين سكنوها. والأندلس هم «الوندال»
Danville». وهذا هو التعليل الذي يأخذ به «دانفيل» «Vandals»
أذ يقول: ان الاشتقاق مأخوذ من كلمة «دانالوسيا»
أي بلد «الوندال»، (نفته «جيوبن» عن كتاب مالاك أوروبا في هامش
الفصل الحادي والعشرين) وهذا ما يقرره الفزارى أيضا في معجم مخطوطاته
الإسكوريال.


(1) من عنان: دولة الإسلام في الأندلس، هامش ص 50.
(2) «عددهم»: الأولي فتح العين، والثانية بضمها.
(3) نصلت: 53.
لي الأرض • فرأيت مشارقها ومغاربها • وان هلك أمتي، سبيلها •
(زوي منها) • ومعنى "زوي" • جمع •

ومن ذلك قوله تعالى: "سيهزم الجمع، ويولون الدبر" (1)

يريد بذلك والله أعلم: جمع كفار قريش • وكذلك فعل بهم •
وذلك أنهم خرجوا إلى حربه صلى الله عليه وسلم في غير موطن •
فهزمهم الله • وولوا الأدباء • وكانت عاقبتهم الخسارة والبوار •
وذلك قال تعالى في آيات أخرى: "قل للذين كفروا استغلبون •
وتحسرون على جهنم وبنس المهاد" (2)

وفي آية أخرى: "ان يضروكم الا أذى • وان يقاتلوك، يولواكم •
الأدباء • ثم لا ينصرون" (3)

فهذه الآية اقتضت بشرحين:

احداهما: أنهم لن يصلوا إلى أصحاب النبي بحضر أكثر من السب •
والثانية: أنهم يغلبون • ويولون الأدباء • وكذلك كان على نحو ما أنزله ذو العزة والسلطن •

والآيات في القرآن لهذا النوع كثيرة • ومن ذلك قوله تعالى: "انا نحن ننزل الذكر وانا له لحافظون" (4) • يعني بالذكر: القرآن العزيز •

أخبرنا الله تعالى في هذه الآية: أنه أنزله • وأنه تولى حفظه •
وهذا كتاب الله محفوظ بحفظه • لا يقدر أحد على تغيير كلمة واحدة من لفظه على كثرة من سعي في تغييره • فأطفاً نوره • لا سيما "القرامطة •
فانهم كانوا قد أجمعوا كيدهم • واستنثدوا في تغييره وتحريفه جهدهم •
ولم يزل كذلك دأبهم • ودأب غيرهم • من أعداء الدين • وعائلا الملحدين •
ويأتي الله الآن تعلي كلمته • وتظهر شريعته •

وقد قدمنا أسباب حفظ القرآن • فلا معنى لأعادته مع الأحيان •

(1) آل عمران: 45
(2) آل عمران: 111
(3) الحجر: 9
(4) المسمار: 12
ومن ذلك قوله تعالى: "أنا كفيناك المستهزئين، الذين يبطون مع الله الهمان آخر" (1)

كان هؤلاء المستهزئون، نفراً من الكفار معروفون بأعيانهم وأسمائهم، ينفرون الناس عنه، ويؤدونه، ويوزون به، فأنزل الله على نبيه هذه الآية بيشره باهلاكم وهم أحياء، فكان سبب أهلاكم من أعجب آيات النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه كان منهم: "السود بن عبد الطلب" رمي في وجه النبي صلى الله عليه وسلم بورقة خضراء فيهم وهم "السود بن عبد يغوث" أشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم فاستسلم إليه، فمات حينا وهم "الوليد بن المغيرة" أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أثر جرح كان باسفل كعبه، كان عذابه قبض ذلك بسنتين، وكان قد برأ فتجدد حتى قتله الله به، ومنهم "العاص بن وائل" أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أخصم رجله فخرج على حمار له يريد الطائف، فرماه حماره على الأرض، فدخلت في أخصم رجله شوكة، ومنهم "الحارث بن الطلالة" أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى رأسه، فاستحال دمه في قبئا، فقتلهم

فانظر بعقلك هذه الأمور العجيبية، وهذه الأحوال الغريبة التي لا تلحق بالأفكار، ويجار فيها أولى الأزمان، بل تشهد عنها العقول: أن النصوص بها تصديق الرسول، فإنه لو لم يكن له من العجزات إلا هذه الآية، لكان فيها أعظم كفاية ولحصل من تصديقه على أبعد غاية.

وفي كتاب الله تعالى، من هذا القبيل ما يحتاج استقصائه إلى تكرير، وتفويف وحسبك ما تضمنه من كشف أسرار النافعين، وخوضحة اليهود الفاسدين، فلقد يقضى الناظر فيها من ذلك الموجب للإجاب.

ويتحقق أنه من عند الله من غير شك، ولا ارتباك.

***

(1) الحجر: 95، 96
الوجه الرابع

في وجه اعجاز القرآن: ما تضمنه من الاختيار عن الأمم السالفة، والقرُون السالفة، والشريعة الدائرة، والنصوص الغابرة التي لا يعلم منها بعضها الا الأحاد من علماء ذلك الشأن الذين قد انقضت لهم في تعلم تلك العلوم: أمَّان - فيورد الوحي صلى الله عليه وسلم في القرآن على وجهه، ويأتي به على نصه، فيعترف العالم بصحته، وتصديق قصته، مع العلم بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يل ذلك بتعليم، ولا أكتسب ذلك بواسطة معلم ولا حكيم. بل حصل له ذلك بأعلام العزيز العليم.

والآن، فهو أمٌّ، لا يقرأ ولا يكتب ولا يتفقه ولا يحسب.

ومع ذلك فقد حصلت له علوم الأولين والآخرين، وصار كتابه وكلاهما من علوم الملحمين. فلقد كان أهل الكتاب يجتمعون إليه، ويلبون بالسؤال عليه، فينزل عليه بأجوبتهم القرآن، فما ينكر شيئاً من ذلك منهم انسان، بل يعترف بذلك، ولا ينكر شيئاً مما يسمع هناك.

وهذا مع سدة عدواتهم له، وحرصهم على تذكيره. وهو مع ذلك يحتضن عليهم بما في كتبهم ويرفعتهم بما انطوت عليه مصافحهم، ويبين لهم كثيراً مما كانوا يخفون من شرائع كتبهم، ووصايا رسولهم، وهم مع ذلك يرومون تعنيته، ويقصدون بأسلحتهم تبكيته. مثل سؤالهم عن الروح، وعن ذي القرنين، وعن أصحاب الصفو، وعن عمري، وعن حكم الربع، وعن حرب اسرائيل، على نفسه، وعما حرم عليهم من الأفعال. ومن طيات أهلهم، فهربت عليهم ببغيمهم، وغير ذلك من أمورهم التي نزل القرآن جواباً عنها، فلم يكنوا شيئاً منها، حين ذكروا لهم على وجههم.

(1) يقصد الروح القدس وتعد وضحنا التصد في كتابنا ( أقاليم النصارى).
(2) ذي القرنين: هو الإسكندر الأكبر المقدوني وقدي استولى على مصر.
(3) أصحاب السفح: من النصارى وكانوا في قرية ( أفسوس) في عهد اليثرب الروماني ديسيدوس (انظر كتابنا اعجاز القرآن).
(4) التاريخ الميلادي: مشكوك فيه.
(5) التشريعة: 24 الإصلاح الثاني والعشرون.
(6) التكوين: الإصلاح الثاني والثلاثون.
(7) سفر اللاويين (الأخبار).
وإن نذكر بعض ذلك على ما يقتضيه الاقتصر، ونقتصر على مسألة من الآثار، وتناوله الجمع الكثير من رواية الأخبار.

فمن ذلك ما استفاض ذكره، وأشير نقله: أن قريش لما أهمهم شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثروا أمره، لبوا النضر بن الحارث، وكان من شياطين قريش، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود، بالمدينة يسالهم عن أمره، فجاء المدينة من مكة، وقال لأحبار يهود: أتائناكم نساؤكم عن شأن هذا الرجل.

فانكم أهل الكتاب، وعندكم من العلم ما ليس عندنا، ووصفا لهم أمره، وأخبرهم بعض قوله، فقالت لهم أحبار يهود: سلوا عن ثلاثة.

تأمرون بهم، فان أخبر بهن فهو مسول، وان لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم.

سولوا عن فتية ذهبوها في النهر الأول، ما كان أمرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب، وسولوا عن رجل طواقب الأرض، قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وما كان نبوءة وسولوا عن الروح ما هو؟ فان أخبركم بذلك فاتباعوه فانه نبي، وان لم يفعل فهو متقول، فانتم النضر، وعقبة، حتى قدما مكة على قريش، فأعلامهم، بما قال لهم أحبار يهود، فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوه، عدد أخبر أحبار يهود، فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم سورة أصحاب الكفيف وأخبره فيها بقصتهم، اختلاف الناس في عدهم، ومدة لبثهم في كفيفهم، حتى أتى على آخر قصتهم، وأخبرهم أيضا عن قصة ذئ القرنين إلى آخرها، وعن قصة الخضر عليه السلام، وعن موسى عليه السلام، وكيف سأل موسى السبيل إلى لقائه، وذكر فيها جوابهم عن الروح.

وذلك كله مع اللفظ الوجيز الفصيح، والكلام الجزل الصحيح، الذي لا يله سامع، ولا يطمغ في معارضته طامع.

ومن ذلك قصة أهل نجران، وكانوا نصارى سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عيسى عليه السلام. فأنزل الله تعالى في القرآن:

"فلا تتو أتيكم من الآيات، وذكر الحكم، إن مثل عيسى عند الله"

(1) آلب عمران: 58. 59.
ومن ذلك أن نفرًا(1) من أخبار يهود جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن أربع نسائك عنهم، فإن فعلت أتتكناك، وصدقناك، وأنتن بك، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بذلك عهد الله وبعثني، إذن أخبرتم لصدقني؟) قالوا: نعم، فقال: (فاسألوا عما بدا لكم) قالوا: أخبرنا كيف يشبه الولد أمه، واسم النطفة من الرجل؟ فقال لهم: (أنشدكم الله، وبيانيه عند بنى إسرائيل، هل تعلمون نطفة الرجل بيضاء غليظة، ونطفة المرأة صفراء رقيقة، فأتيتها غالب، كان لها الشبه) قالوا: اللهم نعم(2) قالوا: فأخبرنا عن نومك كيف هو؟ قال: (أنشدكم بالله، وبيانيه هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أنى لست به، تنام عينيه، وقلبه يقظان) قالوا: اللهم نعم، قال: (وكلب يقظان) قالوا: فأخبرنا، هل تعلمون أن الله كان يحب الطعام والشراب له اليابان الأبل؟ وأنه استنكر شكوى فعافاه الله منها، فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب إليها، شكرنا الله، فحرم على نفسه لحوم الأبل، وآلاباتها(3) قالوا: اللهم نعم، قالوا: أخبرنا عن الروح، قال: (أنشدكم بالله، وبيانيه عند بنى إسرائيل، هل تعلمون أن جبريل، هو الذي يأتيني؟) قالوا: اللهم نعم، ولكنه يا محمد لنا عدو، هو الذي يأتي بالشدة، وسفك الدماء، ولولا ذلك لاتبعتنا.

فعزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم: (قل من كان عدوا لجبريل، فانه نزله على قلبك بآتين الله، مصدقًا مما بين يديه، وهدى وبشرى للمؤمنين) (4).

(1) فرد هذا الخبر في سيرة ابن هشام، وقد علقتنا عليه (انظر تحقيقنا لسيرة ابن هشام طبعة دار النشر العربي بدمشق سنة 1979 م).
(2) العلم الحديث كتب هذا وهو الحق.
(3) ليس هذا من أوبيانه في التوراة.
(4) حرم عرق النبض (التكوين 37).
(5) البقرة: 97
فإنزل الله تعالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الكافرون"، و"الظالمون"، و"الفاسقون"(3) الآيات.

وفي هذا المعنى، وما قايره نزل قوله تعالى: "يا أهل الكتاب، قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب"(4)。

والأخبار في هذا كثيرة، ليس هذا موضوع استثنائها، وفيما ذكرناه كفيلة، لن كان دعاً ودراً، وهذان وجهان لا يتصور أن ينكسر عاقل أنهما غير داخليان تحت مقدور البشر، بلهما خارقتان للعادة. اقترنا. يتحدى محمد صلى الله عليه وسلم، ويعجز الخلاقين عن معارضتهما فهو نبي صادق فيما أخبر به عن الله، مضيئ من جهة الله، وما أخبر به عن الله: أن الله تعالى بعثه إلى الناس كافة، يهودهم، ونصراة، وموجبيهم، فهو رسول الله، والكلمة، وآياته، وذكرنه، فاستحق العذاب الأبدى، والعاقب السرمدي: "أفنن حقه كلمة العذاب؟ أفانت تنقذ من النار"(5)؟
ولا يظن ظان : أن أعجاز القرآن إنما هو من هذه الوجوه الأربعة فقط. بل وجوه أعجازه أكثر من أن يحصيها عدد، أو يحيط بها أحد. ولو شئنا لذكرنا منها وجوها كثيرة، لكن شرط الاختصار، منع من الاكثر، ومن لم ينفعه الكلام المفيد القليل، فهو معرض كسر عن الكثير.

وعلى الجملة: فانا نقول من كذب محمد صلى الله عليه وسلم، أو شك في رسالته: ما قال الله تعالى في كتابه محتجا على من أصر على تكذيبه: «وأن كنتم في ريب مما ننزلنا على عبدها، فأتوا بسورة من معه، وأدعوا شهداءكم من دون الله. إن كنتم صادقين، فإن لم تفطوا، ولن تفطوا، فاعتوا النار التي وقودها الناس والحجارة». 

* * *

(1) البتره 33: 44.
النوع الرابع
في الاستدلال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بجملة من الآيات الخارقة للمعادات

ذكر في هذا النوع – ان شاء الله – جملة كثيرة من آياته الواضحة، وبراهينه المصدقة الراجحة، فقوله – وبالله التوفيق –:

أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أوتي من المعجزات، وجمع له من الآيات ما لم يجمع لأحد من الأنبياء قبلاً، ولم يعط أحد مثله.
فكان لذلك أوضحهم دلالةً، وأعمهم رسالةً، ولذلك لم يعط الله نبياً من الأنبياء معجزة إلا أعطى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثلها، أو أوضح منها، أو ما يقاربها، ويت거리 ذلك عياناً، أن شاء الله تعالى – ولكننا ان ذهبنا نذكر ما نقل اليه من آياته وأوضح معجزاته.
طال الكتاب وفي التقليل الواضح كفاية، لذوي الألباب، فلتنتصر من ذلك على ما تناقله علماء الأمصار والعدول من نقلة الأخبار، مما صح نقله، واشتهر ذكره وجمله.

ونحن نذكر ذلك في فصول:

الفصل الأول: في انشقاق القمر

آية له صلى الله عليه وسلم فقوله: نقل خلفنا عن سلفنا، النقل الذي لا يشك فيه: أن كفار قريش سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: آية، وهو بمنى، فأراهم: انشقاق القمر، فصار فرقتين، حتى رأوا جبلين، حياءً بحراً، وفرقة تحته. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اهتدوا)، فآمن وصدق من أراد أن نجاته، وقال كفار قريش: هذا سحر مستمر، فقال أبو جهل: هذا سحر، فابعثوا إلى أهل الأفاق، حتى ننظر. أرووا ذلك، أم لا؟ فأخبر أهل مكة: أنهم رأوه منشقاً.

(1) القرآن يذكر في اثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى:
"وقالوا لولا أنزل عليه آيات من عينه، قل أننا الآيات عند الله، وأننا آنا نخير مومنين. إياكم نحن، أو لم يكن لنا أن ننزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم".
(العنكبوت: 51)
فانزل الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: "اقتربت الساعة، وانشق القمر، وأصبحوا يرمضونا، ويتولوا سحر مستمر، وکذبوا واتبعوا أهواءهم، وكل أمر مستقر"(1). وهذا الحديث قد نقله الجم الغفير، والعدد الكبير من الصحابة: عبد الله بن مسعود، وآنس، وابن عباس، وابن عمر، وحدثه، وعلى، وجبير بن مطعم، وغيرهم، رضي الله عنهم.

وقد نقلالينا في القرآن نقلًا متواترًا، محصلاً للعلم، يخبر عن ذلك المعنى من الانشقاق كما تلوناه آنفلا، فصحبت الآية، وعلمت المعجزة، والحمد الله.

فقال قال غبي جاهل، أو معاند مجادل: كيف يصح هذا؟ ولو كان هذا لم يخف على أهل الأرض، إذ هو شيء ظاهر لجميعهم، ولو ظهر عليهم انتقل عنهم، ولكن مشهوراً منقولًا على التواتر.

فالمجواب: أن نقول: هذا الاستبعاد الوهمي يندفع بأخير أمر.

وذلك أن هذه الآية كانت آية ليلية، والناس على عادتهم المستمرة: الغالب عليهم النوم، ومن كان منهم منتبها، كان منهم من قد انصرف عن ذلك ببعض أسئلهم، وكان منهم أيضاً من رآه على ما حكيناه عن أهل آفاق مكة، وأيضاً فلعله انما كان ذلك في أول طلع القمر، ولا شك أن الناس تختلف رؤيتهم للقرن وغيره من الكواكب بحسب اختلاف الارتفاع البلاد والأقلاع، وإخفاضها، فليس كل من في معمورة الأرض يراه وقت واحد، بل يختلف ذلك في حقهم، فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين، وقد يطلع على قوم لا يشاهده.

ولهذا تجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض، وينبغي في بعضها جزئية، وفي بعضها كليه، وفي بعضها لا يعرفها إلا المشتغلون، بمثل ذلك، ولا يصح بها غيرهم، لا سيما، وهذه الآية كانت بالليل، والعادة من الناس ما تقدم من الهدوء والسكن، وإيجاب الأبواب، وقطع التصرف، ولا يكاد يعرف شيئًا من آيات السماء إلا من رصد، واهتبيل.

(1) القمر: 1- 3
و كثيراً ما يحدث الثقات بمجيبات يشاهدونها من ألوان وشمب ونجمة طوال عظام تظهر في أحيان من السماء، ولا علم عند أحد غيرهم منها.

وانتشقاق القمر من هذا القبيل، إذ لم يكن دائما، وإنما كان يسير في زمن قريب. ثم لا يبتدأ أن يكون الله تعالى صرف الناس في تلك الساعات عن النظر إليه، لتختصر هذه الآية مشاهدة أهل مكة، ومن جاورها من أهل عدائها، وقرر صرف الناس عن ذلك من قبيل خوارق العادات، وذلك أوضح في المعجزات، فقد صح ما رماهم، وانفصلنا عمّا ألمزناه، والحمد لله.

وعند الوقوف على هذه المعجزة الطاهرة، والآية الباهرة، تعلم أنها أعظم من انتشقاق البحر، الذي خص الله تعالى به موسى عليه السلام، وإن كان عظيماً، إذ انتشقاق البحر، لم يكن قطعاً في معظم البحر، من إحدى ضفتيه إلى الأخرى، وإنما كان قطع طريق من بحر الفحول إلى مفارشود. والقمر انقسم فرقتين، وصار شطرين.

الفصل الثاني: في حبس الشمس آية له صلى الله عليه وسلم:

روى أنّهما، وأهل العدالة هنا: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوجي إليه، ورأسه في حجر علّى - فلم يصل القرآن حتى غرت الشمس. فلمما ارتفع الوعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: [يا لي! أصليت العصر؟]. قال: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ليم Executing whom was in طاعة، وطاعة رسولك. فارددت. قال الرؤى: فرايتها غربت ووقعت على الجبال والأرض، وذلك بالبهاء في خيبر.

ذكر هذا الحديث الطهاوي من طريقين. قال: [غياس].

و هذان الطريقان. ثابتان. رواهما ثناة. حكاه البكري.

ومن هذا القبيل ما ذكره: [يونس بن بكير] في زيادة المناز، روائيه عن ابن أسحق: [لما أسأر برسل الله صلى الله عليه وسلم، وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العبر، التي رأى في سراه. قالوا له: هم تجلى؟ فقال لهم: [يوم الأربعة]. فلمما كان يوم الأربعة الموعود به، أشرف ترشي ينظرون، وحد ولى النهر، ولم
فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه فزيد أنه في النهار ساعة وحبست عليه الشمس.

وهذه الآية أعظم من آية "يشوع بن نون" فانكم تقولون ان يشوع استوقف الشمس فوقفتم. وفي بعض كتبكم انها استوقف ضياءا ونبيا عليه السلام استرجعتها فرجعت واستدراج ساعة في النهار فزيدت ذلك تقدير العزيز العليم (ال)

فإن اعتراض معترض على معجزة نبينا بشيء فان كان كتابا عارضننا بمعجزة يشوع (أ) فبالذى ينقص عن معجزة يشوع بتلك نفسل عما اعتراض به وان كان طبيعي غير متشرع انتقل الكلام معه الى مواضيع أخرى ليس هذا موضوع ذكرها.

الفصل الثالث: نبع الماء وتكرهه، معجزة له صلى الله عليه وسلم:

وقد هذا الفصل نوعان: نوع نبع له الماء، من بين أصابعه، ونوع آخر نبع له الماء من غير أصابعه.

فلنبدأ بالأول: فنتقول: روى الجم الفيروز، والعدد الكثير: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في بعض أسفاره، وحانت صلالة العصر، فالتمس الناس الوضع، فلم يجدوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل مع أحد منكم ماء؟) فأتى بعدها في اثناء ذلك يوضع في ذلك الناس، وسمى الله. قالت الصحابة: فرأينا الماء يخرج من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضأوا كليم، قيل لأنس: كم ترثار؟ قال: نحوا من سبعين، وقد اتفق له مثل هذا مرة أخرى.

وكانوا نحوا من ثلاثة مائة.

وكذلك عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة، فتوضأ منها، وأقبل الناس نحوه، وقالوا: ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتكم. فوضع النبي صلى الله عليه وسلم.

(1) يشوع بن نون فتى موسى - عليه السلام - كان يحارب وطلب
(2) إدامة الشمس ووقفين الفجر. خدامت الشمس ووقفين الفجر حتى انتقم الشعب
(3) من أعدائه (بمشوع: 10:13)
عليه وسلم يبدو في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال
المعين، وكانوا خمس عشرة ماءة. قالوا: ولو كنا مائة ألف لكفانا.
فهذه ثلاثة مواطن. وقد روى عنه نحو هذا من طرق كثيرة.
لا يندفع للزكاة. ولم يرده أحد من أهل العلم والأدب، لكونها
وقعت في جموع كثيرة، وتناولها جماعة عديدة. يبتكون ترحيم
الزكاة، ويرهون آتى شاهبة. وأشعل سوء، بل يبادرون إلى ذم
الزكاة، واظهار فضحته، ولا يقررون شيئا من الزكاة بالحال عند
معرفته. فهذا النوع الأول.
أو أما النوع الثاني: فهو ما تواردت به الروايات عن الأئمة الأثبات.
من ذلك ما اتفقت له في غزوة تبوك. وذلك أنهم وردوا عن بني بنو بك، وهي
تبتض بشيء من ماء، مثل الشراك. فعترفوا من العين بأيديهم، حتى
اجتمع منه شيء قليل، ثم عمل النبي صلى الله عليه وسلم فيه وجهه،
وبداه، وأعاده فيها. فجرت بما كثير. فاستقت الناس، هذا حديث
معاذ.
قال: "ابن إسحاق" فانخرط من الماء مائة حس كحسن
الخصوع. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوشكك يا معاذ
إن طالت بك حياة، أن ترى ما ها هنا، قد على جنانا) وكذلک صنع
ذلك الموضع جنانا بعده صلى الله عليه وسلم. وهذا مما باب الأخبار
عن النبي.
ومن ذلك ما اتفقت له بالحديثية أيضاً، وذلك أنهم أثنا الحديثة.
وهم أربع عشرة مائة. وبئرها لا تروى خمسين شأة.
قال: "البراء" و: "سماحة بن الأكوع" فنذرناه فلم نترك فيها
شيء. فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئرها، ففسد ودعه.
وأخبرهم سهبا ما كانته، فوضعه في البئر، فجاشت العين بما كثير.
فأروا أنفسهم وركابهم، فهم ألف وأربع مائة.
ومن ذلك ما روى "قتادة" صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم: أن الناس شكا اليه العطش في بعض أسفاره. فدعوا بالبيضاء،
فجعلوا في ضيبه. ثم التحق فهما، فاشله أعلم. فنفت فيها، أم لا؟
فشبب الناس حتى رروا، وهازوا كل أئمهم. وكانوا أثنتين وسبعين
رجل.
ومن ذلك الحديث المشهور عن «عمر بن حكيم» وذلك أنهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فأصابهم عطش شديد، فوجه رجلاً من أصحابه وأعلمهم أنهم يجدون مرأة بمكان كذا، لكن معينه لهم، هم 50، إياهم علينا، فوجدناها بالوضع الذي عين لهم على الصفة التي ذكر لهم، فنجاها بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذ من ماء المزاداتين، وقال فيه ما شاء الله أن يقول، ثم أعاد الماء في المزاداتين، ثم فتحهما، وأمر الناس، فملأوا أسقيتهم، حتى لم يدعوا شيئاً إلا ملءه. وقال عمرو بن شبيب: لو انها لم يزدادا إلا امتلاء، ثم أمر فجمع المرأة من الأرواد، حتى ماء ثوبها، ثم قال لها: (أذهب) فانها ما نقصنا من ماءك شيئاً، ولكن الله سقاناك).

ومن ذلك حدث عمرو بن شبيب: أن (أبا طالب) قال: «لا تحيل!» لى: (أن عمرو بن شبيب) قال، النبي صلى الله عليه وسلم، وهو رضفه بذي المجاز: عطشت، وليس عندى ماء، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم فضرب بقدمه الأرض، فخرج الماء، فقال له: (أشرب).

والحدث في هذا النوع كثير وفيما ذكرناه كافياً، وإذا تأمل العاقل المنصف هذاباب علم: أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أُمر، مثل معجزة موسى، التي تبع الماء من الحجر. كما ذكرنا في هذا النوع الثاني، وزاد عليه نبع الماء من بين أصابعه كما ذكرناه في النوع الأول كان انفجار الماء من اللحم. أعجب من انفجاره من الحجارة. فان رام اليهودى أو النصارى تشكيكًا في شيء من معجزات النبي محمد عليه السلام، أو الحادى، أو ادعى: أن هذا من قبيل السحر، عارضناه بمثل مقالته في معجزة موسى، فبالذي ينفصل به، بعينه تنفصل.

(22 - الأعلام)
بل نقول: إن طرق الطرق الجاهل شيئاً من هذه الوفيات والتهم،
إلى هذه المعجزات معجزة موسى في انشقاق الحجر، أقبل للتهم في
حق الجاهل على ما روت اليهود.

وذلك أنهم روا: إن الحجر الذي كان تنفجر منه الأنهار، أما
كان حجرًا واحدًا عمله موسى، حيث صار، وهذا محل تهفة للجاهل
وأما العالم فلا يبالي بهذه الوفيات، ولا يطرق إلى العلم: التهم.

ومعجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: أما كان يتول: (إثنان
بأناة - أي أنا كان - وبناء - أي ماء كان) كما قدمنا، ولسنا
نحن إذًا ما أتى به موسى، بل نحن أولى واحتف بموسى ملكاً
وعرف بتره، وعمل على عند ربه، ونلنا هذا لهم على جهة الإланهام،
حتى يزعموا بصحبة معجزات نبينا محمد عليه السلام.

الفصل الرابع: تكثير الطعام معجزة له، صلى الله عليه وسلم.

من ذلك ما تضافرت به الروايات، وإنشهر عند أهل الدينات،
ونقله العدل الثقات من حديث: «أبي طلحة» أن النبي صلى الله
عليه وسلم: أطعم ثمانين، أو سبعين، من أقراص شعير جاء بها
أنس تحت أبيه. وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أمر بها، ففتحت
وقال فيها ما شاء الله أن يقول.

وذلك أطعم يوم الخندق: ألف رجل من صاع من شعير وعناق.

قال: «جابر بن عبد الله»: فأتسم بالله - لأكلوا، حتى تركوه,
وانحرموا. وان برمتبا تنتظر، كما هي. وكان عجينة ليخبز. وكان
رسول الله صلى الله صلى عليه وسلم بصدق في المجين، والبرمة، ودعا
بالبركة، وكذلك صنع: «أبو أيوب البكري»، لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أولى بكر من الطعام. زهاء ما يقينها. فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم: (أدع ثلاثين من أشراف النصارى) فدعها;
فأكلوا، حتى تركوه. ثم قال: (أدع سبعين) فأكلوا حتى شبعوا،
ثم قال: (أدع سبعين) فأكلوا حتى تركوه. وصار منهم أحد.

قال أبو أيوب: فأكلهم من طعامهم: هانئة وثمانون رجلاً.
وكذلك حديث "سمرة بن جندب": أن النبي صلى الله عليه وسلم، أتى بقضة فيها لحم فتعابيهما من غذاء، حتى الليل، يقوم، ويعبد آخرون.

ومن ذلك حديث "عبد الرحمن بن أبي بكر": قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين وحائثة، وذكر في الحديث: أنه عجز ضاع من طعام، وصنع شاة، فشمع سواد بطنها، قال: ما أبعد الله ما من الثلاثين والحائطه، وكذبه للحائطه من سواد بطنها، ثم جعل منها قصعتين، فأكلنا أجمعين، وفضل من القصعتين، وحملته على البهير.

ومن ذلك الخبر المشهور في غزوة تبوك: وذلك أنهم أصابتهم مجاعة شديدة، حتى هموا بنهر حيائلهم، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم ما بقي من أوزان القوم، فكان الرجل بيضه بكف الذرة، ويكشفت تمره، ويبسط نبضه، حتى اجتمع على النداء من ذلك شيء يسير، وفدعى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة، وقال: (خذوا في أوعيتكم) فأخذوا، حتى ما تركوا في العسكر، وعاه الأملاء، فقال عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أشهد أن لا إله إلا الله وأنبي رسول الله)، إلا يلقى الله بهما عبد غير شالك فيهما، فيحبس عن الجنّة).

ومن ذلك خبره في ترويج "زينب" وذلك أنه أمر خادمه "أنسا": أن يدعو الناس فدعاهم، فاجتمعوا، حتى اتمنى البيت والحجرة، وقدم البسهم تورا من حجارة فيه حبس، أهدته له "أم سليم" فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليطلق عشرة عشرة، وليكلل كل انسان ما يليه، قال: فأكلوا، حتى شبعوا، ثم خرجوا، ودخلت طائفة أخرى حتى أكلوا كلهم، وكتب قال: أناس - لم ادع أنسا إلا دعوته، قال: أناس: ثم قال لي: (أرفع الثور) فرعته. فما أدرى حين وضعت، كان أكثر، أم حين رفعت؟

ومن هذا حديث موزود "أبي هريرة" وذلك أن الناس أصابتهم مجاعة شديدة في بعض أسفاره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة: (هل من شيء؟) قال: كنت: نعم شيء من نصر في المزود، قال: فأتى به، فأدخل به إلهك، فخرجت تفاحة فبسطها، ودعا بالبركة.
أوردت الأخبار، ونقل عن الأئمة، المدفوعة، التأليف: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بعض غزواته، فذهب إليه أعرابي فقال له: (يا أعرابي أين تريد؟) فقال: أهلك، فقال له: (هل لك في خبر منهم؟) قال: ما هو، فقال: (شهد أن لا أن الله وحده، لا شريك له، وأن محمدما عبده ورسوله) فقال:

ولا يوجد الآلية أو النص الذي يتعلق بهذا النص المبتدأ. يمكن أن يكون النص المبتدأ يشير إلى أحد الأخبار التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة، ولكن دون توضيحات إضافية، لا يمكن التأكد من معنى النص بشكل دقيق.
ومن يشهد لك على صحة ما تتولى؟ قال: (هذه الشجرة) - لشجرة بشاطئ الوادي - (فادعها فانها تحيك) قال: فدعاها - فأتبت - تخد الأرض، حتى وقفت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً - فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى مكانها.


وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ظهرت على يديه مثل هذه المعجزة - مرات، وطرقتها صحاح - بل منها ما هو متوتر على ما حكاه أهل النقل - فقد روّى أنه ظنّت به شجرة، ثم رجعت إلى عنبرتها - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنها استذنقت أن تسلم).

وذلك سأل ربي، أن يجعل له آية - فقال: انطلق إلى موضوع - كذا - فإن به شجرة - فادع منها غصاً - فانها ينبهك، فقط - فجاء يخط الأرض، حتى أنتمط بين يديه - فحسه ما شاء الله أني يكونه - ثم قال له: (ارجع كما كنت) فرجع.

وقد روى "أسماء بن زيد" مثل هذا في النخيل، وقال فيه: قال لي: انطلق إلى هذه النخلات. وقال له: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرن. أن تأتيان لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقل للحجارة مثل ذلك.

فقلت ذلك له. فقال: "وَفَالَذِي يَعْقَبُ الْحَقَّ بَعْثَهَ بِالْحَقَّ لِقَدَ رَأَيْتَ النَّخْلَاتِ يَتَقَرَّبُونَ، وَيَجَمَّعُونَ، وَالْحَجَّارَةَ يَعْقُبُونَ، وَيَتَراَكَّبُونَ، حْتَىْ صَرَنَ كَأَمْدَحُ خَلَفِهِ، فَلَمْ يَقْضِي حَاجَتَهُ، قَالَ لِي: (قَالَ لِهَا: يَفَتَّرِنَّ) فَوَالَّذِي نَفْسِهِ.

بِيدهِ. لقد رأيته النخلات والحجارة يفترن، حتى عدن إلى مواضعهم.

وقد حكي الأئمة منهم "أبو بكر بن فورك" روى الله عنهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في غزوة الطائف ليلًا، وهو يسير، فأخذته سنة، فاعتبرته سدرا، فانحرفت له نصفين، حتى جاز بينهما. وبقيت على ساقين إلى وقتنا هذا. وهي هنالك معروفة منظمة.

النوع الثاني:

نقل خلفنا عن سلفنا نقلًا فاشيا مشهورًا، بحيث لا يشكو فيه: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يأكلون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام، وهم يسمعون تسبيحه. وقال "أنس" أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصى. فسجنت في يده، حتى سمعنا تسبيحها. ثم صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يد "أبي بكر".

فسجنت كذلك. ثم صحبها في أيدينا فلم تسبيح.

ورواه "أبو ذر" قال: "أنا سجنت في كف "عثمان" وقد تواردت الروايات عن الثقات عن "علي" أنه قال: كنا بكرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها، فما استقبله شجرة ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله.

وقد روى "العباس" أن النبي صلى الله عليه وسلم غطاه، وبنيه بلحافة. ودعوه لهم بالستر من النار كسره ياهم بملحنته، فأذن أسكتة الباب، وحوارت البيت: آمين. آمين.

وقد صحت الأخبار، بل تواترت أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخذ منبره، وصنع وترك الجذع الذي كان يخطب عليه. كان
الجذع حينين الأبل الفاقدة أولادها، حتى تصدع وانشق. فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكن. وفي بعض طرقة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أن هذا بكاء لما فقد من الذكر) وفي بعض طرقة هذا الحديث: أنه لم يزل يسمع له حينين في أوقات، تزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زعفت المنبر على ما في حديث أبي.

فأخذه أبي عنده إلى أن أكلته الأرض وإعاد رفاتها.

وقد روي هذا الحديث «بريدة» زاد فيه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم للجذع: (أن شئت أركذ إلى المهاجرين الذي كنت فيه. فشبت لك عروقك، ويكمل خلفك، ويجدد خومتك وتمرك وأن شئت أغمسك في الجنة ياكل منه) ومن شرك (أولو آية الله) ثم أصغي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستمع له ما يقول. فقال: يلي تعرسني في الجنة، فباكى. ثم أرسله إلى مكان لا أ المسلم فيه يسمع منه يليه. فقال له: (قد فعلت) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. (اختار دار الحياة على دار الفناء).

فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكي. وقال: يا عباد الله، الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقًا إليه، فأنتم أحق بذلك. وأن تстанавлива على نفاذك.

وذلك توأثر أيضاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على جبل أحد، مع جماعة من أصحابه فتحرك بهم الجبل. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عسرك حراء). فما عليك إلا النبي، أو صديق، أو شهيد.

والأخبار أيضاً في هذا النوع كثيرة، وفيما ذكرناه كفاحاً، بل في الواحد من هذه الأخبار أبلغ غاية.

**

الفصل السادس: في كلام ضروب من الحيوان وتفسيرهم آية

الجذع صلى الله عليه وسلم:

وهذا الفصل أيضاً نوعان.
النوع الأول:
من ذلك ما روى واشتهر عن «عمر» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في مخلب من أصحابه، إذ جاءه أعرابي. قد صاد ضبأ. فقال: ما هذا؟ فقالوا له: هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم.
فقال: واللات والعزى، لا آمنت بك، حتى يؤمن بك هذا الطلب، وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (يا ضبأ) فأجابه بلسان عربي بين يسمعه القوم جميعا: لببجك وسديك. يا زين من أوفي القيامة. قال: (من تعود؟) قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقبته. قال: (فمن أنا؟) قال: رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، وقد أعلمن من صدقته، وخاب من كذبك. فأسلم الأعرابي.
ومن ذلك القصة المشهورة في كلام «الذهب» من حديث أبي سعيد الخدري. قال: بينما راعي غنمه عرض الذهب لشأة منها. فأخذها الراعي منه. فأتقى الذهب. وقال للراعي: ألا تتقى الله، حلت بيني وبين رزقى؟ قال الراعي: العجب من ذهب يتكلم بكلام الإنس. فقال الذهب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البرتينين، يحدث الناس بأنبه ما قد سبق. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قدم فحدثهم (ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: (صدق)).

وقد روى هذا الحديث عن غير واحد من الصحابة منهم أبو هريرة.
ورزاد في هذا الحديث: فقال له الذهب: أنت أعجب. وقفت على غنمه. وتركت نبيا لم يبعث الله قط نبيا أعظم منه قدرا عنده. فقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهله على أصحابه ينتظرون اقبالهم. وما بينك وبينه هذا الشعب، فتصير في جنود الله. فقال الراعي: لو كان لي من يرعي الغنم ليثبت اليه. فقال الذهب: أنت أرعاه، حتى ترجع فأسلما الراعي ليه غنه. ومنه وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي. يقاتل، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (عد إلى غنمه تجدها؟) بوفرىها، فوجدها ذلك، وذهب للذهب منها شاة. وكان هذا الراعي اسمه (أبو وأس).
وقد ذكر مثل هذه القصة عن "سلمة بن الأكوع" وأنها كانت
سبب إسلامها.

ومن ذلك ما يحكى أن "أبا سفيان بن حرب" بينا هو في ملا من
غريش بركة، إذ بطلب يطرده ذئب. فدخل الظلمة الحرم، فرجع
الذئب. فعجبوا من ذلك. فقال الدئب: أعجب من ذلك، محمد
ابن عبد الله، بالمدينة، يدعوكم إلى الجنة، وتدعونه إلى النار. فقال
أبو سفيان بن حرب: واللات والعزي. لقن ذكرتم هذا بركة ليتركنها
خلوًا.

ومن ذلك ما روى عن "أم سلامة": كان النبي صلى الله عليه وسلم
في صحراء فنادته لله، يا رسول الله قال: (ما حاجتك؟) قال:
OLD: صادقى هذا الأعرابى. ولقي خلافاف في ذلك الجبل، فأطلقتى. حتى
NEW: أذهب فأرضعهما وأرجع. قال: (وتفعين؟) قال: نعم. فأطلقتها.

فذهبت ورجعت فأوثقها وكان ذلك الأعرابى نائماً.

وقال يا رسول الله: ألك حاجة؟ قال: (تطلق هذه الظلمة)
 فأطلقتها. فخرجت تعدو في الصحراء وتقول: يشهد أن لا إله إلا الله
وأنك رسول الله.

ومن ذلك ما روى من كلام "الحارث" الذي أصابه بخبر.
وقال: اسمى "يزيد بن شهاب" فسماه النبي صلى الله عليه وسلم
"يعفور" وكان يوجهه إلى دور أصحابه، فضرب عليهم الباب برأسه.
ويستدعيمهم. وأنه لما تلقيت النبي صلى الله عليه وسلم تردى في بئر
جزؤ وحزنا. فمات.

ومن ذلك حديث "الناقة" التي شهدت بين يدي النبي صلى الله
عليه وسلم لصاحبهما أنه ما سرقها، وأنها ملكه.

النوع الثاني:

ما روى عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. أنها قالت:
كان عندنا "داجن" فإذا كان عندنا النبي صلى الله عليه وسلم. قر
وثبت مكانه، فلم يجيب، ولم يذهب، وإذا خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم جاء، فذهب.
ومن ذلك ما روى جابر بن عبد الله قال: جاء رجل فاهم بابن قصص صلى الله عليه وسلم وهو على بعض حصن خيبر، وكان في غنم يرعاها لهم - يعني لأهل خيبر - فقال لرسول الله صل الله عليه وسلم: كيف بالعنكبوت؟ فقال: (أحبس وجهها - يعني أضربها بالرمل - فان الله سؤدي أمانتك) ويردها إلى أهلها) ففعل فسارت كل شاة منها حتى أتت أهلها.

ومن ذلك حديث "أنس" أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائط رجل من الأنصار، ومعه أبو بكر وعمرو، وفيها أمرين، وفي الحائط غنم، فصلى النبي عليه وسلم له، فقال: أهدي إلى أبو بكر: نحن أحق بالسجود لكونها وذكر الحديث.

ومن حديث "أبي هريرة": دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطًا فجاء بعير، فسجد بين يديه.

ومن حديث "جابر" قال: وكان ذلك الحائط لا يدخله أحد إلا شد عليه ذلك "الجمل" فلم يدخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم فدعا فوضع مشعره في الأرض وبرك بين يديه، فخطبه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما بين السماء والأرض شيء لا يعلم أني رسول الله، إلا عاصي الجن والانس).

ومن حديث "عبد الله بن أبي أوس": أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل رجل ذلك الجمل عن شأنه، فقال له: إنهم أرادوا نحره.

ومن ذلك ما روى "ابن وهب": أن حمام مكة أظلمت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالمبكرة.

ومن حديث "أنس" و "زيد بن أرقم" و "المغيرة بن سعيد": أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغاف. أمر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم، فصلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر حمامتين، فوقفتا في نم الغاف، وأمر عنكبوت نسجت على بابه، فلم أتي الطالبون له رأوا ذلك فقالوا: لوكأن فيه أحد لم تكن الحمامات ولا عنكبوت فانصرفوا النبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم.

والأخبار في هذا كثير شهيرة، وفيما ذكرناه كفاية، لإن كان ذهيل.

** **
الفصل السابع: في أحياء اليونا وكلام الصبيان والراضع

وشاهدتهم له بالبوذا:

من ذلك الخبر المشهور المعلوم الذكور عن غير واحد من الصحابة والإمامة: أن يهودية بخير أهدهت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مـشوية فسمته فآكل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم واكل النايم معه فقال: (ارفعوا فإن هذه الشاة أخبرتني أنها مسمومة) ثم قال للهودية: (ما حملك على ما صنعت؟) قال: ان كنت نبياً صادقاً لا تضرك الذي صنعت، وإن كنت ملكاً أرحت، فقال: (ما كان الله يسلطتك على ذلك) فقالوا: نعتب عليك؟ قال: (لا) فلم يزل أثر تلك الإكلال في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال في وجهه الذي مات منه: (ما زالت أكلة خبير تعاودي، فالآن قطعت أبهرى).

قال ابن ايوب: إن كان المسلمون ليروهن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم متى شهد، مع ما أكرمه الله به من النبوة وروى هذا الحديث من طريق البازار عن أبا سعيد الخدرى.

وزاد فيه: فبسط رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال: (كلوا بسم الله) فأكلنا وذكرنا اسم الله، فلم نضر أحد منا، إلا ما ذكر من موت بشر بن البار.

وفي هذا الحديث أنواع من دلالات نبوته صلى الله عليه وسلم: نطق البشري، وذلك أن الشاهد كتبه بعد أن شوهد، وأنهم أكلوا السم ولم يضرهم، وفي موت البار، دليل على أن الذي أكلوه سم قادر، وبذلك اعترفت اليهودية وقالت: أردهم فأتلك فأراد الله أن يميء أحدهم، ليعلم أن الذي أكلوه سم، وأن يحيي جميعهم آية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن آياته في هذه القصة: تأخر موته بالسم، دون علة لزمنته من نحو عشرين سنة، وهذه كله أمور خارقة للمعادن.

ففي من أوضح الدلالات.

ومن ذلك ما روى عن فهد بن عطية: أن النبي صلى الله عليه وسلم أنهن بسبي قد شرب، لم يتكلم قط، فقال له: (من أنا؟) فقال: أنت رسول الله.
ومن ذلك حديث «معيقيب» قال: رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبًا، جيء بصبي يوم ولد. فقال له: (من أنا؟) فقال: إنّي رسول الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (صدقته). بارك الله فيك. ثم أن الغلام لم يتكلم بعدها، حتى شرب. فكان يدعى "مبارك اليمامة" وكانت هذه القصة بعثها في حجة الوداع.


ومن ذلك حديث "أسن" أن شتام من الأنصار، توفي. وله أم: عجوز. فقال فسجيناها، وعزلتها. فقالت: أهات ابنى؟ قلنا: نعم. قالت: اللهم إن كنت تعلم أنني هاجرت الياك، والى نبيك، رجاء أن تعينني على كل شدة. فلا تحمني على هذه المصيبة. فما برح أنه كشف الثوب عن وجهه فطم وطعننا.

ومن حديث "عبد الله بن عبيد الله" قال: كنت فيمن دفن. ثابت بن قيس بن شمس. وكان قتل باليمامة. فسمعناه حين أدخلناه في القبر يقول: محمد رسول الله. أبو بكر الصديق. عمر الشهيد. عثمان البر الرحييم. فنظرنا. فإذا هو ميت.

ومن حديث "النعمان بن بشير" أن "زيد بن خارجة" خر ميتًا. في وقت من أزقة المدينة. فرفع وسجى. إذ سمعه من البلددين، والناس، يصرخن حوله. يقول: أنصتوا. أنصتوا فحسرونا وجهه. فقال: محمد رسول الله النبي الأمي، وخاتم النبيين، كان ذلك في الكتاب.

رحمته الله. ورحمته الله وبركاته. ثم عاد ميتاً، كما كان. **
الفصل الثامن: في إبراء النبي صلى الله عليه وسلم المرغوب

وذوي الهمات:

من ذلك ما اشتهر واستفاد من قصة: عين "اقتادة".

يوم "أحد" وذلك أنه أصيب في أحدث عينيه، حتى وقعت على
وجنتيه. فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أحصى عينيه.

ومن ذلك حديث "عثمان بن حنيف" أن أعمى قال: يا رسول الله.

أدع الله أن يكشف لي عن بصري. فقال له: (انطلق. فتوضاً).

ثم قال: اللهم أني أسلوك واتوجه إليك بنبيك محمد، نبي الرحمة.

يا محمد. أني أتوجه بك إلى ربى أن يكشف عن بصري. اللهم شفعه.

قال: فرجع الرجل، وقد كشف الله عن بصري.

ومن ذلك حديث "حبيب بن فديك" أن أبا ابيضت عيناه.

فكان لا يبصراً فيهما شيئاً. فنفت رسول الله صلى الله عليه وسلم في
عينيه فأبصر. قال: فرايته يدخل الخيط في الأبرة، وهو ابن ثمانين.

وروى أن "ملاعب الأسئلة" أصابه استسقاء، فبعث إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده حثوة من تراب. فتفل عليها.

ثم أعطاه رسوله، فأذى رسوله متعجباً، برئ أنه قد هزاً به. فأئته بها.

وهو على شقته، فشربه، فشفاه الله تعالى.

ومن ذلك حديث "كلثوم بن الحسين" وذلك أنه أصيب يوم أحد.

في نحره. فسبح فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبرأ. وتفقه.

على شجاعة "عبد الله بن أبيس" فلم تعد.

ومن ذلك حديث "علي" يوم "خير" وذلك أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال وهو على خير: (لأعطيه الرأية غداً. رجاء
يحب الله ورسوله. ويهبه الله ورسوله. يفتح الله على يديه. فبات
أصحابه تلك الليلة كلههم يرجع أن يعطاه. فأما أصبح دعا عليها. فإنه
به رضي. فتفل في عينيه. فبرأ. لحيه. وفتح الله على يديه الحصن.

وفي تلك الغزاة، فنجى على ضربة بساق "سلمة بن الأكوع".

فبرأت.

وذلك فعل بساق "علي بن الحكم" يوم الخندق. وكانت قد
لتكسرت، فبأ مكانته، ولم ينزل عن فرسه، وأصاب عليه وجعل النبي صلى الله عليه وسلم: (للهم اشفه، أو عافه) ثم ضرره. ورجله، فما استطاع ذلك الوجع بعد.

وقطع «أبو جهل» لعنله الله يوم «بدر» بيد «موعز بن عفراة». فجاء يحمل يده، فجلس عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولصقها فلصقت.

وكذلك أصيب في ذلك اليوم «حبيب بن يساف» فنفت عليها من رقبته فصح. وانتهت امرأة من «خثيم» مخاطبة ببه بلاء لا يعقل ولا يتكلم. فأتت بباه فمضضها قاه، وغسل يديه صلى الله عليه وسلم عليه، ثم أعطتها ذلك الماء، وأمرها أن تسقيه اياه، ففغت ففرى الغلام، وعفل عقلا، يفضل كثير من الناس.

وحدثت «ابن عباس»: جاءت امرأة بابن لها به جنون، فصح صدره فشاع ثغة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود. وبرأ.

وانتفعت القدر، وهي تعلي على ذراع «محمد بن خاطب» وهو طفل صغير، فصح رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه، ودعا له، وتفل، فبرأ، ألحنه.

وكان في كتب «شرح بيل الجملي» سلعة تمنع القبض على السيف، وعنان الدابة، فشاكها للنبي صلى الله عليه وسلم، فما زال يمسحها بكفمه حتى رفع كفه، وما لها أثر.

والأخبار في هذا كثيرة، وإذا تألت هذا الفصل، والذى قضيه

علم: أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد أتوى من المعجزات مثل ما أتوى عيسى عليه السلام من أحياء الوتى، وإبلاه العمي، والمجنون، وذوى الأصطام والآفات. كما تمكن النصارى في إنجيلها، ورادر عليه بأموار كما ذكر، ويستأتم إن شاء الله تعالى.

فيلزم النصارى إذ كذبوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع ما أقنعنا على من الآيات، وأثبتنا من واضح المعجزات أن يكذبو بنبوة عيسى عليه السلام. فان معجزاته كمعجزات، فان كذبنا فيما نقلنا عارضناه فيما نقلوه، ولم يقدروا أن يثبتوا بنبوة عيسى عليه السلام علينا، ولا على غيرنا وكذلك يفعل الله بكل كاذب كفاح.

* * *
الفصل التاسع: في اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم:

أعلم يا هذا: أنه لم يثبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات إلا ما ثبت في هذا الفصل لكان فيه أغلب دليل على صدق رسالته، وصحة نبوته. فانا نعلم بما روى في هذا الباب من الآيات على القطع والاصرار: أن دعاؤه عند الله مسموع، وأن مقامه عند الله مقيم كريم مرفوع.

وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان كلما دعا الله في شيء أجابه فيه.

وظهرت بركة دعوته، على الدعو له، وعلى أهل وابنئه، حتى كان «حذيفة» يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لأحد أدركته الدعوة وولد ولده

ونحن نذكر من ذلك طرفا على شرف الاختصار:

من ذلك حديث «أنس» الصحيح، الشهير. قال: قالت أمي يا رسول الله، خادمك أنس، ادع الله له، فقال: (الله أكبر ماله وولدته، وبارك له فيه). قال أنس حين حدث بهذا الحديث: فوالله أن مالي كثير، وان ولدي، وولد ولدى ليتعدون على نحو المائة اليوم.

وفي رواية أخرى عنه، أنه قال: وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصيب، ولم يغتن بنيدين هاتين مائة من ولدي، لا أقول سقطا ولا ولد ولد.

ومن دعائه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة. قال عبد الرحمن:
فلو رفعت حجرا لروجت أن أصيب تحته ذهبا، وفتح الله عليه، ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس، حتى مهلت الأيدي، وأخذت كل زوجة من زوجاته: ثماني ألفا، وكن أربعا، وقيل: بله صولحت احدهم، لأنه طلقتها في مرضه على نيف وثمانين ألفا، وأوحي بخمسين ألفا.

وهذا كله بعد صدقاته، الفاشية في حياته، وعوارفه العظيمة.

أعتق يوما ثلاثة عبدا، ووردت له مرة عين له فيها سبع مائة بعير، تحمل من كل شيء فتصدق بها، وبا عينيه، وبأقتناها وأحلالها.

ومن ذلك دعاؤه صلى الله عليه وسلم لتعاون بالتمكين في البلاد.

فنال الخلافة.
وفي ذلك دعوئه صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص بأن
يجيب الله دعوته. فما دعا على أحد، أو لأحد إلا استجيب له.
وعند ذلك دعوئه صلى الله عليه وسلم حيث قال: (اللهم أعز
الإسلام بأمر الرجلين، بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام).
فاجاب الله دعوته في عمر بن الخطاب.
ولذلك قال ابن مسعود: ما زلنا أعزه منذ أسلم عمر بن الخطاب.
وأصاب الناس عتش شديد في سفر من أسفاره، فدعنا الله فنجات
سحابة، فسقطهم حاجتهم.
وقد تقدم مثل ذلك.
وعند ذلك حديث الاستسقاء، وذلك أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينما هو يوم الجمعة يخطب، إذ دخل عليه رجل، فقال:
يا رسول الله قد هلئت الأموال، وانقطعت السبل، وهلكت المواشي.
فادع الله أن يغثنى. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم أغنثا
اللهم أغنثا اللهم أغنثا) قال: فسائر سحابة مثل الترس، ثم انتشرت
قال راويه: فلأي والله ما رأينا الشمس سبتا، يعني جمعة.
ثم دخل أعرابي في الجمعة المتبقية. فقال يا رسول الله: هلكت
المواشي، وانقطعت السبل. فادع الله يمسكنا عنا. فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: (اللهم على الآكام والضراب، ومنابت الشجر).
قال: فانجبت السحابة عن المدينة، انجيب الثوب، فخرجنا نمشى.
وعند ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال للناصبة الجعدي:
(لا يفضض الله فاك) فما سقطت له سن حتى مات.
وفي رواية: كان أحسن الناس نعرا. إذا سقطت له سن نبتت له
أخرى. وعاش عشرين وعاجة.
وقال لابن عباس: (اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل) فكان
بحر الفقه، وترجمان القرآن، ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة
يمنة، فما أشترى شيئا إلا ربح فيه. ودعا للمتقدم بن الأسود بالبركة.
فكان عندده غراير من المال.
ودعا لعروة بن أبي الجعد. فقال: لقد كنت أتقدم بالكياسة
سوق لهم. فما أرجع حتى أربعين ألفا.
وقال البخاري: فكان لى اشتري لتراب ريح فيه. وندت له ناقة، فذع ربه أن يرده عليه فجاء به اعصار ريح حتى ردها عليه.

ودعاه أبو أمي هريرة فأسلمت، ودعاه لعله أن يكفي أم الحرم والبرد.

فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف، وفي الصيف ثياب الشتاء.

ولا يصيبه حر، ولا برد، وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه.

قال: (اللهم نور له) فسطع له نور بين عينيه. فقال: يا ربي.

أخاف أن يقولوا: إنها مثلة، فتحول إلى طرف سوته، فكان يضيء في الليلة المظلمة، فسمى ذا النور.

ودعاه على «مضر» بالخط، فأเสมอوا سبأ، حتى أكلوا الجلود.

والعظام، حتى استعطفته «قريش» فدعا لهم فسقوا ودعاه على «كسرى» حين مزر كتابه بأن يمزق ملكه، فلم تبق له باقية.

وقال لرجل رأى يأكل بشماله: (كل بعينك) فقال: لا أستطيع.

فقال له: (لا استطعت) فلم يرفعها إلى فيه بعد.

وقال لعنبة بن أبي لهب: (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك)

فأكله الأسد.

وحديثه المشهور مع مالا قريش، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم.

بينما هو ساجد، في ارتفاع الكعبة، إذ ألقته قريش على ظهره فرثا، ودما.

وسأل جزئ نحره. فقال: (اللهم عليك بهم) ثم سماهم واحدا وحادا.

فكان من سمى: قتل يوم بدر.

ودعاه على «الحكم بن أبي العاص» وكان يختتج بوجهه.

ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذلك) فلم يزل يختتج إلى أن مات.

ودعاه على «علم بن جثامة» ففلطته الأرض، فورى، وفلطته الأرض ثم وورى فطلبته الأرض مرا، ففالتروه بين مدنيين - يريد جانب الوادي - ورضوا عليه بالحجارة.

وبعه رجل فرسا، ففجده. فقال: (اللهم أن كان كاذبا)

(24- الأعلام)
فأصبحت شخصية - يريد رافعة برجها - يقول:

Ma'tat.

والأخبار في هذا الباب أكثر من أن يحاط بها.

**

الفصل العاشر: في ذكر جمل من بركاته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم:

من ذلك ما أشتهر وصح. أنه وقع فزع بالمدينة، فركب فرساً لأبي طلحة، بطينًا. فلم رجع قال لأبي طلحة: (وجدنا فرسك بحرًا). يريد كثير الجرير كالبحر. قال: فكان ذلك الفرس لا يجاري. ونخص «جمل» جابر، وكان قد آمنا فنشط، حتى كان ما يملك زمامه.

وصنع مثل ذلك بفرس لمجلل الأشجعي، خففها بمخفقة معه.

وترك عليها فلم تملك رأسها نشاطاً. وباع من بيتها باثني عشر ألفاً.

وكانت شعرات من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلمسnumbers خالد بن الوليد. فلم يشهد بها قتالاً، إلا رزق النصر.

وكانت جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تغسل للمرضى بعد موته. فيستشفى بها.

وأخذ «جهد» قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكسره.

فأخذته في يده أكثراً، فقطعها. ومات قبل الحول.

وسكب من فضل وضوته في بئر قباء. فما جفها بعد.

وبثقت في بئر كانت في دار «أنس» فلم يكن بالمدينة أذب عنها.

ومر على ماء، فسأل عنه، فقيل اسمه «بيسان» وماه هبلاً.

فقال: (بل هو نعماً، ما هو طيب). فاطب.

وأتى بدلما من ماء زعمه فمحم فيه، فصارت أطيب من المسك.

وأطعى الحسن والحسنين لسانه نصاه. وكان يبكيان عطشاً.

فروياً وسكتاً.

وكانت لأم دالك "عكة" تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم.

سمناً. فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تعصرها، ثم دفعتها.
البيا وفازا هي مملوءة سمنا فيأتيها بنها ، يقالونها الادم وليس عندتهم شيء فتعمد البيا فتجد فيها سمنا فكانت تقسم ادمها حتي عمرت ها و كان ينقل في أنواع المراض فيجزيهما ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما ليس أو غرس غرس لسلمان ثلاث مأكية ودية وكان كتب مواله على ثلاث مأكية نخلة وعلى أربعين أوتية فشرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الا واحدة فأطعمن من عامها الا تلك الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطعمنها فاطعمن من عامها وأعطاه مثل بيسة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه فوزن منها أربعين أوتية مواله وفي حديث جعش بن عقيل قال سقانى رسول الله صلى الله عليه وسلم شربا من سويف صب أولا وشربت آخرها فما زالت أحد شبعها اذا جمعت وريها إذا عطشت وبردها اذا ظفت وأعطى قتادة بن النعمان وصلته معه العشاء الأخيرة في ليلة مظلمة مطرية : غرجونا فقال انطلق فانه سدسي ك من بين يديك عشرة ومن خلفك عشرة فذاذ دخلت بيتكم فسترى سوادا فاضرصب حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضره حتى خرج ومنها دفعه لمعايكاء جذل حطب وقال له اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فقال في يده سيفا عارما طويل القامة أبيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به الموقف الى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون وكذلك دفع لعبد الله بن جحش يوم أحد وقدم ذهب سيفه عسيب نخل فعاد في يده سيفا ومن ذلك برزته في درور الشيا الحوائل اللين الكثير كقصة شاة أم معبد وهي قصة مشهورة وكذلك فلمه خليفة وجعلته
وقد تقدم ذكره، وكذلك قصة شاة «عبد الله بن مسعود» وكان لميت
يَنْزُعُ علَيْهَا فَخْلَ قَطِعٍ، وَكَذَّلِكَ شَاةٌ «المقداد»، ومن ذلك تزويده أصحابه
سقاء ماء بعد أن أكاه، ودعا فيه، فلما حلاه: أيما به لين طيب، وزبده
في فمه، ومسح على رأس «عمير بن سعد» وبارك فمات، وهو
ابن ثمانين، فما شاب.

وقد روى مثل هذه القصص.

ومن ذلك أن «عتبة بن فرقد» كان يوجد له طيب يغلب طيبه
نفسه، لأن رسول الله صلِّي الله عليه وسلم، مسح بهدبه بطنه وبده.

وسلت عن وجهه صلى الله عليه وسلم: «عليذ بن عمرو» الدم.

يوم أحد، فدعا له، فكانت له غرة كثرة الفرس.

ومسح صلى الله عليه وسلم على رأس «قيس بن زيد الجذامي»
ودعا له فهلك ابن مائة سنة، ورأسه أبيض، ووضع كف النبي صلى
الله عليه وسلم أسود. فكان يدعى الآخر، ومسح وجه رجل آخر.
فما زال على وجه نور، ومسح وجه «قتادة بن ملجم»، فكان لوجهه
وريق، حتى كان ينظر في وجهه، كما ينظر في المرآة.

ووضع صلى الله عليه وسلم يده على رأس «حظنة بن خديم»
وبكر عليه، فكان ححظنة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه، والشاة قد
ورم ضرعها، فوضع على ووضع كف النبي صلى الله عليه وسلم.

فيذهب الورم.

ووضع في وجهه، إن زينب بنت أم سلمة: نضحة من ماء، فما كان
يعرف في وجه امرأة من الجمال ما كان بها، ومسح على رأس صبي
به عاهة، يعني قرعة، فبرأ واستوى شعره، وكذلك مسح على
غير واحد من الصبيان، المرضى والجنون، نبرؤ. ولأجل هذا قال
طاووس: لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم بآدم به جنون،
فما في صدره، الا ذهب ذلك الجنون، وأثنا رجل أدر، فأمره أن
ينضحها بماء من عسل، مج فيه، ففعل. فبرأ. ومن ذلك خبره
الشهير عن: «ترب» يوم حنين، وذلك أنه لا أشتت القتال بينة
وبين الكفار، ذلك اليوم، أخذ عرفه من تراب، ورجح بها وجهه الكفار.
وقال: (شاعت الوجوه) فما بقي منهم أحد، إلا أصاب من عينيه
من ذلك التراب، فهمهم الله، ورجعوا على أعقابهم يمسحون عن أعينهم.

ومن ذلك الخبر المشهور عن أبي هريرة: أنه كان كثير النسيان فأمره ببسط ثوبه، فغرف بيده، ثم أمره بضمه، ففعل، فما نسي شيئاً بعد.

والأخبار في هذا كثيرة جداً تنتوق الحصر.

"****
الفصل الحادي عشر: في ما أخبر به مما أطلبه الله من الغيب صلى الله عليه وسلم:

هذا الموضوع بحر، لا يدرك قعره، ولا ينضف غمره، وهو من جملة آياته المعلومة على القطع، الواصلة بينا من طريق التواتر، لكثرة الحكايات، وانتشار الروايات، مع اتفاقها على أنه مطلع على كثير من الغيب. في هذا تواتر معنوي، يحصل به العلم القطعي، ومكذا أكثر الفصول المتقدمة، والأخبار الملتقة عن صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع قسمان: قسم وقع، ووجد، كما أخبر به، وقسم آخر لم يقع، لكنه لم يبلغ وقته، وسيقع ولا بد، ولذلك هو منتظر الوقوع.

ونحن إنما نذكر في هذا الفصل ما وقع ووجد حسبما أخبر به، إذا تحقق الحجة وعندعه يظهر الإعجاز.

من ذلك حديث « حديثنا » قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جلما، فما ترك شيئاً في مقاله ذلك يكون إلى قيام الساعة إلا حدثه، حفظه من حفظه، ونسبه من نسبه. قد علمه أصحابه هؤلاء. وانه ليكون منه الشيء فأعرفه. فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رأى عرشه. ثم قال: لا أدرى. أنسى أصحابنا أم تناسوه؟ والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقض الدنيا، يبلغ من معه ثلاثة مائة فصاعداً.

وقد سماه لنا باسمه، واسم أبيه وقبيلته.

وقال أبو ذر: لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما من طائر يحرك جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً.
وقد خرج أهل الصحيح في كتبهم، وأشتهر عن الأئمة ما أعلم به أصحابهم وما وعدهم به من الظهور على أعدائه، وفتح مكة، وبيت المقدس واليمن والشام والعراق. وظهور الأمن حتى تطعن المرأة من الحيرة إلى مكة، لا تخاف إلا الله، وإن المدينة لا تغزو.

وكذلك أعلم بفتح خيبر على يد [على بن أبي طالب] في غد يومه، ومما فتح الله على أمته من الدنيا، ويؤدون من زهرتها، وقصتهم كنوز كسرى وقيصر. وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاس والأهواء، وسلوك سبيل من قتلهم، وافترارهم على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة، وإنها سكنن لهم أنماط، ويغدو أحدهم في حلة، يروج في أخرى، وتوضع على يديه صحيفة، وترفع أخرى، ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة، وإنهم إذا غزوا المطبخ، وجد منهم بنات فارس.

والروم: رد الله بأسهم بينهم، وسلت شوارهم على خيارهم.

واخبراه على قتال الترك والخزر والروم، وذهب كسرى، وفارس.

حتى لا كسرى بعده، وذهب قيصر حتى لا قيصر بعده، واخبراه عن الروم، لا تزال ذات أفران، حتى تقوم الساعة، واخبراه بملك بني أمية وولاية معاوية ووضاءة، واختار بني أمية ملك الله دولا، واخبراه عن خرج ولد العباس بالراثرات السود، ومكلهم أضعاف ما طلوا.

 وخروج المهدى وأخبراه بما ينال أهل بيته من القتل والشدايد.


ومن ذلك خبر: [حاطب بن أبي بلعة] وذلك أنه كتب كتاباً لأهل مكة، يخبرهم فيه بعزو رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم، واحفاء ذلك الكتاب، ولم يطلع عليه أحدا ودفعه إلى امرأة فجعلته في عقاقيرها.

(1) أخبار المهدى غير صحيحة، وكثير من الأخبار التي ذكرها المؤلف: آحاد.
(2) البقرة: 137.
قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (انطلقوا إلى موضع كذا) فانطلقوا فانطلقوا فانطلقوا فانطلقوا، فلم يجدوا عنها شيئا. فقالوا لها: لتخرجن الكتاب، أو لنجردن ذلك فتأخرجته من عقاصها، واخبره لبعض زوجاته أنها ستنبح كالاب من الحوب، وأنا تقلت حولها قتلى كثير فكان ذلك كله، كما ذكر صلى الله عليه وسلم وقال له علماء: (كتبتلك الفلكة الباغية) فقتله أصحابه معاوية، وقوله: (يكون في ثنيف: كذاب، ومثير) فرأوهما: الحجاج والمختار، واخبره بأن مسيلة يعمره الله فكان ذلك.

ومن ذلك أن ناقته ضالت فلم يدر أي يهم، فقالت قريش: يزعم محمد أنه يعرف خبر السماء، وهو لا يعرف ناقته فنال الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أنا أنا فلا أعلم إلا ما أعلم الله به)، وان الله قد أخبرني: (أنها بوضع كذا) فانطلقوا، فوجدت حيث ذكر قد حمستها هناك شجرة.

وقوله لفاطمة الزهراء رضي الله عنها، انتهت: (أنا أول أهل بيتي لحوتها) فكانا أول من مات من أهل بيته، وأخبر بأهل الردة والخوارج، وعرف بعلاماتهم، فوجد ذلك، كما أخبر. والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى، يضطر الوقوف عليها إلى العلم ببئوثه صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثاني عشر: في عصمة الله منه أراد كده:

وذلك من أبلغ آياته صحت الروايات وثبتت الطرق: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرس ممن يريد ضرره لكثرة أعداده، ولنطلب غرته حتى نزل: (والله يعصمه من الناس)

فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة. وقال لحاريسه: (يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي) فلم يقدر أحد أن يصيب منه مقتلا مع حرصهم على ذلك.

المائدة: 77
ومن ذلك ما صح أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلًا في بعض النزولات، فقال تحت شجرة، فأتجأ أعرازي فاختبر سيفه، فقال:

من يمنعك منها؟ فقال: (الله) فرعت يد الأعرابي، وسقط سيفه من يده، وضرب برأسه الشجرة، حتى سال دماغه. وقد اتفق مثل هذه القصة لعذرة بن الحارث، فأسلم ورجع إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس.

وقد روى أن هذه القصة كانت يوم بدر، وكذلك وقع مثل هذه القصة. بذي أعراب، بن الحرث، وكان ذا نجدة وبراءة. فأسلما، فلم رجع إلى قومه، قالوا: أين ما كنت تستولي. وقد أمتنك. فقال:

اتى نظرت إلى رجل أبي بكر طويل، دفع في صدره، فوقعته لظهره، وسقط السيف من يده. فعرفت أنه ملك، وفيه أنزل الله عز وجل:

"يا أبا بكر الذين آمنوا انكشفوا نعمة الله عليكم، أذهم قوم أن يبسطوا الحكم أيديهم، فخاف أيديهم عنكم." ( الآية.)

وكانت أمهة أبي لهب - وهي حمالة الحطب - تضع الشوك في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنها يطأ كثيب أهل - يريد سهلا - ولما أنزل الله عز وجل فيها، وفي زوجها: "ثبت يدا أبي لهب، وتب" (2) إلى آخر السورة. أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وما جالس في المسجد، ومعه أبو بكر، وفيزيد: "فهي" من حجارة. فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر، وأخذ الله بصبرها عن نبيه عليه السلام. فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني.

وأوحى إلى وجدته، لضرب بهما التهابًا.

ومن ذلك ما حدث به "الحكم بين أبي العاصي" قال: تعاونا على أن نقتل محمودًا حتى جئناه. فلما رأيناه سمعنا صوتًا خلفنا، ما ظننا أنه يتباهي أحدًا، فوقعنا مطحنا علينا، حتى قضى صلاته، ورجع إلى أهله. ثم تعاوننا ليلة أخرى فجئنا حتى إذا رأيناه جاء إلى الصفاء والمروة فحالت بيننا وبينه.

ومن ذلك القصة المشهورة التي تؤذن بالكتابة التامة. وذلك أن قريشاً اجتمعت على قتله، وبيتاً ليدخلوا عليه بهجة، فعلم بهم.

(2) المسند: 11

(1) المائدة: 376
فقال لعلي: تحول على فراشي، ففعل، ثم خرج عليهم، ودر التراب على رؤوسهم، فلم يروهم حتى دخلوا البيت، فوجدوا عليا على فراشهم، فقالوا له: أين صاحبك؟ فقال لهم: قد خرج عليكم، وفعل التراب على رؤوسكم، فلم يجد منهم يذهب على رأسه، فوجد

وقد قيل: أن في هذه القصة نزل قوله تعالى: "واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك، أو يقتلك، أو يخرجوك، ويمكرن، ويمكر الله والله خير المأكرين")\(^{(1)}\)

ومن ذلك ما أتفق لأبي جهل، وذلك أنه أخذ "ابل" رجل من العرب، وحدث عليه فيها، فشكي ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فiała رسول الله صلى الله عليه وسلم لـ أبي جهل، وصاحب به، فخرج متنعما لونه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رَجِلَ هَذَا ابْلِهَ) فقال: نعم، ثم دخل مرة أخرى خائفا، فصاح به، فخرج فزعًا، تمغيرا ذللا، ففعل ذلك ثلاثا، ثم خرج فزعًا متعقاً لونه، فانصرف الأعرابي، وألان القول للنبي عليه السلام، فلائمته قريش على ذلك، فقال لهم: أنه عرض لي دونه "فحل" من الإبل، ما رأيت مثل هامته، ولا أنيابه لفحل قط، وانه هم بي ليأكلنها، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (ذلك جبريل، ولو دنا منه لأخذه).

وذلك أخذ "أبو جهل" صخرة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ساجد وتريش ينظرون، فلما بذوها، وبيست يدها، إلى عنقه، فرجع الشقر، وراه، ثم سأل أن يدعو له، ففعل، فانطلقت يدها، وكذلك تواعد مرة أخرى، مع قريش، لتكن رأى محمد، يصله ليطلق رقبته، فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة أعلمه، فأتفل نحوه، فلما قرب منه ولي هاربا ناكبا على عقبه، متقيا بيديه، فشغف عن ذلك، فقال: لا دواءن منه، أشرفت على خدته مملوء نارا كدت أهوى فيه، وأبصرت هولا عظما، وخفت أجنحة قد ملأت الأرض، فنال عليه السلام: (تلك الملائكة، لو دني لاختطفته عضوا وعضا,) فأنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم: "كلما أن الإنسان يطغى، أن رآه استغنى")\(^{(2)}\) إلى آخر السورة.
ومن ذلك حديث «شبيبة» أنه أدركت النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال:اليوم أدركت ثأري من محمد، وكان «حمزة» قد قتل أباه وعمه فأتاه فلم يخرج، فقل، فلم يدق نطقه، فارتفع إلى شواطئ من نار، سرعان من البرق، فوليت هاربا وأحس النبي صلى الله عليه وسلم، فدعاني، ووضع يده على صدرى، وهو أبغض الخلق إلى، فلم يرفعه إلا وهو أحب الخلق إلى

ومن ذلك حديث «فضالة بن عبيد» قال: أدرت قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يطفو بالبيت، فلم يدуть منه قال: (فضالة؟) قلت: نعم، قال: (ما كنت تحدث به نفسك؟) قلت: لا شيء، فمضحك واختفر لي ووضع يده على صدرى، فسكن قلبي. فلما رفعها حتى ما خلق الله شبيها، أحب إلى منه،

ومن ذلك حديث «عمر بن يزيد الطفيل» و«أبرد بن قيس» وذلك أنهما وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتله، فقال عمر: آدام بن يزيد، وكبكةتم محمد، ففعلت أنت، فلم يفعل عمر. فمن ذلك شبيها، فلما كلهه «عمر» في ذلك، قال له: والله ما همتم أن أضربهم إلا وجدتك بني، وبيتهما فتأضيت؟

ومن ذلك الخبر المشهور خبر «سراقة» وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مهاجرا للمدينة، لم يعلموا بخروجهم، فبعثت قريش في طليبه في كل وجه حتى جلبت لم يأتى به جعلا: مادة ناقة.

قال سراقة: فبينا أنا جالس في نادي قومي، إذ أقبل رجل فقال: والله لقد رأيت ركبة ثمانية مروا على آنفا، وانظر لأملاء محمد وأصحابه. فقال: فأومأتم له - يعني أن أسكت - ثم قلت: إنهم بنو قينقاع ضالة لهم، قال: له. قلت: فكثفت قليلا، ثم قلت: فدخلت بيتي، ثم أمرت بفرستي، فقيد لي إلى بطن الوادي وأرتديت بسلاحي، فأخرج لي من دبر حجرتي، وكتب أردو أن أردو على قريش، وآخذ المائة ناقة، قال: فركبت في أثرة، ونزلت، فلم يرد لي القوم فرائهم، عثر على فرسي، وذهب الباء في الأرض، وسقطت عنه، تل: ثم انتزع بدييه من الأرض، وتبهبه دخان كالاعصار. قال:
فعرفت حين رأيت ذلك: أنك قد امتعت مني، وأنه ظاهر. قال: فناديت
القوم: أنا سرقة، انظروني حتى أكلمكم.
فقال له أبو بكر: وما تبنيتي منا؟ قال: قلت كتابا يكون آية
بيني وبينكم. فكتب له أبو بكر بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فاسمه عنده، حتى كان يوم الطائف.
والأخبار في هذا كثيرة، والحكايات صنحا شهرة، لا يمكن
جحدها، ولا ينكر حصول العلم عنيها، بل كلها تدل على صحة نبوته،
وتصديق شريعته، وأنه كما قال الله عز وجل: (وما محمد إلا رسول
قد خلت من قبله الرسل) (1).
ومعجزاته صلى الله عليه وسلم أكثر من أن يحيث بها هذا الكتاب.
أو تدخل تحت عد وحساب، وعند الوقوف على ما تضمنته الفصول
المتقدمة، والأبواب السابقة، يحصل العلم الضروري بصدقه في رسالته،
وبوجود اتباع شريعته، ومنكر ذلك معاند متواجح جاح.
(وسيعلم الذين ظلوا أي منقلب ينقلبون) (2) وقد نجز غرضنا
من هذا الباب.
فإن قال قاتل من النصارى والمخالفين لنا: ما ذكرتوم من
معجزات نبيكم. إنما يثبت عندكم من أخبار الآحاد، وهي وان كانت
صححا فلا يحصل بهما العلم، كما كنت قدتم، حيث تكلتم مع
النصارى، حين استدلوا على أثبات نبوة مسيحهم.
فانكم قلتتم: لا نقبل في مثل هذا الموضوع خبر، من تجوز العادة
عليه الكذب والغلط، وإنما نقبل فيها: خبر من لا تجوز عليهم العادة،
الكذب والغلط، وهو الخبر المتواتر. ثم انكم قلتم: هنا أخبار من
تجوز العادة عليهم، الغلط والكذب، وهي أخبار الآحاد، فقد خالفتم
ما أصلتم، وقبلتم عين ما انكرتم.
قلنا في الجواب عن ذلك: أعلم أيا المعترض: أنا لم نقبل في
هذا الباب إلا الأخبار المتواترة التي يحصل العلم بها، لكن ينبغي أن

(1) آل عمران: 144
(2) الشعراء: 227
تعلم أن المتواتر ضربان · ضرب يتواتر لفظه ومنه · وذلك مثل قوله تعالى: (ومن يبْتَغُ غِيرَ الْإِسلامِ دَيْنًا فَلَنْ يَقْبِلُ مِنْهُ ، وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مَثْلُ الْخَيْرِ) فإن هذا اللفظ تعلم قطعاً ويفتى: أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قاله، كما تلوناه من غير زيادة ولا نقصان · إذ قد نقله عنه الجم الغفير · عن الجم الغفير · فلا يطرق إليه وجه من وجهه · الشك · فلا يقتدر أحد أن يتشكك في لفظه · ولا في معنائه · وكثير من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم المتقدمة الذي من هذا القبيل · فهذا هو الضرب الأول ·

وأما الضرب الآخر · وهو متواتر معناه دون لفظه · فبحصل العلم أيضاً بذلك المعنى · وذلك مثل أن تتواتر روافد كثيرة من آثار الإجماع الصحيح على معنى واحد · بالفاظ متغيرة · وتحديات مختلفة · مثال ذلك: أنا نجد من أنفسنا علمًا قطعياً بمشجاعة «على بن أبي طالب» · رضي الله عنه · فإذا نظرنا في الخبر الذي حصل لنا العلم بمشجعته · لم نجد خبراً واحداً متواتراً · وإنما وجدناه جملة آثاره · فتلودت على معنى واحد · وهو الشجاعة · فتسمع عنه يوحاً أنه فعل يوم خيبر · كذا · وفعل يوم حين كذا · ويوم صفين كذا · ويوم الجمل كذا · فلا تزال آثاره · تكثر حتى يتضطر السامع إلى العلم بمخبرها · ولا يقتدر على تشكيك نفسه في شيء منها · وهذا مسألة في تحصيل العلم · إذا تتقده العلماء المنتصف من نفسه وجدته مفيداً للعلم · ومتصلاً له ضروري · ومن أنكر حصول العلم منه · كان منكرًا لما هو ضروري ·

فإذا ثبت هذا · قلنا بعده: أن ما نقلناه من معجزات نبينا عليه السلام · منها ما يتواتر لفظه ومنه · كالشتقاق الغير · وغيره · ومنها متواتر معناه · وهو أكثر ما احتوت عليه الفصول المتقدمة · وذلك أن كل فصل منها استعمل على معنى واحد وكثيرات الأخبار عن ذلك المعنى · حتى يضطر الواقف عليها إلى العلم بمناه · وذلك مثل نبع الماء · من بين أصابعه · وتكثير الماء القليل · والطعام القليل · إلى غير ذلك من الفصول · كذلك فعل منها قد تتواتر معناه · فإن لم يتواتر آحاد الفاظه ·

(1) آل عمران : 85
ثم هذه الفصول بجعلها يحصل منها العلم القطعي، واليقين
الضرورة: بأن محمد صلى الله عليه وسلم كانت اللادات تنخرق على
يديه، معجزة له، إذ قد تواردت جميع أخبار هذه الفصول على هذا
معنى.
فحصل من هذا: أنا لم نستدل على أثبات نبى محمد، بأخبار
الآحاد، وانما استدلنا على ذلك بالأخبار المتواترة، المحصلة للعلم
والحمد لله.
والنصارى فيما أوردوه لم يستدوا هكذا، ولا عندهم علم من
هذا، وكنى أنهم في ضلالتهم يعمون، وفي شكلهم يترددون.
عصموا الله من الخطأ والزلزال، في القول والعمل. بكرمه وجوده.

**

الفصل الثالث عشر: في ما ظهر على أصحابه، والتابعين لهم من
الكرامات الخارقة للعادات:

اعلم أن غرضنا في أثبات هذا الفصل شيئان:

أحدهما: أن نبين أن ما ظهر على أصحابه، وعلى أهل دينه من
الكرامات، هو آية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم الآيات.
وذلك أن الله تعالى إذا أكرم واحدا منهم بأن خرق له عادة، فأن
ذلك يدل على أنه على الحق، وأن دينه حق. إذ لو كان بطلًا في
دينك، مثباً لبطل في دعواه، كاذب في قوله على الله، لما أكرمه
الله، ولا أكثر من أتبع دينه.

فعلى هذا نقول: أن كل كرمته لولي، أنما هي آية للنبي الذي
يتبعه ذلك الولي، فهذا أحد الغرضين، وهو أهمهما.

والغرض الثاني: أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وان كانوا قد أكرهم الله بكرامات خارقة للعادات فلا يعتقد فيهم أنهم
أنياباً. كما فعلت النصارى بالحواريين. بل يعتقد فيهم: أنهم أولياء
الله، وأصحاب رسول الله، تلقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
شرعه، وبلغوا عنه قوله، وفعله، فبذلوا في أظهر دين الله أنفسهم.
وأموالهم، حتى أظهر الله على كل الأديان دينهم، وأيمانهم.
كما قال الله تعالى فيهم: «محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار، رحمة بينهم، تراهم ركما سجدا، يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سماهم في وجههم من أثر السجود»(1)』.

ونحن الآن نذكر بعض ما أكرمك الله تعالى به من ذلك: ما علمنا من أحوالهم على القطع. وذلك أنهم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرضوا لقتال كل من خلفهم من أهل الأرض يهودهم ونصرانيهم، مجدswapهم ووثنيهم، عربيهم وعجمهم على قلعة عدوهم، ونزارة عدوهم، فقأروا الأبطال، وسبوا الذارى والأموال، وأسروا العتاه، وقتلوا الرجال، وعلى هذا انقرض عصرهم.

ومع ذلك فلم ير تلقت عنها: أنهم ولوا مدربين، ولا رجوعا مرهزمين. بل كانوا بيلجرون غالبين، وبعدهم ظارفين، وعليهم ظاهرين. هذا مع كثرة من كان يجتمع عليهم من عدوهم، ومن فوق، على فتوحات الشام، علم أن الدين الحق، هو دين الإسلام. فلقد اجتمع عليهم من عدوهم بالشام ثلاث مائة ألف، ونحوها. بل قد قال الواقدي: "ثم نئة مائة ألف من النصارى المستعمرة وغيرهم، وهم زهاء ثلاثين ألف، خيلهم وركهم، فقأرواهم مقارعة الكرام، وصبروا صبر من صدق ما وعد به نبي محمد عليه الصلاة وسلم. فأظهرهم الله عليهم، ومنحهم رقابهم، وأورثهم أموالهم وديارهم، وهكذا فعل الله معهم، غير ما مرة، ولا يشكن في أن هذا كرام.


(1) الفتح: 39
خفت لهم ثم تلعّبت قيام قوم فقولهم: هل فيكم من رأى من رأى
هن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقولهم: نعم، فيفتح لهم.
وقد ذكرنا حديث المرأة الهجرة التي ماتت ابنها، فقالت: اللهم إن
كنت علم أن حشرت تلك، وإلي نبيك، فلا تحملني هذه المصيبة، فحني، وإن لكل مهيب، وكذلك ذكرنا مقالة "ثابت بن قيس بن شمس.
وقد ذكرنا مقالة "ثابت بن قيس بن شمس.
»بعد موهه، وكلاهم: "زيد بن خارجة"، بعد موهه فيما تقدم، فلا معنى
لعادته، فلتشت فما تقدم.
»ومن ذلك خبر "ابن عمر" رضي الله عنه، أنه كان في بعض أسفاره،
فلم جماعة وقفوا على الطريق خوفا من السبع، فطرد السبع عن
طريقهم، ثم قال: "إني سلسل الله على ابن آدم ما يخفاه، ولو أنه
لم يخف الله لم يسلط عليه شيء".
»ومن ذلك حديث "العلاه بن الحضرمي" بعثه رسول الله صلى
الله عليه وسلم في غزوة، فقال بينهم وبين الموضع الذي يريدونه
"قطة" من البحر، فدعا الله باسمه الأعظم، وصحة على الماء.
»ومن ذلك أن "عبيد بن بشير" أو "أسيد بن حضرير" خرجا
من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضلاً لما رأس عصا أهدهما
كالسراج، وقد ذكرنا مثل هذا.
»ومن ذلك أن "سلمان" و "أبا الدرباء" كانت بينهما قصعة،
فسبحت، حتى سما تسبيمهما، وقد تظاهرة الأخبار: بأن جماعة منهم
رأوا الملائكة، وكانت تسلم عليهم مثل "عمر بن حصين" و "أسيد
ابن حضرير" والأخبار في هذا كثير.
وأما القابعون، فقد ظهرت لهم من الكرامات والخيرات ما لا
يمكن استياء ذكره في هذا الكتاب.

فمنذ كان كثير منهم يمشي على الماء، ويظهر في البحار، ويظهر
اللى الحصين في صيمر جواهر، وينظر الآخر الى الأرض بين يديه، فيصير
ذهباً، وينظر الى الأمانت، ويدفع با، فيسيل الماء من بين يديه قضبان
ذهب. ويدعو الله تعالى فيريري المرى والمجانين، والزباء، الى ما لا
يحصى كثرة.

وقد دون من هذا كثير، يقضي منه العجب في كتاب الكرامات
الأولى، ولو لم يكن من هذا، إلا قبر «معروف الكرخي» الكائن
بغداد، كان فيه كتابه، وأعظم آية، وذلك أن قبره يستشفى به
ويدعى الله عنه، فيشفى المريض، وتُفصى الحاجة، حتى أن أهل
بغداد، يقولون: قبر معروف الكرخي، طريق مجبور.

وبعد هذا،

أقول للنصاري: ليست هذه الأمور العجيبة، والأعمال الغريبة
من قبيل الحيل والثيرجات، التي تعظمن بها أديانكم، وتهوهون بها
على عوامكم، وتضيرونها الى هديانكم.

فلكد حكي لنا: أنكم تمتفرقون على ضعايف العقول منكم بخرافات
وترهات، مثل ما وصف عن بعض مشاهدكم المعظمة عندكم. وذلك
أنكم تزعمون أن يد الله السمح تظهر بها في يوم واحد من السنة من
وراء ستار. وهذا مشهور عندكم.

ولقد حكي لنا من يوثق بحبيبه: أن رجالاً من اليهود كان قد حظى
عند أحد رؤسائهم بالأندلس، بوصيلة كانت بينهما. فقام الرئيس
أن يخرج اليهودي عن دينه، ويدخله في دين النصرانية، وقال له:
لا ترى هذه الأعجوبة: ظهور يد الله السمح لنا في يوم معلوم من السنة؟
فقال له اليهودي: يا ولياً! أنا قد رضيت من هذا الأمر بشهادتك،
وصدقتك عليه. فابحث عنه. فكان ما يزعم هؤلاء القسيسون حقاً
دخلت في دينك، فخلال الرئيس الشك، فلما دنا ذلك اليوم، هى ذلك
انبرجوا يذة الشهداء، وقرب ماما، يهديه هناك كفرز إليه الأسئفة. وقربوا لتكملي اليد، فلما ظهر له من وراء الستر وضع يده فيه، فصاحوا به، وأعلموا له القول يقولون له: أتلق الله الآن تخفف بك الأرض، الآن تزع عليك السماء، الآن تسهل عليك الصواعق، فقال لهم: دعوا عنكم هذا كله. فان هذه اليد، لا أخل يدي عنها حتى آسرها. حقاً ما تصرفون عنها، أم باطلا.

فلما رأوا الحجة فروا عنه، ولم يبق معه إلا أثنا عشرة أسراؤ أليه.


وكذلك وصف لنا عن صليب في بعض مشاهدتكم المعززة عندكم يمشى، اليه الناس يتعجبون منه. وهو واقف بين السماء والأرض، وأن بعض رؤسائكم سأل عن ذلك كابوا له يهوديا، فتفطن اليهودي إلى أن ذلك الصليب: حديث، تسكنه أحجار المغناطيس، نبحث عنه فوجد كذلك.

وكذلك وصف عن «الثريا» التي في كنيسة الغرباء، وحياتها: حيلة الصليب. وكذلك كنتم تذكرون أن هذه الكنسية ينزل فيها نور، يوقد ذات الثريا المذكورة، في ذلك اليوم الشهود. فذكر ذلك لاحد ملك بن أمية الفاطميين، فتعجب من ذلك، وسائل عن ذلك، فأخبره رجل من أهل أفريقية بحيلتها، وذكر أنهم مدوا مع الحائط: قصبة جديد، ضيق جوفها، وأبرزوا لها أنبوءا كسم الخياط، موضوعهجوزون مع طرف الثريا.

ثم أنهم ذلك اليوم يرسلون نار النفط في القصبة متراكماٍ، حتى يخرج في غاية القوة، إلى ذبال الثريا، الذي هو في أثر واحدة معه ٦٥ - الإعلام.)
ووصف ذلك الافريقي مع ذلك حيلاً فاحتال ذلك الأمير على الكنيسة
طق أحد غزواته، وقد دنا يومها ذلك ففعلي الافريقي، وكان مه،
فسألته كيف ذلك، فعمد الافريقي فاستخرج منه قناة من الصفر، على
 نحو ما كان ذكر، وعند إلى سماء الثريا، فاستخرج منه حجراً من
 المغناطيس، فسقطت، فأمر الأمير عند ذلك بمعالقة القسيس

وذلك كنتم تزعمون: أن مريم نزلت من السماء، على «دون
اذ فنش» المطران، بمجلم «طلبيطة» وكست رأسه بتجيلة، وجسمه
بتيار مازينة، وذلك في ليلة النصف من شهر «أغست» فتعظمن تلك
الليلة تعظياً شمئياً.

وذلك كله أنهما يصح عليكم، لجهلكم بالأمور كلاها، حقها، وباطلها.
حتى أنكم تصادقون بالبطل والترهات، وتكدبون بالحق كله،
وبالتكفينات، فدركم لغير معنى، وقبولكم لغير معنى، فلذاك لم
تعدوا مع العقلاء، ولم تضروا بسهم النبلاء.

ولقد أورد بعض حذافنا، المجترؤين على الكلام: على النصارى
في كذبهم نزول مريم على «دون إذ فنش» الزامات، نهبت النصارى،
ولا محصول لهم عنها.

فقال لهم: أخبرونا عن نزول مريم الذي تزعمون، هل كان بذن
سيدةها، أو بغير أذنها؟ فكان قلتم: كان باذنه، فكيف يجوز عليه أن
يمنحه أم ولده - بزعكم - في حق عبده؟ وهلا كان يرسل عبداً من
عبيد ويعصون أم ولده؟

هذا يدل على عدم الغيرة، ولو فعل ذلك الواحد هنا، لعرض
نفسه وزوجته للتهم، ولتضاف عله النفاق، وينسب إلى همه الخسة.

وكان قلتم: كان ذلك بغير أذن منه، فكيف ينبغي أن تخونه؟ مع
أن الله قد اصطفاها على نساء العالم، واتخذها أم ولده - بزعكم -
فتنزل بغير أذنها إلى رجل من جنسها بكسوة، وبتيار مازينة في كنيسة
خالياً. وهذا محل خيانة.
 تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وسبحانه عما ينسب إليه الجاهلون بركة وأصيلا، واستغفر الله الذي لا لله إلا هو الحي القيوم، وأسأله التوبة من حكايته هذه التبائح، ومن رواية هذه الفضائل.

فالحمدلله، الذي أعاد الإسلام من هذه الرذائل، وخصه بكل الفضائل التي يستحسنها كل عاقل، ويدين بها كل فاضل. وتعميز

عندما الحق من الباطل.

* * *

(انتهى الجزء الثالث من كتاب "الاعلام بما في دين النصارى من القساد والأوهام، وإظهار محسن دين الإسلام، واثبات نبوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام" ويلي الجزء الرابع بازن الله أو إلهه: الباب الرابع: في بيان أن النصارى متحكون في آديانهم، وأنهم لا مستند لهم في أحكامهم، إلا بعض أعراضاهم وأهوائهم).
الأعلام

عما في دين المصاريّن المفسّد والأوهام
واظهراء محاسن دين الإسلام
واثبات نبوءة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام

تأليف
الإمام الفرطبي

تقديم وتحقيق وتصنيف
الدكتور عمرو جبرى السفّاط

الฉบّاب الرابع

دار التراث العربي
في بيان أن النصارى متحكّمون في أديانهم و أنهم لا استند لهم في أحكامهم إلا محض أفراحهم وأهوائهم

هذا الباب يشمل على صدر وفنين

الصدر: وفية فصلان
والفن الثاني: فية فصلان
الفصل الأول

ليست النصارى على شيء

أعلما أن شيا الطاغية، وفقه الله، أن النصارى أضعف الناس عقولا، وعقلهم فطنة وتحصيلها، فهم لذلك يعتقدون في الله المحالات، وينكرن الضروريات، ويستندون في أحكامهم إلى الخرافات، مثارة يسندون قضاياهم إلى مناعة رأوها أو خرافة سمعوها، وما وعوها، وأخرى تحكم فيها متقصس جاهل، بمحض الجهل والنهو على الأباطيل، من غير أن يستند على جواز شيء مما يريد أن يفعل من الأفعال، لا بتوراة ولا بإنجيل بل قد يعرض عن نصوص الكتابين، ويتأولهما تأويل من لسان، وربما تتزيل بهم عظام النوازل فيجتمعون لها في المحال، فيتحكون بأهوائهم، ويفلون فيها بآرائهم، في👩‍👩‍👧‍👦 ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، «افتراض على الله، قد خلوا، وما كانوا مهتدين».

ونحن نبين ذلك، ونستدل عليه، أن شيا الله تعالى على طريقة الإنصاف من غير اعتساب، فأما كونهم يعتقدون في الله المحالات، وينكرن الضروريات، فقد بيناه فيما تقدم. فمن أراد أن يعرف ذلك، فليعد نظرًا هنالك.

وأما كونهم يستندون في أحكامهم إلى الترهات والمنامات، فيدل عليه: ما حكيناه فيما تقدم من خبر بولي، فإنه احتال عليه. حتى صرفهم عن دين السماحة، وقولهم من المذاهب والآراء كل قبيح، فصرفهم عن قبليتهم، وأحل لهم ما حرم عليهم، وفرق جماعتهم، وشنت كلمتهم، فتم له كل مكبر، على كل غبي غمر، وقد قدما حديثه في باب النبوات على الوفاء، وكذلك خبر قسطنطين.

(1) الأنصام: 140
ابن هيلانة) فانه لما رأى ملكه يختل، ونظامه لا يستقيم، ولا يتحصل
باختلاف رعية عليه، وقيلة انتقادهم إليه. جميع وزراؤه، وشاورهم
فاجتمع فيهم أن يتبدع القوم بطلب دم، وأن يشرع لهم شريعة ينسبها
للكسيح، فكتب لهم ما بأيديهم من الأنجيل أو أكثرهم، وتعبدهم
بالصلوية، وشرع لهم ترك الختان، وغیر ذلك من الأحكام التي
وافقتها، وجاءت على اختياره، وأنه ذلك بمنامة رأى، ذكر فيها أمر
الصلب، فتمنى لم راده فيهم، وخبره معروف عنهم، وعند غيرهم
وقد قدمت بعضه في باب النبوات أيضاً.

وأما كونهم يحكمون بآرائتهم وأهوائهم، فنيدل على ذلك: ما
أوده كتب محافلهم، وما عليه الآن معظم عملهم، ومن طالع تلك
الكتب، قضى من جهلهم وجرأتهم على الله كل عجب، فإن قالوا:
انما نحكم بالصلح، وهي عنديننا أصل راجح، فإننا لهم: إن كانت
المصالح عندكم أصل تعلون عليه، وتتسدون أحكامكم إليه، فمن
الذي أرسلها لكم؟ فإن كنت أصلتموها لأنفسكم فقد تحكمتم في الأصل
والفرع، ثم يلزمكم من هذا القول: الاستنقاء عن الشرائع… وأن
ما شرع الله من الأحكام في التوراة عبث، لا معنى له، ولا فائدة… إذا
في النظر في المصالح عندها.

وان كان الأنبئاء شرعوا لكم أصل المصالح، فلأ ك ذ ي من الاستدلال
على ذلك من كلامهم، وإذا لم تكملوا على ذلك، فدعواكم بالطاله،
وحججتم داحضة.

ثم نقول لهم: هب أن الأنبئاء شرعوا لكم أصل المصالح، فهل
شرعوا العمل بالصلح، كيف ما كانت المصلحة مطلقة؟ أو عينوا لكم
نوعاً من المصالح؟ فإن كانوا قد عينوا، فينبغي لكم: ألا تجددوا ما عين
لكم الأنبياء؟ فما بالكم تسترسلون استرسال من يحكم يوهاد، ولا يخفف
الله، ولا يخشاه. وإن كانوا أطلعوا لكم النقول بالصلح، وقالوا لكم:
مهمما ظهرت لكم مصلحة كائنة ما كانت، فاعملوا بمقتضىها، فكان
يلزم على هذا أسئلة كثير من أحكام التوراة بالصلح والرأي، كما
فعل (بولش) حيث قال لهم: (هل رأيت سارة تبقر من عند ربي؟
ولا تخرج إلا من حيث تؤمر به؟ قال: فاني رأيت الصبح والليل والشمسم
والقمر والبروج لا تتجزء من هاهنا - يعني الشرق - وما أوجب ذلك
لا وهو أحق الوجه أن يصلى إليه قالوا له صدقت.

فردهم عن استقبال بيت المقدس الى استقبال جهة الشرق.

لذا الغضب، ثم قل لهم بعد زمن رأيت رأيا قالوا هات.

قال لهم الساحة تزعم أن الرجل إذا أهدي إلى الرجل هدية وآكره بالكرامة فردها شق ذلك عليه وأن الله سخر لكم ما في الأرض وجعل ما في السماء لكم كرامة فاسه أحق لا ترد عليه كرامته فما بال بعض الأشياء حرام وبعضها حلال ما بين البقية الى الفيما.

وقد هذا مسح الجراءة على الله والانتزاء على شرائع الله ولم يصرف قط أحد من المشرعين إلى مثله ويلزم عليه أن يكون كل من أراد أن يشرع شرعا شرعه، فتكون العقولة كلهم شارعين، ويستغني عن رسول رب العالمين وهذا غلية الكفر والضلالة وهو لازم على جهذ أولئك الجهلاء فقد ظهر من هذا الفصل أنهم لا يستندون إلى شيء وأنهم ليسوا على شيء إلا أنهم هم الكافون (1).

* * *

(1) المجادلة: 88
فوائد العادات

خروج النصارى على تعاليم التوراة والشريعة

أريد أن أبين في هذا الفصل: أنهم يخالفون كتابهم، ولا يعلمون بمقتضايحة. بل يتركون العمل بها أبتداءً، ويقولون: ثأولناها.

وذلك أن الله تعالى حرم في التوراة: أكل اللحم، والدم، والخنزير، والنظيفة، والموقدة، والملحنة، والقردة، والشحم التي لا تختلط باللحم، والأرانب، والأسد، والدب، واللثا، واللثام، والخيل، والحمار، وكل دابة ليست مشفوعة الحافر، ومن الطيور: الباز، والعقاب، وكل طير يبغى بالمخلاب، ومن حيوان الماكل: حوت ليس له سفانق.

- هذا وجدناه في كتابهم التي نقلنا منها (سفانق) وهو تصحيف منهم. وانها هو (سفانق) وهي الطيور عند العرب، ومنه قول: سفانق السيف، وهي طيارة، وفرنده ذكره أبو عبيد في المغرب.

المصنف.

ونحن حرص الثور مع الحمار، وحمل الخيل على الحمير، والحمار على الخيل، وطبع الجذيد في ابن أمه، وأخذ الطير في أشجارها، وأكل الجزيرة المتصقة رئتهما، وأكل الخنزير المختصر في الفصوح، ولا تقرب قربان إلا بخبز قطير، ومنع شحم البقر، وشحم الشاة.

ومنع قربان الحمام واليام.

فهذه المذكورات كلها محرمة بنصوص التوراة التي لا تقبل التأويل.
- إذ قد علمت أن بني إسرائيل على مقتضايهم، ولم يغيروا شيئاً منها.
- وكذلك عيسى عليه السلام لم يغيرها عن مقتضياتها، ولا نسخها.
- بل أقرها بالمصل، وأمر بمقتضايها.
وان ادعوا نسخ شيء منها ، طالبناهم بدليل النسخ ، ولا يجدون 
سيبلا الى ذلك . ومع ذلك فتركوا العمل بما أمر الله به ، وارتكبو 
ما نهى الله عنه . 

ولقد وقفت على بعض كتبهم في الفقه ، فذكر هذه المحرمات مؤلفة 
ثم نقلوا بزعمه . وأنا الآن أذكر ما ذكر في ذلك الكتاب ، ليقضي العاقل 
من توافهم وجعلهم : العجب العجاب . ويدم أنهم مفترضون ، ويكذبون 
على رب الأرباب .

قال ذلك الجاهل بعد ذكر المحرمات : "فهذه أمثلة ضربت في 
التوراة ، التي هي أم الإنجيل ، وأول الكتب كلمة ، ففسر المسيح سيدنا 
في الإنجيل ، حيث قال : "لم آت لنقص الكتاب ، بل لتمهم " فتمام 
الكتاب التأويل .

فأما البيعة في التوراة ، فانها نعنى بذلك : ألا تمتوا الأحياء ، 
ولا تغموا الحق في السهادة ، ولا ترفعوا الطعام ، وتنعوها السائل 
والجائع . فأما البيعة والمنخصة ، فما في أكلاها خبظة ، لذة عقل . فمن 
شأن أكل ، ومن شاء ترك . وأما الدمع فيعنى به ألا يقتل أحد بريئا ، 
ويبري دمه . وعنى بالمنخزير : الزنا ، والكركر بالله . إذ يعرف من 
المنخزير : الالتطاخ في المطائق ، فنهايها عن فعله . وأما أكله . فما فيه 
منفعة ولا ضرارة . فمن شاء أكله ، ومن شاء تركه ، وعنى بالطيبية 
ألا ينطاع مثل جبار ، وفقر مسكين . وعنى بالموقودة ألا تزديى بنم هو 
تحت ظلم غيرك . وعنى بالمنخصة ألا تخنق أحدا ، إذا كان لك تقبل حق 
فتضاييقه ، وعنى بالغردة ألا تحاك أحدا ، فتنفعل كفعلها ، وعنى بالدب 
واللب ألا تأكل مع غيرك بالهجم والغارة . وعنى بالأرانب ألا تفعلوا 
فعل الأرانب . فتكونا كفوما لهم . فان الأرانب الذكور يأتي بعضها 
بعضا لكثرة شهورها .

وعنى بالبازى ، والصدائق ، والعقاب ، وكل ظر بعيني بمظلبه : 
ألا يقتل أحدا ، ولا يبرد دم أحد ، ولا يغلب أحدا على متاعه ، ولا تحصد 
جبار فتنفعل كفعلها ، وعنى بالدبابة التي ليست مشروعة الحافر . الكفرة .
الذين يعبدون الأوثان ، ويسبحون لها أيام حياتهم ، ولا يقسمون أيامهم 
مشارطة .
وعن بالحوت الذي ليس له سفائق: الإنسان المذنب الذي يتلون
في دينه، وعبادته، وعن بالحور الذي يحمل الحمر، وعن الديوان
والحمر على الخيل، والخيل على الديوان، وال الخيل على الديوان،
и "و للايمان كافرة".
وعن بالغرد في ابن آدم: "ألا تأخذ مال البيت ظلماً"، وعن
باللبطة: "الإنسان الحسود، الحكو، الذي يوسوس الشر
في صدره، طول حياته، وعن بالحبيبة المختصر: "ألا ينفخا
الشيطان، ويهد١٩٦ فينا الكبرى، وعن بالبئر: "أن تكون أنفسنا ضامرة بلا
انتفاخ".
وعن بالحمام واليلام: المؤمنين الذين جعلوا أنفسهم
"قربانا" امها.
قال: "فهذا هو المارد بتحريمه هذه الأشياء". وأما تلك المذكورات
بأعينها، فمن شاء أكلها، ومن شاء تركها" امها.

هذا مذهب التصاريح أجمعين، ولا يבוא أحد منهم إلا الأقليين.
فبيني لنا أن نويك هؤلاء الجاهلين، وتعرض عليهم من الإرادة
المفحة ما كانوا عنه معرضين، ونقول لهم: ما الذي حملكم على أن
حرفتم كتاب الله، وغيرتم شرع الله، فأحللت ما حرمت عليكم من غير
دليل، وصرتم إلى تأويل، لم تضمنكم إليه ضرورة عقل ولا معارضة.
قول رسول؟ فيا للعجب ما أثبت أذهانكم، وأصبح أفهامكم إذ قد
فهمتم من كتاب رب العالمين، ما لم يفهمه أحد من النبئيين، بل قد
زاد فهمكم على فهم موسى بن عمران، وعيسى عليه السلام، إذ كنا
قد عملنا على تحريمه ما فهمتم أنتم تحليله من الأحكام.

وعلى ذلك عملت بنو إسرائيل مدة مديدة من الأعوام إلى زمان
"بولش" النفسي لدى المسيح، الذي جاءكم بكم خالص، وكفر
صرف. فتشتمل منه هذيانه، ولم تعرفوا شأنه، فحرفتم كتاب الله
واصلتم عن الدين القومي، دين المسيح، حين حرف الدين الذي
لم تروا منه أثراً، ولا سمعتم له خيراً.

ثم نقول: يا مشر المحرقين لكتاب الله، أخبرونا، هل كان
موسى بن عمران، وعيسى ابن مريم، ومن بينهم من أنياب بنى إسرائيل،
علموا من هذه الأحكام ما علمتم أنتم أم لا؟ فإن كانوا قد علموا فما بالهم
نصوا على خلاف ذلك، وحكموا بتحريمه تلك الأشياء، فلم يرو قط عن واحد منهم: أنه أكّل خنزيراً، ولا مائدة، ولا دما، ولا شتاء مما ذكر تحريره، وأتمّت تقولون هذا، وتساعدن عليه، فكيف يمنعون من أكل ما يحل لهم؟ ثم يرحلون بتحريره؟ فعلى هذا يلزمك أنهم كذبوا على الله وليسو في أهلكم الله، إذا كانوا علموا تحليل تلك الأشياء، ثم يرحلوا بتحريرهما، والله عندها، وإن لم يعلموا شيئاً مما علمتموه أنه، فمن أين علمتموه أنتم؟ أشافهتم بذلك الملائكة، أم أرسل اليمك بذلك رسل آخر؟ أم خلق لكم بذلك علم ضروري؟ وكل ذلك لا تتقدون على إدعائه، فلم يبق إلا أنكم جاهلون بشرع الله، محرومين كتاب الله، متفاقمون على الله، كاذبون عليه، ومتفاوتون برسله، وستقفون بين يديه، ويسألكم عما انترنت علي فتحيذ لكم النيران، وتجركم على وجهكم بها ملائكة غلاط شداد لا يطيقهم إنسان، ويوم القيامة تريد الذين كتبوا على الله وجههم مسودة، أي ليس في جهنم مثوى للمتكبرين؟(1)

فتنادون إذ ذاك: يا أستفنا، بولش، أنظرنا، فما هنا إلا متفرق. عاطشك، فيقال لكم: هو في أسفل سافلتين، فنصيروا إليه أجمعين، فإذا اجتمعت معا، لعن بعضكم بعضاً، وجدت بعضكم بعضاً، "وهواكم النار، وما لكم من ناصرين؟(2)

ثم تقول لهم: إن جاز أن تتناول ألقاف الشارع، وكلماته من غير ضرورة داعية إلى ذلك، وندفع النصوص بالتحكيم، بطلت الكتب كلها والآنسة، ولم يقدر واحد أن يفهم منها شيئاً، إذ كل لفظ يتكلم به متكلم يمكن صرفه عن بابه، وعن موضوعه الأصلي ونصابه.

وإذا أمكن ذلك لم تتقروا على أن تثبتوا نبوة عيسى على اليهود، بما قدمتم، فإن ما نص مااعدتم من كلم الأنبياء على نبوته قول يعقوب: "لا يقطع قضيب الملك من نسل يهوذاً، حتى يأتي المسيح"(3). فييسوع لليهودي أن يقول: أنا عني بالملك: دينهم، الذي ورثوه عن كتابهم وأنببائهم، ولم يكن الملك الذي هو الأمارة والولاية. وقد

(1) الزمر: 55
(2) المنكب: 61
(3) سفر التكوين: 49: 20 - وتترجم حاليًا كلمة المسيح بـ "شيلون".
يسمي الدين: الملك، وقد جاء في التوراة حيث قال الله تعالى لإبراهيم:
"المولك من صلبك يخرجون" (1) وانما أراد بذلك الأحباء، وأهل الدين، ولم يرد بذلك الأمراء فقط.
وعلي هذا التأويل تجاجكم اليهود، ويكولن لكم: هذا ديننا، باق، لم ينقطع، فانا نقيم التوراة وأحكامها، فلم يأت بعد المسيح، وهذا التأويل في هذا الموضع أسوأ مما تأولتم به أنتم أحكم التوراة.
فان انكرتم هذا التأويل، انكروا تأويلكم، وخطؤكم، وشهدوا عليكم انكم غيرتم كتاب الله، وحرفتموه.
هذا ما جنى عليكم تأويلكم، إذ قد شكتم في مسيحكم، ففى مثلكم يضرب المثل: "يداك أوكتا، فوك نفخ" (2).
ولو شئنا لأبدينا لكم من التأويلات، وأرينكم من المناقضات أكثر من هذا لفعلنا، ولكن منعنا من ذلك ما تدمنا ولا يصح أن يقول قائل منهم: ان تحريم هذه المحرمات كلها تثبت في التوراة، نسخ بقول عيسى في الاميل: "ليس ينجس المرء، ما يدخل فاحه. وإنما ينجسه ما يخرج من فيه" (3) لألننا نقول: قول عيسى هذا إذا سلم مفهومه، نفى التنجيس، لا نفى التحريم، إذ هما حكام متابياران مختلفان فان الحكم بتحريم هذه المحرمات ام ام يرجع إلى منع كلا، ثم يجوز أن تتداول بالأخذ والأعطاء وأنواع من التصرفات، كما نقول في الحمار الأهل والبغل، فإنه يحرم علينا أكله، ويدل لنا تصريفه في أنواع من المنافع غير الأكل، والحكم بالتنجيس، ام يرجع لمنع التنال مطلقا: أعني يمنع في الأكل والتصرف.
هذا اذا كان ذلك النجس محكوما بنجاسته مطلقا، فان حكم بنجاسته في حال دون حال، كان ذلك وضح أن يقال عليه أيضا: نجس، مثل ذلك: أن محكم الشرائع بأن العذرة يحرم علينا أن نضل بها، فلا يجوز أن نصلح بها ولا نحملها في تلك الحال، ويجوز لنا أن نتناولها ونحملها في غير حال الصلاة، فقد بان الفرق ما بين

(1) سفر التكوين : 17 : 6
(2) انجيل مرقس -- الإصحاح السابع -- الآية الخامسة عشر
الحكم بالتنجيس، والحكم بالتحرير، ثم لو سلمنا أنهما اسمان للتحرير، لما كان لتؤولكم السحيف، ومعنى لهيف، فلا معنى تؤولتم، وقلتم ما لا يصلح حمل اللفظ عليه، ولم لم تقولوا: إنه منسوخ، فهذا خطأ آخر وجه لا يبوء به إلا من كان مكلم، فإنه جمع بين التأويل والنسخ، وهم متناقضون.

فإن معنى التأويل: أن اللفظ الأول معمول به على وجه، ومعنى النسخ: أن المنسوخ مرفوع الحكم على كل وجه، غير معمول به أصلا.

فقد ظهر من الفصلين السابقين: أن هؤلاء القوم متحكون بإهوائهم في دين الله، تاركون للعمل بكتاب الله، وسنن رسول الله، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً(1) «فويل لهم مما كتب آيديهم، وويل لهم مما يكسبون»(2).

وقد نجز غرضاً من الصدر، فلنشرع في الفن الأول الموعود.

* * *

(1) البقرة: 79 (2) الكهف: 104
الفن الأول

شعراء الدين المصري وطقوس

غرضاً من هذا الفن: أن نجمع مسائل من تواتر أديانهم، ونبين فسادها، وأنه ليسوا على شيء فيها، بل تركوا فيها نصوص التوراة والإنجيل، وعملوا بخلافها من غير حجة، ولا دليل، وقد كان لنا فيما قدمنا كتاباً، أوصينا فيه نصيحتهم وخزيمتهم إلى أقصى غاية، نكتا أردنا أن نبين خطأهم وضللاهم في أكثر تواضع دينهم، حتى يتعين للناضج: أنهم في جميع أحوالهم وآعمالهم مبطلون، وأنهم من كل وجه مفضلون.

فنقول: أعلم أنه لو تصحح جميع ما انتحلوه من أديانهم لوجد مبنية على ما مثل ما تقدم من هذيناه.

لكنا نقتصر من ذلك على مسائل نباحتهم فيها، ونبيين ضللاهم وتلاعيبهم في دينهم، فإذا فرغنا من هذا الغرض، ذكروا في الفن الثاني: جملة من أحكام شريعتنا، وتقتصر من ذلك على ما عابوه علينا منها.

وإنما فعلنا ذلك، لأن هذا السائل الذي حرركنا إلى تأليف هذا الكتاب: هدنا بأن قال في كتابه: "أني أبعث إلى كل بلد كتاباً بنص شريعتكم، وبالما نعرف فيها من الأتفاول، التي لا تتتوهم على انكارها" (1) فلو بصر الله هذا الجاهل المغالط بعيوبه، لكن سترها وكمالاتها أعظم مطلوبه، لكن جهل فقال، وحيد وجب أن يسجد بال.

فنقول: يا هذا! آلينا يتنعم بالشنان؟ آلينا بالحق يتنعم؟
كلها: والله، فليس مع الشمس سراج، ولا شجر المرخ من السراج.
وها نحن نبتديء بالمسائل تتزج أن شاء الله تعالى.

(1) انظر الفصل الرابع من الباب الثالث - القسم الأول من كتاب
«الاعلام» هذا.

-الفن الأول-
مسالة في المجودية

أطبقت النصارى على اختلاف فرقهم على القول بالمغودية.

وضعتها عندهم:

أن الذي يريد أن يدخل في دينهم، أو التائب منهم، تقدم الأقساً منه، فينحوه من اللحم والخرير أياهم ثم يعلمونه اعتقادهم وايمانهم. فإذا تعلم ذلك اجتمع له القيسرون، فتكلم بمعتدة أيمنهم، أمامهم، ثم يخطسوه في ماء، يعمره. وقد اختفلوا، هل يخطسوه مرة واحدة أو مرتين أو ثلاثا؟ فإذا هو خرج من ذلك الماء، دعي له الأسقف بالبركة، وضع يده على رأسه.

هكذا كانت صفة مجوديتهم قديماً في «الأندلس»، وأما اليوم فلعلهم قد غيروا بعض أحكامها، وربما اختفوا في بعض تلك الأعمال، وهي عندهم عبادة مؤكدة، وقاعدة مهدة، ومن لم يقبلها عندهم فهو كافر، وليس له من ذنوبه فائق.

وقد كتب الأسقف «ليون» إلى أساقفة صقلية رسالة ذكر لهم فيها أمير المجودية، وفضيلتها، فقال: «المغودية هي امامات الذنوب وقتلها، وتأويل النقطات الثلاث، مكث المسيح فيه قبض ثلاثة أيام، والخروج عن الماء هو الخروج عن القبر». وهم منهم من تأول في هذه النقطات الثلاث، أنه التثليث الذي يعتقدون.

وهذا التعميد لم يجر له في التوراة ذكر، ولم يشره الله فقط لوسى. لكن كتب النصارى في الأنجيل: أن يحيى عمديَّة بوادي الأردن، فخرج منه روح القدس كالحمامة على الماء، وزعمت النصارى أيضاً: أن عيسى قال للحواريين: «إذا مررت بالأنجاس، فعدواهم على اسم الآب والأبن والروح القدس» ورموا أن بيطر عم ثلاثة آلاف رجل في يوم «نيقستن».

وهذه المسالة عندهم ظاهرة المستند، قوية المعتمد، فأنهم قد أسطروا نقلها إلى الأنبياء والحواريين كما يقدمون. ولكننا مع ذلك
نطالبهم فيها مطالبات تؤذن بأنهم يرجعون إلى الثرات، فنقول بالله سلاما كنتم جدلا ما ذكرتم من استناد المودع إلى ما ذكرتم، لكن لم قلتكم كما فعلا يحيى والخواريزهم فعلا بهم، وله الله تعالى خص يحيى والخواريزهم ببعض المودع، ولم يشرعوا لغيرهم، فإن ادعوا أن الله شرعا لهم كما شرعها للخواريز مثلا ببعض من كتبهم الذي يجب على من دون الخواريز التعميد، ولا يجدون شيئًا من ذلك أبدا.

ثم نقول: لعل الخواريز، ويحيى، إنما كدو الناس لأن هم كان مقدسا، ودعاءهم متقبل، لكون يحيى نبيهم، والخواريزهم كذلك عندكم. وأما أنتم فلسنة أنبياء، وليس مؤكدا مقدسا فليسهم، فكل بنيت لكم آلا تعودوا أبدا، لكنكم وضعتم لأنفسكم شرعا بالنوم، وزدتم فيه أمورا بالتحكم، ثم نقول: سلمنا جدلا: أن المودعية شرعا لكم، فمن أنتم وزدتم فيهما العدد، ووضع اليد على الرأس، والنقص في الوجه كما فعله بعض من مضى منكم، ولم تكنوا من لا يستعملها، ولم ينزل بهم من ذلك سلطان، ولا حكم بذلك انجل ولا فرقان، لاولا محض التلاعب بالأديان، والتحكم في دين الله والخليفة.

ثم نقول: هذا الماء الذي تعمدون فيه، هو مقدس أو غيره مقدس؟، فإن كان مقدسا فمقدسا، فإن قلتتم: أن الله قدسه، فأنتم أنتم علمتم ذلك؟ فهل أنتم قلتكم ذلك عوضتهم بنقشتم، ويقبل لكم: بل نجسه، والله أنتم قدناه، قلنا: فمن أنتم حتى تقدوا شيئا؟ وهو يحلج أن يقدس أن ليس بمقصد، أو يظهر من ليس بمحترف، بل أنتم مذنبون، تتزايد ذنوبكم في كل وقت وبحين، فأكيف تقدسون غيركم، وأنتم لا تقدسون أنفسكم؟ فلإ انجل يهيم نفسه.

فاحصل من هذا: أن ماءكم الذي تعمدون فيه غير مقدس، وإذا كان كذلك فلا يشرط بشروط في المودعية أن تكون بالماء؟ ولا عمدم في البول فإنه ليس بنعاسة عندكم، ولا فرق بينه وبين الماء الذي واحد، منهما ليس بمقدس؟

ثم نقول: ارتفع النصارى أجمعهم، وكتبوا في كتبهم: أن يحيى.

‎عمد عيسى المسيح بوادي الأردن.
فقول لهم: هل كان عيسى عليه السلام قبل أن يعمده يحيى مقدساً أم لم يكن؟ فان قلتهم: إنه كان مقدسا فلا فائدة لفعل يحيى، ولأي شيء لم ينزل عليه روح القدس قبل التعميد؟ وانتم تقولون: إنه لما عذبه نزل عليه الروح القدس مثل حمامة بيضاء. وإن كان غير مقدس فكيف يكون من ليس بمقدس الله، أو ابن الله؟ وانتم تزعمون بجهلكم على اختلاف أفواهكم، إنه اتحذذ بسانوته اللاهوتية وهو في بطن آله وكيف يتحد اللاهوت بين ليس بمقدس؟ وهل هذا كله منكم إلا هذين، وضرب من الخذلان، توجه القلوب والاذان.

* * *

مسألة في غفران الآسفة والقسيسين ذنوب الذنيبين
اختراعهم الكفارة للمعاصين

اعلم أن هؤلاء القوم، وضمن أنفسهم قوانين، توافقوا عليها وارتباطاً لها، فمن غير أن يشهد بسحر تلك القوانين: شاهد من توراة، ولا من نجل، فمن خالفها عندهم، صموم خارجياً، تارة، وكافراً أخرى، والخروج عن تلك القوانين هو الذنبر عندهم، ثم تلك الذنوب منقسمة إلى ما لا يغفرون، وإلي ما يغفرون، فإذا غفروا ذنبر واحد منهم، أدخلوه الكنيسة، وقبلوا قربانه، وإذا لم يغفروا له، أبعدوه عن كنائسيهم وطردوه، وهوهوا عليه، ولم يقبلوا برهانه. ولابد للذنبر المنفور من كفارة، وتلك الكفارة، حسبما يظهر لأفستهم. ويرونه موافقاً لعرضهم. فتارة يدفعون عليه خدمة الكنيسة، وتارة لا يدخلها بل يقف عنها متذللاً وربما يبقى على ذلك أعواماً عديدة، وتارة يدفعون عليه مالاً، أما للككم، وأما لهم ولكنائيسهم.

ولابد من بيان ذلك بالأخلاق على ما وجدنا في كتبهم. ولنذكر:
من كل مسألة مثلاً فلا نطول الكتاب، وإنما أنقل أفاظهم من كتبهم لآذا يتقول منقول علناً بالبطل أو يظن بنا الجهل بمذهبه، أو ينسبونا إلى الكذب في شيء، مما حكيناه عنهم.

مثال القسم الأول: العابئون بالصبيان:
العابئون بالصبيان لا يغفرون لهم بوجه، ولا يعطونهم قربانًا.
ابدا • ولا عند وقائتهم • على هذا أجمع أساقفة «طالفة» في ولاية
الملك » وقالوا: دعمنا هذه الفاحشة المرة أن يحكم بأجمعنا:
أن كل من أتى هذه الفاحشة أن يفعل به عقاب • فكان راكب هذه
الفاحشة » أسقفا فليس فصلًا • ويبعد ابادا شديدة دائما • وان كان
من غيرهم فليس فصل به نكالا شديدة • ويضرب الفاعل والمفعول: ماة
سوط • وينفيان النفى الدائم • ولا يعطون أحد من الأنسة توبة
ومن أعطاها لهم • وتقبل قربانهم عزل وأبعد • ولم يعط هو أيضا:
توية • وأغرموه خمسة أرطال ذهبا للملك » أهه •
هذا قانونهم الأول القديم • ولا أردي ما أحدثوه الآن • إذ الأحداث
عنهم في كل زمان •

ومثال الثاني: نكاح القرابات:
وذلك أن نكاح القرابات ناحم بنصر التوراة • زعموا: » فان نكح
وجل قرائه إلى سبع بطول • فان أمر على ذلك • فلا يغفر له
ولا يعطي قرابة • وإن مات • وإن ألغى عنها حرمه القرابات خمسة
عشر سنة » وكتبا أعدادا من الصلوات • ومن العبادات • وربما
زادوا عليه خمسا • فكملوا له عشرين سنة • وربما بلغه بعضهم خمسا
وعشرين • وذلك بحسب سنة عندهم • فإذا كان بعد ذلك قبلوا توبته•
وأعطوه القرابات • وأما المرأة فقد أبوا أن يعطوها القرابات إلا عند
وناتها •

وأما الذي يأتي البهمة:
فان كان له زوجة لم يعط القرابان إلا بعد ثلاثين سنة • وإن لم
تنكن له زوجة فبعد خمس وعشرين سنة •

ومثال ما يعمرن فيه الأموال:
من تزوج من غير درجة: القسيس • فانه يعمر للملك ماة
دينار • ويبعد الزوجان ماة سوط • ماة سوط •
وقد حكموا على قاتل عبد: بخرمان القرابان سنتين • وعلى قاتل
العبد غير عبد • بخرمان القرابان • وبخضعه عند الكنيسة إلى آخر
وفاته •
وأما قتل الخطا، فقالونهم الأول: يقضي بأن يحرم القرابان،
سبع سنين، والقانون الثاني: يقضي بأن يحرم خمس سنين.
وعلى الجملة: فهذينجاهم، وتحكيمات أكثر من أن تحصي، ومن;
اطلع على كتاب فقههم، رأى فيها غرائب وعجائب ومتوصدو مثيل.
وقد حصل والحمد لله. فنقول:
من وقف على هذه المواضع وأمثالها لم يشك في أن القوم يصنعون
أحكاماً، ويخترعونها، ويلتزمونها، ولستنا ننكر: أن الشرائع لو جاءت
يمثل هذه الكفارات والتحكيمات لقبلناها والتزمناها.
وأما ننكر عليهم: أن يجلعوا أنفسهم شارعين، وينزلوا أنفسهم
منزلة رب العالين، فإنها أنم ينبغي الحكم، والع thẩm له. إذ له أن
يفعل ما يريد، ويجعل ما يشاء في العبيد، وأما الأنيباء فلا يحكمون
من عند أنفسهم. وانما يبلغون أحكام الله، ثم أعجب من ذلك جرأتهم
على الله، واستهزاهم بكتاب الله، فإن هذه الذنوب التي قدمت
ذكرها، قد شرع الله أحكامها في التوراة نصوصاً، وبين حدودها، فجعل
في أكثر تلك المواضع: القتل، ولم يحكم فيها شيء مما احترعوه،
وليس في انجيلهم، أيضاً من هذه الأحكام شيء. وعند هذا نبين: أنهم
خالفوا كتب الله، وتركوا سنة رسول الله، وتحكموا في ذلك بأهوائهم،
وتركوا سنن أنيبيائهم فقتل عليهم لعنة الله أبد الآبدين، وغضبه
إلى يوم الدين.
فان قالوا: تلك الأحكام التي في التوراة مسخحة بكتابنا، وعلى
لسان مسيحنا: قلنا لهم: «هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين».(1)
بل نقول: إن عيسى عليه السلام جاء متممًا لأحكام التوراة، ولم يجيء
مغيراً لأحكامها، ولا ناقضا لها. وكذلك نقلتم في أنجيلكم أن عيسى
قال: «انما جئت متماماً، ولم آت لأخضع شريعة من قبل».(2)
وهذا خلاف ما تدعونه من النسخ، بل ينتهى هذا حكم ظاهره:
أنه لا ينسخ شريعة من قبله، وانما يوضحها، ويجلي ما أميت منها.
ثم لا يبحث أن يكون قد نسخ بعض أحكام التوراة، وغاية ما يوجد

(1) الأنجيل متي: 5: 17
(2) الإلقاء: 111
له من النسخ قوله: «وقيل (1): من فارق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق، وإلا، وأنا أقول: من فارق امرأته منكم، فقد جعل لها سبيلًا إلى إلزامه ومن تزويج مطلقة فهو فاسق.»

ثم قال: «بلغكم أنه قبل: العين بالعين، والعين بالسن، وآلا أقول لكم لا تكافؤوا أحداً بسيدة، ولكن من لعلم حدك الأيمن، فاعطه الآخر، ومن أراد نزع قميصه فزده رداءً» (2).

فمثل هذا يمكن أن يقال فيه: أنه نسخ (3) وإذا أرى عن كتابكم كما يجب لم يوجد فيه نص من هذا على النسخ. فمن ادعى منكم أن شيئاً مما ذكر في التوراة تحرمه من مساح فليأت بناسخ يشبه هذا القول، فإن لم تأتي بشيء من ذلك، دل على أنكم متهمون.

هناك (مطالبة) وهي أنا نقول لهم: لأي عنى حرمت من نكح قريبته خمساً وعشرين سنة من القريان وحرمتهم من نكح بهيمة ثلاثين سنة؟ ولو عكست ذلك كان أشبه، فإن نكاح الآدمية الآدمية أشنت من حيث أنها محمرة، من نكاح بهيمة لا احتراق لها، وكذلك نعكس عليهم كل ما ذكره، حتى يبتين فساد قولهم.

ونقول لهم أيضاً: لأي عنى لم تجعلوا مكان الثلاثين: ثمانية وعشرين، أو أتين وثلاثين؟ ولأي عنى خصصتم هذا العدد دون غيره؟ وعند هذا يبتين بطلان تحكمهم، وفساد رأيهم: وكذلك نقول لأي عنى شرعتم في العامت: مائة سوط، ولم تشرعوه فيمن نكح قريبته مع أن التوراة قد أمرت بقتل كل واحد منهما، فكان ينبغي أن تسووا في الحكم بينهما، فاما أن تضربوا كل واحد منهما مائة سوط، أو لا تضربوها. ففظروا من هذا أنكم تركتم حكم التوراة، ثم لم تعدلوا فيما تحكتم به، ثم من أعظم تواتكحكم، أنكم سهلمتم

(1) وقيل: أي اللقباء... وكلمة فاسق في النص بدلاً من زان.
(2) الأنجيل المقدس: 5: 31 - 32.
(3) الأنجيل المقدس: 5: 28 - 30.
(4) ليس هذا من قبل النسخ، وإنما السبيح يقصد النسخ والارصاد.
(5) بدائل أنه أكد أكثر من مرة على عم نسخه شريعة موسى. ومن قوله: على كرسى موسى جلس الكتيبة والقريبيون. فكلما قالوا لكم أن تحظوه، فاحفظوه وأنفعوه» (من إلى: 2: 32 - 33).
الفواحش على أنفسكم، وصعبهم على غيركم محكمتم على الأسفاق الذي يبعث بصبي بأن يبسط نقص، وعلى غيرهم بأن يبسطوا، وينكلوا، ويبضلون، إذا فلما تلك الفاحشة، ولو جهتم ذلك لكان أوبر، فإن التغيز على الأنسة مناسب لحالهم. فإن المعاصي تتجلى في حقيهم، أكثر مما تتجلى في حق غيرهم. فإن من كلام النبي : "أن من أشد الناس عذابا: عالم، لم ينفعه الله بعلمه"، ومن كلام الحكماء: "حسنات الأبرار، سبيات المقربين". ثم هذا المعنى معلوم من عادة الملوك، فانهم يعاقبون وزراءهم والوقايف، على رؤوسهم، ويؤخذونهم، على أمور لا يحسن منهم أن يؤخذوا بها ساسة الدوافع. بل لكل مقال مثال، وكل عم رجال، وكيف لا تتجب المعاصي في حق الأنسة، و"الأنسة" و"الأقالمة"، وهم قد نزلوا أنفسهم منزلة الأنبياء؟ حيث شرعوا الشرائع، وتحكموا بوضعها، بل ننزلوا منزلة الكلف الغائر، الذي له الخلق والأمر.

فانهم قد قالوا للعوام: أن غفراننا لكم غفران الله ورحمنا لكم: حرمان الله. فإذا أعطينا نحن القراب، فقد قبله الله، وإذا لم نعطه لم يقبله الله. فإذا غفرنا نحن الذيب. فقد غرفه الله، فإن غرمع الشيطان، وقد فعل. وأنا تقولوا: إن لنا لإن الله القاسمية. منزلة وحظوة، فاتركوا العمل بشريعتكم لإن كملكم عند الله من الفضل، ولا تحرموا على أنفسكم شيئا من الفواحش. وقد سمعنا هذا النوع عن بعض "أنسة أرغون"، فعلهم لعن الله، ولعن الله اللعين.

ثم نقول لهم: يا معشر الأنساء الجاهلين، والقاسيمين المتحكمين. من أنتم حتى تكونوا شارعين؟ أتينتم عقباً رب العالمين؟ أحستم على رضاه أجمعين؟ بل ينبغي أن نتحققو: أنكم في العذاب خالدون، حيث كفرتم برسالة سيد المسلمين مع ما دل عليها من الشواهد والبراهين. فلقد صدق الله، وهو أصدق الفائزين، حيث قال محترفاً عن الأحبار والقاسيمين: "وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباوه، قال فلم يغفكم بنوبكم، بل أنتم بشر من خلق، ينفر من يشاء، ويغف من يشاء، وله ملك السموات والأرض وما بينهما، والله المصير")1(".

* * *

---

(1) المائدة: 18
سألة في الصلوبية وقولهم فيها

لا خلاف عند النصارى: أن انكار صلب المسيح: كفر، ومن
شك فيه فهو كافر. وأنا الآن أذكر كلامهم في "الصلوبية" وفي معناها:
عندهم:

قالوا: "الكلمة هو الله، وهو مخلوق من طريق الجسم، وخلق
من طريق النفس، وهو خلق جسمه، وهو خلق أمه، وأمه كانت
من قبله، بالناسوت، وهو كان من قبلها، باللاهوت، وهو الاله
التام، وهو الإنسان التام، ومن تمام رحمته على الناس: أنه رضى
بهرق دمه عنهم، في ختيمة الصليب، فمكين اليهود أعداءه من نفسه،
لبت سخطهم عليه، فأخذوه وصلبوا، وغفر دمه في اصبعه، لأنه
لو وقع شيء من دمه على الأرض ليبيست، الا شيء، وقع فيها فنبت
في ووضع النوار.

لأنه لما لم يمكن في الحكمة الأزلية أن ينتتم الله من عبده العالى
آدم، الذي ظله، واستهان به، فلم يرد الله الانتقام منه، لاعلاقة
منزلة السيد، وسقوت منزلة العبد. أراد أن ينتصف من الإنسان
الذي هو الله مثله، فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح،
الذي هو الله، متساو معه، فصلب ابن الله، الذي هو الله، في الساعة
التاسعة من يوم الجمعة." أهم.

هذا نص كلامهم من غير زيادة ولا نقصان.

وقال "بليون، الجاشقين" في رسالة ليون الملك كبر: "أسرتنا،
لا يمكن أن تحل، إلا بأن يطلع إنسان من جنسنا، وطيعتنا، من
لا تضبط معصية الذنب، على ضد آدم، ومن بدمه الظاهر، تحمو
آزالت الوصية للملك، الذي كان حتمه الله، وقضى به منذ البدء،
فتم ذلك الفعل عند انقضاء الزمان المحدود، وذلك لتم الوعد
الموعود." أهم.

مفهوم هذا الكلام: أن ذنب آدم كان في رقاب بنيه، إلى أن
قتل عيسى، وانتقم منه، لأجل آدم، وحينئذ غني عن آدم وبنية.
لهذه الحكمة كانت صلوبية المسيح عندهم: يا مبشر المخلصاء
انظروا بعين الاعتبار جهل هؤلاء الآخرين، وجرأتهم على العزيز.
الجبار وقولهم بالشتيمة في الأنبياء الأُخيار، فلقد ارتكبوا من المخالفات، وقالوا من الكاذبين والترهات ما لم يقله أحد من المخلوقات. ثم لم يكتفوا بهذه العظمى، حتى أضافوا الله، ولأنبيائه أعظم النقائص والشاثائم، فلله سر في أباد بعض العباد ومن يضل الله فما له من هاد؟((1))

فهؤلاء كما قال الله العظيم في كتابه الكريم: "صم بكم عمي فهم لا يرجعون"((2)).

وأعلم أننا لو تتبعنا نتائج هذا الكلام، وأوردو الأمورات عليه لكتبنا في هذه المسألة وحدها سفراً. على أن العقلاء يعلمون فساد هذا المذهب بالضرورة عند مجرد الوقوف عليه. ولذلك لم يصر على نحو هذا المذهب السخف، والقول النقيح أحد من الأمه، لا من العرب ولا من العجم، لا في الحديث ولا في القدم، وإنما صار إليه هؤلاء النصارى الجهلاء، كونهم ليسوا من العقلاء بل حظهم من العقل حظ المجتنين والأطفال، فكلامهم أشبه شيء بكلام الوض수ين، والمختلطين البرسمن.

ولقد كان يقتضي ما يعلم من حالهم، الكف عن مناظرتهم وجدالهم. لكن سكت النبي، ربما كان داعية لتطاول السفهاء، وقد تقدم هذا الاعتذار عن هذا في أول الكتاب. ولكن مع هذا لابد للمجانين من العزائم، وتعليم الأجراس والتمايل، فلنورد عليهم من الإرادة ما يبطل تلك الترهات، وبين تلك الأذى، فنقول:

قد ذكرنا فيما تقدم: أن أمر الصلوبة، أ arma شرعها لهم "قسطنطين بن هليان" الملك، وهو الذي سنها، وكتبها لهم في الإنجيل، ليوضع صدور عامة ورعيته على اليهود، وأنه احتال عليهم بالرؤية التي اخترعها، فتم له مراده منهم ولم يكن عنده من أمر عمي الأخر جملًا.

ثم اختلق لهم في شأنته أموراً تفصيلية في مجال في نفسها، لكنها مهولة على العامة الرعاه، كتولهم في الالتمام، وفي لاهوت المسيح.

(1) غافر: 33
(2) البقرة: 18
لم يدرك ألم الصلب والاهانة • واننا أدرك ذلك لحمته » وكاشف
لفظ الطبيعتين على لاهوتته ونasoته • الى ما عندهم من الهذيانات
التي هي محاولة بالضرورات •

وقد قدمنا في ذلك، ما يغنى عن أعادته •

واعلم أن النصارى يدعون: أن اليهود قتلت المسيح عيسى
بقيتا • وأن اليهود يدعون: أنهم قتلوا رجالاً ادعى نسخ الثورة •
بعد أن ادعى النبوة، ولم يقم عليها شاهداً •

ونحن ندعى: أن عيسى ابن مريم عليه السلام لم يقتله اليهود •
ولأ غيرهم • بل رفعه الله إليه • من غير قتل • ولا موت • ونحن نبين •
أن الفريقين في ذلك منه، وغير عалиم بشيء مما يدعونه في صلبه •
فنقول: •

أن مستند النصارى في قولهم بالصلب: أنه هو الأنجيل • وقد
بينا فيما تقدم: أنه قابل للتحرير والتبديل • وقد أرشنا فيه التناقض
والتحرير عياناً • وأوضعنا على ذلك برهاناً • مع ما قدمنا من أن
نقله ليس نقلاً متواتراً يفيد العلم • بل انا نقله من باب أخبار الآحاد •
التي لا يصل بها العلم • وهذا يكفي • مع أنهم ليسوا عالمين بشيء
ما يتضمنه • ولو سلمنا أنه متواتر • يحصل بنقله العلم • لقنا •
أن الأخبار التي فيه، التي تتضمن الصلب لا تنتمي نصية قاطعة للشيك •
على أن الصلوب هو المسيح بعينه • بل هي محتملة • لأن الصلوب
غيره • ولم نتفق النصارى بنبؤتهم • لوجود الاحتمال • ونحن
نسرد نصوصهم في أنجيلهم • ونبين ذلك • ووجه الاحتمالات فيها •
أن شاء الله مستعينين به • ومتوكلين عليه •

قال "ماتروش" في أنجيله •

وتفى على المسيح يهوداً • أحد الاثنين عشر • ومعه جماعة
برحبا وعصي • وكان معهم قواد القهيرين • وأكبر بنى إسرائيل •
وكان يهوداً قد قال لأولئك الأعوان: من قبلته • من الجماعة • فهو
الفراد، فأحبسوا، وفي ذلك الوقت، دنا يهوداً إلى ياشوا.
وقال: السلام عليك يا معلم، فقال له ياشوا: يا صديق لم.
أقبلت هذا، فعند ذلك تعلقت الجماعة به وحبسته.
زاد: "ماركوس":
"أنه لم أقبضوا عليه، تخلى عنه التلاميذ، وهربوا، فاتباعه شاب عربياً، وهو ملتف في رداءه، فقبضوا عليه، فأسلم لهم الرداء، ونجا عربياً".
زاد: "لوطا":
"لَا أخبر أنه "جلجلاء"، وعلم أنه من طاعة هيرودس بعصه الده".
زاد في انجيل "يوحنا":
فكان كنتم أنا تريدون أني، فأطلقو سبيل هؤلاء".

وذكر "حتى":
أن يهوداً الدلال عليه، لابصر ما فعل به: ندم، ورد الثلاثين درهما على قواد القسيسرين، وقال: أخطأت إذ سلمت دما صالحاً، فقالوا له: ما علينا، أنت ترى، فأتقي الدراهم في البيت، وتوجه إلى موضع خنق فيه نفسه.

(1) يوشوع.
(2) متي: 26: 47 - 50.
(3) مقدس: 14: 51.
(4) بلاط في الترجم الحديثة: بيلاتس.
(5) متي: 27: 4 - 5.
(6) يوحنا: 18: 4 - 8.
(7) متي: 27: 4 - 5.
هذه نصوص أناجيلهم، ومستند اعتقاداتهم، ليس شيء منها يدل
دلالة قاطعة على أن المصلوب هو المسيح بعينه. بل إذا اعتبر العاقل
تلك الحكائيات المذكورات، وفق متفقها، وحقوق النظر فيها، تنطق
لموضع الأشكال، وتتبث لثأر الشك فيها والاحتمال.

ونحن نبين ذلك بعوين الله فنقول: ما سودناه من أناجيلهم فيه

احتمالات:

منها: أن يهوذا كذب لليهود في قوله: "هو ذا". فان اليهود
كانت لا تعرفه، ولم تأخذها إلا بشهادته. أنه هو. أنا أرى أن يهوذا
عرفهم آيات بالعلامة.

وكذلك يدل على ذلك سؤالهم عنه. وكذلك سؤال "بلاط" عن
بلده حين أخبر أنه من "جلجال" يدل على أنه كان لا يعرفه.

فهذا كله يدل على أنهم كانوا لا يعرفونه. وانما عولوا في تعيينه
لهم على يهوذا. فذا ثبت ذلك نحتمل أن يكون "يهوذا". انها أشار
إلى غيره. لأنه كان مدع على بيعه، كما نقدم نسخة في كتبكم.

ويدلى على أنه تاب من ذلك، وندم عليه، وحسنت نوته. قوله
عيسى له فيما زعمتم. حين سلم عليه: "يا صديق لم أقبلت؟"
ولو كان مصرا على الدل عليه، وعلى ما كان هم به. لما كان يطل
عيسى أن يقول له: "يا صديق". فانه كان يكون كافرا، ولا يمكن
أن يقول للكافر "يا صديق". فإنه كذب، لأن الكافر عدو. فلزم

هنا أحد ثلاثة أمور:

أما أن يكون يهوذا تاب في ذلك الوقت وندم على ما فرط منه.
فعفف عنه. وتوثبته لا تصح في تلك الحال. أغنى حال الدلالة عليه.

الأو لا يعدل عنه، ولا يدل عليه. وكذلك فعل. والله أعلم.

أو يكون عيسى كاذبا فيما قال له. حيث أخبر أنه صديق.

وعيسى عليه السلام منزه عن الكذب.

أو يكون كتابكم بائلا، وحرفا.

فاختروا من هذه الثلاث واحدة. وأي شيء تزعمتم منها، فهي

مقطعة لقولكم، وفاسدة.
ويجل على حسن تويته وصدقها: أنه رمى بالدراهم، واعترف بالخطلية، وقتل نفسه. وهذا يدل على غاية الصدق في الندم.

ومقصود هذا الكلام: أن يهوداً: ندم، ولاجد، على ما فرط منه. فإنه تعالى أن يكون في غيره من أصحابه. وأن ذلك الغير، رضى بأن يقتل مكان المسيح ، فقتله بنفسه للصليب، فأخذوه، ورفع عيسى مكاني إلى السماء، كما رفع «أدنوك» النبي، وهو «ادريس». عليه السلام، وهذا كما تنقول أنتم: أنه لـا صلح وحبي اجتمع بأصحابه بجلال، ثم رفع إلى السماء.

فقال توافتنا على الرفع. وأنتم تنقولون أنه بعد الصليب والصفع والإهانة، ونحن نجعل ونكره عن ذلك، ونقلوا: أنه رفع من غير صلب وأهانة، بل صانه الله من أن يظهر به عدواً. وأكرمه حتى أحله مكاناً عليها. ولو كنت علقاء لتجهم أمر الصلوبة، ولم تعرضوا بها، ولقبلتم قولنا فيها، ولو فلم ذلك لكان أنيق بك، وأستر لجاهكم. فانهم تريدون أن تجمعوا بين نفتي من حيث حكمتم عليه.

ومنها: أنه يحتمل أن يكون المسيح في الجماعة الذين أطلق الأعوان سبيهم، وكان المتكلم معهم غيره. فمن يريد أن يبعث نفسه من الله، يلقى المسيح به.

فقال ذلك الكلام: أنا المسيح، فحبسوا، وخلوا سبيل غيره، فانقلت المسيح في جملتهم. ويقوى هذا الاحتمال: أن يهوداً كان واقفاً ناحية. ولم يتب عليه، لكونه كان نادماً، لما قد تبين. وبعد ذلك رفع.

ومنها: أن أولئك الأعوان أخذوا عليه رضوة، فأطلقوه. وعلى هذا يدل حديث رداء الشاب، حيث قال «ماركوس»: «أن الشاب أسلم اليمين: الرداء، لـا تقبضوا عليه». وإذا جاز أن يأخذ «يهودا الأسكيروث»، وهو حواريه على قتله ثلاثين درهماً. جاز أن يأخذ الأعوان على أطلاعه: رداء.

(1) آخر انجيل لوقاً.
(2) إنجيل مرقس: 14: 51 - 52.
(3) ترجمتها: «يهودا الأسكيروث». 
فان كل ما نقلتموه ليس نصا قاطعا ولا نقل نقل متواترا، فحصل من هذا: أنكم غير عاليين بصلبه ولا موتين بقتله.

وأما اليهود فليسوا أيضا عاليين شيء من ذلك إذ لا يصدقون كتابكم، وليس عندهم نقل متواتر بذلك، على التفصيل، وغابتهم:

أن يستندوا على الجملة: أن رجلا كان فيما مضى غير بعض أحكام التوراة، فشهد عليه بذلك، وقتل. وكتابكم يدل على أنهم انما قتلوا رجلا شهد لهم فيه: "يهوذا الإشكريوت". أنهم: المسيح، الذي ادعى أنه: ابن الله. فحصل من هذا: أن اليهود في شك منه، وأنكم أتمتم على غير علم به. وهكذا قال كتاب الله، الناطق على لسان رسوله الصادق: "وما قتلوا وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه، لفي شك منه، ما لهم به من علم، الا اتباع الظن، وما قتلوا يقينا  

في رفعه الله إليه، وكان الله عزيزا حكما" (1).

وحين بينا أنهم في شك من الصوابية، ينبغي أن ننتباع بالنقض كلامهم المتقدم. فقولهم:

أما قولهم: "من رحمة على الناس أنه رضى ببرق دمه عنهم في خشبة الصلب" فتوافق لا يفوقه به من له من الحياء أهل نصيب، يأ عجب! كيف يجتبر أن ينطق بهذه التباثات عاقل؟ أم كيف يرتضى نفسه ب مثل هذه المفاصل فاضل؟ وهل كان يرحم عباده بأن يغفر لعبادهم(2)؟ ولا يحتاج إلى هذا كله؟ أو ليس كان يكون غفران الذنب أهون عليه بابتدار، وألق بالحكمة والرحبة والرفعة من أن يعاقب من لم يبن؟ ثم ذلك المعاقب الذي لم يبن الذنب ابنه، بل هو عندكم.

(1) الأنساء: 157-158.
(2) يقصد بابيهم: آدم عليه السلام.
نفسه، باعتبار ما حل فيه منه. فلم يرض من عقوبة الذنب الذي
جناه آدم، حتى عاقب نفسه أو ابنه. فانتقم في هذا القول الوقاح:
والله القاضي، بمثله رجل أخطأ عليه عيده، فبتقى بعد هدة غضب الناك
عليه، وعلى غيره من عبده، ما ناوية على مقتبته، حتى ولد لنفسه ولد
فمند النبي كفته، بذنب العبد، الذي كان ذنب آدم، ثم لم يقنع بذلك حتى
ضرب نفسه، ولدها وأهانها، على ما صنع عبده، مع أنه قد كان
متمسكاً أن يغرف لمبته، ولا يفعل هذا بولدها ولد، بنفسه. فرأى تشي
يحصل له مما فعل، بل يتحصل له كل آلم ونقص، وخلق مثل السفه
الأحق الجاهل، قبل زينه ذلك في كبرته، ويدعو إلى دوام خزنه
وحسرته.

ويلزمكم على ذلك: أن يكون الله تعالى لم يتب على آدم عليه
السلام، إلا بعد أن صلى المسيح، وبذلك تكذيب كتب الأنبياء، فإنها
تقتضي: أن آدم بكي على خطيطه، ودعا الله تعالى حتى تاب عليه
واجتاه، ويلزمكم أيضاً عليه: أن يكون نوح وأبراهيم وموسى،
وما بينهم من النبيين عصاة، بذنب آدم، حتى صلى عيسى، وحينئذ
غفر لهم.

وقد صرح بعض «أنستكم» لعنه الله: «أن آدم وجميع ولده
الي زمان عيسى كانوا كلهام ناويين في الجحيم بمخيطة أبيهم، حتى
قدأهم عيسى بالرق دمه في الخشبة، فلم صلى نزل جهنم، وأخرج
منها جميعهم إلا يهودا الأسديروث».

فانظر: هل يستずに مجنون موسوس على أن يقول: أن نوح،
وأبراهيم الخليل، وموسى الكلم، ومن بينهم من النبيين، مثل يعقوب
واصق وغيرهما من الأنبياء صلات الله عليهم أجمعين، كلهم في نار
الجحيم، والذبح الإلهي، وفي السخط العظيم، حتى صلى الله
نفسه وأبنه.

فانظر: هل سب الأنباء بانتبع من هذه الشتائم؟ أو هل تجأ
لحد قلت أن يقول على الله، وعلى رسول هذه المخاوف، فسبحان
الله الذي يسمع كلامه، والكريم الذي يرزقكم، ولكننا نعلم من
يخاف الفوت، أو يرجع من الموت، ويوم القيامة ترى الذين كلبو
على الله وجوههم مسورة، ليس في جهنم مثوى للتكبرين»؟

(1) الزمر: 60
(27- الإعلام)
هل يلزمكم عليه أيضاً نسبة الله إلى الجبر، والى أنه يأخذ بالذنب غير فاعله، ويوقب على الزور غير قائله، وهذا يهم عليكم، إذ ليس لله قدر عندكم، إذ قد صرمت: بأن آدم ظله، وأنه لا يمكن أن ينتمم من ظلمه، واستهان بقدره.

فياليث شعرى. لأي شيء لم يمكنه أن ينتمم من عبده العاجز عن ذلك. أم لأنه لا يقدر على عقبات أحد ممن هناك؟ أم بحكمه أنه ينتمق غير الجاني؟ أم لحكمه قتل ولده في جنابة عبده?

قالتم الله: ما أس خ عقولكم، و ما أرك فروعكم وأصولكم.

ثم أنجب من ذلك: إنهم يقولون: "الكلمة هي: الله، والله: هو المسيح"، ثم يقولون: "أهنا لم يمكنه أن ينتمم من عبده العاصي الذي ظله، وإنما أنتتم من الله مثله".

فانظر. على هذا التنافض الشنيع، كيف يعتقدونه تارة: أنه هو. فيلزم عليه أنه هو المنتقم، المنتقم منه، والمعاقب، والمعاقب (1).

وتارة يعتقدون: أن الاحنة والصلب، لم يحل بلاهما، بل حل بناسوته.

وناسوته ليس باله. فيلزم على هذا القول الآخر: أنه لم ينتمم من الله مثله، وكيف ما كان فالتناقض له لازم والمحال.

وهكذا يجعل الله بالجهال، أهل الفلات، ثم انظر سخفة جرأتهم على الكذب: وقولهم بالمحال، من غير سبب، حيث قال: "فأخذه وصلبهم، فثار دمه في أصحابه"، وهذا لم يرد منه شيء في كتبهم، بل هو من كتبهم واحترائهم.

ولو كان هذا حقاً لكان أولي بالنقل من نقلهم: جعل الصليب على عنقه. وأنه رفع إليه: أنه خلف، ليسبه، وكتب على خشبته بالرومية والعبرانية والمجمية: نذا ملك اليهود (2)، فهذا، ولابد كذب وتواضح، فان كابروا في ذلك على عادتهم، فلكن لفهم، فاتهم بالانجليزية.

فالله أن كتب صادقين.

ثم انظر كيف تنافض ذلك المتكلم على الدور في قوله: "لأنه

(1) المقات: الأولى بكسر الفاء، والثانية بفتحها.
(2) إنجيل مرقس: 15: 26.
أولى عقلاء الشعراء في أفهام هؤلاء الأدباء.

فقال:

عجبك للمسايح بين الناسار.
والي أي والد نسيـوـه.
أسلموه إلى اليهود، وقالوا:
أنهم بعد قتله صليبون.
فذا كان ما تتولون حقاً.
وصحبها، فلتأين كان أبوه؟
حين حل ابنه، رهين الأعصاب.
أتراهم قد رضوه، أم أغضوه؟
فلكن كان راضـىـنا بأذىـهم.
فأحمدوه، لأنهم عذبون.
وإذا كان سأخطا فتركوه.
وأعبدوه لأنهم غبـوـه.
فعد جعلتم أنفسكم مكة العقولة، حيث أرتكبتم كل قبيحة.
شنباء وما بآنا نطول الكلام مع من تبين عارهم ومحالهم للخاـص.
والعام، فقدر هؤلاء القوم عند العقلاة، أخطر من قلامة، ففي قلمة.
وأخس من بقية، في حقة، ولولا أن هديانهم ومحالهم طبق الوجود.
فلا كان ينبغي أن يتكلموا من العقلاة موجود. فان الكلام مهم.
مخل بالعقل، محوج لحكايته المباع والفضول.
وقد قدمت في صدر الكتاب ما يمهد العذر، ويزيز العتاب.
وأتى استنفر الله العظيم، الذي لا اله إلا هو الحليم القبرم، وأسأله التوبة من حكايته فبائدهم، وأسأله جزيل الأجر، في إبداء فضائحهم.

* * *
مسألة في تركم الختان

لا خلاف بينهم أن خصي عليه السلام كان مختوناً، وأن الختان من أحكام التوراة، وثبت فيها، وأن أكثر ذلك متواضع جاهل، ذكرنا له نص التوراة.

قال في التوراة: "إذا حرِّفت إمرأة، ولدت ذكرًا، تكون نجسًا.

سماة أيام، كما تكون أيام حيضها وفي اليوم الثامن يختن الصبي، ونكون نجسًا، تجلس مكانها ثلاثة وثلاثين يومًا" (1) وهذا نص لا شك، فيه، ثم أن النصارى بتحكمهم واستهانتهم بالشريعة، تركوا العمل بذلك من غير أصل يعتمدون عليه، ولا نسخ. يثبت عندهم له، ومن ادعى منهم شيئاً من ذلك طالبنا بنص من الأنجيل، وليس لذلك من سبيل غير التحكم بالقال والقيل.

وقد وجدت في كتبهم الفقهية: أنهم قالوا في تأويل حكم الختان: قولوا أنوا فيه على التوراة بالباطل، والبهتان، قالوا: 'إنا عنى بالختان: نقاوة القلوب، وصفاء النية، وذهب الفُنْدَع، الكذب: يقول الكتاب عن اليهود: ' إن رفاقهم قاسية، وقلوبهم غفل،' ولذلك علمنا أن الله استذع غفوة القلب، وليس غفوة اللحم. فما على الإنسان أن يختن لحمه، إذ لا منع له في ذلك، فمن شاء اختن، ومن شاء ترك، والأحسن أن ترك الأحاسد تامة، غير ناقصة، كما بها خلقنا الله عز وجل." (2)

هذا نص كلامهم، في كتبهم. فانظر أياً العاقل أن كتب منصفًا.

ما الذي ارتكبوه من العظام، ونسبوه إلى الله ورسله من الشتائم.

قالوا: أنهم كذبوا على الله، حيث قالوا: 'إنا أراد الله بهذا الحكم: إزالة غفوة القلب.' ولو كان ذلك حقًا، لبينه موسى للناس ولما جاءهم بالختان، لما فعله، ولا فعل بيحين. وعبيع، وسائر الإنسان، الذين حكمو بالتوراة، ولم يزالوا يختنون، ويأمرون بالختان إلى زمن المسيح، ثم أن المسيح لم ينة عنه، ولا أمر بتركه، فهذا على الله ورسله، كذب صراح، وقول وقاح.

(1) سفر الخزك: 12: 6-4
وتأتيها: أنهم سفوا أحكام الله، ورسل الله، حيث قالوا:
"لا منفعة في ذلك«، مع أن الله قد حكم به وشرعه وبلغ ذلك أنبياؤه
ورسله، وعلمهم الناس. فكيف يجوز على الله، وعلى أنبيائه أن
يتعدوا الناس بحكم، لا فائدة له، لا في الدنيا ولا في الآخرة.
فهذا غاية الانتزاء على الله، وعلى رسله. ثم يلزمهم على ذلك أن
تكونوا عابدين في أفعالهم وأن وجود الشرائع وعدمها بمثابة واحدة
وكذلك أرسل الرسول، وأنزل الكتب، ولا كون أعظم من هذا.
ثم آنا نبدي فوائد الختان، حتى يظهر كذبهم وجعلهم وتواطؤهم
كل الناس، ونقول: في الختان فوائد كثيرة منها:
أولاً: أنها عبادة في بدن الإنسان، إذا فعلها أثرب، وأن تركها
وقب على القول بوجوده، ولا فائدة أعظم من هذا.
وثانياً: أنه لا يتأتي مع وجود الغلفة، مبالغة في النظافة، ومع
زوالها يتأتى ذلك.
ثالثاً: أنه الذي في الجماع، وأسرع لجئ شهوة الوقات، ومع
وجودها يكون أبعد للشهوة. وقد تكون الفرحة، إذا طالت مكملة عن
النزل.
رابعاً: أن خروج الماء الدافئ من غير غلفة، وإنزعاجه أشد.
فإن الغلفة إذا طالت ربما نقصت من إنزعاجه وفترته. وإذا كان
كذلك، خرج الماء فاتراً، قد لا يقع في الحلم الذي يتمعد فيه النقطة.
فلا ينبغي الولد ويكون هذا كالعزل، ومقصود الشرع في الغالب: تكثير
النزل.
فهذه أربعة فوائد محققة، لا يتصور أنساكاها، وقد لا يبعد أن يقصد
الشعر جميعاً أو البعض، فذنقد تبين: أن النصارى كذبوا على الله،
وجهلوا شرع الله.
وتأتيها: أنهم تركوا حكم الله بالتواضع، بل بالهوية والتحكم.
وتواصلوا من غير حاجة للتأويل، ورفعوا النص والمتنزيل، فهم أهل
التحرير والنذير، ثم المجب من كذبهم، وظهور تناقضهم حيث حكوا
عن عيبه أنه قال: "لم آت لأنقض شريعة من قبلي"، وأنما أنت
لا تنتما لما كن هذا التقول بحق أن نحن على شيء نقضوا شريعة من تبليه حرفًا حرفاً. وان كان كذباً فكلنا ذلك فساداً وخلاياً ورابعاً: أنهم لا نقضوا حكم الله، فضلنا بحكمهم وأهوائهم على شرع رسول الله، حيث قال: "الرحمن أن تترك الأجرام تامة فينفقة". وهذه مباحة في تفسير موسى والنبيين، وفي تفسير المسيح. فإنهم قد تركوا الأحسان، وفعلوا الأسوأ، والأسد. هبعتهم أحوالهم، فما أعجبها، وجيلاتهم، فما أغريها، لمتهمون. وهم يتوهم أنهم يستحسنون، ومخالفون ويظلون أنهم متبعون. ثم مع ظهور عورتهم لكل عاقل، يترعرع الشريعة الصحيحة بكل جيل ودبى ويومن ويوم بخراجات وترهات لا يزاجها إلا عاقل. يظنون أن دين الإسلام كدينهم، المستند إلى التراث والأوهام، التي لا يقبلها سليم الفطرة من العوام. وسنين أصول دين الإسلام، ومستنداتهم في أحكامهم، بقول الله في "الفيل الثاني" من هذا الباب أن شاء الله تعالى.

* * *

مسألة في صيامهم

قال: "خنفس بن البر" منهم، في بعض كتابه. وقد سأله سائل عن صيامهم. فقال: "أول من صام الأربعين يوماً: موسى ابن عمران". وبعد ذلك صام بها "الباس النبي" الذي رفعه الله في عصر بني إسرائيل. ثم بعد ذلك صامها المسيح، وأما العلماء، فكانوا ثلاثية وأربعين يوماً. وانها هي عشر أيام السنة. كما قال "بوش" الحواري في بعض رسائله: "كما تؤدون العشرات من اموالكم، فادوا العشرات من أبدانكم". فهذا هو الصيام المقروض.

أعلم يا هذا: أن هذا القول الذي هو "خنفس" هو من أسياسهم وأفصحهم على أنه ليس في القول رجل رشيد ولا ذو عقل سديد وانها كان كذلك لأنه قد ضربت عليه "الجزية" ولزمه الصفار والخيلة. إذ كان قد نشأ في ذمة المسلمين، وتعلم من علمهم، ما عاقله النصارى. أجمعين.

(1) أنجيل متي: 5: 17
فنبين لك يا هذا: أن كلامه في هذا الفصل فاسد واحتججه بارد، وذلك أنه ادعى: أن صوم الثلاثة والأربعين واجب، وحين الأخذ يستدل على وجوبها، استدل على وجوب الأربعين. ثم أخبر أن علماءهم زادوا عن عند أنفسهم ثلاثة أيام.

فقول لهم: وله هذه الثلاثة الأيام التي أدعتم وجوبها. هل علم جمعي وعيسي ومن بينهما من الأنبياء أنها من فرض الصيام؟ أو لم يعلموا؟ كأن كانوا قد علموا. فلا خيال معني لم يبلغوا، ولم يبينوا. ويلزم معصية الأنبياء من وجهين: من حيث أنهم لم يصوموا ما هو فرض الله، ومن حيث لم يبلغوا الشروع. وذلك مغال عليهم، وأن كانوا لم يعلموا وجوب هؤلاء الأيام الثلاثة. فمن أين علم الجهال لم تكتب وجوبها، والاحكام انا تستند إلى أقوال الأنبياء. وكتبهم؟

فكان قالوا: أوجبا بولش» الحواري «قلنا: ذلك هو الذي أفسد عليكم أديانكم، وأمعي بصائركم، وأذىكم. ذلك هو الذي غير دين المسيح، الصحيح، الذي لم تسمعوا له خبر، ولا وقفتم عنه على أثر — على ما تقدم — .

هو الذي مرفككم عن القبلة، وحلل لكم كل محرم كان في الليلة.

ولذلك كثرت أحكامكم عندكم، وتداولتموها بينكم.

ويدل ذلك على ذلك: أنك إذا سمعت له قولًا في حكم. فتكاد لا تجد إلا ممنا للأحكام المتقدمة. مخالفًا لها. فترى هؤلاء، وأخرى يبنون: وآخر رفع. يعرف هذا من وقف على كتبهم. وعلى ما ينقلون عنه: ثم لو سلمنا أنه لم يفعل شيئا من ذلك، لا كان ينبغي لكم أن تأخذوا بقوله، وتركوا فعل موسى، وعيسي، والياس، وقولهم.

وهل فعل ذلك الإبل، لا ينبغي أن يصار اليه، ولا يلتهيم أحد حكما عليه؟ فإن البلينين عن الله، بلبينن شرع الله. انها هم موسى، وعيسي. ومن تنزل منزلتهم؟ وياتفاق منكم أن "بولش ".
ليس منزلة ، منزلة موسى ، ولا منزلة عيسى ، وطاعته إذا سلم مما ذكر عنه في كتاب التواريخ : أن يكون حواريا ، لم تكثر صحبته لعيسى •
بل صحبه أياماً قليلة بدعوته • ولبقت صحبته له كصبحته فيجوروس •
ولا "يوجنا" ولا أحد من الأردن عشر حواريا •
ثم لو سلمنا أنه صحبه صحبته ، فلعله اردت بعد رفع عيسى •
كما فعله "الأشعروث" بزعمكم •
ثم لو سلمنا أنه لم يرتد • فمن ابن يلزم أتباع حكمه ؟ ولا سيما
اذا غير الأحكام المتقدمة وحكم بخلافها • وليس بنبئ ولا رسول •
فان قلتتم : أنه نبي • فنقد تقدمنا ما يكتب قولكم • وبرد عليكم زعمكم •
فند تبين من هذا أن "غخصوص بن البر" على جلالة ترده عندهم •
قبل ما كان ينبغي له أن يرد • ورد ما كان ينبغي له أن يقبل • فأنه •
رد فعل موسى وعيسى والياس • وقبل قول عامة الناس • فهو • وهم •
من الآخرين أعمالاً "الذين ضل معممو في الحياة الدنيا وهم •
يحسبون أنهم يحسنون صنحاً"(1) •
لو تتبنا أحكام صيامهم لأظهرنا فيها كثراً من هذينهم •
فلناخذ من كل باب مسألة واحدة بحول الله • وحسن عونه •
* * *
مسألة في أعيادهم المصنصة

قال "غخصوص" : •
أما بعد • فإن الذي أردت علمه من الأعياد السبع التي أمر •
القانون بصيانتها ، فهي معروفة • فأول يوم منها : اذا بشير جبريل •
الملك يريم بابياد المسيح • واليوم الثاني : اذ ولد المسيح • والثالث •
اذا ختم إلى ثمانية أيام • والرابع : اذ ظهر للهجن •(2) • وأهدوا اليه •
ذهبا • وليوبانا • وما • وهو يوم النجم • والخامس : يوم الفصح •
اذ قام عن القبر • والسادس : اذ تختفت السحابة • ورئى الى السماء •
بمحضر الحواريين • والسابع : اذ نزل روح القدس على الحواريين •
وتكلموا بين جميع الأنس •

(1) الكيف : 104 • (2) "الهجن" في التراجم الحديثة : المجوس •

فقولهم: هب أنه اتفق ما تتقولون. فمن أخبركم من الأنبياء أنه إذا اتفق أمر من تلك الأمور، فافتعلوا كذا، واصنعوا ذلك اليوم عيدًا؟ وفي أي كتاب من كتبكم وجدتموه؟ ولا شك في انهم لا يجدون شيئًا مما ادعوه فلم يبق لهم إلا الحض التحكم، ثم يلزمهم على مساق هذا: ان يبحثوا عن أيام عيسى وعن عدها، ويأخذوا تلك الأيام أيادًا، فان أيها كلهًا ومحاضره كانت شريفة. إذ كانت أياه لا تخلو عن كرامته يكرمه الله بها، وعن بركة من بركاته، وعن معجزة من مجازاته. فلا يعنى خصصتم تلك الأيام، لولا محض الهوى والتحكم الباطل? ثم نقول لهم: هل كان عيسى يعلم فضيلة تلك الأيام؟ أو لا يعلم؟ فان كان يعلمها فلأي معنى لم يفعل فيها ما تقولون؟ أو لأي معنى لم يبين شرعه فيها؟ لو كان له فيها شرع؟ وإن لم يعلم فضيلتها كيف لم يعلم هو ما علمتم أنتِ؟ ثم كيف يجهل شيئًا علمته؟ أنت؟ وهو عندكم قد اتخاذ به علم الله.

فhasil من هذا: أنها ليست فاضلة، ولا الله فيها حكم. اذ لو كانت فاضلة، الله فيها حكم، لمعلمها، ولو علمها بينها، فلما (1) آل عمران: 93
لم يعلم، ولم يبين علم أنه ليس له فيها شيء مما اخترعته. لكنكم تحكمتم باختراع ما جهلتم، وشرعتكم ما لم يشرع لكم نبيكم. فإن قالوا: هذه أيام اتخذناها لفعل الخير، نتصدق فيها على مساكينا ونعمل فيها جياعنا، وهذه أفعال خير، وهبها جادة الشرائع كلها.

قلنا لهم: لا ننكر أن الشرائع جاءت بأعانة المساكين. لكن لم يصحت لنا أياماً بالتحكم ثم أوجبتهم صيانة تلك الأيام؟ أو لأي شيء لم تنووا: إنه ينبغي أطماع المساكين أبداً، وسد خلافتهم، حتى ظهرت؟ ولم تحتاجوا إلى وضع أحكام بالتوهم. ولو كنتم مسقطين لسلكتم مسلك أتباع المسيح. تفعلون ما فعلوا، وتتركون ما تركوا. ولو فعلتم ذلك لكان موافقاً لتعظيمه.

ولو فرضنا عديم أمرهما سيدهما بالانتقال به، وباتباع سنة، فأخذ الواحد منها يتفو آخر سيدة في أفعالها، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها. بل هو مواقف عليها غير خارج عنها، ولا زائد فيها، وهو مع ذلك معنى لتعظيمه محب له. وأخذ الآخر يزيد تارة في حكم، ويتنقص تارة من حكم، وهو مع ذلك معنى لسيدة، فلو فرضنا: أن السيد قال لأولئك: ما صنعت فيما أمرتكم؟ فقال له: لم أرد على ما رأيتكم تفعل ولا نقصت. لأني خلتكم وأيضاً فانى أحبت وأعجلت فاحبتيك، وأحببت فULK الذي رأيتكم تفعله، فأنا أذكر أن المعلاج يستحسن هذا الفعل، ويرون أن هذا العبد في أعلى درجات المقابلة والطاعة لسيده، والحبة له، والتعظيم. وأن مثل هذا ينبغي لسيد أن يعتقه، ويحبه.

وأما الثاني: فاذا قال له سيدة: ما فعلت فيما أمرت؟ فقيلوا: فعلت ما رأيتكم تفعل، وما أمرتني به. إلا أنني زدت أفعالاً لم تأمرني بها، ونقصت أيضاً. فاني تركت أفعالاً رأيتكم تفعلها. فقيل له: لأي شيء زدت ما لم أمرك به، ونقصت مما رأيتني فعلت؟ فلا يصح له، أن يقول: لأني عظتمك وأحببتك. فأن هذا لا يناسب تعظيمه ولا محبه. بل يناسب بعضه وأهانته. فلاشتك أن المعلاج يحكمون أن مثل هذا العبد لم يطبع سيدة في جميع ما أمره به، وأنه كاذب لا تعظيمه، ومحبه. وأنه مستوجب لنكار سيدة.
وهذا المشال الأخير هو مفاكلكم مع المسيح، فإنكم تدعون تعظيمه وتخالفونه في أعماله وتزيدون عليه في أحكامه، فأنتم مستحقون لتوبيعه، وعاقب مرسله، وستجمعتم مع من شرع لكم هذه الأحكام.

نادر حامية، نسمى الهاوية.

***

مسألة في قربانهم

قال حفص: «أعلم أن الذي أردت معرفته من خبر التربان».

يشرح:

أن الأنبياء، وبني إسرائيل كانوا يقربون التربان على ما تحكيه التوراة: انجلوب، والجزر، والخربان، فاما «ملك صادق» فانه أول من قرب التربان من الخرب والخمر، وكان قسيس الله في البدء.

والله أدى إبراهيم العشرة، وانزلت النبي في الزبور خبر «ملك صادق» اذ بشر بالمسيح، «قدنا» وأنزله منزلته، واجهه محبه، ولِمْ يَبْنِىَهُ قُصُوًا«الي الأبد». فقال: «الرب أقسم يمينًا، وليس ينفث أنت أبدا قنسن لي في خفية القسيسين على رتبة ملك صادق». فاما الحواريين، وأتباعهم فانهم فرضوا هذا التربان الذي يقدسه الأساقفة والسلاسو على المذبح من الخرب والخرب، على ما تقدم من فعل «ملك صادق» وكما قال المسيد في الأنجيل: «من أكل لحمي، وشرب بدي، كان في، وانت في». وأما الأخرب النازل من السماء في أكنى بحيا بيت».

فانظر ما أعجب حال هؤلاء في تركهم شرعية التوراة في التربان.

وعدولهم عنها، إلى ما هو ضرب من الهذيان.

هذا أن الله تعالى افترض القربان في التوراة بالانجلوب والجزر والخربان، كما ذكر، وعدلت بذلك بنو إسرائيل من غير تغيير ولا تبديل إلى مدة هؤلاء المغنين لأحكام التوراة، ففيروا وبدوا، وعدلوا إلى الخرب والخرب من غير أن ينسخ لهم عيسى شيئا من ذلك، ولا بدله بهم. فكلهم يكرهون العمل بأحكام التوراة، فيعدلون عنها إلى العمل بأهوائهم.

(1) سفر التكوين: 14: 18 - 20
(2) المزور: 110: 4
(3) أنجيل يوحنا: 6: 52
مع أنهم متمضرون باحكامها *اذ الأحكام في الانجيل قليلة جداً ولزم يتركون لأرائهم حتى يتحكمو بآرائهم*، ثم أنهم يتحكمو بارائهم. فنان أبلغ لهم شيء يتضمن به، كان ذلك مؤكداً لأرائهم، وإن لم يبلغ لهم ذلك استغنا عنه، وحكموا بأرائهم، ويبين هذا: أنهم استثناوا الجمل والجزر والخنافس لارتفاع أثمانها، وأنه لا يوجد فيها ما يوجد في الخمر من اللذة والطرب، الداعين إلى شربها.

ولذلك عدلوا للخمر مع خفة مواتيًا، وقلة ثمنها. فانهم أتسعد الناس بخلا، فان قيل لهم: *أي شيء عدلتم عن قريان التوراة؟* قالوا: لأن *ملكى صادق* أول من أثرى، والخبز ولأن المسيح قال: *من ذكر له وشرب دمٍ، كان في، وأنا في* ولأن الحواريين فرضوا هذا القربان.

هذا غاية ما يحتاجون به ولا وارد من تتبع ذلك وبيان تحكيمهم وباطلهم. فقولون:

أما قولكم بفعل: *ملكى صادق* فباطل من أوجه.

هُدئاً: أنه لم يكن نبيًا، فان ادعى أنه نبي، فلا بد من الدليل على ذلك، ففطيمك آبائه، ولو سلم فقال: *لنتقي عليكم أن تبئوا أي شرعتكم*، ولو سلم أن شرعكم شرعكم، لكن ينبغي أن تعلموا أن التوراة قد نسخت ذلك الشرع. اذ قد استغرق أن نقوم عمل بخلانه، وكذلك الآثابه بعده، ولو كان ذلك الحكيم باتىء صحيحاً لما كان ينبغي لموسى أن يعدل عنه، ولا جاءكم بغيره، فتركم التوراة التي أنتم مخطبون باحكامها وشرعوا إلى مالم تخطبوا به ولا شرع لكم، استنسلت بشرع التوراة وأحكامها. بل استنسلت بالذي أنزلها، والذين أنزلت عليه فقد بطل استدلائكم بفعل *ملكى صادق* من أوجه.

وأما استدلائكم بقول عيسى، فهذيان، لا يلتفت إليه، لأنه انتا آراء: من عمل بعملي، أو علم من علمي، أحبته وأحبني، وما ذكره مثل موسى قصد به التنبية على منى متفق. ولدليل ذلك من قوله: *أنا الخبز النازل من السماء*، أنا آراء: أنه به مصنفة الخبز الذي يغذى به، لأنه قد جاء بدفاء الأروح،
ويخبزها، وهذه استمارة حسنة مستعملة، وكثيراً ما يقال في الكلام:
"العلم، والمعرفة الشريفة: خبيز الأرواح، كما أن الطعام المعروف:
خبيز الإشباه".

ولكلامه عليه السلام عامل آخر، وتأويلات جارية غير ما ذكرتم،
يجوزها العقل، ولا يبديها استعمال اللفظ، لا يخرج شيء منها إلى
اللهذين الذي صرتم إليه، الذي أفضى بكم لجلبكم، إلى ترك حكم
وتترك العمل بمقتضاه، ولا التطويل لذلك، نحن وجوهنا، وبهذا
اللفظ وما شبهه ضلالتم، حيث قلت بالاتحاد، ولم تفهموا منه المراد.
هكبارتم العقول، وحرفتم المتولى، وحملتم من الدعابة والقبحة
هالاً يرضى به عليم ولا جهول، وقد ذكرنا أبطال ذلك فيما تقدم،
وأما استدلالهم بفصل الحواريين فذلك من فن الكذب عليهم
لجميعهم، ولو سلمنا أنه صحيح وصدق، لما كان في فعلهم حجة.
فل أن كتاب الله تعالى يخالف فهمهم، بل الحجة كتاب الله، ولا يترفع
شيء من ذلك إلا إذا عيسى عليه السلام: أنه منسوخ، ويلعكم،
ذلك عنه بنص قاطع على شروط النسخ، على ما هو معروف عند أهله.
هل قد أوردو في أنجيلهم: أن عيسى قال للمبروس الذي شفاه:
"امض وأعرض نفسك على القسيسين، وأهد قربانك الذي أمر به
موسى في عيده".(1)

وهذا نص على أن التراث عند عيسى أنهما هو الذي حكم به
موسى، وهو العجل والجزر والخرفان، لا كما شرعتم أنتم من الهذيان.
فقد حصل من هذا أنكم خالفتم عيسى، وقلتم عليه البهتان.
وأما استدلالهم بفصل القسيسين فأولئك المغيرون للدين والمجرمون
للكتاب رب المخلوقين.

كدينك من أم الحوراث قبلها، وجارتها، أمه الرباب بعس.
فقد ظهر من هذا أنهم تركوا قربان التوراة لغير شيء، وأنهم
على غير شيء، فعليلهم لحنة كل ميت واحد.

* * *

(1) أنجيل متي: 8 : 4
مسألة في تقديسهم دورهم وبوئتهم باللحج

قال حفص: «أما الملح الذي نتقسسه به الدور والبيوت • واردت منهم ذلك • فانا وجدنا في سير الاليسن النبي، الذي رفعه الله: أن تحمدهم في السبع مكتة بجميعة أريحا زمانا • فقال له أهلها: أن علمنا عينا جارية تتفجر منها مياه كثيرة مرة، لا نفع فيها • فأمر أن يؤدي اليه بانه جديد • فأدخل فيه الملح وقدس به ماء العين(1) • فمن هذا السبب صننا نتقسسه الدور والبيوت باللحج المقدس بعد ما يتلو عليه القسما آيات من النيوبة » اهم •

فقول لهم: يا هؤلاء السلاطين بأديانهم، المستورون على هذينهم • كيف جعلتم مثل هذا دليلًا على ثبوت حكم عليكم وليس • فيه دليل من وجوه كثيرة • لكتنا نقتصر من ذلك على نكتة كافية وهي: أن السبع لم يفعل ذلك على جهة بيان أنه: حكم • وإنمًا فعل ذلك على جهة: أظهر الكرامة والمعجزة • فان ذلك الملاء عباد وطاب، فظهرت كرامته ومعجزاته، كما ظهرت على عيسى حين مس البروشر • وبرأ • وكذلك مس الأعيان فأصبر • إلى غير ذلك • وقد حكتم في بعض انجابكم: أن أعمي سأل من عيسى » أن يرد عليه بصره • فأخذ قطعة من طين فجعلها في عينه • فأصبر • وهذا يعثاب عليه ما فعل السبع • فكان ينبغي لكم: أن تدعوا دوركم بالتراب والطين • كما فعل عيسى • وهو أولى بكم • إذ هو مفضل عندكم على السبع وغيره بزعمكم •

ومع ذلك فتركت الاقتضاء به • وأقتديتم بنو دومة • وذلك عكس ما كان ينبغي لكم • وهذا نتيجة جهلكم • ومن سوء فعلكم •

• • •

مسألة في تصليبهم على وجوههم في صلاتهم

قال حفص: «إنا نصلب على وجوهنا • لأنا وجدنا في كتب علمائنا السلفين • أنه لما أراد ملك قسطنطينية • أن يغزو بعض أعدائه • تراه له في السماء صورة صليب من نب • وملك من الملائكة

(1) انظر الإصلاح الثاني من سفر الملك الثامن من الآية التاسعة عشر •
يا صديقنا، فقد علمت أن قسطنطين ينتمي إلى دولتنا عند أهل التاريخ الذين اعتنا بنقل أخبار الأزمان الماضية والقرون السالفة.

وبعد هذا نقول إن استدل على أن الصليب مشروع لهم، من أنين عرفت صديق قسطنطين فيما حكمو، وقلت، ولعله كذب، وأراد بذلك أصلاح رعيته وحالته، وأيضا صدور العامة على من خلفته، وذلك داخل في باب السياسات التي يسلكها من لم يتقي بالشريعة، وكثيراً ما يشاهد من الملوك مثلها.

ثم لو سلمنا أنه صدق في رؤيائه، ومن أين علم أن الذي كلهملك مثله ببساطة ؟ فليس بسيطنا قد أضلاك، وكذلك كان، حتى تعتقدوا الصوبية، التي هي أعظم كل بلية، ومحمل على الهوية، ثم لو سلمنا أنه الملك فلأتي به أي تم ذلك التصليب في صلاتهكم، وزدت علي ما علمكم عبدي؟

ولقد كان ينبغي لكم أن تتعلموا في الصلاة مثل فعله، ولا تزيدوا على ذلك، ثم يا صديقكم على ذلك، أن يقال لكم: لا يخلو ذلك التصليب أن يكون حكما من أحكام الصلاة أو لا يكون، فإن كان حكما، ولم تنقلوا عن عبدي، ولا أنه علمه لكم، فقد نسبتم عبدي إلى أنه كتب حكم الله، ولم يبلغه، وهذا حال على عبدي وعلى كل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقلت أن ليس بحكم، فلم تعلموا في الصلاة ما ليس بحكم شرعي؟ وقلت لني أثبتنا واسفتنا قلنا لكم: ومن جعل لكم أن يتحملوا في شرع الله، ويفترى على الله، وهم مذنبون عاصون، لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا. ولا عاطف ولا منع؟
ثم نقول لهم: هذه الصلاة التي يصلب فيها على الوجه أفضل.
ثم الصلاة التي لا يصلب فيها؟ فكان قالوا: الصلاة التي يصلب فيها.
فبلغكم على هذا أن تكون صلاتك أفضل من صلاة المسيح، وكفى.
هذا شناعة وحماقة. وإن كانت الصلاة التي لا يصلب فيها هي الأفضل، فإنني أثبت ما يثبت ضعيلة فيه. وهذا كله بقرب أن هؤلاء القوم لا يعولون على الأنبياء في أحكامهم، ولا يرجعون إلى قوانينهم.
بلا يعولون على أعرقهم وشهواتهم.
فلكن ممكن الشيطان منهم فأضلهم، حتى استدرجهم عن الشرائع، وازلهم.
فهذه المسائل التي ذكرناها، هي من معظم قواعدهم، وأصولهم.
وإذا كان عملهم في هذه القواعد مثل ما رأيت، فتأحك بفروعهم.
ولنتقصر على ما ذكرنا، إذ فيه تنبه إلى ما لم نذكر ثم أن أحوهنا إلى مزيد، تتبنا كبار كتبهم بأن نتفاهمها حسنا حسنا، وتبين نسائدها.
لفظا لفظا.

بقيت علينا مسألة واحدة، وهي: بين اعتاداتهم في الدار الآخرة.
وعدا بها ونيهما. وبها احتدام هذا الفن أن نشأن تعالي.

***

مسالة في قولهم في النعيم والعذاب الأخرايين

قال صاحب كتاب «السائل»:

لست ننظر في الكفاية الألهية فسنا من الأرضيات الفانية، وكالذي يتزجره ثورة «أي مسيان» ولا تزوج العرائس كالذي يشيده، جرشاً» و «مركت» ولا ما ينتمي إلى المنازل والشربات، كالذي ينحوه «بابيه» وجماعة. ولا ننظر أن يكون ملك المسيح في الأرض. ألف سنة، بعد القيامة ليتملك الصالحين معه، هم الذين.
كتملهم «تابوث» الذي خيل بفاعليته الأولى: للصالحين.
والثانية: للكافرين. فقال: إنما بين هاتين الانتقادات تمسك الأحباس.
الجاهلة بالله في زوايا الأرض في أصمهم، ثم يحملهم الشيطان بعد تملك الصالحين في الأرض ألف سنة، على محاربة الصالحين المتنكرين.
هيدفهم الله عنهم بأمطار النيان. محاربا عنهم، فيموتون، هكذا.
مع سائرهم، الذين هم في الكفر ثم يحيون في لحم غير متنير.

قد بين هذا المتكلم، الحاكي: خبط النصارى، وأختلف فرقهم.

في هذه المسألة: بما أغنى عن البحث عن كثير من فرقهم، على أن فرقهم لا تنحصر، واقتتالهم لا ينصب. فان اقتتالهم كاختلاف المجانين. إذا اجتمعوا، فكل واحد منهم يتكلم بما لا يعقل، وما لا حجة له عليه ولا ممول.

لكن مذهب جماهيرهم، ومعظمهم، ومن ينتمى إلى التدين منهم:

أن الخلق لابد أن يجتمعوا في القيامة، وأن عيسى محاسبهم، فينجم بمعذبة. لكن ليس عذابًا بينيران وسلاسل وأغلال، وغير ذلك مما نعتقده نحن، وليس نعمه أيضًا ماكول ومشروب والتداف بنكاح.

ويشبه - والله أعلم - مذهبهم في هذه المسألة مذهب الفلسفة، حيث ينكرون العذاب المحسوس، والنعيم ويصرفون ذلك الى الانتذار الروحاني، لكنهم لا يصرعون، كما تصرح به الفلسفة. 

اذ لا يقدرون على تبين أجراهم لقصورهم، ونحن نتكلم هنا مع ننكر ذلك من المشتركون، فإنهم قد اجتمعوا على اغادتنا كما كنا أول مرة، إذ قد اجتمعت على ذلك الشرائع كلها من غير اختلاف بينها فيه.

فنقلب لنذكر ذلك: لا يخلو أن ما تتكره، اما من جهة العقل، أو من

جهة الشرع، فإن قال: من جهة العقل، تلقنا له: كذبت، وأخطأت.

فإن العقل لا يدل على استحالة ذلك، بل يدل على جوازه، إذ ليس في ذلك إلا أن الذي خلقنا أول مرة، ومكننا أن نتعم نعمه محسوساً.

وتتأمل آلاماً محسوساً قادر على أن يعيدنا بعد أن يفنينا كما بدانا، فإن الإعادة إما هي خلق ثان، ومن قدر على الخلق الأول،

فقدر على الخلق الثاني، وهذا معلوم بنفسه. فهو إذن فعل ممكن في نفسه، ليس من قبل المتنخ، والله تعالى قادر على كل ممكن، للجب وصفه بالقدرة على ذلك، فكان قالوا: إن كان في الجنة أكل.

(1) عقيدة البهت الروحاني: يصرح بها النصارى في كتبهم ( انظر الإصحاح الخامس عشر من رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس).
(28 - الأعلام)
وشراب ونكاح ولباس، فيه الزم عليه أن يكون في الجنةغالط وبولة
ولادة وتعزيز الثواب وتبريئتها.

وكل ذلك مصالح أن يكون في الجنة، فلنا: هذا جيل، ولا يلزم
شيء مما ذكرتم فيها. بل نقول: هناك أكل وشرب، وليس هناك
غالط ولا بول، وهذا غير معكر، إذ لا يلزم في كل طعام أن يكون
له فضلة، ولو سلنا أن تكون له فضلة لما لزم أن يكون فضلة
مستترة، بل قد تكون فضلات كثيرة طيبة يطيب به، وشرابا يشرب
مثل المسك، فأنه دم حيوان، أو رجيعة، أو العسل فانه فضل حيوان
معروف وليس شيء من ذلك مستترة، بل هو مستتاب مستذا.
ولا يبعد أن تكون فضلات الجنة هكذا، بل هو هكذا.

وقد جاءنا على لسان الصادق: أن أهل الجنة لا يبولا
ولا يتغوطون، أنما هو عرق يجري من أجسادهم مثل المسك.
وأما الحمل فلا يلزم شيء منه، إذ نجد من النساء: العواقر.
وهن اللواتي لا ياذن. فذلك نساء أهل الجنة لا يلدن، ولا يحضن.
وأما اللباس فلا يتمزق ولا يفني، وفي لباس بني إسرائيل
في المصاز دليل على بطلان ما يخيل هذا السائل، فالمثاب إلى
الثواب إلى مدة قادر على أن يبنيها أباد الأبدين.

وهذه أمور لا ينكرها إلا كل غير جاهل ليس له معقول حاصل.
فذا ذل العقل على جوازه، ف ينبغي أن يستدل على وقوع ذلك:
وجوده بكلام الصادقين، صلوات الله عليهم أجمعين، فنقول لنكر
ذلك شرعا:

لا يصح لك أن تستدل على أنكراك بشيء من كلام الأنبياء.
اذ لا تجد، بل سنريك نصوص كلامهم على أثباتها.

منها: أن من المعول أن آدم عليه السلام كان يأكل في الجنة
ويشرب، وينكف، فإن قالوا: الجنة التي كان فيها آدم قبل هبوطه
إلي الأرض، أما كانت في الأرض، وهي جنة عدن التي قال فيها في
التوراة: وغرس الله فردوسا، بعدن من قبل، وأسكنه آدم (1).

(1) سفر التكوين: 2: 15
وجاءت تلك ليست بما في بواطن الدنيا. قلنا: ليس في التوراة
نص قاطع يدل على أن الجنة التي يرجع الناس إليها يوم الجزاء
ليست هي التي أسكن فيها آدم. بل التوراة محتملة لذلك.
وأما كتابنا فبدل على أنها هي.
ثم لو سلمنا أنها ليست هي، لحصل لنا من ذلك دليل جواز
اللكل والشرب والنكاح في الجنة. فانه كما جاز أن آدم أكل وشرب
فيها، كذلك يجوز أن يأكل ويشرب وينكح في الجنة التي يرجعون
 إليها. وهذا بين نفسه عند النصف.
ومنها: أن في الإنجيل: أن المسيح قال لتلاميذه ليلة أول معمم
الفتح، وقد استماعوا كأساً من الخمر، وقال لهم: (أني لا أشربها
بما أن أبداً، حتى تشريوها بعث في اللكوت عن يمين الله.) وهذا
نص لا يحتم التأويل إلا مع ضعف. وفيه أيضاً في قصة العازر
الذي كان مطروحا على باب الغني، والكلاب تلحس جراح تروحوه.
أوان ذلك الغني نظر إليه في الجنة متكاً على حجر إبراهيم الخليل،
فنادى الغني، وهو في النار: (يا أبي إبراهيم ابعث العازر إلى بشيء
من ماء أابي ليصغيther)) (وهذا نص آخر أبين من الأول.
وفيه أيضاً أنه قال للهود: (يا تطاعين بيني الأمام على كفكم
والنجاة من عذاب النار.)
وفيه أيضاً أن الجماعة قالت للسيد: بكثير ناحوم: (هات جئت
إلي هنا يا معلم؟ فقال لهم: أَمِين آمين، أقول لكم: تطلبونى، ليس
لأنكم رأيت عجائب بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم، فازغوا في
الطعام لا يفني في الجنة الدائمة.)
وفيه أيضاً: أنه قال لتلاميذه في وصية وصاه بها: (لتظمن
ولتستحن في ماتدتي في ملك الله.)

(1) الإنجيل متي: 26 : 29
(2) الإصحاح السادس عشر من الإنجيل لوتا.
(3) متي ولتا 3 : 7 والإستشهاد في غير موضوعه لأنه يقصد بالعذاب.
(4) الإنجيل يوجن: الإصحاح السادس، والاستشهاد في غير موضوعه لأنه
يشير إلى زمن النبي الإسلام صلى الله عليه وسلم.
(5) الإنجيل لوتا: 24 : 30.
وفي الآية أيضاً أنه قال النبي: "أن كان موسى أطعمكم خبزاً في الجنة، فأننا أطعمكم خبزاً سماويًا" (1) يريد الجنة.

وقال آدم: "يا مشر عظام؛ توجهوا إلى الماء الورد ومن لا يفعل له، فليذهب وليأكل وليشرب وليأخذ من الخبز واللبن بغير فضة ولا ثمن" (2).

وقد كثير في كتب الأنبياء فلا شك، ولا مبرر. فيقال، فلا يجوز موسى في النهاية تغريدة بذلك، وبلغت القيامة؟ قلنا الله ورسوله أعلم، وعلى سبيل التنبيه تحدثت وجوها:

أحدثها: لمتو بني إسرائيل وتمردهم، ولكل أهاليهم.

ثانيها: لبدها زمان ذلك.

ثالثها: ليجعل لهم جزاء أعمالهم. فإنما كانوا يهودون ويخوهون بالعقوبات العاجلة ويوعدون باللذات العاجلة من الملك وتكرير الزكاة وخصوص البلاد التي غير ذلك.

رابعها: لأنه قد كان سبق في علم الله تعالى أنه يرسل رسول في آخر الزمان، ليس بعده نبي ولا رسول يبين أمور الآخرة بياناً شاملاً، وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لقرب القيامة من زمانه، وليحصل لنبينا صلى الله عليه وسلم من فضيلة العلم والاعمال ما لم يحصل لأحد غيره، وتختص أمته بعلم ليس لأحد غيرها، وهذا الوجه هو أقرب الوجه وواضح أجل (3).

وديل على ذلك قوله في النهاية.当你 بنبيه عليه السلام، ولا ذكر كثيراً عن علامته، "ومه كتاب ناري" (4) وقد تقدم ذكر ذلك والدليل عليه أيضاً: أنك لا تجد عند آمه من الأمم من أخبار القيامة، أما أمر الآخرة ما عندهم (5).

---

(1) يوحنا: "والاستشهاد في غير موضوعه لأنه يشير إلى أيام النبي الإسلام صلى الله عليه وسلم.

(2) سفر أشعيا: 55: 1

(3) في كتاب تنفيذ الأبحاث لأبن كمونه: السبب.

(4) تنجينا: 37: 2

(5) المؤلف لم يذكر الأدلة القاطعة من توراة موسى عليه السلام على أثبات البحث. وقد ذكرناما في تقديمنا لكتاب في فيظة أولى الاعتبار فيما ورد.
فالمحمد الذي جعل لنا كل النضائل، وخصوصا بمحمد صلى الله عليه وسلم خير نبي وفاضل.

فمقد ظهر من هذا النظر: أن ما اتحلوا من أنكار التعصيم، والاذاب المحسوسين، باطل بشهادة العقول، ونصوص كلام الأنباء المتقول.

ولقد فرغنا من الفن الأول، والحمد لله كثيرا.

* * *

في ذكر النار وأصحاب النار" للشيخ صديق حسن خان. وفي تقديمنا لكتاب
ذلخ الروح والمستوية" للامام أبي حامد الغزالي - نشر مكتبة عالمية
بجراء إدارة الأزهر ومكتبة المدينة الفنونة بسورة الأزكية - ومن الآيات
التي في توراة موسى عليه السلام - وهي مخلاء بين التوراة السامية
والتراثة المصرية، فهي في الساوري صريحة في اثبات البعد، وفوق العبرانية.

تجلب الجزاء في الدنيا أو في الآخرة. هذه الآيات:

النص: يقول الله تعالى: - كما كتبنا. - إنهم آمة عديمة الرأي،
ولا بصيرة فيهم، أو عقلوا لغطوا بهما، وأتاموا أخترقهم - كيف يرد الواحد
الناف، ويقيم أنان روبة ؟ لو أن صخرهم ببعهم، والرب سالمهم، لأنه
لئين كصخرنا صخرهم.

ولو كان أعداؤنا القضاء - كان من جننة سدوم جنتهم، ومن كروم
عمورة. عنهم عنب سم، ولهم عناية مرارة، خمرهم حمة النعابين، وسم
الأصل العتاب.

ليه ذلك كونوا عندنا - مختوما عليه في خزانة؟ في النظرة والجزاء.

في وقت نزل الأذونه. أن يوم ملاكم ترب، والميقات لهم مسرعة، أن
الرب بدين شعبه، وعلى عيده يشتق، حين يرى أن اليدين قد مثبت ولم
بيط مهجوز ولا دلقق، يقول: أين آلهتهم الصخرة التي تجاوزها البيت؟
التي كانت تأكل شحم ذبائحهم وتشرب خمر سكانيتهم. لتتم وتساءدكم وتكن
طبقهم حمامة.

نظرنا الآن، أنا هو، وليس الله معي - أنا أميت وأحبي، سحتت
واني أشقى، وليس من بدي مخلص، أي آثر إلى السماء بديء، واتول:
حي أنا إلى الابد، أما سنت سيفي البارق، وأصمت بالنضاء، ميدأ أرد
نقطة على أضداد وجاوزى ذبى. أسكر سباني بدم، وياكل سيفي
لحما، بدم القتلى والسبايا، ومن رؤوس القتاد العدو
تهللوا أيها الأمام شعبه، لأنه بتمباع بدم عبيد، ويرد نقطة على أضداده،
وتصنع عن أرضه، عن شعبه (الصحابئ الأثنان والثلاثين من سفر التثنية
من الآية الثلاثة والعشرين إلى الآية الثلاثة والاربعين)
الفن الثاني
محياسن وبين الإسلام

تمهيـد:
الفرض من هذا الفن: أن نبين فيه عقيدة الإسلام، وجمال
الأصول أحكامه، وموضع فروع دينه. أنكرتها النصارى عليه
وانما فعلنا ذلك لفرضين:
أهدهما: أن السائل الذي حركنا لهذا الكتاب، هدنا، وزعم
أنه أن سب وشتم، كتب كتابا بنص شريعتنا ووجهه للبلاد حتى يقف
الناس عليها. فأردت أن أطول ذكر شريعتنا لعلاقا يتعاطى ذكرها ونتلبها:
جهول: لا يحسن ما ينقل، ولا ما يقول.

هك يقف المقلة عليها، وينظروا فيها على أن شرعنا ليس
بالخفيف، بل قد طبق الأرض شرقا وغربا، وقرع من المقله سما
وقلبا، فلم يسمع بنهم وطرجه غير معاند، كتب مشرعا وفضه:
فاني جار على المنهج المقبول، المستحسن، عند أرباب العقول.

وسبابين ذلك أن شاء الله تعالى، على أنني لم أتعرض لهذا السائل
ولا أحد من مثلهم بالسب، أكثر من تبين جهلهم، وركاكة هذيانهم
وقولهم، وربما أغلقوا في بعض الأقوال لما أرتكروا فيها من القبض
والمجال، فأطلقت عليهم اللعنة، حسب ما تقتضيه البغضاء والأهنة،
وتعموا على ما في التوراة من لعمتهم، وركاكة شرعتهم.

فان في التوراة: «ملعون، مملوكون من يعلق بالصليب» (1) يريد

(1) تنمية 31: 32 - 33 والامام أبوصيرى مؤلف: "بردة الميد
الشامكة" نظم قصيدة في الرد على النصارى واليهود قال فيها عن «ملعون من
يعلق بالصليب» ما نصه:
مصادقة حلفت به وتبولا
وعزوا إلى يعقوب من أباده
لعننا يعود عليهم مكنولا
وإن تعقل بالصليب بزعمهم
ولكن في التوراة: «ملعون، مملوكون من يعلق بالصليب»
هذا من اعتقاد الصليب وادعاه وعظمه • وهذا نص بلURRENTهم ومؤجّب لبغضتهم • وهذا ما نعلمه مع ديننا • وواضح سبيلنا •
والخوض الثاني: أنه لا يبعد أن يقف على هذا الكتاب نصراني أو يهودي لم يسمع قط من ديننا تفصيلاً ولا تصريحاً بل اتّخذ له: مسا، وتثبيتاً فأردت أن أسرده على الجملة، ليثبت حسن له كان ذكي العقل، صحيح الفطرة. ففعل ذلك يكون سبب هدّاه، وجلاء عماه • وَمَا تَوَفِّيقَ الْآْبِلِهِ (١) •
وفي هذا الفن فصلان: وانقسم هذا الفن إلى فصلين، لأن شريعة الإسلام مشتملة على اعتقاد بالقلوب، وعمل بالجوارح، فالفصلين نذكر في أحدهما: قواعد الاعتقاد وفي الثاني: ندافع عن الاعتقاد وعن التشريع. فنقلّ: •
(١) مود: ٨٨ •
الفصل الأول

أعتف المسالب

أما اعتقاد السلمين فهو : أن كل موجود سوى الله تعالى فهو محدث.

بمظاهر مختصر على معنى أنه لم يكن موجوداً، ثم صار موجوداً،
وأن له محدثاً موجوداً قديماً، لا يشبه شيئًا من الموجودات المحدثة.
بل يعلو عن شبهها من كل وجه، فليس بجسم ولا يحل في الأجسام.
ولا جوهور، ولا يحل في الجوهر، ولا عرض ولا تحل الأعراض.
وأنه الله واحد لا شريك له في فعله، ولا نصير له في ذاته، وطوله.
لا ينفيه له الصاحبة، ولا الوالد، ولم يكن له من خلقه كنوا أحد.
وأي أنه عالم، قادر، مريد، حي، موصوف بصفات الكمال من السمع.
والبصر والكلام وغير ذلك، مما يكون كمالاً في حقه، وأنه منزه عن
صفات النقص والتصرف، وأنه يفعل في ملكه ما يريد، ويحكم في خلقه
بما يشاء، لا يفتقر إلى شيء، وله يفتقر كل شيء، ويبدء كل
جماد وحياً، لا يجب عليه مخلوق حق، وتجب حقوقه على الخلق.
لا يتوجه عليه: متي؟ ولا : أين؟ ولا : لم؟ و لا كيف؟ فلا يقال:
متي يوجد؟ ولا أي يوجد ولا كيف هو؟ ولا لم فعل؟ (لا يستلم عما
يفعل، وهم يستلون) (1).

وإن أرسل الرسل من أعماله الجائزة، وأنه قد أرسل الرسل
وأنزل الكتاب، وكلف الخلق، وشرع لهم شرائع على السنة رسوله.
وإن رسله صادقون في قولهم، وإمتدون بالعجزات من عند ربهم.
وأنهم عبد الله ورسله، وأنهم بشر مثلياً، إلا أن الله تعالى فضلهم
بكل جعلهم واسطة بينه وبين خلقه، وأطلعهم على ما شاء من غيبه,
وأنهم أبلغوا عن الله ما أمروا بتبليغه، وأنهم كلهم صادقون مصدوقون.
لا تفرق بين أحد منهم. وأن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب العربي

(1) الأنبياء : 32.
التقريش الهامشى رسول من الله إلى الناس كافة، بشيراً ونذيراً. والله تعالى أديده بالمجرزات الدائمة على صدحته كما فعل بالرسل من قبله، وان شرعه واجبته لأزمان لكل من بلغته دعوته حيث كان من أقطار الأرض وجهاتها، وعلى أي دين كان من أديانها.

لا يقبل ممن كثر به يوم القيامة ما هو عليه من دين، بل يكون مخدداً في المذاب أبد الأبدين، كما أن المؤمن به، و بكل ما جاء به مخلد في الجنة أبد الأبدين.

وأ 인정 شرعه ناسخ لكل الشرائع المتقدمة على الجملة، و هادم ما قبله من الأحاديث الساسة، وأن كل ما جاء به عن الله حق: من المذاب والحضر، والنشر بعد الموت، والصراط، واليزان، والخمسن، والمحاسبة، وشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم لاهل الموت، ولاهل الكبائر من أمه خاصة.

و في الجنة ونعيها، والنار وعدابها، وأيهم محسوس، ليسا معنى، وأن خلود أهل الجنة سردم، وعداب أهل النار التكرارين سردم، لا انقطاع لواحد منهم إلى غير ذلك، وما هو مفصل في الشريعة، مما يعرفه أهل، ولا يسمعهم جهلهم.

وهذه قواعد اعتقاد أهل الإسلام، مجرد عن أدلةها، ومقيضية من معاهدها، إذ ما منها قاعدة، إلا ويلدها برهم عنقل، لا يشكو فيها عاقل، ودليل سمعي لا ينكره فاضل، ومن أراد تعرف ذلك طلبه من موضعيه، وأما مستندات أحكامهم في كتاب الله، وسنة رسول الله، لا يعدلو لحة عنها، ولا يخرجون لحظة منها، إلا أن ووجه استدلالاتهم لا يحيط بها متعلق عليها أكثرها، و لنتاقة درجاتها.

فإن كتاب الله تعالى، وسنة رسوله لا يستدل بهما، من لا يعرف منظوم اللطف ومفهومه وفخواه ومقتوله، ويعرف من المنظوم: النص، والظاهر، والمؤلول والمحل، و العفوم، والخصوم، والاستثناء، والطلق، والقيد، ويعرف من المفهوم أحكامه وأقسامه، وكذلك من الفحوى والمقول على ما هو معروف في علم الأصول، الذي هو علم خاص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم، بل هو من كرامات أهل الإسلام.
لا ينصح في ملة من الملأ المتقدمة، من التحقق ما عندهم، ولا اجتماع لأحدث قبلاهم من العلماء الذين اجتمع لهم ذلك بأنهم آخر الأمم، وكتابهم آخر الكتب وأفضلها، ورسولهم آخر الرسل، وأفضلهم، ولسانهم أحكم الألسنة، وأصحها على ما يعرف من صفق شريفتهم وعرف لغتهم، ونظر لها بين الأنساب، وترك طريق التصب والاعتساف. فالحمد لله على ما أولاهم، وما كنا نشهد لولا أن هدانا الله، فقد جاءت رسال رينا بالحق»(1).

وما بينا للعقل حسن شريعة الإسلام، وجمال طريقتها، أنها مبنية على مراعاة مصالح الدنيا والآخرة، واتخاذ مكارم الأخلاق الحسنة.

أما بيان مصالح الآخرة فهو أن هذا الشرع بعين وجوهها، ولم يغلب شريا منها، بل فسرها وأوضحها غاية الوضوح للاجتهال شيء منها. فوعد بنعيمها وتوعد بعدمها، بخلاف الشعائر المتقدمة، فانها لما كانت تتوعد على المخالفين بعاقب دنيوى، كما فعل بنو إسرائيل غير مرة، وتوعد بثواب دنيوى، ولم يبين لهم شيء ما بين لنا على ما يقضيه نصقت النورة، إذ ليس فيها ذكر جنة ولا نار، إلا تتبينات قليلة(2)، وكذلك الأنجيل ليس فيها شيء من ذلك إلا ما ذكرناه.

ومع ذلك فإنه تعدينا بعبادات محضة ذات فعال وركان كالصلاة والحج وغير ذلك. وكل ركن من أركانها، فالنصوص به تعظيم الله تعالى، وخصوص له بالاظهر والباطن، حتى تؤدى كل جارحة من الجوارح حظها من تعظيم الله تعالى، مع ما ينضاف إلى ذلك من المعاينة الشرفية والادعية الرفيعة النصية التي يعرف معاينها أهلها، حسب ما فسرته في كتبهم، وليس كما تتولون أنتم في صلاتكم:

"يا أبناء الذي في السماء"(3).

فان ظاهر هذا مستبشع في العرف، محال في العقل، أما استبشعه في العرف فانه يقبح بالعيد أن يخطب سيده بلفظ الأبوة.

هذا مع أن منى الأبوة جائز في حقيقة، فكيف لا يقبح اطلاعه في حق من لم تجوز الأبوة في حقه؟ فاطلاع مثل هذا اللفظ في حق الله تعالى ينبغي لا يجوز ولا يطلق وأنا احاليته في المثل.

فان ظاهر قولكم: في السماء، يفهم منه: أن السماء محيط به، وإن جاز ذلك، فإن جان يكون جسمًا وأنتم تأبون ذلك، وهو محال في حته تبارك وتعالى.

وذلك قولكم في بقية هذا الدعاء:

وعجل لنا خيرنا الدائم، واعفر لنا، كما يغفر بعضنا لبعض.

فانه لفظ مستثنى مستبشع، ومنعاه: مستغث، مستغث، ولا خوف التطور، لأدبينا ما يحتمل ذلك من قبيح التأويل.

فان قلت: هكذا علمنا عيسى في الانجيل، فقال لنا: إذا صليتم فقولوا: نحن من هذا مما علمه عيسى، ولا مما جاء به، بل هو اختراع من لا يحسن ما يقول، وليس له إلى المعارف وصول.

وقد تقدم: أن كتابكم قابل للتحريف والتصحيف، فهذا الذي ذكرنا، ينبغي على المصالح الأخوية، وأما المصالح الدنيوية فان بينا أن مقصود شربنا: حفظ الأديان والنفسوس والأموال والانسان، والأعراض والعقول واجل ذلك شرع القتل والديات والعقوبات، وحرم السرقة والخيانة، وجمع وجوه أكل اللام بالباطل، وحرم الزنا، وفصل النواحي وغير ذلك من الفوائد.

وكلذك حرم الغيبة والنميمة والخذف، والبهتان والزور، وجميع أصناف الكذب والغش والخداع والمكر إلى غير ذلك من أنواع الفاسد.

ولأجل ذلك أيضا: حرم الخمر، فإنها تذهب العقل الذي هو مناط التكليف، وبه يعرف البال لبكار وتعالي وانسقر آية تتاثره وتصاده: فهذه الأمور كلها محظوذة بالحدود والزواج، المشاكلة للمعقوبات، الثوابة عن النبي صلى الله عليه وسلم اما بالكتاب، وما جالسة، وليس شيء منها موضوع بالتشهى والحكم، كما فعلتم أنتم.
وقد بينا ذلك، بمستندة للشاعر، ولا نعدل عنه طرفة عين، بل تخف عند ما أمر، وتنتمي وما نهان، يعرف ذلك على التفصيل أهله، ومن وقف عليه من العقلاة المنصفين.

وأما مكارم الأخلاق التي تضمنها شرعننا، فلا تخفي على متاعب.

وذلك أن شرعننا: أمرنا بها ظاهرا وباطنا، ونهاننا عن ردائها، وفسسائها، فمن المكارم الظاهرة: النظافة، الطهارة، والتنزه عن الأذى واللواسح، ومن النظافة تطير الشيب والإبدان، فإنها ينبغي أن تتنزه عن الأذى، مثل البول، والخافث، والمثنى، والمذي، والدم، والقيح، وما شاكل ذلك.

ومن النظافة أيضا التطيب، وتحسن الهيئة، فالطيب لا يخفى على عاقل استعماله، وكذلك تحسن الهيئة، ومن تحسن الهيئة: قص الشراب، واعفاه اللحية، فقص الشراب لتناثر النظافة في الأكل، إذ لا تناثر مع طوله، إذ يدخل الشعر في الفم، وينقص الأكل.

ويعذره.

هذا مع ما يلحق الشراب من قذارة المخاط، إذا كان الشراب كبيرا، ومع ذلك فلا يحلق عندنا كله، ويمحق رسمه، فإن ذلك مثل ويشويه، وكذلك اللحي إذا حلقت فيه ينبغي أن توفر توفرها لا يخل بعروة الإنسان ولا يخرج عن عادة الناس، وخير الأمور أوساطها.

أما حلق اللحية فتشوهه ومثله، لا ينبغي لعامل أن يفعلها بنفسه.

والعجب من جهل النصاري بالشراكة، بما يستحسنه ذواجهاء المروات، فإنهم يحلقون لحامة، ويشوهون أنفسهم، ويروفون غلطاتهم، التي ينبغي أن تزال لما في أرادتها من الفوائد على ما ذكرنا، ومن النظافة الأمور بها: تتعليم الأذى، وتنف الإبط، وحلق العانة، وغسل البراجم والثابين بالماء، وهذا كله من شرعنا مباينة في النظافة، ومحافظة على مكارم الأخلاق، وعلى عادة دوين المثل والمروات.

وأما التنزه عن الأذى فإن حرم علينا الخبرات عن الميتة والمدم، ولحم الخنزير والأنجايس كلها على ما تقتضيه عادة العقلاة والمروات، وأمرنا بأكل الطيبات واستعمال المستحسنات، ونهانا عن السرف.

والتدبير.
ولأجل هذا نهانا عن استعمال أواني الذهب والفضة، وعن لباس الحرير للذكور، وذلك لاستي من التبذير والسرف.

وإضماً فإن فيه ترهقاء، يناسب ترهقه أهل الجنة، ويشبهه، ولا ينبغي أن يفعل ذلك، ولأجل ذلك قال نبنا عليه السلام: (من شرب في آية الذهب والفضة لم يشرب بها في الآخرة، ومن ليس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة).

ووالله كله لأن الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء، ولأجل ذلك قال الحكاء: "الدنيا قنطرة فاعبروها، ولا تتعمروها" فهذة نبذة من النظافة الطاهرة، وأحكامها كثيرة تعرف في مواضعها.

وأما النظافة الباطنية، فترجع إلى التظلي عن مذهب الأخلاق والنظافة بمحامدها وصوستها، وهي كثيرة فلنذكر الأخلاق المذمومة، التي ينذف منها، وبعدنا نذكر الأخلاق المحمودة التي ينبغي الانتفاع بها.

أما الأخلاق المذمومة فكثيرة لكن أئمتها ما نذكره، وهي: الغصب، والحسد، والبلع، وميانتة النفس، ودنيعتها، ورحلتها، وحب الجاه، والدين الذي منه كل خطيئة، والكبر، والعجب، والرياء، إلى غير ذلك من الأخلاق المذمومة التي من أتصف بها، كان منجس الباطن بمثابة من كان منتجس الظاهر، فعليه تنظيفه.

لا أن نظافة النجاسة الظاهرة بالبماة، ونظافة النجاسة الباطنة بالاختلاف بالأخلاق المحمودة التي هي: التوبة من العاصي، وحسن الصحبة مع الخلاق، والنصحية لهم، والمعدل في الأمور كله، والتواضع، وكرم النفس، وبعض الدنيا، والزهد فيها، والأخلاق، والخوف، والصبر، والشكر، والصدق، والتوكل، ومحبة الله تعالى، ومحبة وسم.

ولي غير ذلك من الأوصاف المحمودة، التي من أتصف بها، فقد تقتني من أوصاف البشرة وتطير الطهارة المعنوية.

(1) هذا من أحاديث الترميم.
فهذا أثموذج، وقانون يعرف العاقل المنصف به حسن شرمتنا وجمال طريقتنا، وأنها جارية على نهج العقول ومستحصة عند من له محصول، ومن أراد أن يتبيّن محسن شرمتنا على التفصيل، فلا يصل إلى ذلك إلا يبحث كثيرًا، وتطويل.

فان وقف فأمعن النظر واستدعت منه الفكر قضى من عجائبها كل عجب، وعلم على القطع والبتات أنها حق من الله، من غير شك ولا ريب، وأن الذي جاء بها لا يجوز عليه الغلط، ولا الكذب.

فها نحن عشر المسلمين قد أرسلنا شرمتنا للاستعراض، ونادينا عليها في سوق الاعتراض لئلا يعرفنا أحد، أو يعارض فيدمه نادى لقوله، وحافظ ولم نكل حكايته إلى غبي فافلل، عن مقاتله شرعنا جاهل.

وقد آن أن نذكر ما اعترض به النصارى على ديننا، ونفصل عنه ابن شاء الله تعالى، وعند ذلك يتبيّن ضميم جهلهم، وسوء صنيعهم.

鸠

鸠

鸠

鸠

鸠
الفصل الثاني

دفاع عن الإسلام

أعلم أن النصارى يعيبون دين الإسلام، ويتبجونه عند جهالهم وعامتهم بأمور من فروع الإسلام، لا ينبغي لنصف أن يعيبها، ولا يعيب شرعاً فيه.

وقد كنا نبين فيما تقدم: أنه لا ينبغي أن نبذ الشرائع أو نجدها بما تجوزه العقول، بل يتلقي ذلك المجوز عقولاً، الذي جاءت به الشرائع بالقبول، إذا علم صدق ذلك الشرع، بل ينبغي للمعتقِل: أن ينظر في دليل صدق ذلك الشرع. فإن وجد دليلاً صحيحاً قبل منه كله ما يقول: فإنه صادق. والصادق لا يقول ما تكذبه العقول. نعم قد يقول ما يقصر عن أدراكه، وليس ذلك طعناً على قول الصادق. وإنما المجز في حق العقول فلا يتأتي به الشرائع يعرف العقل جوازه قبل وقوعه، بل قد يكون منه ما يجعله.

وأيضاً بهذا عند النظم المنصف. وقد كنا نبرنا ذلك بالبلاغ من هذا، فيما تقدم.

فإذا تقرر ذلك، فلنا للنصارى: كان يجب عليكم أن تنظروا في الأدلة التي بها استدل هذا النبي على صدقته، فلذا صحت، لزمكم قبول قوله، وإن لم تصح لديكم ردتكم كلية شرعه، ولا تعترضوا ببعض ما جاء به، مما يجوزه العقول، على ما تقرر.

ونحن قد أثبتنا الأدلة القاطعة على صدقته، واتنوعها. فوجب عليكم أن تقبلوا شرعه. اذ قال: أنا رسول الله إلى الناس كلهم، وآل اليهود والنصارى. وقد ظهر صدقته في قوله، وإن لم تفعلوا، فقد وجبت عليكم اللعنة، وحانت لكم الطامة «وسينتم كفار من ح البي

الدار»(؟).

(1) الرعد: 42.
ونحن نذكر أن شاء الله تعالى ما اعتراضا به على ذيئنا ونتحكي
اعتراضاً كما ذكروا في كتابهم، ونسبوا إلى أسفافهم.
قال صاحب «كتاب الحروف» بعد أن ذكر وصية عيسى التي
قال فيها: «احذروا أنبياء الكذب، الذين يأتونكم بلباس الحملان -
يُمنى سمة الأبرار، وزي العابد - وباطنهم ذئاب خاطفة»(1) قال
هذا ذلك مرضنا بنبنيا، ومستنقت لنا ديننا، وقد رأينا نفاذاً قوله هذا
هبن ادعاء النبوة، فأظهر سماها الحملان، ثم عمل عمل الذئاب، فأمّر
بخلاف هذه الوصايا من العداوة للناس عامة، والتحريض على قتل من
خالفه، والأمر بالقصاص والانتقام.

ثم أمر بالإكثار من النساء، ورخص في طلاقهن، واحل تزويج
الملائكة، ثم ردهن إلى الأرواح الأولين، بعد طلاق ثان.
واحل ذلك لمن الرجل الثاني إلى الأول ثم ما وصف الله به مبن
الجور والفساد والظلم، إذ زعم أنه يهدى بعضا، ويضلل بعضاً.
وقال: «القاطع» الذي قدمنا ذكره: لا فائدة فيه
بشيِّعته، لأننا نجد الأحكام الشرعية حكيمين: الأول: التوراوي
الذي هو من لطف الله فالطمأن،

الآخر: الإنجيلي الذي هو من لطف خلد اليمني، فانصبه له
اليسرى.

وأنت ترى فضل هذا، على الأول (2) ثم لا تجد لهدين الحكمين
ثالثاً، لا كان داخلاً فيها» أ. 100

هذا منتهي بما يعترض به من ينتهي إلى النظر من اقتضيهم.
وكان بعيداً عن التحقيق.

وأما عامتهم، ومن لا مبالاة بهم: فقد تقولوا العظائم، وجاهروا

(1) الإنجيلي متى: 7: 15
(2) حكم التوراة ما جاء المسيح ابن مريم لنفسه، وتولوا من لطف خليك
اليمني البصري يشير به إلى الرحمة داخل المجتمع الذي يدين
هبيده، والنهج والتميز، ولد كان لابد من التصاص والتوثيق أمام
الناضي، فلابد من تنفيذ حكم التوراة، وقد أعتر عن المسيح في إنجيل لوطاً.
بالتوافق والشتراثم، ونحن نجيب هذين القصين على ما قالاه، جوابه:
يرفع الاستنابة، ونرجم به التقرب من الله. فنقول للأول:
أما استنداك على رد نبوة نبينا يقول عيسى، فتهجيل للامة، وثلبيص عليهم، فانك أدخلته في جملة أنبياء الكتب، و قد شهد الأنبياء، يصدقه. كما قدمنا. بل قد شهد كتابه، وكتبه، فإنه قد جاء فيه من قول عيسى لم يكنك أذكره، حيث ذكر: «البرقية».
وأخبر أنه يأتي، ووصفه بما ي ينبغي له، وقد قدمنا ذلك مستويه.
فهذا هناك، يا هذا، جهل بكتابك، وكذيب لأنبياؤك ورسلك.
وإذنما الذي حذر منه عيسى وغيره من الأنبياء انها هم أنبياء الكتب.
كما قال، ولم تزل الأنبياء يحدرون من الأنبياء الكذابين.
وقد أكثر من مثل هذا التحذير: نبينا عليه السلام، حتى قال: «يكون في آخر الزمان ثلاثون كذاباً، كلهم يزعم أن نبي، وأنا خاتم الأنبياء، فلا رسول بعدي، ولا نبي»، وقد وجد بعضهم و dwarif من أن يوجد الباقى، كما قال الصادق.
أوأما قولك: «أن سمعة نبينا سمعة الحملان، وعمله عمل الذئاب».
فكتب صراح، واك فتحى، ونحن قد بينا سنته، وعمله ومهاجمة.
وقد عرف حثاله القريب والبعيد، بل سنته سنت الأنبياء، وعمله عمهم، ولا فرق بينه وبينهم إلا أنه أفضله، وأكلهم. وإنما قلنا ذلك لأن في صحف أمسياء أنه قال: «أنت أيام الافتقات، أيام الخمال» ثم قال: «الطعنوا يا بنى اسرائيل الجاهليين، أن الذي تنمونه صالح، هو صاحب النبوة، تفتون بذلك على كثرة ذنوبيكم، وعظم فحسبكم».
وأما قولك: «إذا أعتني نبينا، ولم يرد غيره»، لأنه قال:
يا بنى اسرائيل، وهذا خطاب لجميعهم، ولم تكتب جميع بنى اسرائيل نبوة نبي، إلا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك مما تقدم.
وأما عيسى وغيره، فكان منهم من آمن به وصدقه على ما هو معروف.
وأما قولك: «أكر بخلاف هذه الوصايا من العداوة للناس».
فكُتب وتشريع لا يرضي به سفالة الناس، بل قد أمر باللهة والاجتماع، والتحاب في الله، والمنافعة في ذاته، والتعاون على البر والتقوي.
و hẹnى عن التباغض والتداير والتخاذل على ما بنياه من شرعه.
(119 - الإسلام)
وكل ذلك من حاله وحالههم معروف بحيث لا يجهل، ويشاهرون بحيث لا ينكر. نعم رحمته للمؤمنين، وغفله على الكافرين. وكذلك وصفه الله في كتابه، وعلى لسان رسوله، قال الله العليم في محكم وحية الكريم: ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عتنم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم (1)) وكذلك كانت أحوال أصحابه قال الله تعالى: ( محمد رسول الله، والذين معه أثداء على الكفار، رجاء بينهم) (2) وليس كما قولونه أنتم عن أصحاب عسي أنه لم تقتضن اليهود عليه فروا عنه وأنكروه، وحلقوا على أنهم لم يعرفوه، فأسلموا وتركوه.

وقد بينا فيما نقدم: ما ذكرت الأنباء من أوصافه، وعلى أنه لم ينظر على الكافرين، حتى تمردوا على الله وكتبوا رسالتها. وذلك أنه أقام بين أظهرهم عشر سنين، أو نيفا عليها، يدعوهم إلى الله على سبيل الوعظ والإنذار، والتعليم والتلميح، واظهار الآيات والمجابه؛ ملنا لهم القول، وظهروا لهم الأشغال، وباذلا لهم النصيحة، صابرا بنفسه على ما يلقى من أذىهم، ومن بذلهم، وهم مع ذلك يبالون في ضرره بكل ما يمكن: وكلما تلوه عليهم بالإنذار، زادوا في الأضرار، حتى هم بقتله وطرده عن بلده وأهل.

وبعد ذلك أمره الله بالانتصار ممن ظلله، وأتخراج من أخرجه، ولذلك أنزل الله تعالى عليه: (أنذ للذين يقاتلون بهم ظلوا، وأن الله على نصرهم قدير) (3).

وأما قوله: ( والحريض على قتال من خالقته) فهذا لا ينبغي أن يعلم به. فإن الكافر بالحق لا حرمه له، وجنابه أكبر من كل جناية، تعميجه ينبغي أن تكون أكر من كل عقوبة، لا سيما بعد أن تقدم الكافرين بالأذار، وبذل لهم في الأذار، ولأجل أن الكافر لا حرمه له عند الله، يعاقبه في الدار الآخرة عقوبة لا انقطاع لها.

باختراق الشرائح.

وان جاز أن يعلم شرعا لأنه جاء بقتال الكافرين، جاز أن يعلم شرع موسى (4). فإنه جاء بقتال الجبارين، على ما لا يخفى على

---

(1) الفتح: 128
(2) التوبة: 128
(3) الأصحاب: 39
(4) الجح: 37
أحد من المشرعين، فقد لزم هذا النكرة لشرعنا من حيث أنه شرع فيه القتل أن يذكر ما يذيع به ويعتدده من شرع موسى بن عمران، وينبغي له أن يفسه فعل "يشوع بن نون" حيث أذاق الجبارين أشد القتل وأعظم اليهود، ثم أعجب من ذلك جهله بما في كتبهم أو مجاورتهم بانكارها (1).
وذلك أنهم يجدون في كتبهم أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم، ويجدون فيها أنه يبعث بالقتل والسيف، ثم ينكرن ذلك، ويباحثون فيه، وقد ذكرنا من ذلك ما فيه كتابة، ومن ذلك ما قد جاء في كتاب "أشعيا" أنه أخبر عن هزيمة العرب، وقتل أشرافهم، فقال لما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم: "يدوسون الأغم، كدوس البيادر، وينزل البلاء بشركي العرب، وينهزمون" ثم قال: "وينهزمون بين يدي سيف مسلولة، ووى موتورة، من شدة الملحة" (2).
وكذلك قال "حبوق" : "تضاء لنوره الأرض، وستنزع في قسوم اغراقا، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء" (3) وهذه نصوص على اسمه وصفاته كما تقدم.
وقد أشار أنجيلكم على هذا فانكم تزعمون أن عيسى قال لأتلامذه: "أني كنت رسولكم، وليس معي مزود ولا خف، فهل ضركم ذلك؟ أو نقصكم شيئاً؟ قالوا: لا. قال: أما الآن، فمن لم يكن له كيس فليأخذ كيسا، ومزود فلاشيتر مزودا، ومن لم يكن له سيف فليلبس من ثيابه، واشيئ سيفا" (4).
فألببهم باشراء السيف للقاتل. بعد أن كان نهائم عن القتال (5) لعله أن محمد ببعث بعده بالسيف وهذا كثير، بحيث لا يتحمل التأويل.

(2) الأصحاح الحادي والعشرون من سفر أشعياء.
(3) الأصحاح الثالث من سفر حبوق.
(5) المسيح لم ينه عن القتال لأنه لم جاء لنفس شريعة موسى.
وخبر من ذلك كله: أنهم قد ذكروا في نجلهم، أن عيسى قال لهم: «لا تتصبوا أنى قدمت لأصلح بين أهل الأرض، لم آت للاضطراب، لكن لألفي المحاربة بينهم. إنما قدمت لأفرق بين الرجل وابنه، والمرأة وابنتها، وأعداء الرجل أهل يبنته» (1)

وهذا نص، بأن عيسى انما جاء بالحارثة والغاء العدوان بين الناس، وهذا عين ما أنكروه علينا، ثم قد زاد، وأعلى، ذلك: إنهم حكوا أنه قال: «لم آت لأصلح أهل الأرض، لم آت للاضطراب».

وظهر هذا: أنما جاء بيسار أهل الأرض.

وقد لا يصح أن يقوله عيسى عليه السلام، ولا غيره من الأنبياء، وهو من كلهم وتحريرهم، وقد قدمنا ذلك فيما سبق. ومن العجب أنهم يقولون: إن هذة المسيح، وشريعتهم لم تتأت بتقاتل ويتخدون بأنها لم تظهر بقتال، وإنما ظهرت بما ظهر على أيدى الحواريين من العجاب.

وهم مع ذلك يعترفون بمحايدة «فلسطينين» وبمقاتلتهم من خلفه، وأنه الذي تلقىته عنه الشريعة الصليبية فأنه أرى في النوم صورة الصليب، وقيل له: بهذا تنصر، ففعله، واعتقه، وقاتل فنصر.

وأعجب من ذلك تلبسهم بالقتل، والأخلاق منه أبيده إلى اليوم، وهم مع ذلك يدعون: أن القتال غير مشروع لهم، ويذرون الشريعة التي جاءت به، فهم قد ناقضت أعمالهم أقوالهم، وشهدت على كذيهم أحوالهم، ثم نقول لفلسطينين، وجمعية النصارى المقاتلين:

قائلين، من خالفيكم، لا يخلو أ ما أن يكون مشروع لكم، أو غير مشروع لكم، فإن كان مشروع لكم، فلا يحيى تخلفونا في ذلك، وتذموا شرعنا لأجله، وإن لم يكن مشروع لكم، فلا يحيى معني تركتم شرعكم، وقلتم خلافه؟

وكيف حل لكم ذلك، فأنتم بين أهليين قبيحين علىكم: أما أن تعترونا بأن قتال الأعداء جائز حسن، فلا تذموا شرعنا لأجله، وأما أن تعترونا بأنه غير جائز وقبح فيلزم التقتضى والمسمه والخروج من شريعة المسيح، فأنتم على أهل السائر: «أعور بأي عينية شاء».

(1) أنجيل متي: 10: 34 - 36
كان قالوا: «إنا نقتصر بالقتل لأنفسنا، ونتمتع معن يريد به
ظلمنا، قلنا: ومن شرع لكم، أن تنتهفو معن ظلمكم، أو تتصرفا
لأنفسكم؟ بل قد حكيتم في أنجيلكم أنه قال لكم: "أحسنوا أعداؤكم
وأكرموا من أبناءكم، فإن لم تحفظوا إلا أخوانكم، فما أجرؤكم
على ذلك".»

وهذا نص على أنه ينبغي لكم أن تستسلموا عن قاتلكم، ولا تتصرفا
معن ظلمكم، فإن لم تخطوا ذلك فقد تركتم شرعمكم، واستهتنتم بسنة
نبيكم، ثم يلزمك على ذلك: أن تعترفوا بأن شرعمكم نافض إذا قد
بين لكم نبيكم، بعض المصالح، وترك بعضها، وهو القتال، الذي
استدركتوه بنظركم من حيث كان ضروريًا ومحتجاجا عليه، وتعترفوا
بكمال الشرع الذي جاء بالقتل، الذي هو شرعاً.

وعند هذا يتبين نساد قولهم: "إن الحكم حكمان، لا ثالث لهما،
وينسب عليهم علينا القصاص، وذلك أنهم يزعمون: أن حكم التوراة:
يقضي القصاص، وحكم الأنجيل: يقضي العفو، ثم زعم ذلك
الأجلال أن لا حكم ثالث، ولم يشر بثالث متوسط، هو أصلهما
وأنهما، وهو الحكم القرآني، حيث قال الله العظيم: "وإن عاقبتكم
فعاقبوا مثل ما عوقبتم به، ولثن صبرتم له خير للصابرين" (1)
وقال: "ولأن صبر وغيفر أن ذلك من عزم الأمور" (2) وتقال تعالى:
"ولن انصر بعد ظلهم فأولئك ما عليهم من سبيل" (3).

ثم العجب من هؤلاء الجهال، كيف يذمون شرعيتنا، ويذبونها
من حيث أنها تضمنت القصاص، ويعمرون بشريعة موسى، وقد صرحت
بالقصاص؟ فيلزمهم على قولهم: أن يكذبو بشريعة موسى ويدمونها
من ذلك الوجه.

ثم أعجب من ذلك كله: مدحهم شريعتهم من حيث كانت همادية
على العفو والسماح، ثم مع ذلك أُبوا أن يجوزوا عفو الله تعالى عن
"آدم"، حين آل من الشجرة، حتى قالوا: "إن جميع بنى آدم

(1) النحل: 136
(2) الشعرى: 42
(3) الشعرى: 41
كانوا مرتمين بمعصية أبيهم حتى فداهم "المسيح" بنفسه. ولم يتصور عنهم عفو الله، حتى انتقم من "الله" مثله. تعالى الله، وتقدس عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

فعلى هذا نقول لهم: لا يخلو العفو من أن يكون هو الأولي مطلقاً، أو الانتقام هو الأفضل، أو الحالة الثالثة، فإن كان العفو هو الأولي، فلم يعف الله تعالى عن "آدم" من غير أن يعاقبه ونينه على ما زعمت؟ وإن كان الانتقام هو الأولي، فلم ينتقم من "آدم" ونينه مطلقاً؟ فلم يبق على هذا إلا أن الأولى: هو الحالة الثالثة، وهو الانتقام في حال من مستحقه، والعفو في حال أخرى عن مستحق العقاب تفضلاً وتكراً، حسب ما يريد الباري تعالى.

وعلى هذا النهج السديد، والامر الرشيد جاءت شريعتنا، فهي كاملة متممة، والحمد لله، ثم إذا كان العفو هو الأولي والأفضل، ونهج شريعتنا، فلا يعنى تتركون شريعتنا الأولى؟

فقد اعترفتم بأسنتكم، وتناقضتم بأفعالكم، وكم لكم منها وكمل.

وأما اعتراضه على شرعنا بتحليل نكاح الكثير من النساء، فذلك.

هالتي ينبغي أن يذكره أحد من العقلاء. فأنه من مجوزات العقوب.

وقد ورد بذلك الشرع الصادق المنقول. ثم قد ورد عن جماعة من الرسل. وقد جاءت بذلك الكلب. لم يجيء في التوراة أن "ابراهيم" كانت له "سارة" و"هاجر" وكذلك ورد فيها: أن يعقوب جميع بين أختين "ليئة" و"راحل". وقد تثبت أيضاً: أن سليمان كانت له حائل امرأة، أو نسمة وتسعون. بل قد روى في الإسرائيليات: أنه كان له ثلاث حائل امرأة حرة، وسبع حائل سريّة(1).

فإن كذبتكم شرعنا لأجل أنه أنشأ على جواز نكاح نساء كثيرة، فلتكذبوا بنبوطة "ابراهيم" و"يعقوب" و"سليمان". ولافرق بين نبينا وبين هؤلاء الأنبياء في: أن كل واحد منهم رسول الله يبلغ.

(1) الأصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول.
حكم الله، فما لكم تتكرون ما بعثه تعالى فتواترون، وتدخرون عين ما تصدقون.
فلعل المعتوه، الذي لا يعرف ماهية يقوم.

ثم لا ينكر عاقل حكمة الله تعالى في شرعية كثرة النساء إذ مقصوده بذلك: إنما هو تكثير النسل، وعمراد الدنيا بالخزائين، ليكثر الصالحين، لآراد الله بهم من الكرامة، وليكث الطالحين، لآراد الله بهم من الشقاوة والتعذيب، ولتنفذ على خلقه أحكامه، وتجرى عليهم أقداره "لا يستقل عما يفعل، وهم يستلون"(1).

وأما اعتراضه بالطلاق، ورد المطالبات. فقد تقدم ذكره على أوضاع المقالات، وأشغينا في الجواب على أحسن الاعتبار، فلينظره من أرادوه في باب النبوت.

وأما اعتراضهم على اعتقادنا: أن الله يهدى من بشاء، ويضلل من يشاء، فقد قدمنا فيه قولًا كافيا، ولننا مع ذلك نؤيه أيضا.

فنقول:
قد قام الدليل القطع، والبرهان الصادع: على أن الله تعالى حنرده بخلق الموجودات، وتميز لكل الحادثات، لا يخرج عن قدرته ممكل، ولا يذبح عن أرادته حادث، والهدى والضلال من الحوادث، فاختلف هما مستندان إليه، وموجودان برازته، وتحقيق هذا البرهان:
يرفع في موسعه.

ثم نقول: لا ينكر عاقل أن الهدى والضلال، وما في منتهاه أمور محددة، وأفعال موجودة، بعد أن لم تكن، وكل فعل محدث فلا بد له من فعل محدث بالضرورة، ساقط الهدى والضلال، وظلالهما، أما أن يكون الله سبحانه، أو غيره، فالهدى والضلال لاستحالة وجود خلفين، ويلزم منه: امتثال الظليم، كما قدمنا حين ذكرنا، دلالة التناقض، فلم يبق إلا أن يكون الفاعل هو الله تعالى، إذ لا خلق إلا هو، ولا جدع سواه.

ثم نقول للنصاري: صلب المسيح وقتله، أما أن يكون ضلالا.
وأما أن يكون هدى، وحال أن يكون هدي، فانتم تكرون من فعل ذلك،

(1) الأنبياء: 42
وتضللونهم، ولأجل ذلك الفعل حاقد الفضب، وحانت اللعنة على اليهود، برعمكم، فلن يبق إلا أن يكون ضلالاء.

وأذا كان كذلك فقد لزمكم أن الله فعل الضلال، فانكم قد سرحتم بأن الله إما فعل ذلك لأجل خطيئة «آدم»، ولم يرد الله أن ينتقم من «آدم»، ولا من أحد من ولده. وإنما أراد أن ينتقم من «الله» مثله. فقد سرحتم ونصمتتم: أن الله تعالى أراد الضلال وفعله على أبضحا ما شمع، وأشنع ما به يتحدث. ثم أننا لا ندرى ما يكون التعجب أكثر؟ أن كان من ذهب عقولكم، أو من جهلكم بكبتكم.

فأما نقص عقولكم فانكم تقولون أقوالاً تنتمقون فيها، ولا تشعرون، وتلتزمون ضروبًا من المقالات، وتبتكونن أمهاراً جائزة.

كما قدمنا آنفاً، ولم نقل نبين ذلك من أول كلمة من هذا الكتاب إلى آخره.

وأما جهلكم بكبتكم، فقد جاء في كتابكم نصاً، هذا المعنى الذي أنكرتموه علينا، وذلك أن عيسى قال حين دنا أجله: «يا أبنائي! أنكم قادر على جميع الأشياء فرح على هذا الكأس. ولكن ليست أسألك أن تفعل مشيئتي» (أ) وهذا نص على أن الله على كل شيء قادر، وأنه يفعل ما يريد، وأنه أراد صلب «المسيح» برعمكم.

وكان ضلالاً لليهود بلا شك.

فما لكم تخبطون؟ وعن كتبكم تعرضون؟ بل أنتم عن عقولكم مصرون، وفي ورطة الجهل مربكون. وفي بحوجة الضلال عمون.

فلقد صدق الذي قال: اليهود معضوب عليهم، والنصارى ضلال.

والكلام على الهدى والضلال، والطبع والمدين، يستدعي تطويلاً، وشرحاً وتفصيلاً، ومن طله وجدوده إذا ساعدته التحقق، ورافته التوفيقي.

وقد حصل غرضنا من مقالة هؤلاء، وافحامهم. والحمد لله.

وأما قوله، ودعواه: أنا وصينا البارى تعالى بالجوز والقساوة، والظلم، فعلى المثل السائر: «رمتى بياها، وانسلت».

(1) الإنجيل متي: 31: ۳۹
أما نحن فنفرز الله تعالى عن كل ما ذكر، ولا نقول يقول يؤدي إلى ذلك. وكيف يصح في حقه تعالى الظلم، والجور، وهو أننا يُصرف في ملكه، وملكه(1)، وخلقه، ولا يجب عليه أحد من خلقه حق بل هو مستحق بكل ما يفعل، وإنما يتصور الظلم والجور في حق من تصرف في ملك غيره، أو عدل عن فعل ما يجب عليه. وهذا كله في حق الله تعالى محال.

وإذنا يلزم وصفه بالظلم والجور والقسوة فمن قال: إن «آدم» عصاه، ثم جعل ذنبه على جميع ولده، ثم لم يقنع بشيء من دمائهم، بل ولا من دمائهم كله، حتى أنتم من «الله» مثله، وأجري دمه على خشبة الصليب. فهذا ظلم من حيث حمل الذنب من لم يفعله، وجور من حيث قتل الآله، لأجل لقمة من شجرة، أكلها غيره وقسوة من حيث قتل ولده وحبيبه، في عهد العاصي عندكم. ولم يغفر نعوذ بالله من هذه الفتن، ومن التزام هذه الفضائح، ويبقى جهالات الجهل، بحل ممتنع العقال.

على أن كلام هؤلاء القوم، لا يستحق أن يسمع، إذ ليس لهم في العقول مطمع، ولكن فساد كلامهم، يحار النصير الناظر في هذين، فيظل متجوباً، وينعش ممثلاً.

تفرقت الظباء على خراش فلاد يرى خراش ما يصيد، وأنا أفكر الاستغفار من حكايته كلامهم، وأسأل النفع باظهار فساد جرامهم، ومع ذلك فقد أصبنا منهم غرضاً وصادفنا منهم مقتلاً، ولثن زادوا، زدنا، وإن عادوا، عدنا.

أن عادت العقرب عدنا لها، وكانت النعل لها حاضرة.

*****

وينبغي أن نختم الكتاب بدعاء متأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعل الواقف على كتابي هذا، يؤمن عند خاتمه، وعسي الله أن يشركون في صالح دعوته.

(1) «ملكه»: الأولى بكسر اليمين، والثانية بضمها.
فلقول : « اللهم اقسم لنا من خشيتك ، ما تحول بيننا ، و بين
مصاصيك . ومن طاعتك ما تبلغنا به جدتك . ومن اليقين ما تهون به علمنا
مصاصي الدنيا . ومتعا بسامعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحبيتنا . واجتهادنا
الوارث منا . واجعل تأثرنا على من ظلمنا . وانصرنا على من عادنا .
ولا تجعل مصيبتنا في الدنيا . ولا تجعل الدنيا أكبر همنا . ولا يبلغ علمنا . ولا تسلط علينا من لا يرحمنا » آمين . آمين .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمد سيد المرسلين ،
وسلام عليه ، وعليه في العالمين ، وعلى صحبه أجمعين ، وعلى التابعين
لهم باحسن إلى يوم الدين .

* * *

نزج الكتاب المبارك بحمد الله وعونه ، وحسن توفيقه على يد
العبد الفقير ، إلى الله تعالى : على بن محمد بن عابيه . الفيومي نسبا
والشاقي مذهب . حمدا لله ، ومصليا ، وسلاما ، على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وعلى جميع الأنباء والمرسلين ، في سابع عشرين
شهر ربيع أول سنة تسع وسبعين وثمانية مائة .

* * *

قال في أصل النسخة : وكان القراغ منه ضحوة سادس شهرين
سبعين سنة ست وعشرين وسبع عائدة بدمشق المروية ، والحمد لله
رب العالمين .

* * *

تم الجزء الرابع من كتاب « الأعلام » بما في ذين الفصام من الفساد
والأوهام ، وانتشار محسن دين الإسلام ، وثبت نبوءة نبينا محمد عليه
الصحبة والسلام » ويتناهجه تم الكتاب كله ، بعون الله . وكان القراغ من
تحقيقه وتفريقه عليه والتقييم له في يوم الاسبوع من شهر شوال
سنة ثمان وتسعمائة وثمانية وثلاثمائة وفائف من الهجرة الوافق الثالث والعشرين من
شهر سبتمبر سنة آلف وتسعمائة وثمانون وسبعين من البلاد . في مدينة القاهرة .
طقع

في تقديمنا لهذا الكتاب تحدثنا في مبحثين اثنين هما 1- الأفانيم 2- والمسا المنتظر - يفتح الميم وكسر السين وتشديد الياء مفتوحة - ومع كتابتهما كتبنا ثالثاً عن "مبادئ النصرانية" ورأيت أن أضمه في نهاية الكتاب كملحق لأن فهمه يتسرع على القاريء أو السامع إذا لم يقوم قنله المبطن وكتاب "الأعلام" هذا، أو كتبنا فيها ما يساعد على ألفهم 3- وعلى الله قدس السبيل (1)

د- أحمد حجازي السقا

(1) النحل : 9
المبحث الثالث

مبادئ النصرانية

أي سفر من أسفار الكتب المقدسة عند النصارى يمكن أن تظهر لنا منه بوضوح مبادئ النصرانية؟

ليس غير سفر أعمال الرسل، المسما باللغة اليونانية: "الأبركسيس" فان هذا السفر الموضوع بعد الأناجيل الأربعة لا يحكي فقط عن نمو الجماعة النصرانية الأولى، بل يحكي للناس جميعاً كيف اتفق بطرس وبولس ويعقوب ومن ناحيا نوحهم فيما ذهبوا إليه على تغيير دعوة المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام - الأصلية. وقبل أن نبين ما اتفقوا عليه نقول أولاً: "لذا اتفقوا على ما ذهبوا إليه"؟ هل "حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق"؟ (أ)

كما في القرآن الكريم.


(1) البغرة: 109
(2) انظر الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية، وسفر التثنية من

الاضرار الخمسة.
في النهاية، يعلم أنه سيكون ناسخاً لشريعة موسى عليه السلام، فإن من أوصافه: «لم تسكن في كل ما يتلكمه»، لقد اتفقوا على استبدال النبي بنبي، تحدث عنه نبوءات التوراة، وهو: «محمد» صلى الله عليه وسلم بنبي لم يرد له ذكر في أي سفر وهو: «عيسى» عليه السلام. وفي سبيل ذلك لا بد من أن يتفادوا آمرين اثنين لأثاث لهما: الأول: النبوءات التي تحدث عن محمد صلى الله عليه وسلم، والثاني: الشريعة التي سببها النبي المتحرر الناس عن أمر الله عز وجل، مناسبة للزمان الذي سيظهر فيه. لماذا قالوا لنفادي هذين الأمرين؟

قالوا: أن النبوءات يجب أن تطبق على عيسى عليه السلام. وقالوا: تعمل شريعة جديدة فيها من تعاليم موسى وفيها من تعاليم الرومانيين، ومنسوبة إلى عيسى عليه السلام، وكيف ينسيونا اليهودية وقد رفع إلى السماء وهو لا يعلم عنها شيئًا؟ هذا أشكال اعتراضهم. ولكنهم تفادوه أيضاً بزعمهم: أن عيسى عليه السلام نزل من السماء بعد سبعم من رفعة إليه وقابل «بولس» وهو منطلق إلى مدينة دمشق في رؤية وقيل له: يا بولس أطلق باذنى وأمر بدعوتى إلى 1 - إسرائيل، وبني إسرائيل. ونسوا أن يبينوا ما هي الدعوة الجديدة التي لقتها عيسى ليبولس، ما بيننا قبل أن يظهر من رسائل بولس أنه يدعو بدعوة من تلقاء نفسه، ويشرع لنفسه ما استحمسه من تلقاء نفسه، وينصوص تلامية بهما يصبح المدة والبطين، وخلاصية دعوته في هذه العبارة: «الدعوة التي دعي فيها كل واحد، فليثبت فيها» (1 كور 7: 20). أما إذا دعي اليهود إلى النصارى، قبل الدعوة فليعمل بحسب شريعته التي دمج عليها، وهي شريعة موسى، وأذا دعا اليونان إلى النصارى، قبل الدعوة فليعمل بحسب قوانين بلاده التي تحكم المواطنين وبحسب العادات والتقاليد. التي دمج عليها، وهكذا يكون اسم النصارى كمظلة على رؤوس الكل، والناس أحراز في أعمالهم تحت الجهلة. فهذا على سبيل الأذن، «أتول نغبر المتزوجين والأزراخ: إنه حسن لهم إذا أبلغوا كما أنها. ولكن لا يضطروا أنفسهم يزوجوا، لأن الزوج أصلح من الطرق، وأما المتزوجون فأوصيهم لا أن يزوجوا، بلCOLOR: #686868; الرب: أن لا تفارق المرأة وجلها، وأن تلقيه فلثبت غير متزوجة أو لتصبح وجلها.
ولا يترك الرجل امرأته، وأما الباباون فقول لهم أنا لا بزر:

إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترضي أن تستكن معا، فلا

يتركها، 1212 الخ" (كورنثوس الأولى: 7).

ومن نصائحه لتيماًوس في رسالته الأولى إليه: "لا تكن في

ما بعد شرب ماء، بل استعمل خمرا قليلا من أجل معدنك وأستالةك

الكثيرة" (تيمو 0: 23).

********

وليلاحظ ما نبديه الآن وهو:

أن دعوة موسى عليه السلام في أصلها كانت لبني إسرائيل،
ومعاصريهم من الأمم، فإن موسى طلب من فرعون الإيمان بايث الله
المالكين، وعدم العلوي عليه، وموسى حث بني إسرائيل بعد الخروج
من مصر على فتح البلاد لنشال الإيمان والعمل بالشريعة وبينهم أن
الجنت تتح خلل السيف، كما بين نبي الإسلام وعيسى عليه السلام
بالالتزام الصادقين، ففي القرآن الكريم يقول الله عز وجل: "أن الله
الشريون أنفسهم ومواهبهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل
الله، فيقتلون ويفتلون، وعذابه حقا في الثورة والانجيل والقرآن"
(التوبة: 111)

وأن دعوة موسى - عليه السلام - حرفها "عزا" في مدينة
بابل من بعد سنة 586 ق. م ومن التحريف الذي آتى فيها.

أن تكون دعوة موسى - عليه السلام - لبني إسرائيل من دون الناس،
ولما ظهر عيسى عليه السلام وبلغ علماء بني إسرائيل على تقصيرهم
في دعوة الأمم في قوله: "ويل لكم أيها الناموسيون. لأنكم أخذتم
مفتاح المعرفة، ما دخلتم أنتم، والداخلون منعمتهم" (لو 11: 52).

ثم قال لتمامه:

1 - انطلقوا أولا بالضرورة إلى بني إسرائيل بالدعوة.

2 - ثم ثانيا بعد أن علم وفهم جميع بنى إسرائيل انطلعوا

إلى الأمم.

قال معا عن الأمر الأول والثاني: "هؤلاء الألفان عشر أرسلهم
يسوع وأوصهم قلنا: ألي طريق لهم لا تمضوا إلى مدينة
للساحرين لا تدخنوا • بل اذهبوا بالحرا إلى خرافة بيت إسرائيل.
الضالة • وفيما آتنهم ذاهبون اكرزوا قائلين : إنه قد اقترب ملكوت
السعود (حتى 10 : 5 - 7).)
وقال هذى عن الأمر الأول والثاني : إن إمارة من نساء الكمانيين،
أهل فلسطين ، طلبت من المسيح أن يشيخها بابتها من الجنون • فلم
يمكنها بكلمة تلهمها وطلبوا إليه قائلين : أسرفها • لأنها تصرف
وراعها • فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلي خرافة بيت إسرائيل الضالة •
فأت وسجده لها • أي أعطته النحية • قائلة : يا سيد • أعني • فأجابه
وقال : ليس حسن أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب • فقالت :
نعم يا سيد • والكلاب أيضا تأكل من الفئتات الذي يسقط من مائدة
أربابها • حينئذ أجاب يسوع • وقال لها : يا إمارة • عظيم إيمانك •
ليكن لك كما تريدين • فشفيتها بابتها من تلك الساعة (حتى 15 : 21 -
28) باستثناء شبعه الأم بالكلاب في هذا النص وستبعد أن يحدث
هذا الشبيه من المسيح صاحب الحق الريف - فإنه نص في دعوة
الأم بعد ما يفهم الدعوة بنو إسرائيل الذين يشبهون الخراف الضالة.
في فناء من الأرض بسبب التواء علماء بنى إسرائيل في تعليهم •
وقال هذى عن الأمر الثاني : إن المسيح بعدما رفع إلى السماء ، نزل
ثانية إلى الأرض وكتبهم قائلًا : اذهبوا وتعلموا جميع الأمم •
(حتى 28 : 19).)
وانطلاق التلاميذ إلى الأمم - حسب كلام المسيح نفسه - على
النحو التالي :
1 - أن تؤمن الأمم بالله الواحد ، المنصف بكل كمال وحنينه عن
كل نقص ، الذي لا يرى ولا يقدر أحد أن يراه وليس كمثله شيء •
كما نص كتاب موسى عليه السلام •
2 - أن تعمل الأمم بشريعة موسى عليه السلام •
3 - أن يعلموا أن نبيا من العرب سيظهر ليسنج شريعة موسى •
هو محمد صلى الله عليه وسلم •
4 - وعلى الأمم اذًا ظهر هذا النبي العربي أن يتركوا العمل •
بشريعة موسى وأن يعطوا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم •
ولكن بطرس وبولس ويعقوب وأتباعهم غيروا كلام المسيح نفسه.

وجعلوا النصرانية دينا عاملا لا على كلام المسيح السابق ذكره بل على أن عيسى هو كان النبي المتنتظر، وما عرفوا أنه هو إلا بعد قتله وصلبه كما يزعمون، وعلى أن الأنجيل شريعة يجب التفاصيل على أحكامها.

وعلى أن عيسى خاتم النبيين ولا نبي من بعده إلى يوم القيامة.

وفي خلاف مما قدمنا على ذي بصرية أنهم اتفقوا لكرههم للعرب إبناء اسماعيل عليه السلام أن يخضعوا لأحكامهم، وأن لا يكون لهم فضل في دولتهم، ولا لما إذا تتفادوا مجيء النبي الآتى منهم من قبل مجيئه، وطبقوا النبوءات على واحد من بني إسرائيل؟ لقد فكر اليهود في عالمية الدعوة ثانى في شكل النصرانية ليكسبوا أتباعاً جددًا يقاومون بيهم العرب إذا ظهر النبي منهم وانضم حوله أتباعاً من كل جنس، ولأنهم يخزون إذا رجعوا إلى الأصل، يظهر منهم من نظام والاستثناء للنبيون وعملوا العالمية في شخصه لأنه منهم وأتباعه بالضرورة سيكونون اليهود بعضهم أولياء بعض" (المائدة: 51) لأن الأنبياء مبنية على كتاب التوراة وأسفار الأنبياء.

ولنبيين الأمرين هنا فقول:

أولا - النبويات:

يحكى هذا السفر أن بطرس تلمذ عيسى عليه السلام الذي لا يصح بعدم دخول أورشليم خوفا عليه من اليهود « اللنت وقان لبطرس»: اذهب على ياء شيطان، أنت مغلوبة على الله، لأنه لا تهتم بما الله، لكن بما الناس» (متى 16: 23) بطرس هذا هو أول من خلفه في النصارى وكان عدتهم يوهمون نحو مئة وعشرين، مبينا أن نبويات التوراة وأسفار الأنبياء يجب أن تطبق على عيسى عليه السلام حتى لا ينتظر الناس نبياً من بعده سواء كان آتيناً من اليهود، كما يدعي اليهود أو كان آتياً من بني اسماعيل كما يقول العرب وعيسى ابن مريم نفسه (أعمال 1: 20).

وفي الخطبة الثانية لبطرس وهي في الإصلاح الثاني من هذا السفر يقول اليهود بأن داود عليه السلام قال في سفر الزبور عن النبي المتنتظر: " أن الله سيضع أعداءه تحت قدميه، ونحن نعلم أن
عيسى لم يضع أعداءه تحت قدميه فكيف نطبق هذه النبوءة عليه؟ قال بطرس: لنقل إن عيسى لم يعتن باجتهاداً، لنقل إنه كان يرحل لم يرد، وله سوء يرفع لمحارب أعداءه وينصر عليهم ويعوزهم تحت قدميه، والدليل على أنه هو، إنه لم يقل ووضع في القبر رجفت على الروح، وانتصر على الموت وصعد إلى السماوات العلي ومن كان شاهدًا لهذا فلا يشتبه منه الرجوع ثانية إلى الدنيا ليدين الأحياء والأموات.
وأما مزال النصارى إلى اليوم يعتقدون في نزول المسيح لنتصار على أعدائه، ويعوزون أنه في غياب الملك له سيشوع كما كان ملك داوود وسلمان عليه السلام في الزمان القديم، لقد عقدت مقاربة بين داوود وعيسى في أمينين اثنين هما 1 - الملك 2 - والموت فقال: كان داوود ملكاً ومائتا وقبر موتاه تنبأ عن عيسى الذي سيكون ملكاً قبل موتنا على عيسى وحيث أن عيسى مات من قبل أن يكون ملكاً إذن هو في غيابه وسيشوع حسب تنبؤ داوود نفسه. ولقد كتب بطرس والحاكى عن بطرس بشيدة المسيح نفسه. ذلك لأن بطرس استدل بقول داوود عن النبي المنتظر: قال الرب لرببي: أجلس عن عيسى عليه السلام، مم إن عيسى عليه السلام. كما سبق أن يقال: إن الذي يشير إليه داوود ليس من اليهود عموما التي لم يعرفه عليه السلام. والابن لا يكون سيدا لأبيه. وفي هذه الخطبة جهر بطرس بأن عيسى عليه السلام ريا وسيا من قبل أن يصير نبلاً. ومن كلام بطرس في هذه الخطبة: أيا. الرجال الباخة يسوع أن يقال لمن جهار عنه رئيي الآباء. داوود: أنه مات ودفن وقتبره عندنا حتى هذا اليوم. فإذا كان نبياً وعلم أن الله حلف له بقسم: أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه، سبق قرأ وتكلم عن قيامة المسيح: أنه لم تتترك نفسه في النهاية ولا رأى حسنده فساداً. في سيزوع بعد هذا آلهة الله ونحن جميعاً نشهد لذلك، وإذا ارتفع بعين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سكت هذا الذي في خروجه وموعدنا، وإن داوود لم يصعد إلى السموات وهو نفسه يقول: قال الرب لرببي: أجلس عن عيسى حتى أضع آدمإك جزءاً للدريك، فليعلم نحن جميعاً على أسرائل: إن الله جعل يسوع هذا الذي صلبه فهو أنت وربنا وسيدنا. (30 - الإعلام)
وفِ النَّخْطِ التَّالِيَة لِبَطْرِس، وَهِيَ فِي الأَصَاحِب التَّالِيَة مِن سَفَرِ الأَعَامِلٍ، يُطَلِّق كَلَامٌ مُوسِي فِي الأَسْفَار الْخَصِّيْة عَن نَبِيِّ اللَّهِ عَلَيْهِ حَمَالَةُ الدُّنْيَا، وَيَسَّرِيعُ لِمُكَلِّفِ عَلَيْهِمْ عَلَى الْعَالَمِ وَيُوْسَعُ مُكَلِّفُ أَنْ تَتَقَرْضَ أَبْدَا، وَلَوْ أَقَدْ أَلْوَجَ مُوسِي وَقَدْ أَلْوَجَ عَلَى مَثَالِهِ لَمْ يَلْوَجَ الْمَيْسِحُ، وَلَقَدْ كَذَّبَ بَطْرِسُ وَالْخَلاَكِ عِنْ بَطْرِسَ فَانُمَوْسِي لَمْ يَكُنْ عَلَى مَثَالِهِ قَالَ أَيْضًا: "لَا بُكُونُ مُثَالٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلِ" فَكِيْفَ يَكُونُ المَلَائِمُ مُوسِي الْمَيْسِحُ مُثَالِهِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلِ؟ وَمِنَ كَلَامِ بَطْرِسِ فِي هَذِهِ النَّخْطَةِ: "وَأَنَّهَا أَيْضًا الْخَلَائِفَةُ أَنَّ أَنْغَلُ أَنْكِمْ بِجَهَالَةِ عَلَمَتُكُمْ كَمَا رَتِّسَاكُمْ أَيْضًا، وَأَنَا اللَّهُ فَما سَبِقْ وَلَا يَنْتَغَى جَمِيعُ أَنْبِينَا: أَنْ يَتَأَمَّلُ النَّيْسَامُ تَتَمَّمُّ هَذَا فَتَنْبُعُ وَيُرِدْنَا لِتُحْمَى خَطَّائُكُمْ لَكِي تَتَأَمَّلُوا أَوْقَاتُ الْفَرْجِ مِنَ الْحَيَاةِ وَيُبَسِّرُنَا إِلَى الْأَلْهَمِ رَدْ كُلٌّ مِّنْهُمْ نَأْتَى إِلَيْهِ عَلَى عِبَادَتِهِ، فَنُؤْمِرُهُمْ بِغَمَّةِ الْأَنْبِياءِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ، فَنُؤْمِرُهُمْ بِغَمَّةِ الْأَنْبِياءِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ بِيَوْمِ الْخُلْقِ مِنَ الْبَيْنِيَّةِ B

**

لقد تصف بطرس في تأويل النبوءات تفسفا مقوتنا خرج به من الواقع الحقيقي، فمن ذا الذي يصدق أن عيسى بعد قتله دخل النار ثم خرج من النار حيا ليجلس في السماء؟ مؤخر القرن الأول للميلاد كتبوا أن عيسى لم يقتل ولم يصلب؟ لقد تصف بطرس ليطبق النبوءات على عيسى، غير مبال بالحقائق التاريخية ثابتة، وغير مبال بالأوصاف التي تدل على النبي المتظهر من نص النبوءات، وغير مبال بسياق العبارات التي يربط النبوءة بما قبلها وما بعدها من التأابير، وأيضاً غير مبال بالمحكم والمشابه في نصوص التوراة والإنجيل، ولكي يبرز النصارد خلقه للمعلم علجه وتنافسه: أدعو أن كان من العوام الأعيان غير الدارسين، وأنه ما قال إلا بالهام من الروح القدس.
غنى سفر الأعمال: "فلما رأوا ماجهارة بطرس ويوحننا وجدوا أنهم أنسانان عديما السلام، وعانيان تعجباً، فعرفوها أنهما كانا مع يسوع" (أع 4:13).

وفي الخطبة الرابعة لبطرس وهي في الأصحاح الرابع من سفر الأعمال يعمد إلى تطبيق نبأ فلاية داوود عليه السلام عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، يعمد إلى تطبيقه على عيسى عليه السلام متجاهلاً أن عيسى نفسه، كما روى متى، لم يطبقه على نفسه بل طبقه على نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم.

يحكي الكتاب أن بطرس شيخ رجلاً أرعج، ولا استمعه رؤساء اليهود ليسالوه: "أتي قوة ورأى اسم صنع هذا؟" قال لهم: يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل: "أننا نفهم اليوم من أحسان إلى أحسان سقيماً، بماذا شفي هذا؟ فليكن معلماً عن جميع من شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبته أنتم الذي أقامه الله من الأموات، بذلك وقف هذا أمامكم صحيحًا، هذا هو الحجَّ الذي احتترموه أيها البناؤون الذي صار رأس الزاوية" (1).

انظر: لقد قال لهم عيسى ابن مريم: "هو الحجر" فما قصة هذا الحجر؟

***

تبدأ قصة من النبي داوود عليه السلام فقد نطق نبأء عن النبي المنتظر المتألق لموسى عليه السلام في المزور المثل والثامن عشر بين فيها أن النبي المنتظر سيتألم من أعراض الناس عند دعواه ولكن الله لن يسلمه إلى أيدي أعدائه ليقتله، وأن هذا النبي سيرفضه اليهود لأنه من غير جنسهم، أنه من نسل المصري هاجر حارمة إبراهيم عليه السلام، ونسلها لا تقنية له في نظر اليهود كالحجر الذي يرفض البنايون وضعه في البئاء. "أن هذا النبي سيكون مباركًا من قبل الله" ومن عبارات داوود: 1 - الاحترام بالرب خير من التوكل على أنسان، 2 - الاختفاء بالرب خير من التوكل على الرؤساء، 3 - كل الأمر نخاطر به، 4 - باسم الربي أبديهم، 5 - انظر أيضا الرسالة الأولى لبطرس: الأصحاح الثاني.
أحاطوا بي مثل النحل انطفأوا كثار الشوك باسم الرب أبيهم

۲ - افتحوا لى أبواب الرب أدخل فيها وأحمد الرب هذا الباب للرب الصديقون يدخلون فيه أحمدل أنك استجبت لي وصرت لي خلاصا الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا ۳ - مبارك الآتي باسم الزرب.

وفي أنجيل متي ولوحا نجد عيسى ابن مريم عليه السلام يقول لمعلمه بنى إسرائيل: أن هذا النبي الذي يتحدث عنه داود سيأتي من بعد وسياسته الملك منكم والشريعة وليا أتغطوا منه لذلك وآراؤوا قلته خافوا من ثورة العامة عليهم لأنهم كانوا يحبون المسيح قال المسيح: انكم يا بنى إسرائيل كمال في حقل أشتملك صاحبكم عليه ولما أرسل الرب ليحاسبيكم قتلت المرسلين وأهنتهم وما جزاء من يفعل ذلك الرب أنسحب منه الثروة إلى غيره ليقوم ذلك الغير بعمل وأداء الحق ولما قال ما مناه هذا قال له العلماء وقد فهموا مذنبا كلامه: حاشا أي لايحصل لنا ذلك فنظر اليم و قال: افن ما هو هذا الكتاب: الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية كل من يستقبل على ذلك الحجر يتعرض ومن سقط هو عليه يسحقه فطلب رؤساء الكهنة والكتبة أن يلقوا الآيادى عليه في تلك الساعة ولكنهم خافوا الشعب لأنهم عرفوا أنه قال مثل عليه.

(لوطا ۲۰، متي ۳۱، مريقس ۱۲)

لقد أشار بالكتب الى الزبور المثل والثامن عشر وطبقته حرفية على خبي الإسلاس صلى الله عليه وسلم وبين أنه لن يقتل كما قال داود الحديث الذي تصدوهما بالحرب أهلهم وإذا هم قد خرجوا في الحجر بل يثور في نفسه هو وإذا وقع الهجر على شيء آخر فيه أما الحجر نفسه فلا يتأثر ولم يكن بهذه القصيدة عيسى عليه السلام.

وفي أنجيل متي ولوحا أيضا نجد المسيح يقول: سيأتي من بعد في رأى قال عليه داود: مبارك الآتي باسم الرب قال المسيح لمللهم بنى إسرائيل: هو هذا بينكم أي هيكل سليمان في القدس يترك لكم خرابا والحق أقول لكم: انكم لا ترونى حتى يأتي وقت تقولون فيه مبارك الآتي باسم الرب (لوطا ۱۳، متي ۳۳).
لقد تجاهل بطرس هذا كله، ورغم أن المقصود من كلام داود عليه السلام هو عيسى عليه السلام، مخالفا بذلك كلام عيسى نفسه، وتمتد عليه النبوءة من الأوصاف.

ورجع بطرس إلى النصارى الذين كانوا قد بلغوا يومذا نحو حمسة آلاف ليثلو معهم نبوءة أخرى من نبوءات داود عليه نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، مفسرين لها تفسيرا لا تتره اللغة. هي نبوءة ابن الله التي هي أصل أقنون الابن عند النصارى، يقول داود عليه السلام في الزمر الثاني: لما أرتتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل، قام ملوك الأرض وتأمر الرؤساء مما على الرب وصبيحَها ان يهين فزع الأمم، لا أمة واحدة من النبي الآتى المختار لهم، وأن الأمم، لا أمة واحدة، سيقرون مما في مقاومة دعوته، وأن ملوك الأرض، لا ملك أرض واحدة، سيقومون متآوبين عليه لهلاكه، وانته بمناناته يقاومون الله الذي سيرسله ومن أجل ذلك أرب يستهزء بهم. كما يقول داود عليه السلام.

هذا هومعنى كلام داود بحسب اللغة، ولكن كتاب سفر الأعمال يروى التفسير هكذا: أيها السيد—خطابون الله—أنت هو الله ه نصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، القائل بضم داود فتلك لما أرتتحت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل، قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء مما على الرب وعلى مسيحيه لأنه بالحقيقة اجتمع على فنؤا القدوس يسعون الذي مسحته: هيرودس، وبيلاطس البنطي، مع أمم وشعوب إسرائيل، (أع 4: 24—36). يزيد أن يقول: أن هيرودس وبيلاطس والويليان على اليهود هما ملوك جميع الأرض، وما رؤساء دول العالم فهل هذا صحيح؟ ويريد أن يقول: إن شعب إسرائيل كله هو أمم العالم وشعوب العالم، فهل هذا صحيح؟ أي تفسير أشد التوات من هذا التفسير؟ ومع قوله هذا لم يسلم له انتصار النبي المنتظر. لأن نبوءة داود توضح أنه لن يقتل بيد أعدائه وقد مسروع بقتل عيسى عليه السلام الذين جعلوها هذين للنبوءات، ولا يسته.
وفي الخطة التي ألقاه بطرس في مدينة «قبرصية» أمام كريتيروس، وهي في الإصحاح القليل من سفر الأعمال، زعم أن النبي يحيي عليه السلام كان يبشر بمجيء عيسى عليه السلام ولم يكن يبشر بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم. قال يحيى عليه السلام:

"نأتي بعدد من هو أقوى مني: الذي لم يستاهل أن يحنى وأحل.

سيور حذائه، أنا عمدتم بكلمته، وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس" (مرقس 17: 1–7) ولم يكن عيسى من بعد له كان معه. ودعمه بنفس الدعوة التي دعا بها يوحنا المعمدان: النبي يحيى، دعوا مما كسب واحد: "اقترب ملكوت السماوات" (عثرا ٣: ٢٠ و٤: ١٧).

زعم بطرس أمام كريتيروس أن يسوع المسيح هو الذي قال عليه يوحنا: "نأتي بعدد من هو أقوى مني: الذي لم يكن أقوى من يوحنا، كان من الدعاء الفقراء، ولم يكونا من الملوك الآخرين. كانا من الأنبياء، ولم يكونا من الأنبياء الملوك كجاود وسليمان عليه السلام.

ففتح بطرس فاح: وقال: بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه، بل في كل آية الذي يتقيه ويتقدم البر المقبول علية، الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالمسيح يسوع المسيح، هذا هو رب الكل، إنتم تعلمون الأمر الذي صار في كل اليهودية مبتدئا من الجليل بعد العمودية التي كرز بها يوحنا، يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة، الذي جال يصنع خيرا ويشفي جميع المرضى عليهم أبيس، لله كأنه كان معه، ونحون شهود بكل ما فعل في كورة اليهودية وفي أورشليم، الذي أيضا قتلوا معلقين لياه على خشبة. هذا آتاهه الله في اليوم الثالث وأعطى أن يصير ظاهرا لجميع الشعب، بل لشهد سبق الله فإن خذوها جميع المتشابه عليهم أبيس، لله كأنه كان معه، ونحون الذين أكلنا وشرينا معه بعد قيامته من الأموات، وأوصانا أن نكرز للشعب ونشهد بأن هذا هو المعين من الله: ديانا للأحياء والأموات، له يشهد جميع الأنبياء: أن كل من يؤمن به نينال باسمه عفان الخطيئة." (أعمال 10: 33-34)

**

وقصد اتقى بولس أثر بطرس في تطييع النبوءات قسرا على المسيح ابن مريم عليه السلام. إذ أنه انطلق إلى بلاد العرب من
دمشق ثم رجع اليها ثم بعد ثلاث سنين صعد إلى «أورشليم» ليتعرف ببطرس، وحدث عنده خمسة عشر يَومًا وأيضاً يعقوب صديق بطرس وحواري المسيح ورأى أيضًا يوحنا وبرنابا (الغلاطية 1، 2) ووجع ليرد نفس الاعتقاد الذي صرح بهما ببطرس، لا يبردها في أورشليم وحدها، بل في كل مكان تطول قدمه. ففي مدينة «انطاكيه بيسيد» دخل مسجدا من مجامع اليهود كما في الأصحاح الثالث عشر من سفر الأعمال - وشرح نبوءة يوحنا المدعو كا شرحها بطرس، وشرح أيضا نبوءة الزمر العيني كما شرح بطرس. قال بولس: «أيها الرجال الإسرائيليون، الذين يتقون الله: أسمعوا الله. شعب إسرائيل هذا: اختار أبناءها ورفع الشمع في القرناء في الأرض مصر وبدع ما مرتقبة أخرىهم منها، ونحو هذه أربعين سنة احتفل عواقدهم في البرية، ثم أهللك سبع أمم في أرض كنعان وقسم لهم أرضهم بالقرعة. وبعد ذلك في نحو أربعين سنة وخمسين سنة أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبي. ومن ثم طلبتا ملكا فأعطاهم الله شاول ابن قيس، رجل من سبب بنجامين أربعين سنة، ثم عزله وأقام لهم داود بن يصع، الذي شهد له أيضاً. فقال: وجدت داود بن يصع، رجلا حسب كلمة الذي سيصنع كل شيء من نسل هذا حسب الوعد أقامت الله لإسرائيل مخلصا: يسوع. إذ سبق يوحنا فكره قبلا بعديرة النبوءة لجميع شعب إسرائيل ولما سار يوحنا يكمل سعيه جعل يقول: من تظنين أنني أنا؟ لست أنا يا إسحاق. لكن هو ذا يأتي. بعد الذي لست مستحبًا أن أحل خاء قدمهم (1).

أيها الرجال الأخوة بنى جنس إبراهيم، والذين بينكم يتقون الله، ليكم أرسلت كلمة هذا الخلاص، لأن الساكنين في أورشليم ورؤسائهم لم يعرفوا هذا.

وأقوال الأنبياء التي تقرأ كل سبت تموها، إذ حكموا عليها.

ومع أنهم لم يجدوا علة واحدة للموت طلبا من ببلاطس أن يقتلهم، إلا أنهم تمووا كل ما كتب عنه، أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبره، ولكن الله أقامته من الأموات، وظهر أياما كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم، الذين هم شهدوه عند الشعب.

(1) انظر أيضاً أول الأصحاح التاسع عشر من سفر الأعمال.
وإن نبشركم بالموعد الذي صار لأبائنا: أن الله قد أكمل هذا لنا، نحن أولادهم. إذ أقام يسوع كم هو مكتب أيضًا في المزور الثاني: أنني أبني، أنا اليوم ولدتُ الجح.

وفي مدينة دمشق أيضًا جهر بولس بأن يسوع المسيح هو ابن الله الذي تنبأ عنه داود عليه السلام في المزور الثاني، وأن يسوع المسيح هو المسيح متى كما قال بطرس، زعم بولس أنه رأى المسيح في رؤياً وأن المسيح زجره ووبخه على اضطهاده لأنبياءه، وصرح له بأن ينطق إلى الأمم بالإنجيل وأنه كما في الأصحاح المتاسن من سفر الأعمال جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله، فيث جمع الذين كانوا يسمعون، وقالوا: ليس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم، وقد جاء إلى هنا ليسوتمون مؤثرين إلى رؤساء الكهنة، وأما شاؤوا فكان يزداد قوة، ويجير اليهود الساكنين في دمشق محتقناً: أن هذا هو المسيح.

***

كان تلميذ من تلاميذ المسيح اسمه فيليبس من القرية التي منها بطرس، وهي بيت سيدنا قال لصديق له: وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس، والأنبياء: يسوع ابن يوسف، الذي من الناصريمة، فرد عليه يقوله: أن الناصريمة يمكن أن يكون شيء صالح، ثم قال للمسيح: يا معلم أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل. (يوحنا 1: 44 - 49) ففيليبس في محاولة جري رجل صديقه إلى الإيمان بدعوة المسيح زعم أن المسيح هو الذي تحدث عن الأساطير الخمسة وأسفار الأنبياء الذين ظروا من بعد موسى، مع أن الأساطير الخمسة وأسفار الأنبياء لا تشير بكلمة واحدة إلى يسوع المسيح لأنه من بنى إسرائيل، ومستبعد من أنبياء بنى إسرائيل نسخ شريعة موسى، فلماذا يبنه الله على مجيء نبي من بنى إسرائيل؟ أن التنبية لا زمل على من يحق له نسخ شريعة موسى، لأنها كلام الله في الأصل ولا يترك كلام الله الذي نشأ عليه أجيال إلى من سيقول أن معى كلام الله المناسب لزماننا هذا بسهولة، لأن التصريح بنسخ شريعة ليس بالأمر الهين، خاصة وأن الشريعة المنسوبة لليهود وأن الناصري ليس منهم، بل من جنس آخر هم العرب أبناء النبي اسماعيل عليه السلام. وصديقه يؤمن على
أساس أن المسيح هو ابن الله الذي أشار إليه داود بظهور الغيب، ويبين في وصفاته أنه سيكون رئيسًا للعالم، أي ملكًا، والسيح لم يكن رضيًا ولا ملكًا فقد قال: «أعطوا ملكي لميصر، ومليدهي».
وألم يجمع كتب الأنجيل في هذا الخطأ وحده، وإنما وقع في خطا آخر وهو قوله: «وجدها الذي كتب عنه موسى في التوراة، وليس وهو تارك للنساء، وليس هو تارك لأسفار الأنباء. وكيف يترك كتبنا نسيت لأصحابه من بعد موتهم، وأصحابه ظروا من بعده بسنين؟

يحكى لوطنا كتب سفر أعمال الرسل - كما يعمون في بعض الروايات - أن فيليبس هذا كان من أهل الخضرة كلاوس النبي عليه السلام، وقد وجد وزيراً من أهل الحبطة فدعاه إلى التسخينية قبل الدعوة، و لما رأى ماء قال لفيليبس: «ماذا يفصم أن أتمد؟» أي استحم بالماء لأدخل في الدين على طارة، فقال فيليبس: «أن كنت نؤمن من كل تلك يجوز أن تلبس، فقال: أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله» فلمعه فيليبس لقوله هذا (أعمال: 8) وعلى ذلك كان فيليبس شريكًا لطوبوس وبولس في تطبيق نبوءة الإبران على عيسى المسيح عليه السلام.

***

واستكمل في تطبيق نبوءة السيا على عيسى عليه السلام معهم في بدوت من بهود (الاسكندرية) اسمه: أبولوس، فقد جاء عنه في الأصيح الطفل عشرين من سفر الأعمال: «إنها كان باشتماد يفحب اليهود جهراً، مبيناً بالكتب: أن يسوع هو المسيح».

***

أما عن نبوءة ابن الإنسان، صاحب ملكوت السماوات، وسمى أيضاً ملكوت الله» فأشهر من طبقة على عيسى عليه السلام رغم أنه: «استفانوس» و«بولس».

ولأصل نبوءة ابن الإنسان من التوراة من سفر النبي معظم دانيال كان دانيال في مدينة بابل في عهد الملك نبوخديار، ورأى الملك هذا أحلامه أطبار عنه النوم، ولما طلب أن يتم تفسير الحلم لم يستطعوا التمكين، ولأن الله وجل ما له التعبير لنير النبي دانيال الذي سبب الله ومجده بقوله: «ليكن اسم الله
مباركًا من الأزل واللى الأبد لأن له الحكمة والجبروت، وهو ينير الأوقات والأزنة، يعزل طلوك وينصب طلوك. يعطي الحكمة حكمة ويعلم العارفين علمًا. هو يكشف المعائِق والأسرار. يعلم ما هو في الظمه.

وعنده يسكن النور (دانيال 2: 23 - 32) وقل دانيال للملك (1): ورأيت في حلم «تمثالًا» 1 - رأسه من ذهب جيد 2 - صدره وذراعاه من فضة 3 - بهله وخفاه من نحاس 4 - ساقاه من حديد 5 - قدماه بعضهم من حديد والبعض من خزف.

أ - رأس التمثال: مملكة بايبل 3 - صدر التمثال وذراعاه:

مملكة أخرى هي: مملكة فارس و 3 - بطن التمثال وذفهاء:


وهذا الحلم الذي رآه الملك نبوخذ ناصر رآه أيضا بعد ذلك.

دانيال نفسه أيام 0، لكن بصورة غير الصورة التي رآها الملك. أما التعبير فغير مختلف عن تعبير رؤية الملك. رأى دانيال في حلم الليل:

(أ) أربع رياح السماوات هجمت على البحر الكبير - الأبيض المتوسط. (ب) وصدت من البحر أربعة حيوانات عظيمة.

أ - أسد 2 - دب 3 - نمر 4 - حيوان هائل وقوي وشديد جدا.

قدما 0، ثم رأى عقب الحيوان الرابع الهائل والقوى والشديد جدا.:

ابن إنسان» أعطاه الله عز وجل ملكا عظيما - قال عنه دانيال ما نصه:

كنت أرى في رؤي الليل فإذا مع نسب السماوات - ابن لنسان.

أي وجاء إلى اليوم فقرر يدامه، فاعلم سلطاننا وعجدا وسلطاناً لتعبد له كل الشعوب والأمم والأقسام. سلطانه سلطانان.

أبدي ما ان ينزل وملكته ما لا ينفترض».
ثم نطق دانيال بتعبير الحلم فقال ما نصه:

"هؤلاء الحيوانات العظيمة التي هي أربعة هي: أربعة ملوك يقرون على الأرض. أما تدُعيو العلي فتأخذون الملكة ويتلونون الملكة إلى الأبد وآله الآبدين« (Daniyal 7: 17 - 18)

هذا أصل نبوءة "أبن الإنسان" صاحب "ملكوت السماوات«.

ومع ذكر هذه النبوءة المسيح عيسى ابن مريم على السلام فقال: أن "أبن الإنسان" هو نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، وأن الله عز وجل سيعطيه ملكاً عظيماً، ونسب الملك إلى السماوات لأنها جيئة العلو في نظر الناس، وأن الناس سيتعبدون بشريعته: أي يخضعون.

وعز وجل على وفق ما فيها من بنيات.

لقد حكي كتاب الأناجيل والرواية هنا لكي: ما نصه: "وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في بريا اليهودية قائلا: توبا لأنك قد اقترب ملكوت السماوات" (مت 3: 1 - 2) "من ذلك الزمان ابتدا يزكر ويعقول: توبا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات" (مت 4: 17) "أين المعمدان ويسوع دعوا مما بصوت واحد إلى اقتراب ملكوت السماوات الذي تنبأ عنه النبي المعمدان دانيال في الأصحاح الثاني والسابع من سفره.

وضرب المسيح ابن مريم الأمثلة الكثيرة لكي تكون ان.ASCIIر هذا المملك. ومن أمثلته هذا المثال: "يشبه ملكوت السماوات جبة خرمل أخذها انسان وزرعها في حقته وهي أصغر جميع البزور\)، ولكن متي نمت في أكبر البزول، وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتي وتنتأوا في أغانيها" (مت 13: 31 - 32) "أي أن المسلمين في بدء الإسلام يكونون قلة ثم يزرون رويدا رويدا حتى يملؤوا الأرض، وهذا هو مثل المسلمين الذكور في القرآن الكريم في سورة الفتح يقول تعالى: "وبهنمو في الأنجيل كزرع آخر خرج شته، فأزره، فاستملأ، فاستنش Updating his neighborhood" (1) ولم يرد في أنجيل متى فقط، بل ورد في مرقس ولوقا أيضا. قال المسيح في رواية مرقس: "بماذا نشبه ملكوت الله؟ أو بأي مثل نمثل؟ مثل جبة خرمل التي زرعت في الأرض فهي أصغر جميع البزور التي على الأرض. ولكن متي زرعت تاطع وتصير.

(1) الفتح: 29
أخبر جميع القنوات وتصنع أغصانًا كبيرة حتى تستطيع طيور السماء أن تتناوب تحت ظلها (مر 4:30-31) وقال السيد في رواية لوقا: "ماذا يشبه ملكوت الله؟ بماذا أشبه؟ يشبه حبة خردل أخذهما آدم والإنسان مولدهما في بستانه. فلم يصارح شجرة كثيرة وتأتى طيور السماء في أغصانها" (لو 13:18-19).

* * *

َهذا هو أصل نبوءة ابن الإنسان" صاحب "ملكوت السماوات". وهذا هو تفسير السيد عيسى عليه السلام للنبوة، فما تفسير النصارى لها من بعد السيد؟

في الإصلاح السابع من سفر الأعمال، وقف "استفانوس" خطيًا بحيث يسمعه بولس وصرح بأن ابن الإنسان هو يسوع المسيح، وليس هو نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم كما صرح عيسى عليه السلام. وفي الإصلاح التاسع عشر من هذا السفر وفي مواضع كثيرة يرد بولس عبارات "استفانوس" الذي لم يشاهد السيد بعينين رآسه مثل بولس. قال استفانوس: "هنا أنا أنتظر السماوات مفتوحة، وابن الإنسان قائما عن يمين الله ما حكي عنه الكاتب: "وأما هو فشخص إلى السماء، وهو ممتلك من الروح القدس، فرأي مجد الله ويسوع قائما عن يمين الله" (أع 7:55-56).

وقال الكاتب عن بولس في مدينة "أفسوس": "ثم دخل المجمع، وكان يجاهر مدة ثلاثة أشهر محالًا ومقنعا في ما يختص بملكوت الله" (أع 19:8).

* * *

يوم الرب:
ولا تقال بطرس وتبعه بولس بأن عيسى لم يمت، وأنه رفع حيا إلى السماء، وأنه سيزوج إلى الدنيا ليحارب أعدائه وينتصر. ويؤسس في الدنيا ملكًا كملك داود وسلمان في الزمان القديم. علم أن الزمن إذا طال ولم ينزل عيسى سيسأل الناس: هذي يوم الرب؟ أي حتى اليوم الذي سيظهر فيه عيسى ليقين الملك الدنوبى. لأنهم طبقوا بالزور نبوءات التوراة عليه. فقال في الإصلاح الثالث من رسالته الثانية: "سينئى في آخر الأيام قوم مستهزئين، سالكون بحسب
شهوات أنفسهم، وقائلين: أي هو موعد مجيئه؟ لأنه من حين وقائد الآباء كل شيء بائث هكذا من بدء الخليقة. ورد بقوله: "لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء: أن يوماً واحداً عند الرب كلف سنة، وألف سنة كيوم واحد، لا يتباطأ الرب عن وعده، كما يحسب قوم التباطؤ، لكنه يتأتي علينا.
والنصاري اليوم، طوائفهم العظمى، على أن يوم الرب قريب.
ولكن لن ينزل عيسى بالجسد والروح، بل بالروح دون الجسد.

ثانياً - تغيير التوراة:
لا حرص أولاً ما ولي:
يروي القرطبي الإمام الفقيه المفسر في تفسير قوله تعالى عن عيسى عليه السلام: "والله لكم بعض الذين حرم عليهم" (آل عمران: 80) قول عن لإمام من الأئمة هو: أن عيسى عليه السلام - ما أحل لهم إلا ما حرمه علماً بنى إسرائيل على الناس ولا حرم الله بنص في التوراة. وهذا القول مع صوابه لم يجعل بصوابه المفسر. وإذا لم يكن لأن العلماء نظروا إلى آيات أربعة في دعوة المسيح. الآية الأولى قول الله عن عيسى عليه السلام أنه "مصدقًا لى بين يداً من التوراة". ويشير برسول يأتي من بعد اسم أحمد (الصف: 6) أي أن دعواه في آمرين: الأول: أنه مصدق للتوراة غير ناسخ. والثاني: أنه لم يعط لابنه شريعة منفصلة عن شريعة موسى عليه السلام. لم يعطهم إلا خيراً بمجيء نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم والخ، لا ينسخ التشريع. الآية الثانية: قول الله عن عيسى عليه السلام أنه قال لقومه: "ولأنكم لم بعض الذين تختلفون فيه" (الزخرف: 32) أي أنه كان على شريعة موسى التي يختلفون في تفسير بعض آياتها فيفسر لهم التفسير الصحيح. الآية الثالثة: "وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه" (المائدة: 44) وقد فهم منها البعض أن الحكم بالإنجيل يعني أنه شريعة منفصلة عن التوراة. ففهم منها البعض - وقد أشار اليهود الزمخشري المفسر، طيب الله ثراه - أن الحكم بالإنجيل هو نفسه الحكم بالتوراة. أما إذا؟ لأنه كتب في الإنجيل - رغم تعريفه - أن عيسى عليه السلام قال لابناءه:

وهفهم هذا يكون صحيحًا إذا كان الله تعالى قد سرح في أمر عيسى عليه السلام بأنه مع التصديق مهمن على التوراة في الحالة.

هذا يجب القول بأن عيسى عليه السلام قد أعطى بناء عن وحي الله شريعة مستقلة عن شريعة موسى عليه السلام لأن معنى الهيمنة السيطرة بقوة على الكتاب، أي يصدق على صحيحه ويصرح بباطله، وينبغي من تشريعاته ما هو غير صالح للناس في زمنه فإن الهيمنة على التوراة من اختصاص عيسى عليه السلام؟ لا ليست من اختصاصه، بل من اختصاص محمد بناء الإسلام - صلى الله عليه وسلم - فأنه هو وحده المصدق والمهم، وحيث ذلك ثابت فإن تحليل عيسى عليه السلام يجب أن ينظر فيه إلى أي أمر غير تنفيذ نصوص التوراة التي تحرم ما يريد هو أن يحته، ولا لزم التنافض في مفهوم دعوته بين التصديق فقط وحده ما حرم على بني إسرائيل، وهذا هو الذي جادا بي إلى فحص هذا الموضوع بدقة متاحمية. وقد انتهت فيه إلى أنه أهل بعض ما حرمه على الناس علماء بني إسرائيل من تلقى أنفسهم.

وأما يزال البعض من الناس في عصرنا هذا يعد النصرانية دينا سماوية تالية للديانة اليهودية وسابقا على الإسلام، ويولاون أن الأديان: ثلاثة أديان: اليهودية والنصرانية والإسلام. وأنا أعلم أن زعمهم قائم - لا على حسب واقع الناس اليوم - بل على أنهم عانون بأن عيسى عليه السلام قد أضاف جديدا على شريعة موسى عليه السلام، ولقد علموا ذلك من الترجمة المدورة للانجيل وفيها يقول مثى عن عيسى عليه السلام: "لا تظنو أن جئت لانتقض الناس أو الأنبياء، ما جئت لانتقض بل لأكل" (مثى 17:12) يفهمون من
قوله « لأتمكن » أنه أضاف جفيداً. ولم يكلفوا أنفسهم أن يبحثوا عن هذا الجديد المضاف الذي أتمكن به إبيسي عليه السلام كتاب موسى عليه السلام. أي جديد أضافه إبيسي عليه السلام؟ وإن أصول الأنجيل باللغة اليونانية فيها، « بل لأصحاب » وفي الترجمة التي نقلت عن برناو، لم آت لأبطلها بل لأحفظها. وفي الخطاب الأخير يقول للجروج واللتزام: « على كرسي موسى جلس الكتبة والأفريقيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوا فلا حظوه واقف ألوه.» (مثى: 2: 3) لقد رأى فقط بحفظ شريعة موسى والعمل بها ولم يصرح بجدول عليها مضاف اليها. وأي جديد يصرح به، وقد أحل الأتباع آليه علماء بني إسرائيل ورمهم من يؤمن به ومن لا يؤمن به. فأبى دليل على هذا الزعم وهذا كلام صلب الشنان كنا هو مكتب ووضح لعالم والمتعلم. يشت الإدام ثلاثة، بل اثنين فقط لثالث لحما: اليهودية أولاً، والاسلام آخراً. وقد نسخ الدين الأخير الدين الأول الذي حرفا من قبل ظهوره وغير وبدل بشهادة أهل فاته في الإصلاح الثالث والعشرين من سفر ارميا على لسان الله تعالى: « لن الأنيبياء والكبة تنجوا جميعاً، بل في بيتى وجدت شرهم يقلل الزب وجد رأيت في أنيبآء السامراء حماقة.» تبتوراً بالباب وأقطاو شعبين إسرائيل. وفي أنيبآء أورشليم رأيت ما يشير من يفسجون ويسلكون بالكتب ويشددون أيادي فاعلى الشر. من عند أنيبياء أورشليم خرج نفق في كل الأرض. أما حي الرحب فلا تذكروه بعد الآن، كأن إنسان تكون وحيه أخذ حرفين كل الله الحي راب الجنون الناص.» ألم وأي تحريص أووضع من هذا التصريح؟

لنتحدث بعد تلك الملاحظات في محاولة بطرس وبولس وبوميه:

لم تغير الالوتارا فنقول. يحكم هذا السفر أن بطرس الذي وصفه المسيح عليه السلام بأنه « شيطان » هو أول من دعا إلى تغيير الالوتارا في « الشريعة،» وقد غيرها هو ومن معه من أهل الرومان أولاً، الذين أرادوا أن يدخلوا في النصرانية بصحولة.

لقد كان من عادة العلماء من بني إسرائيل بعد سبيه، أن لا يدخلوا بيت خاطئاً. وإن لا يHANDLE معه: وإن لا يتعوروا على رجاء.
ليس من جنس بنى إسرائيل، وأن لا يغاضروه، وأن لا يدخلوا بيتها،
ويريد الرحمة بالناس، ولا يريده التمرد والفساد.
وقد علم اليهود أنه دخل بيت أممي وأكل عندهم فعاشموه. فقص عليهم قصة
الاناء الذي يشبه «الملاحة» فعدّنادœكوا عن الخصام. قال:

(1) أي المكتوب في النوراة: أن الله يريد الرحمة بالناس، ولا يريد التمرد والفساد في حد ذاتهما. والشخص في سفر «موشع». مصأ: أي: أريد الرحمة لا ذيغة ومعرفة الله. أكثر من معرفة الله. (يهوذا: 6)

أي لا يعرَم على نفسه طعامًا ما فلا تجبروه على أكله. يقول في رسالته الإلهي إلى أهل كورنثوس: «كل الأشياء تطهَر لى، لكن ليس كل الأشياء توافق. كل ما يبيع في الملتحمة: كلوه، غير فاهل، مع شيء من أكل الضمير. ولكن، إن قال لكم أحد: هذا ذبح لؤلؤ فلا تأكلوا... كوتوا، بل عُرُوشة لله»، ولليونيئيين، ولكليسية الله، كما أنا أيضًا أرضي الجميع في كل شيء، غير طلب ما يوافق نفسه، بل الكثيرين كتب

يخلصوا» (١ كو ١٠ :٣٣) الخ.

ولقد خلِّل بطرس وبولس على رأيهم هذا إلى أن فارقا الحياة الدينية. وأيضاً هذا هو الذي شارك عليه النصارى إلى يومنا هذا، أما رأي يعقوب وهو تحريم: الدم والمخونف من الأكلة فهو رأي لا يعتد به، لأنه من الناس يست기는 في حالة الاختيار - لا في حالة الاضطرار - أن يأكل جثة ميتة، خنقها بحبال من الناس خاين؟ ومن من الناس يستغني في حالة الاختيار أن يأكل الدم، لا في حالة الاضطرار؟ ورأي يعقوب أيضاً في تحريم المذبح للأوثان هو نفسه رأي النصارى كلهم لأنهم لا يعبدون أوثانا، بل يعبدون آلهة غير مرئية، الا المسيح الذي يزعمون أنهم رأوه لها في صورة إنسان.

وخلال المكتوب عن رأي يعقوب في الإصحاح الخامس عشر من سفر أعمال الرسل هكذا:

١- ذهب بولس وبرنابا لدعوة الأمم إلى النصرانية فآبنهم جمهور كثير من اليهود واليونانيين، وكانوا ينكر نكر من اليهود دعوة اليونانيين، إلا عامة من يهود، بل لأنهم دخلوا في النصرانية على عاداتهم وتعليماتهم. قال المقاومون: ليدخوا ويعملوا بالتوراة، لأن المسيح ما جاء للنسخ بل للإصلاح، وقال الداعيون: أن يثبتوا في الأيمان. وفي ذلك الوقت: دخل نفر من علماء بيتس إسرائيل من الفرسوسن، بلاد اليونانيون، وجعلوا يعلمون الآخرين، بلاد اليونانيين - اليونانيون - أنه من لم يختنروا حسب عادة موسى، لا يمكن أن تكونوا» فهل أهل ذلك رأى بولس وبرنابا وأئمة آخرهم منهما أن يذهبوا إلى أورشليم للتشاور في هذا الموضوع مع حواري عيسى الأولين. ويفارى النقايا بهم في أورشليم، أخبرهم بما حدث وقالوا لهم:
أن اليونانيين لم يقطعوا التصرانة على عاداتهم "قابع الناس من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفرسين، وقالوا: أنه ينبغي أن يحفظوا ويعوسوا بأن يحفظوا ناموسهم"، وتفتت بطرس خليلا وقال بما قال: "لم نباذل تجويداً إلى الله بوضوح نبر على عبق التلحيذ، لم يستعمل آذاناً ولا غناء، إن نعلمه؟ أياً. يزيد استفاط التكليف الشرعية عن الأئمة". ووقف يعقوب بعده خطيباً، فكان مما قال:

أرأى أن لا يقتل على الرسل، بالي من الله من الأئمة. بل يرسلهم أن يبعثوا عن نجاسات الأحتلام والزناء والمختنق والدم لأمهم موسى، حتى يجيء شقيته له ملك مدينة من يكرهه، ان يقرأ في المبتنى كل سبب.

واستحسن المجتمعون رأى يعقوب، فكتبوا رسالة إلى الفين آمنوا من غير اليهود في مدن: أنطاكية وسورية وكليكيج، وأرسلوها مع أربعة أشخاص هم: بولس، وبرباداً، ويهوداً الملقب: برسالاً، وسيالاً. وهذا نص الرسالة:

"الرسل والشاخ والأخوة يهدون سلاماً إلى الأخوة الذين حملت الأم في أنطاكية وسورية وكليكيج.

اذ قد سمعنا أن أنسا خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوالهم، مقلبين أنفسكم، وقائلين: أن نختتنوا ونحفظوا الناموس الذين نحن لم نأتهم.

رأينا وقد صرنا بنفس واحدة: أن نختار رجلي، ونسألهم اليد مع حبيبين. بربرادا وبولس، رجلي قد بدلاً أنفسهما لأجل اسم رينا يسوع المسيح. فقد أرسلنا: يهوداً، وسيا، وعما يخبرانك بنفس الأمور: فشآها. لأنه قد رأى الروح القدس، ونحن: أن لا نضع عليكم شيئاً أكثر، غير هذه الأشياء الواجيه: أن تتمتعوا مما ذهب للأصنام، وعن الدم، والمخلوق، والزناء، التي أن حفظهم أنفسكم منها. فننما تفعلون.

كونوا مفائين 200.

انتهى نص الرسالة، ونها وصلت إلى أصحابها وقرآوها:
لا يخفى عليه من اليهود أي اقتراح الآتي:

«انت ترى يا أبا الأخ: كيف يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا، وهم جميعاً غيرون للناموس. وقد أخبروا عنك: أنك تعلم جمع اليهود الذين بين الأمم: الارتداد عن موسى، فكلا: أن لا يختتموا أولادهم، ولا يسلكو حسب العوائد، فذاذ ما يكون؟»

وقد نفذ بولس هذا الاقتراح «أخذ بولس الرجال في الغد وتطهرجمهم، ودخل الهيكل مخبراً بكمال أيام التطهير، حتى أن يقرب عن كل واحد منهم القربان».

فماذا كان من اليهود الذين رأوه في الهيكل؟ ماذا رآه اليهود الذين

من آسيا في الهيكل أهيا علَى جميع المسئين في أورشليم؟ صارون يا أبا الرجال الإسرائيليين: أعنينوا 22 هذا الرجل الذي يعلم الجميع في كل مكان ضدا للشعب، والناموس، وهذا الموضوع، حتى أدخل يونانيين أيضاً إلى الهيكل، ودنس هذا الموضوع المقدس» وللوقت

هاجت المدينة كلها، وتكافو الشعوب، وأص�فا بولس، وجروه خارج الهيكل، ولفتت أطراف الأبواب، وبينما هم يطلبون أن يقتلوه. نما

عبر إلى أمير الكتبة: أن أورشليم كلها تم اضطراب مراتوقت أخذ

عسكرا وتوافد جمادات وركضي اليهيم، فلم أراه الأمير والعسكر كفروا

عن خر بولس، 1000 وشروع بعد ذلك في الحديث عن عائلاً الملة

النصرانية. فنقول:
عالية الملّة النصرانية
قلنا من قبل : إن شريعة موسى عليه السلام كانت من قبل أن تسمح بالقرآن الكريم لبني إسرائيل وللavra أيضًا . وأنه من قبل ظهور النصرانية كان للشريعة الوضيتة دعاية آلها ، ومدعوين عاملون بالدعوة في كل مكان . كما قال يعقوب حواري المسيح : "لأن موسى منذ أجيال قديمة ، لى في كل مدينة ، من يكرز - أي يبشر - به ، إذ يقرأ في المجامع كل سبت" (أع 10: 21).
وقد رأى النصارى الأولون أن ينطلقوا بالدعوة إلى بني إسرائيل والأمم كما أوصى المسيح لكن إلى بني إسرائيل أولا . وقد اختلف اليهود فيما بينهم بعد رفع المسيح إلى السماء في مد دعوتهم إلى الأمم ، وقد كانوا أوقفوا مد الدعوة من بعد سبي بابال الدخن منها غاروا على دين الله ولم يستجيبوا لقوانين الحرام والقطيعة التي سنها عزرا وطليقة نحبا على واحد من أبناءها "يويادع" ابن "أليا شيب" الكاهن العظيم (نج 12: 28) فرأى بعضهم مد الدعوة ورأى بعضهم تقرحها على بني إسرائيل ، والذين رأوا مد الدعوة إلى الأمم ، كانوا مخلصين في دعوتهم وأمناء . لأنهم دعوا إلى شريعة موسى التي ما نسخها المسيح ولا نقضها .
فان بولس لما فتح للأمم باب الامان إلى النصرانية على حسب تقاليدهم "انحدر قوم من اليهودية ، وجعلوا يعلمون الأخوة : أنه إن لم تختتنوا حسب عادة ناموس موسى ، لا يمكنكم أن تخلصوا " (أع 15: 1) ولم يدعوا إلى "الختان " فحسب يكل إلى كل أحكام التوراة ، كما يقول كتاب سفر الأعمال أيضا : "ولكن قام أئمة من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفرسين وقالوا : أنه ينبغي أن يختتنوا ، ويقصوا بأن يحفظوا ناموس موسى " (أع 15: 5).
واليهود الذين رأوا قصر التوراة على بني إسرائيل ، نظروا بعينين العداء وعين البغض إلى أخوانهم الذين ساروا إلى الأمم بالتوراة ، وبنفسها دون تفسير ، أو بالنص والتنسيق مع ، والنصارى الذين لم
يسيروا إلى الأمة بالتواراة كنص يحتاج إلى تفسير، بل بتفسير المسيح نفسه للنبياء الذين فيها عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم. ولما نظروا اليهم بعين العداء وعين البعض صموا عليهم من العذاب الأليم ما قدروا عليه، وأوحا إلى الروم أن يصموا عليهم من العذاب الأليم ما يقدر عليهم. قلائلين للروم: أن أكثرهم ينقولون لرعاياهم: سيظهر نبي هؤلاء ملك تمد مملكته إلى أقصى الأرض، وسيزيل الدولة الرومانية من نسلين، وقوله: هذا للرعايا يجريهم على القباصرة والولاة، والرؤساء فلا يخطو كل ذي حق حقه من التنوير والطاعة والاحترام، فإذا تجرأت الرعية على الملوك: قل العمل وساء النظام، وظهرت الفوضى، واضطرت الملكة. وهذا كله يعجب ببناء الدولة الرومانية، ويعجها منائجها، فاحتميت يد الروم إلى اليهود الأنصارية في الانتهاء بالذبح والقتل والنهب والتشريد مما لم يسمع مثله من قبل.
ولا من بعد حتى زمنى هذا.
وأصبح في العالم وقتئذ ثلاث فئات: اليهود والنصارى والروم
اليهود الذين يريدون لأنفسهم كيانا مستقلا إلى الأبد، ولا يتم لهم ذلك إلا بناء البنى الذي سيظهر من العرب أبناء اسماعيل عليه السلام، والنصارى الذين يريدون أن يدمروا خدمة الله باعترافهم بذلك النبي العظيم. والرومان الذين يريدون من رعاياهم: الطاعة التامة للقباصرة والولاة للدولة، ولا يتم لهم ذلك إلا بتخليهم أفهم الصلح واليهود الأمناء وقطع أيديهم عن الكتابة حتى لا يقولوا: أن النبي العربي قادم.

* * *

ومن أجل مصالح كل اجتمعوا للمصالحة، فإن النصارى من مصلحتهم أن يخف الاضطهاد عنهم، وأتفقا على ما يلي:
1 - طلب اليهود من النصارى أن لا يجدوا بني الإسلاصم صلى الله عليه وسلم، وأن يقولوا: إن نبوعات التوراة وأسفار الأنباء تدل على عيسى ابن مريم، وعيسى على جهة الخصوص هو المسيح المنتظر.
2 - طلب الرومان من النصارى أن لا يجدوا بني الإسلام صلى الله عليه وسلم. وأن يصوتو عقائد النصرانية على مثال عقائد الرومان في تعدد الألقاب. وأن يسلك الناس في الحياة بحسب عادات أسرهم وتقاليد آبائهم وأجدادهم. وإذا سأل الناس عن يوم الرب، يوم
ظهر المسيا الذي يتم عنهم من قبل قولوا: قرب انهاء الدنيا وقيام
للศาنة.

٣ - طلب النصارى في مقابل ذلك أن يخف الاضطهاد أولاً، ثم
تعترف الدولة الرومانية رسمياً بإفرازهم.

وقد تم ذلك، وهكذا كان يتم ذلك في عهد النصارى الأواصق أن كان
يتم ذلك تقرب عهدهم من النبوة، وشاعة معجزات المسيح بتغيبهم
وتضحية دعواه باذاتهم، أما في هذا الحين الثلاثي فإن أبناء أبناء
الأولئ: ليسوا في القوة كما كان الآباء والأخداد، وقد وصلت اليهم
مبادئ المسيح سمعًا، من معرضين ومعتدلين، والبادئ، إذا وصلت
إلى النفوس متأجرة بين الشك والشكيق، لا تجتنب القبل على الدهاء
بها، بل تدفعه إلى عدم المبالاة بها حتى يفرغ لها. فهنا، الذي ذلك
قبل أبناء الآباء: «قرار المصالحة» تتعلق في أنفسهم: أن ما وعد إليه
به لابد كائن، ولن نرحم لحن أنفسنا مما ابتيناه به، ولكن الذين خافوا
الله واليوم الآخر صرحوا بأن قرار المصالحة باطل، وفضلوا سكينة
الأخرى، وهذه عن التكلم بالباطل، ومنهم يريوس وأتباعه الذين
اشترناهم من قبل، ومنهم الرهبان الذين أسسوا الأديرة خوفًا من
الظلم.

ولكي يفهم القرآئون معي أكثر وأكثر عن: «قرار المصالحة» هذا
عليهم أن يقرأوا الأصحاح السابع عشر من سفر أعمال الرسل علماً
أنه لم ينشر بصورة هذه إلا في القرن الرابع. فمنه يمكن أن يفهموا
ولا نحلل القرآئين إلى غير هذا السفر من الكتب المناوقة للنصرفية
التي فصلت القول في: «قرار المصالحة» تنبيهًا جيدًا لأنه من السهل
على نصارى أن يدفع تنفيزهم بقوله: هذا كلام من أعدائنا لا يتحملون
هنا عليه. ولا شك أن المكتوب فيه: فيه ليس للحق بالباطل، ولكن من
الممكن استخلاص الحق من الباطل، بمضايحة النصوص بعضها بعضًا evaluated
أي أنه من الذي يقدر أن يقول عن النص الآتي أنه خال من الباطل:
» وحدثَ بعد هذه الأمور: أن الله امتنع أبا بريهم، فقال له: يا بريهم
فقال: يا أنا، فقال: خذيني وبديك الذي تعجب: أسحق،
وأخذ إلى أرض المريان، وأصبح هناك محرقة على أحد الجبال الذي
أقول له: «تُركَٰك» ( تكر ٣٢ : ١ - ٢)؟ أن الباطل في كلمة «اسحق» فانه
ليس الأبن الوحيد لابراهيم ان الأبن الوحيد لابراهيم هو اسماعيل عليه السلام، فأن الباطل في كلمة «أرض الرب» فان مريا لم تعين لبني اسرائيل مكانا مقدسا إلا في زمن داوود عليه السلام لذا وضع أساس الهيكل وأكمله ابنه سليمان وعرف بهيكل سليمان.

وعن الذي لا يقدر على استخلاص الحق في قرار المصلحة

مما سطره لوقا في ذلك الأصحاح من سفر الأعماج؟

كان لليهود العباقرين في مدينة «تالابونيكي» اليونانية: مجمع، أي موقع لمعبادة الله كالمجد عندنا نحن المسلمين. فدخل بولس اليهيم حسب عادته، وكان يحمله ثلاثة سبوت من الكتب، ووضحا وعينا أنه كان يتبين أن المسيح يتآمل ويقوم من الأموات. وأن هذا هو المسيح: يسوع، الذي أنا أنادي لكم به. فماذا جرى؟ اقتنع قوم وأيوب آخر، والذين أبدوا وامتعموا أخذوا رجالا وقفوا أبواب المدينة، وتساءموا حول البيت الذي دخله بولس لإخراج المجمع، ثم ذهبو إلى حكام المدينة. حضر لهما: أن هؤلاء الذين فتنوا السكونة حضروا إلى هنأ. «وهل يلزمهم يعمون ضد أحلام قيصر» ويقول الكاتب: «فازعوا الجمع، وحكم المدينة تسمعوا هذا».


* * *

وانتهى بطرس وبولس ومن نحا نحوهما فرصة الجهل في تلك الأزمة بسبب تقصير علماء بنى اسرائيل في الدعوة فاعتدوا على الخرافات في اقناع الناس بما يريدون. وله الخرافات كما هو معروف اثر عظيم في العامة، ويتقل هذا الأثر تدريجيا إذا ظهر العلماء بالحق. وتكفي من خرافاتهم بهذا النص المكتوب في الأصحاح الثامن من سفر الأعمال.
ثم ان ملاك الرب كلم فيلبس قائلا: قد وادهبا نحو الجنوب على
الصحراء المحددة من أورشليم الى غزه التي هي برية، فقام وذهب 
واذا رجل حبشي خصي، وزير للكنابة، ملكة الصبية، كان على جميع
خزائه، فهذا كان قد جاء الى أورشليم ليسجد(1) 
وكان راجعا وجالسا على مركزه، وهو يقرأ النبي اشعيا. فقال
الروح فيلبس: تقدم ورفقة هذه المركبة، فياد أبا فيلبس وسمه
يقرأ النبي اشعيا. فقال: أعله تفهم ما أنت تقرأ؟ فقال: كيف يمكنني
أن لا يرددني أحد. وطلب الى فيلبس أن يصح ويجلس معه. وأما
فصل الكتاب الذي كان يقرأه فكان هذا: مثل شاهة سبق إلى الذبح،
ومثل خروف صامت أمام الذي يجزه، هكذا لم يفتح فاه. في تواضعه
انتزع قضاؤها، وجبله من يخبره، لأن حياته تنتحر من الأرض.
فأجاب الخصي فيلبس وقال: أطلب الليك. عن من يقول النبي هذا?
عن نفسه أم عن واحد آخر؟ ففتح فيلبس فاه، وابدا من هذا الكتاب
غبشه ببسموع.

(1) في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين: "وحدث بعد
هذه الأموات أن الله اصطفى ابراهيم. فقال له: يا ابراهيم، فقال:
أنا هذا. فقال: خذ ابنك وحبك الذي تحبه اسحق، وأذهب الى أرض الريا
واصله هناك محرقة على أحد الجبال الذي نقل لك، فذكر ابراهيم
صباحا، وشد على حجاره، واخذ أثنتين من غلاله به واسحق ابنه وشتق
لحبته وقام وذهب الى الموضع الذي قال الله. وفي اليوم الثالث
رفع عينه وابصر الموضع من بعيد. فقال ابراهيم لغلامه: اجلس اتناحا
مهما مع الحمار، وأنا وأنا والغلام فنذبحك هناك ونسجد، ثم نزجع
اليكما. في أي مكان سيذهب ابراهيم ليسجد؟ ان عيني السجود: من
التوجه الى الله بالعبادة في مكان معين ومعرفه. فما هو هذا المكان؟ هل
هو جبل جرريم في نابلس كما يزعج اليوهود السامريون؟ أم هو جبل صهيون
في أورشليم كما يزعج اليهود اليهود؟ إن الوزير الشخص قد جاء الى
أورشليم ليسجد. فلبن ذهب ابراهيم ليسجد؟ إن ذهب ابراهيم الى
مكان للسجود بدلا على أنه معروف للغليمين من قبل. ومعروف للناس أيضا: 
ولا يمكن أن يكون هذا المكان غير "مكة الكرامة". لا أن ابراهيم لم يضع
مكان للسجود في نابلس او أورشليم. وإنما صار مكره في نابلس وصار
مكان في أورشليم من بعد داود عليه السلام هل. بعد ألف سنة تقريبا من
ولاية ابراهيم عليه السلام. ولأن المكان معروف من قبل ذهب ابراهيم اليه.
وفي النص تحريف في وضح اسحق بجانب الابن الوحيد وفي وضع مريا بدل
مكة الكرامة، فكان مريا لم تكن قبلي في ذلك الزمان. كما قلنا من تقبل.
وفيما هما سائران في الطريق أقبحا على ماء، فقال الخصي: هو هذا ماء، فإذا يمنع أن أقتبل، فقال فيليبس: إن كنت تؤمن من كل تلك، يجوز أن أعجب وألاق: أنا أؤمن أن يسبع السيخ هو ابن الله، فأمر أن تتفنوا المركبة فنزلوا كلاهما إلى الماء، فيليبس والخصي، فعمره، ولا يدعو من الماء خطف روح الرب فيليبس، فلم يبيصه الخصي، أيضاً، وذهب في طريقه فروحاً، وأما فيليبس فوجد في آسـدود.

واجّس النصرانية ديننا عالمياً بعد "قرار المصالحة" هذا الذي تم في عهد القنسر "قسطنطين" ديننا عالمياً بغير الروم، وقوتهم، لا بالانتعاق والبيان.

* * *

وقد قلتنا من قبل: أنهم تتفادوا النبوءات، لأن النبوءات تشل على شريعة جديدة، غير شريعة موسى ستكون مع النبي المنتظر، قالت شريعة المسيح ليكون هو النصارى بالنبيون في زعمهم.

وتنقول أيضاً: أنهم يعلمون أن النبي المنتظر سيستكون دعوته عالمية لجميع أمم الأرض، فهل تتفادوا هذه الصفة فيه؟ لقد جعلوا النصرانية دينا عالمياً بالمبادئ التي قررواها، وما أنزل الله بها من سلطان، ربما تتفادوا هذه الصفة فيه. ولو أنها عالمية على الأصل الذي دعا إليه المسيح، وهو العمل بالتوراة حتى يأتي النبي المنتظر فيدرجون في دينه ما حق لإنسان أن يعترض عليه بأدعية اعتراض لأنها بهذا المعنى فياربة نفسها على العالم من قبل مجيء المسيح، لكن قصدهم من العالية هو تفادي الصفة من جهة، وليكسبوا أنصاراً يباوضون بهم أتباع النبي المنتظر إذا ظهر في حينه من جهة أخرى، وكسب الأنصار عندهم أهم من تفادي الصفة، فإنهم لا يعجزون.

إذا لم آمر عن تحريف الكلام عن مواضعه.

* * *

لقد فهموا صفة العالية من النبوءات هكذا:

1- بينت التوراة أن لямءعلى عليه السلام بركة كما لاسحاقة

(1) انظر كيف استعاننا بالخرازات في تطبيق نبوءات التوراة وأسفل:

الأنبياء على المسيح عليه السلام.
في هذه الديانة، يعلمون أن بركة إسحاق تعني ملكاً ونبوءة، ويشاهدونها، وأن النبي في إسحاق لم تكن لنسبه فقط، لأن موسى عليه السلام الذي استقله الله على الناس عموماً برسالته ويكلاه كله، رفعه ليس لنسب إسحاق والبعضين وغيرهم.

3 - لما حضر يعقوب إضافة نبيه عن النبي المنتظر: «وله يكون خضوع شعوب».

4 - لما وصف موسى النبي المنتظر بأوصاف تسمى في اصحاح إبراهيم، ومن سفر الإسحاق، قال عنه في ترجمة اليهود: «ويعن من الإنسان الذي لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلابه» ومن هذه الفتحة يفهم أن «الإنسان» يكون من جنس اليهود فقط لأن أول النبوءة: "آقام له نبيا" ومن ترجمة بطرس في اصحاح الثالث من سفر الأعمال: "ويعن أن كل نفس 1000 الخير" يفهم أن «كل نفس» من اليهود أو من غير اليهود، وهذا هو نفسه بطرس.

5 - لما قسم موسى في اصحاح الثالث والثلاثين من سفر التشريعة بركة الله في نسل إبراهيم عليه السلام. وتحدث عن بركة من "فاران"، ووضع سكنى أبناء اسماعيل عليه السلام قال عقب البحث عنها: "أنا أحب الشعب" في الترجمة العبرانية. وفي الترجمة البئرية قال: "محب الشعب" أي أن دعوة النبي الذي سيكون من أبناء اسماعيل فاران ستكون عابرة لجميع الشعوب. هذا من الأسفار الخمسة، ونبوءاتها هي المدة في الاستدلال.

لذكر الآن من الأدلع التي اعتبد عليها بطرس وبولس في عالمية الدعوة، ملاحظتين منها نادياً:

1 - عالمية اللة الترسانية.

2 - وتشريعات مخالفات لتشريعات النزوة وعقائد مخالفة أيضاً.

وهما بهذين الأطرافين مخالفين للسياج الذي قال عليه السلام الذي قال في عقوله وفق النزوة، وفسر نبوءات النزوة للاتباع قبل أن يلهم بالإبادة إلى الأمة.

اعتد بطرس وبولس في النداء بعالمية الدعوة على أن الله ورب المسلمين، وليس رباً للهود وحدهم كما زعم اليهود من بعد سبي بابل.
وأوان الناس جميعا يهودا أو غير يهود أبناء لأدم وآدم من تراب.
اذن الناس جميعا إخوة، من التراب في البدء خلقوا، وإلى التراب في النهاية راجعون. إذن على أي أساس يميز الله جنسا على جنس وهم متوازيون في المبدأ والنهاية؟ وإذا كان هذا التمييز غير موجود لعدم ما يقتضيه فلماذا يصر اليهود على قصر الشريعة عليهم، وترك الأمم في طياغتهم يعممون؟ إذن تعلالا لم يفضل اليهود على سائر الأقليات إلا لأنه انتهتم إلى شريعة موسى التي كانت للناس هدى، ونورا في ذلك الزمان، فلما خانوا الأمة بتحريف أولا ثم بقصرها عليهم ثانيا نبذهم وأهملهم وماذا يكون الحال الآن لجارينا اليهود في كفرهم وعندهم؟ ليس إلا قلة الأصدقاء وقت ظهر النبى المنتظر، فيدوسنا برجلهم، إذن لابد أن نحث اليهود على عالمية الدعوة.
قال بطرس في بيت «كرنيليوس»: «بالحق أنا أحد أن الله لا يقبل الوجود أشيئا من كل أمة الذي ينفيه ويصنع البر مقبول عنده» (أع 10: 43-47).
ولما خاصمه اليهود في دعوة الأمم قال لهم: «أن كان الله قد أعطاهم الوهبة، كما لنا أيضا بالسوسية، مؤمنين بالرب يسوع المسيح، فمن أنا؟ أتادل أن أمنع الله؟» (أع 11: 17).
وبعد وعظ من بولس للأمم، طلبو منه ثانية أن يعظهم فانتهره اليهود أن لا يعظهم، فقال لهم: «كان يجب أن تكلموا أنتم أولا بكلمة الله، ولكن إذ دفعتهما عنكم، وحكتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية، هو ذا نتوجه إلى الأمم» (أع 13: 44).

******
وكان استدلال بطرس بنبوءات التوراة ونبوءة يوحننا المعمدان اللاتين فسرها قسرا على المسيح ابن مريم عليه السلام. ففعل إذًا تحدثت نبوءة عن أن النور الذي سينزل على النبي المنتظر سيجمع السكونة كلها. أي دعوته عالمية. يقول بطرس: إن ذلك النور هو نور الأنجيل. 

والعالمية للإنجيل على زعمه وليست للقرآن الكريم كما تدل النبوءات بالحق.

أما استدلال بولس فهو بالنبوءات كما فعل بطرس في تفسيرها.

وهو أيضاً آيات في أسفار التوراة وأسفار الأنبياء.

* * *

فمن بطرس يحكى الكاتب في الأصحاح الثاني من سفر الأعمال أن كثيراً من الناس في أورشليم في عيد العنصرة الذي بعد عيد الحصاد بخمسين يوماً من جميع الأمم من مصر وبليبيا وزورها وبلاد العرب وغيرهم لما حلت عليهم الروح - كما زعموا - تكلم كل إنسان بلغة غير لغته، فتحترس الجميع وارتباً قاتلين بعضهم لبعض: ما عسي أن يكون هذا؟ وكان آخرون يستهزؤون قاتلين: أنهم قد امتلكوا سلافة. وعندئذ وقت بطرس خطيبا وقال: هذا الحال قد أشارت إليه التوراة في سفر النبي يوشع، وهو حال منطق على أنبى المسيح الآن فأنموا بدعوته. مع أن عبارات يوشع لا تؤدي إلى غرضه. وقف بطرس مع الأهل عشر، ورفع صوته وقال لهم: أيها الرجال اليهود والساكنون في أورشليم أجمعون:

ليكن هذا معلوماً عندكم، وأصموا إلى كلامي، لأن هؤلاء ليسوا سكاراً، كما أنتم تظنون لأنها ساعة الثالثة من النهار، بل هذا ما قبل يوشع النبي. يقول الله: يكون في الأيام الأخيرة أنى أسكان من روحه على كل بشر، فيتبناً بنوكهم ونباتهم ويرى شبابكم رؤى وحلم سيكشحكم أجلهما، وعلى عبيدك أيضاً وأنتى أسكان من روحه في تلك الأيام فيتيهرون، وأعطي عجابك في السماء من فوق وآيات على الأرض من أسفل دما وناراً وبخاز دخان، تتتحول الشمس إلى ظلمة، والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الرب، العظيم الشهير، ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص» (آم 2:14-21).

إن هذا كله يا بطرس قبل مجيء يوم الرب، ولم يحدث - باعترافك - من هذا شيء قبل ظهور المسيح عليه السلام، فإن قلت: قبل مجيئه ترب القيامة من الأموات، يجب عليك أن تثبت دلائل المجيء في ذلك الوقت قبل ما تقول شيئاً.

وعن بطرس أيضاً يقول الكاتب: إن يوحنا المعمدان لم يتنايا عن
لا يشير إلى عيسى، كما بينا — قال بطرس إنه يشير إلى عيسى عليه السلام يقول بطرس: "الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام يبسوغ المسيح. هذا هو رب الكل. أنتم تعلمون الأمر الذي صار في كل اليهودية بحدثًا من الجليل، بعد المعمودية التي كرر بها يوحنا 3..." (أع 10: 36-38).

**

* هذا عن بطرس، أما عن بولس فقد وضع في خطيته في مدينة أنطاكية بيسيدية* ما وضحه بطرس.

* قام بولس، وأشار بيده وقال: أنبا الرجال الإسرائيليون، والذين ينونون الله اسمون: الله شعب إسرائيل هذا اختيار آباؤنا، ووضع الشعب في الغربة في أرض مصر وبدراع مرتبطة أخرجهم منها، ونحو مدة أربعين سنة استسلموا فيها في الهجرة، ثم أهلك سبع أمم في أرض كنعان، وقسم لهم أرضهم بالقرعة، وبعد ذلك في نحو أربعمئة وخمسين سنة أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبي. ومن ثم طلبوك مما فاغتهم الله شاء أن بني تيس، رجلا من سبتمبدين أربعين سنة، ثم عزله وأقام لهم داودد ملكاً الأدنى شهد له أيضًا. إذ قال: وجدت داود بن يحيى، رجلا حسب قلبي، الذي سيصنيع كل مسيحي من نسل هذا حسب الدوم الذي أقام الله لإسرائيل: مخلصاً، يسوع. إذ سبق يوحنا فكرز قبل مجيئه بمعمودية التوبة لجميع شعب إسرائيل، ولما صار يوحنا يكلم سعيه جعل يقول: أن تنظرون أننا لست أنا يااه، ولكن هو ذاتي يعده: الذي لست مستحقا أن أعده حذاء قدميه..." (أع 13: 16-25).

لقد وجه بولس خطابه هذا ليس إلى اليهود العمير عنهم بالرجال الإسرائيليين، بل وجه خطابه أيضاً إلى الأمم المعبر عنهم في الخطاب بالذين ينونون الله. ثم استدل على أن آخر الأنيباؤن من نسل داود: ابن نبوءة في التوراة هي: "وجدت داود..." (أع 13: 25).
النّبين في بنى إسرائيل لم يكونا من نسل داوود، بل كانوا من نسل هارون النبي آخر موسى عليه السلام - وهذا واضح من الإصحاح الأول في أنجيل لوتا. فإن زكريا وأمرته الإصابات أميحى من نسل هارون، ويقول لوتا: من مريم قريبة لليصابات، أي من السبط الذي هو منه، لأن شريعة بنى إسرائيل تنص على تميز الأسباط بزواج كل إمرأة بواحد من عشرة سبعة أبيها (عدد 36:8) وإذا ثبت أن مريم قريبة لليصابات يثبت أن مريم من هارون كما أن الإصابات من هارون.

***

أما عن استدلال بولس بآيات من التوراة على علامة الدعوة فهذا ليس في سفر الأسلاف، بل في الإصحاح التاسع من سماحة إلى أهل رومية، والإصحاح العاشر، لقد صرح بقوله: لا تفرق بين اليهودي والليوناني، لأن ربا واحدا للجميع، غنياً للجميع الذين يدعون به (رو 10:12) وأقيم الأدلة هكذا:

قال بولس: فماذا يقول؟ ألم علّم عند الله ؟ حاشا. لأنه يقول لوسي: أني أرحم من آخرين، وأتراها على من أتراها، فاذن ليس أن يشيء ولا لن يسعي، بل من الذي يرحم، لأنه يقول الكتاب لفرعون: أني لهذا بعينه آتمتلك لكي أظهر فيك قوتى، ولكي ينادي باسمك في كل الأرض، فاذن هو يرحم من يشاء، ويسعى من يشاء، فستقول لي: لماذا يلوم بعد؟ لألزمني مشيئتي؟ بل من أنك أيها الإنسان الذي تجاوب الله؟ ألم العلّم الجليل وتقول لجابلا: لذا صنعتي هكذا؟ ألم ليس للخير الإنجاز على الطين أن يصنع من كثرة واحدة أربعة للكرامة وآخر للكلّومان؟ فماذا أن كان الله، وهو يريد أن يظهر غضبه وبين قوته احتبل بآثرة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاء؟ ولكن بيني من مجد على آثرة رحمة قد سبق فأزدهر للهدى، التي أيضاً دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط، بل من الأمم أيضاً، كما يقول في هوشع أيضاً: سأدعو الذي ليس شعبي شعبى، والتي ليست محبوبة محبوبة، ويكون في الوضع الذي قبل لهم في اسم شعبى أنه هناك يدعون أبناء الله الحي، وأشياء يصرخ من جهة إسرائيل.

وان كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فلبيقة يستخلص، لأنه متمم.
أمر، وقاضى بالبر، لأن الرَّب يصنع أمراً مفصلاً عليه الأرض،
وكما سبق أشعياً فقال: «لولا أن رَّب الجنود أبقى لنا نسلاً لصرت
مثل سدوم، وشاحنا عمورة».
فماذا نقول: إن الأمَّم الذين لم يسعوا في أثر البر، أدركوا البر
البر الذي بالإيام؟ ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البر
لم يدرك ناموس البر، لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيام، بل كانه
بأعمال الناموس، الخ.

استدل بولس من توراة موسى التي بيد اليهود والنصارى، أن
على أن الديانة الموسوية كانت دينًا عاليًا لجميع الأمم بدبلين.
الأسئلة: قول الله موسى عليه السلام: «أطراف على من أطراف وأرجه
من أرجه» فان من العموم. وهذا النص في الأصحاح الثالث
والثلاثين من سفر الخروج الآية التاسعة عشر. والثاني: قول الله
لفرعون على لسان موسى عليه السلام: «لأجل هذا أتمنك لكي أريك
قوتي وليكي يخبر باسمي في كل الأرض» فان لكي يخبر باسمي
في كل الأرض. يدل على شيوخ هذا الخبر في العالم ليحضا أن
العالم كله وهو الله عز وجل فجعلوا بشريعته. وهذا النص في الأصحاح
التاسع من سفر الخروج الآية السادسة عشر. واستدل بولس أيضاً
بأسفار الأنباء، بآيات في سفر هويشع وبلايت في سفر أشعياً
والآيات التي استدل بها من هويشع استدل بها بالمعنى لا بنص الألفاظ.
وهي: «أدع اسمه "لوعمي" لأنك لست معبدي، وآتنا لأكون لكم
لكي يكون عدد بنى إسرائيل كرمل البحر، الذي لا يجل ولا يجد
ويكون عوضاً عن أن يقالهم: لست شعبى هم. يقال لهم: أبناء الله
النحى» (هو 1:8 - 10) وآيات سفر أشعياً على العالية هي
لأنه وان كان شعبك يا إسرائيل كرمل البحر ترجع بقية منه.
قد قضى بفإناء فاتش بالعدل، لأن السيد رَّب الجنود يصنع فناء
وغضاء في كل الأرض» (أثناء 10:23 - 33) وهي: «لولا أن
رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة، لصنا مثل سدوم، وشاحنا
عمورة» (أثناء 1:9) يقصد بالبقية الصغيرة نسل من غير بنى إسرائيل
على فهم بولس، وليس هذا هراد أشعياً، وواضح من الأدلة التي
ذكرها بولس قوة الاستدلال بآيات من أسفار موسى عليه السلام
لا باسفار الأنباء.
والسؤال الأخير في بحثنا هذا: لماذا بعد علماء مقارنة الأديان
بولاوس المؤسس الحقيقي للت적이 بينهم لا عيني ابين مريم عليه السلام؟
مع أن بولاوس لم يرد على ما أثبتت بطرس ويقوع؟ هل لكثره جهاده
أكثر من رفقائه؟ هل لكثره رسائله التي بلغت أربعة عشرة رسلة
وبيطرس رسولان ولبقوق واحدة؟ هل لأنه اختص بدعوة الأمم وغيرها
دعا بني إسرائيل لا الأمم؟ هل لأنه فلفس الباديء بأسلوب يقنع
العوام والسذج والبسطاء من الناس؟ هل لأنه اجتذب أنصارا أكثر
من غيره لقوله: "الدعوة التي دعي فيها كل واحد، فليلبست فيها".
كما في الإصلاحات السابعة من رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس؟ ليس
لكثره الجهاد وكثرة رسائله ولا اختصاصه بالأمم فانهم فعلوا كما
فعل - كما بينا من قبل - وانما لأنه فلفس الباديء واجتذب أنصارا
أكثر من غيره ولا أشك في أنه مات على يهوديته، التي حرف من
أجلها دعوة المسيح عليه السلام، ولعل ما أذكره الآن ينصح دليلا
على الحكم عليه.

في اليوم(1) الثالث عشر من يناير سنة ألف وأربعمائة وتسع
وثمانين من الميلاد كتب شخص يهودي اسمه "شامور" حاكم
(حكم) يهود مدينة "ارل" بفرنسا إلى المجتمع اليهودي العالمي
في "اسطنبول" يستشيره حول بعض الحالات الحرجة قائلاً:
أن الفرنسيين في مدن : "أكس" و "ارل" و "مريسية".
يتهدون معاينا، فماذا نفعل؟
فرد "المجمع اليهودي العالمي" بمنصة:
"أيها الآخوة الأعزاء بعوسي.
تلقينا كتابكم، الذي تطلعونا فيه على ما تقصسونه من الأهم
والأماكن، فكنا وقع الخبر علينا شديد الوطأة. الحكم: رأى الحاخامين
والرئيسيين:

(1) ورد هذا الخبر في مجلة "الدراسات اليهودية" سنة 1880 م،
وهي مجلة يمولها اليهودي الشرع "جيمس روتشيسلد" - نقت على ص 365،
32 من كتاب "الصهيونية بين تاريخين" - دار العودة - بيروت سنة 1972 م;
(2) الاعلام)

21 كاسلو (ت 2) 1489

أمير اليهود

* * *

وضح لنا أن مبادئ النصرانية: هدفين أثنتين، ثم وضحت لنا عالية دعوتهم. وكل ما كتبناه الزاما لهم أثبتناه من كتب النصارى أنفسهم. وقد حاولت تبسيط الأساليب عن عالمي ليفهم العلماء كما يفهم العالم. وانت على يمين من أن الآثين من بعدي سيكونون أقوى مني على الإباح والبلاغ. فقد وضعتم لهم ما يتكلمون فيه. والله ولى التوافق.

٨٠ - أحمد حجازي الستّاق
# محتويات الكتاب

رقم الصفحة:

1. تقديم - د. الدكتور الشيخ أحمد حجازي النسبا  
   38 - 5

- البحث الأول - أصل الأقانيم وتطورها - مجمع نيقية سنة 225 ميلادية - 5
  - مجمع القسطنطينية سنة 281 ميلادية - مجمع أنسس الأول سنة 321 ميلادية - 4
  - مجمع أنسس الثاني سنة 449 ميلادية - مجمع خلقيدونية سنة 451 ميلادية - 11

- البحث الثاني - السياق المتغير - 29

***

الجزء الأول

- مقدمة المؤلف - 42
- مقدمة الكاتب: فصل في حكايته كلام السائل في خطة كتابه - 47 - 54

الباب الأول: في بيان مذاهبهم في الأقانيم وابطال قولهم فيها

(55 - 88)

- الفصل الأول - أقانيم أسماء أعمال - 57
- الفصل الثاني - أقانيم: القمر والعلم والحياة - 63
- الفصل الثالث - تحليل التثليث - 71
- الفصل الرابع - دليل التثليث - 77
- الفصل الخامس - في بيان اختلافهم في الأقانيم - 79
الباب الثاني: في بيان مذاهبهم في الاتحاد والحلول وابطال قولهم فيهما (89 - 107)

الفصل الأول - اتحاد الكلمة
الفصل الثاني - معنى الاتحاد
الفصل الثالث - الواسطة بين الله وبين موسى
الفصل الرابع - تجسد الواسطة
الفصل الخامس - في حكاية كلام التقدمين
الفصل السادس - في حكاية مذهب "أغشتين" اذ هو زعيم القسيسین

****

الجزء الثاني

الباب الثالث: في النبوات وذكر كلامهم (121 - 208)

القسم الأول: في كلام السائل وذكر الجواب عليه
الفصل الأول: احتاج أصحاب الملل
الفصل الثاني: السبه المتظاهر
الفصل الثالث: السيد عيسى ابن مريم

فصل في بيان بعض ما طرأ في التوراة من الخلل وأنها لم تنقل نقلا متواريا. فتسلم لأجله من الخطأ والزلزل
فصل في بيان أن الإنجيل ليس بمتواريا. وي بيان بعض ما وقع فيه من الخلل
الفصل الرابع: ماجر أم اسماعيل النبي
الموضوع

الجزء الثالث
أنواع القسم الثاني في أثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام

(287 - 291)

النوع الأول: من الآدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

- أخبار الأنبياء به تبليغ
- النبوة الثانية: الاستدلال على نبوته بقرائن أحواله صلى الله عليه وسلم

خاتمة جامعة في صفاته وشواهد صدنه وعلامات

- النبوة الثالثة: الاستدلال على نبوته صلى الله عليه وسلم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تنزيل من حكيم حميد

الوجه الأول: من وجوه إعجاز القرآن: مباينة لسان العرب للسنان

غيرهم

الوجه الثاني: نظمه العجيب وأسلوبه الغريب

الوجه الثالث: ما تضمنه من الأخبار بالغيفيات

الوجه الرابع: ما تضمنه من الأخبار عن الأمام السابعة

- النوع الرابع في الاستدلال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

بجلبة من الآيات الخارقة للعادة

الفصل الأول: في إنشقاق القمر

الفصل الثاني: في حبس الشمس آية له صلى الله عليه وسلم
الموضوع
الفصل الثالث: نبع الماء وتكثيره 251
الفصل الرابع: تكثير الطعام 254
الفصل الخامس: في كلام الشجر، وكثير من الجمادات وشهادتها له بالنهبة 256
الفصل السادس: في كلام ضروب من الحيوان وتسخيرهم 259
الفصل السابع: في احياء الموتى، وكلام الصبيان والراضع وشهادتهم له بالنهبة 262
الفصل الثامن: في إبراء المرضى وذوى العمات 235
الفصل التاسع: في إجابات دعائه صلى الله عليه وسلم 237
الفصل العاشر: في ذكر جمل من بركاته ومعجزاته 270
الفصل الحادي عشر: في ما أخبر به مما أطلبه الله من النبي 273
الفصل الثاني عشر: في عصمة الله له من أراد كيديه 275
الفصل الثالث عشر: في ما ظهر على أصحابه والتابعين لهوم من الكرامات الخارقة للعادات 281

***

الجزء الرابع
الباب الرابع: في بيان أن النصارى متحكون في أدائيهم (289 - 458)
الفصل الأول: ليست النصارى على شيء 293
الفصل الثاني: خروج النصارى على تعاليم التوراة والاتجيل 296
الفن الأول: شعائر الدين النصراني وطقوسه 302
- مسألة في العمودية  402
- مسألة في فنون الأساقفة والتسييس ذنوب الخبيثين 425
- واختراعهم الكفارة للعاصرين 425
الموضوع

- مسألة في الصلوبية وقولهم فيها  ٤١٠
- مسألة في تركهم الختان  ٤٢٠
- مسألة في صيامهم  ٤٢٢
- مسألة في عيادهم الصافية  ٤٢٤
- مسألة في قربانهم  ٤٢٧
- مسألة في تقديسهم دورهم وبيوتهم بالحِج  ٤٣٠
- مسألة في تصليهم على وجوههم في صلاتهم  ٤٣٠
- مسألة في قولهم في النعيم والعذاب الأخراوين  ٤٣٢

الفن الثاني: محاسن دين الإسلام  ٤٣٨
- الغرض من هذا الفن  ٤٣٨
الفصل الأول: اعتقاد المسلمين  ٤٤٠
الفصل الثاني: دفاع عن الإسلام  ٤٤٧

*** *

طبقة:

البحث الثالث (٤٨ - ٤٩٨) 

مبادئ النصرانية  ٤٨٠
خلفية الملة النصرانية  ٤٨٥
محتويات الكتاب  ٤٩٩
رقم الإيداع: 3168 / 1980
الرقم الدولي: 72368 - 787 - 987
مطبعة دار النزهات العربية
92745 - القاهرة